تجار الكارم ، أثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجري

أطروحة تقدمت بها
عبير كريم عبد الرضا الشاوي

الى
مجلس كلية التربية للبنات – جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

بإشراف الدكتورة
خولة شاكر محمد الدجيلي

بغداد
1426هـ 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (*)رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ(*) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

صدق الله العظيم
النور(38-36)

المحتويات

المقدمة

يحفل موروثنا الحضـاري العربي الإسـلامي بمواضـع مهمة تسـتحق البحث والعناية بهدف إبراز أهميتها ودورها الفاعل في مجتمع الدولة العربية الإســلامية الوسـيط والمتأخر منه، وتأثيرها في مفاصـله المختلفة، السـياسـية والاجتماعية والاقتصـــادية. من هذا المنطلق- أي أهمية هذا التراث وديمومته وتوضـيحه- كان طبيعياً أن تحظى هذه المواضيع بالدراسـة المعمقة، ومن بينها موضـوع الكارمية: نشـــأتهم وتطورهم وطبيعة عملهم وآثارهم المختلفة وبعد الاطلاع على مصـــادرنا العربية الاسـلامية التي تناولت الموضـوع، وجدنا ان مصـر كانت المركز الاسـاس لنشـاط الكارمية مع بعض المناطق المجاورة كبلاد الحجاز واليمن ومختلف مناطق القارة الافريقية من هنا ركزت الدراسـة على مصـر ولاسـيما في المدة المحصـورة بين سنة 456هـ/1063م، وهي السنة التي عاد فيها النشاط الكارمي الى الازدهار وحتى العام 923هـ/1517م الذي شهد نهاية نشاطهم . هذه الحقبة شملت النصف الثاني من الخلافة الفاطمية ثم العصـر الايوبي واخيراً دولة المماليك التي رعت نشـــاط الكارمية فوصـــل ذروته في عهدهم التي انتهت بســقوط المماليك بمعركة الريدانية 923هـ/1517م.

وتكمن اهمية الموضوع في توضيح اثر مهم لشريحة من شرائح المجتمع العربي الاســلامي ذكرت عرضـــاً في مصـــادرنا العربية الاســلامية القديمة، إذ لم تتناولها بالشرح والتوضيح الكافي الذي تستحقه.

وإنّ ما يميز هذا الموضـــوع، انه وبالرغم من أهميته إلاّ أنّ المعلومات عنه كانت قليلة جداً ومتناثرة في كمّ كبير من مصـــادرنا العربية الإسـلامية التي أشـارت إليه عرضـــاً بالرغم من تأثير هذه الشـــريحة في المجتمع آنذاك وعلى مختلف الأصـعدة، وربما يعود السـبب في ذلك إلى أنّ اهتمام مؤرخينا القدامى انصـب على النواحي الدينية والسـياسـية والعسـكرية أكثر بكثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصـادية. فإذا ما عدنا إلى الدراسات الحديثة، نجد إنّها تمحورت تقريباً حول قلة من الباحثين المحدثين من العرب المسلمين أوالغربيين[1].

حددت طبيعة المادة تقســيم البحث على مقدمة وســبعة فصــول وخاتمة وملاحق وخرائط توضيحية. جاء الفصل الأول لبيان نشأة الكارم وتطورهم التاريخي حتى العصـر المملوكي، مع الإشـارة إلى نقطة مهمّة لم تسـتطع الباحثة حلها على الرغم من الجهود المضنية التي بُذلت بهذا الشأن، ألا وهي سكوت مصادرنا القديمة عن تتبع تطور الكارمية في بعض العصور الإسلامية كما هو مبين في الفصل الأول.

وركّز الفصـــل الثاني على جهود دولـة المماليك في تنظيم تجارة الكارم وتشـــجيعها من خلال تأمين عملهم ورؤوس أموالهم الضـــخمة وقوافلهم البرية والبحرية، وعقد المعاهدات مع الدول الأخرى لتنســيق العمل التجاري بين الدولة الكارمية من جهة والأجانب من جهة أخرى.

وفي الفصل الثالث تعرضت لموضوع التنظيم النقابي لتجار الكارم ومكانتهم الاجتماعية مع إبرز أهم الوظائف الرسمية التي تولوها، والمهن غير الرسمية التي عملوا بها فضلاً عن ممارسـتهم لتجارتهم كذلك الوظائف التي اسـتحدثت لخدمتهم.

---

(1) صبحي لبيب، التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، ع4، 1994 ؛ عطية القوصي، أضواء على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة، المجلة المصرية التاريخية، م22، 1975؛ عبد الجليل بصيلي، الكارمية، المجلـــة التاريخية المصرية، ع13، 1967؛ = Goitein, S. New lights on the beginning of the karimi Merchants, (Journal of the Economic of Social History of the= Orient), Vol.1, 1938; Ashtor, E, The Karimi Merchants , (Journal of the Royal Asiatic Society), April –1966; Fischel , W., The Spice Trade In Mamluk Egypt , (Journal of the Economic and Social history of the Orient) , Vol.1, 1960

وقد حاولت جهد الإمكان أن أوضــح التنظيم النقابي للكارمية. فمن غير المنطقي أن لايكون لهم تنظيم نقابي وهم الشريحة التجارية البالغة الأهمية والتأثير في المجتمع آنذاك. ولكن الغريب أنّ مصادرنا القديمة تسكت ثانية عن توضيح الصفة النقابية لهم إلاّ بإشارات ضئيلة، مع العلم إنّ مختلف المهن ذات الطابع الاقتصادي شهدت تنظيماً نقابياً متكاملاً ومنذ قرون سابقة.

أمّا الفصــل الرابع فقد أفردته لدراســة فعاليات الكارم التجارية، وضــمّنته عرضاً لأهم منشآتهم التجارية والطرق التي سلكوها، البحرية والبرية، وأهم مراكز تجارتهم ســواء في المحيط الهنـدي وجنوب الجزيرة العربيــة والخليج العربي والبحرين الأحمر والمتوســط وشــرق غرب إفريقيا، وأخيرا المراكز النيلية، مع الإشارة إلى أهم المراكب التي استعملوها، فضلاً عن المواسم التي تنشط فيها هذه التجارة، ثم استعراض سريع لأهم المواد التي تاجروا بها.

واستكمالا لمادة الفصل السابق، فقد جرى الحديث في الفصل الخامس عن نظم التعامل المالي والتجاري التي اســتعملها الكارمية كنظام المقايضــة والنظام المصـرفي والاقتراض، والسـندات المالية المحولة للغير وشـركات التوصـية واهم النظم الضريبية المستعملة في مراكز تجارة الكارم.

واهتم الفصل السادس بتوضيح جانباً آخر مهماً قام به الكارمية، وهو نشر الإسلام ومظاهر حضارته وجهودهم الثقافية في بناء المؤسسات الدينية والتعليمية.

أمّا الفصل السابع فجاء لبيان أهم العوامل التي ساهمت في انهيار الكارمية، وكانت العوامل الداخلية بمثابة الشــرارة الأولى التي كان أهمها ســياســة الاحتكار والطرح والمصادرات واحتكار النقد وعوامل خارجية، يأتي في مقدمتها تحول طرق التجارة إلى رأس الرجاء الصــالح، وفشــل المماليك في التصــدي للبرتغاليين والعثمانيين.

نظرة في المصادر والمراجع:

حتمت طبيعة الموضوع استعمال مصادر عديدة جداً ومتنوعة، استخلصنا منها المعلومات التي شكلت بنية الموضـوع وهيكليته الأسـاسـية. اشـتملت على المخطوطات وكتب التواريخ العامة والمصادر الجغرافية والأدبية ومصنفات التراجم وغيرها.

يأتي في مقدمتها مخطوط (الإلمام بما جرت به الأحكام المقضــية في واقعة الإسكندرية) للنويري الاسكندراني المتوفى سنة 775هـــ/ 1273م. وتكمن أهميته في المعلومات الجديدة التي قدمها حول الإســكندرية، والغزوات الأجنبية التي تعرضت لها والتي كان هدفها اقتصادياً، وهو أول من أشرّ الى هذه الحقيقة. وتمت الإفادة من مخطوط (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) للعيني المتوفى ســنــة 855هـــــ/ 1451م، ولا سـيما في تصـويب بعض الأحداث التاريخية التي وقع بها بعض المؤرخين الذين سبقوه فيما يخص بعض مراكز تجارة الكارم.

أمّا المصـــادر التـاريخيـة، مثـل كتـاب ابن عبد الظـاهر المتوفى ســنــة 692هـ/1292م المعنون (تشريف الأيام والعصور لسيرة الملك المنصور)، فجاءت أهميته فيما أورده من مراسيم بعض سلاطين المماليك لتشجيع التجار فضلاً عن ذكره للعديد من المعاهدات التي أبرمت مع الصــليبيين والجنوية وصــقلية من أجل حماية تجار الكارم. ولكتاب (الانتصـار لواسطة عقد الامصـار) لابن دقماق المتوفى 809هــــ/ 1407م، أهميته أيضــاً في إلقاء الضــوء على أهم المنشــآت التجارية المستعملة من قبل الكارم كالأسواق والرباع والخانات والقياسر وغيرها. أمّا كتاب (صبح الأعشى في صناعة الأنشا) للقلقشندى المتوفى سنة 821هـــ/ 1418م، فقد أفاد البحث بما أورده من معلومات حول النظم السـياسـة والإدارية، فضـلاً عمّا فيه من معلومات عن النظم الاقتصــادية. وترجع أهميته أيضــاً إلى ما ذكره من إصــدار التعليمات للولاة ونظار الثغور لحماية تجار الكارم ومراســيم أمان لتشــجيع التجار الذين يتعاملون مع مصر من الصين والهند وسرنديب واليمن والعراق وغيرها، كما ألقى الضوء على جوازات المرور لتجار الكارم والوظائف التي كانت تخدمهم.

ومن المصـادر المهمة التي أفادت البحث، كذلك كتاب(السـلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي المتوفى 845هــــ/ 1442م، الذي أمدّنا بمعلومات عن نشـاط الكارمية بمصـر، وإنّ تجارة البهار والفلفل الواردة من الهند وجنوب شـرق آسـيا كانت بيدهم حصراً.

أمّا كتب المكتبة الجغرافية فقد أفادت البحث من جوانب عدة، ويأتي في مقدمتها (رحلة ابن جبير) لابن جبير الأندلسـي المتوفى سـنة 614هـــ/ 1217م، ورحلة ابن بطوطة المتوفى سـنة 779هــــ/ 1377م، المسـمّاة (تحفة النظار في غرائب الامصـار وعجائب الأسـفار)، الذي أشـار إلى بعض مراكز وسـلع وتجارة الكارم.

وأفادت كتب التراجم في سـدّ بعض نواقص الموضـوع، ولاسـيما في معرفة شـخصـيات بعض تجار الكارم ومشـاركتهم العلمية والثقافية وبناء المؤسـسـات التعليمية. ككتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسـقلاني المتوفى سنة 852هـــ/ 1452م، الذي أمّدنا بمعلومات مهمة مستخلصة من تراجم تجار الكارم. وكتاب (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) للسخاوي المتوفى 902هـ/ 1497م، الذي زوّدنا بتراجم أغلب تجار الكارم من أهل القرن التاسـع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

أمّا المراجع فهي الأخرى تعدّدت وتنّوعت مشتملة على كتب ومقالات عربية ومترجمة وأجنبية مع عدد من الرسـائل والأطاريح الجامعية، كان لكثير منها فائدة واضـحة سـدّت العديد من نواقص البحث. ويأتي في مقدمتها كتاب نعيم فهمي زكي (طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشـرق والغرب) الذي أفاد البحث، ولا سـيما فيما يتعلق بطرق ومراكز تجارة الكارم والمنشـآت التجارية والنظم المالية وسـلع الكارم.

أمّا المراجع الأجنبية المترجمة فكان أهمها كتاب (تاريخ التجارة في الشـرق الأدنى في العصـور الوسـطى) لتوماس هايد الذي أمدّنا بالعديد من المعلومات عن تجارة الكارم والمعاهدات التجارية التي نسـقت التعامل بين تجار الكارم والأجانب، وألقى الضـوء على خطر القراصـنة والتصـدي لهم من قبل سـلاطين المماليك في مصـر وبلاد الشـام، وتعرَّض لسـلعهم وطرق تجارتهم ومراكزهم. وكتاب شـلمون جويتن (دراسـات في التاريخ الإسـلامي والنظم الإسـلامية)، الذي أمّدنا بمعلومات عن بداية الكارم ووثائق الخبرة القاهرية وأهميتها في ذكر تجار الكارم فيها.

أمّـا المراجع الأجنبيـة، فمنـهـا كتـابي شـلمون جوتين وهمـا :
Letters and Document on India Trade in Medieval Times ,) Vol.37 (Islamic Culture), 1963.) , (Jews and Arabs, Their Contracts Through the Ages, New York-1955)
إذ يلقيان الضوء على تجارة الكارم في البحر الأحمر ومشاركة الديانات الأخرى في هذه التجارة.

ومع أنّ الصـعوبات التي واجهت الباحثة كانت جمّة ومتنوّعة، كندرة المعلومات، وصـعوبة الحصـول على المصـادر، والحالة العامة لبلدنا العزيز، فقد قامت الباحثة بمراسلة عدد من المكتبات والمؤسسات والجامعات والمختصين من العرب والأجانب في دولة الإمارات العربية المتحدة والكويت والبحرين عن طريق شـبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) بهدف الحصـول على ما يمكن أن يفيد البحث ويعزّزه، لكن لم أتلق أجوبتها أو أنّها لم تجب أسـاسـاً. ممّا اضـطرني للسـفر خارج القطر للحصـول على ضـالتي العلمية المنشـودة التي سـدّت فعلاً جزءا من جوانب نقص المادة. وخدمتنا شـبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) خدمة جليلة في بعض المقالات والبحوث. وأخيراً أتمنى من العليّ القدير أن توضح دراستي هذه جانباً من تراثنا العربي الإسـلامي المنيف وتعّززه وتسـد جزءاً مما تحتاجه مكتبتنا العربية، واستميح العذر لما فيها من نواقص، فالكمال لله تعالى جلّ وعلا.

أولاً. الكارم، المعنى والاصطلاح

تضـاربت آراء الباحثين حول الكارم، ولاسيما اسـمهم الذي لم يتوصـلوا الى رأي قاطع بصـدد تفسـيره[1]. فهناك من يرى أنّ تجارة الكارم تنسـب الى الكارمية، وهم كما تشــير اليهم وثائق الجنيزة[2] فئة من كبار التجار اشــتغلوا باحتكار تجارة الهند وجنوبي شرق آسيا وشرق إفريقيا في التوابل وغيرها من السلع الثمينة[3]. ففي الخطاب الذي كتبه في الثلاثينيات أو الاربعينيات من القرن الســادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تاجر عدني الى شخص آخر، يبدي فيه ألمه وخوفه لغرق أحد

---

(1) القوصـي، عطية، تجارة مصـر في البحر الأحمر منذ فجر الإسـلام حتى سـقوط الخلافة العباسية، القاهرة – 1976، ص101.

(2) وثائق الجنيزة: الجنيزة كلمة عبرية أطلقت على مكان دفن الأشــياء المتعلقة باليهود وهي تقابل كلمة جنازة في العربية، ومن معتقدات اليهود أنّ كل ورقة تحمل اســم الله تعالى باللغة العبرية لا تمزق أو تحرق بل تحفظ لأن العبرية في تقديرهم لغة الله تعالى ولـها حق القداســة والخلود. جويتن، شـلمون، دراسـات في التاريخ الإسـلامي والنظم الإسـلامية، ترجمة: عطية القوصـي، الكويت – 1980، ص189، والجنيزة هي وثائق خطية كثيرة وجدت في الفسطاط وانتقلت الى علماء الغرب خلال القرن 13هـــ/ 19م، وتوزعت في مكتبات أوربا وأمريكا ويتراوح عددها ما بين مائة ألف الى ربع مليون ورقة. بوزورث، شـاخت، تراث الإسـلام، ترجمة: محمد زهير السـمهودي، الكويت- 1978، ق1، ص319، حاشية (1) و (2). وكانت هذه الوثائق محفوظة قبل أكتشـافها في حجرة خصـصـت للاوراق المهملة في معبد يهودي بالفسـطاط. كما وجد بعضــها الآخر في جبانة (مقبرة) البســاتين القريبة من المعبد وأطلق على المجموعتين اســم وثـائق جنيزة القـاهرة. ويرجع تـاريخ معظم هذه الوثـائق، التي تتكون غـالبيتهـا من خطـابـات متبـادلـة بين اليهود وذويهم الى المرحلـة مـا بين القرنين 4-7هــــ/ 10-13م،وقليل منها يرجع الى مرحلة متقدمة من القرن 4هـ/10م،ومعظمها قُطع من كُتب عـــبـــريـــة، تـــعـــكـــس فـــي الـــكـــثـــيـــر منهـا أحوال ســيـاســيـة وأجتمـاعيـة واقتصــاديـة لبلـدان البحر المتوسـط والمشــرق ولاســيمـا في العصــرين الفـاطمي والايوبي. وقـد نشــر بعض مـن هـذه الـوثـائـق ولـكـن بـعضــهـا الآخـر لـم يـنشــر حـتـى الآن، وقـد وضـــع المســتشــرق شــلمون جويتن مفتـاحـاً لوثـائق الجنيزة في كتـابـه Attentative Bibliography of Genize Documents, Paris –1964, P.75-91؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص33.

(3) القوصـي، عطية، وثـائق الجنيزة وأهميتها في دراسـة تاريخ مصـر الإسـلامية، مجلة جـامعـة القـاهرة، ع5، 1974، ص185 –ص190؛ Goitein , New Lights , P.173

أصدقائه من التجار الكارميين في البحر الأحمر مع سفينته، ويتمنى وصول بقيتهم الى عيذاب[1] سالمين[2].

ومن ناحية أخرى استعملت لفظة كارم بمعنى السلع أو البضائع التي يتجر فيها أولئك التجار الذين نســـبوا اليها. ومن الخطابات التي ورد فيها اشــــارة لهذا المعنى، الخطاب الذي أرسله تاجر يدعى محروس اللبدي[3] من عدن الى أحد أبنائه في القاهرة [4]، ذاكراً فيه بعض قطع الأحجار الكريمة التي اشــــتراها وســـلّمها في عدن الى مضـــمون بن حســـن[5]؛ ليرســـلها بدوره الى القاهرة مع أحد تجار الكارم المتجهين اليها[6].

(1) عيذاب :بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر الأحمر الغربي، وهي مرسى للسفن القادمة من الهند والصين والحبشة واليمن، من أعمال مصر، وصار ميناء هذه البلدة مسلكاً للتجار والحجاج معاً يمرون به حتى يصلون الى الصحراء الشرقية، كما كانت بضائع الهند تحمل الى عيذاب ثم الى المحطات التجارية الأخرى. ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، بيروت – 1981، ص67 – ص68 ؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، ج4، مصر – 1324، ص171.

(2) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص285.

(3) محروس اللبدي: محروس بن يعقوب من بلدة لبدة الليبية ويلقب بالعدني، كان صاحب سفينة. عاش في الربع الأول من القرن 6هـــ/ 12م، أقام في عدن التي أصبحت مركز نشــاطه، عرف بســفره الدائم مع مضــمون شــيخ التجار اليهود في عدن، كما أنّ أخت محروس هذا كانت متزوجة من أبي ذكرى كوهين شـــيخ التجار اليهود بالقاهرة وقد أرتبطت العائلتين بروابط المصاهرة في العراق وفلسطين والمغرب، كما كان محروس هذا يحضـــر أحياناً الى القاهرة ليدير أمور عائلته في الوقت الذي يكون فيه صـــهره مســافراً الى الهند. Goitein New Lights, P. 176 جويتن، دراســات في التاريخ الإسلامي، ص281، ص282.

(4) جويتن، دراســـات في التاريخ الإســـلامي، ص282، Goitein New Lights , P. 176.

(5) مضـمون بن حسـن بن بنوار : وكيل التجار في عدن ومن أصـحاب السـفن. كان والده وكيل تجار فيها أيضاً في النصف الثاني من القرن 5 هـ/ 11م، ازدهر نشاطه التجاري خلال النصف الأول من القرن 6 هـــ/ 12م وتوفى سنة 546هـــ/ 1151م، وخلفه في العمل أبنه الاكبر. وهنالك مضـمون آخر هو مضـمون بن داود، ومن المحتمل أنّ يكون حفيد الأول، أحرز المكانة نفسها حوالي سنة 617هـــ/ 1220م. جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص260.

(6) .Goitein , New Lights , P. 176.

أمّا فيما يتعلق باســـم الكارم نفســـه، فهناك آراء عديدة، فبعض الباحثين المحدثين[1] أخذوا بقول القلقشندي[2] بأنّه مشتق من الكانم[3].ثم عمّمت هذه الكلمة لتشمل الذين يعملون بتجارة التوابل، ولاسيما المجموعة المقيمة بمصر التي جلبت أنواع البهارات [4]، كالفلفل والقرنفل ونحوها، من الهند ومناطق جنوب شرق آسيا الى موانئ اليمن، فعرفوا به[5].

ومع أنّ هذا الرأي ليس شـــائعاً إلاّ أنّه لايمكن التقليل من أهميته؛ لأنّ بلاد الكانم هي طريق التجار القديم لاســتجلاب الفلفل[6]، كما كانت هناك صــلات تجارية قوية بين مصر وهذه البلاد، كانت تقوى وتزدهر تدريجياً[7].

وهنــاك رأي آخر يفترض أنّ اســـم الكــارم مشـــتق من كواررامينــا Kuararima وهي كلمة أمهرية[8] تعني نوعاً معيناً من التوابل، وهو حب الهال

---

(1) Quteremere , M, Memoires Geographique , et Historiq ues sur I Egypte, 2, Paris – 1811 , P.27, 228؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص5، ص6.

(2) أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشأ، تصحيح : محمود سلامة، ج4، مصر – 1906، ص32 ؛ القلقشندي، ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، تحقيق: محمود سلامة، القاهرة – 1906، ص253.

(3) الكانم: بلاد تقع في وسط إفريقيا، بين بحر الغزال وبحيرة تشاد في السودان الغربي. سالم، السيد عبد العزيز وأحمد المختار، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر، بيروت – 1947، ص112؛ سرور، محمد جمال الدين، دولة بني قلاوون في مصـر، القاهرة – 1947، ص327، حاشـــية رقم (7). وبلاد الكانم هي نيجيريا الحالية. رياض، زاهر، مصر وإفريقيا،، القاهرة – 1976، ص111.

(4) كان يطلق على التاجر الكارمي في العصر الفاطمي تسمية: بوهر، وتعني تاجر البهار في اللغة الهندية السنسكريتية Lewis, B., The Fatimids and The Route to India , Istanbul – 1949, P. 53؛ ماجد، عبد المنعم، طومان بأي آخر سلاطين المماليك في مصر، القاهرة – 1978، ص73.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص32؛ القلقشندي، ضوء الصبح، ص253.

(6) أطلق أصطلاح تجارة الكارم بصورة عامة على التجار الذين كان معظمهم في البدء من أهل كانم الإسلامية. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج1، ق1، مصر – 1970، ص899؛ Ferrend , G., Intructions Nautiques et Cout viers Arabes et Patugais des , Siecles , Texte Arab Pramagid , Paris – 1925 , P. 763؛ النقيرة، محمد عبد الله، أنتشــار الإســلام في شـرقي إفريقيا ومناهضــة الغرب له، الرياض – 1982، ص92.

(7) ينظر: الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشـــتاق في أختراق الافاق، تحقيق: رينهارت دوزي ودي غويه، ليدن – 1968، ص22، ص39، ص40؛ بصـــيلي، الكـارمية، ص99.

(8) الامهرية : اللغة التي تعتبر أصلاً للغتين ساميتين حبشيتين وهما الجورا جواي ولغة هرر. وسـميت بالمهرية نسـبة الى أقليم أمهرة أو (أمحرة) في الحبشــة والذي أتخذته الأسرة السليمانية التي تنسب نفسها الى النبي سليمان بن داود (ع) في القرن 7هـــ/

تاجر به الكارمية، ثم حرّفت فأصبحت كارم، وأطلقت على هؤلاء التجار[1].فأصل تسميتهم هنا تعود الى سلعة من سلعهم[2] ، وأحياناً ترد نسبتهم الى نوع من العنبر الأصفر[3]الذي كان يباع في أسواق القاهرة، إذ كان له أكثر من سوق مشهورة فيها[4].

وهناك تفسير آخر أورده جويتن، مفاده أنّ أصل الكلمة ليس عربياً بل هو هندي، مستنداً في ذلك الى تبرير يصعب قبوله مفاده ورود كلمة كارم في وثائق الجنيزة، دون أنّ تلحق بها أل التعريف العربية. متغاضياً عن حقيقة أنّ لتعريف الأشياء في اللغة العربية صور عديدة ومنها التعريف بالإضافة، وهو ما جاءت الكلمة معرفة به في الوثيقة المشار اليها ((كارم السنة)) [5] ويضيف أنّه لايوجد في اللغة العربية كلمة تحمل معنى يتصل بنشاط الكارم في حين يوجد هذا المعنى في اللغة التاميلية[6] السائدة في جنوب الهند وهي كلمة كاريام **Karyam**، التي تعني في بعض الأحيان الأعمال أو الأشغال، ولما كانت أعمال الساحل الهندي الغربي والمشرق الإسلامي هي في الأعم أعمال تجارية، لذا فمن المحتمل أنّ يطلق الأهالي على هؤلاء التجار القادمين من الغرب هذه التسمية[7].

13م، حاضرة لها، وجعلتها لغة رسمية لها بدلاً من لغة الجعيز التي تعتبر أقدم لغة سامية وهي لغة القبائل اليمنية التي جاءت من موطنها الأصلي = =على الساحل بين صنعاء وعدن، ثم انتقلوا الى الجانب الشمالي الشرقي في الحبشة واليهم تنسب لغة الجعز أو لسان الجعز كما يسميها الاحباش. وقد أصبحت لغة الجعز فيما بعد لغة الكنيسة بعد أنّ حلت محلها الأمهرية. وتعتبر الامهرية من أشهر اللغات هناك وهي لغة البلاد الرسمية الأن. وتكتب من اليسار الى اليمين، وقد حاول أهالي هرر. في بعض الأحيان كتابتها بحروف عربية. عابدين، عبد المجيد، بين الحبشة والعرب، مصر-1967، ص9، ص13، ص148، ص227، ص228.

(1) Fischel , W., Uber Die Gruppe Des Karimi – Kanfleute, Ein Beitrage (Zgeschoil Des orient – Handelsunter Dau Mumluken) , Rome- 1937 , P. 67 –82.

(2) البصري، علي بن يوسف بن أحمد، تاريخ البصري، ج1، تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق -1408هـ، ص192؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص5.

(3) Doze , R., Supplement Auxidi Etonnaries Arabes , Paris – 1966 , T.2 , P. 46.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ج2، بولاق – 1270هـ، ص89.

(5) دراسات في التاريخ الإسلامي، ص285.

(6) اللغة التاميلية: هي إحدى اللغات الهندية القديمة السائدة في الدكن والتي ظلت محتفظة بمفرداتها، وهي جزء من اللغة الدرافيدية القديمة والتي تشمل: التاميل، تلوجو، كاناريس، مالايالام، وقد أصبحت لغة تاميل، لغة الأدب في جنوب الهند. ديورانت، ول، قصة الحضارة، الهند وجيرانها الشرق الأقصى والصين، ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، مصر – 2001، م2، ج3، ص283.

(7) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص289، ص290.

ومن هنا يبدو أنّ جويتن يميل الى الاعتقاد بأنّ الأصـــل غير العربي للفظة كارم[1]. لكن ما ينقض صـــحة رأيه أنّ اســـم الكارم لم يطلق على كافة التجار المترددين على الهند من مختلف الأمصـــار الإســـلامية وإنّما يطلق على فئة بعينها يعرفها أحد الباحثين بأنّها ((طائفة من التجار كانت في مصـــر وعدن أثناء العصـــر الفاطمي (358-567هـــ/ 969-1171م) ، وتزايدت أهميتها في العصرين الأيوبي (567-648هـ/ 1171-1250م) والمملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م)، ممّا أدّى الى تحكّمها في تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي)) [2]. وهذا يدّل على أنّ اســـم الكارم لم يكن يشـــمل كافة التجار المترددين على الهند، وإنّما ((انصّـــب هذا الاســـم على فئة التجار الذين كانت بيدهم تجارة البهار الوارد الى مصـــر دون من غيرها من الدول، من الهند والصـــين عن طريق موانئ اليمن من دون غيرها من موانئ الدول الأخرى)) [3].

ويؤكد ذلك ما ذكره لبيب من ((أنّ الكارمية كما نعرفهم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق بين المحيط الهندي والبحر الأحمر ومصر)) [4].

ولدينا تراجم لعدد من التجار الذين ذهبوا الى الهند والصين في المرحلة التي يتضـــمنها البحث ولم يكونوا كارمية، هذا يدفعنا الى الاعتقاد برأي المقريزي، وهو أنّ هؤلاء التجار وصلوا الى الهند والصين عن طريق آخر غير موانئ اليمن[5]. أو ربّما أنّ الكارمية لم تظهر في البداية كجماعة تجارية، وإنّما ظهرت كقافلة من السفن أو مجموعة من النواخذة [6]، يسافر التجار على سفنهم التي تنقل البضائع في حماية أصحابها أو حماية وكلائهم. معنى هذا أنّ الكارمية كانت تطلق على قافلة السـفن، ولم تطلق على التجار وهو رأي آخر أشـــار اليه جويتن من خلال دراســـته

(1) يذكر القوصي، مترجم الكتاب أنّ رسم الكلمة الصحيح هو كارم أمّا إذا كانت هذه الكلمة مشتقة من كاريام الهندية فيكون نطقها الصحيح (كارام). جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص280 حاشية (2). ويبدو الاختلاف واضحاًفي رسم الكلمة.

(2) King , J.W. , Historuy Dictionary of Egypt , American University – 1984 , P. 384.

(3) King , J. , Historuy Dectionary of Egypt , American University – 1984 , P. 384.

(4) التجارة الكارمية، ص6.

(5) السلوك، ج1، ص899، حاشية (1).

(6) النواخذة : جمع ناخوذة، كلمة أعجمية تتكون من مقطعين (نا) وتعني السـفينة (خداه) تعني السيد، فالمقصود بها صاحب السفينة. ابن ماجد، شهاب الدين أحمد، ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق : ثيودور شوموفسكي، ترجمة : محمد منير مرسي، القاهرة – 1969، ص81، ص138. وغالباً ما كان تاجراً واسـع الثراء لا رباناً. الرامهرمزي، بزرك بن شـــهريار، عجائب الهند بره وبحره وجزايره، مصـــر – 1908، ص138؛ الشـــاوي، عبير كريم عبد الرضـــا، التجارة العربية الإســـلامية مع الســـاحل الأفريقي الشرقي حتى القرن 9هـــ، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة بغداد، كلية التربية للبنات -2001، ص52 .

لوثائق الجنيزة[1]. فمثلاً التاجر الشـــيخ أبو العباس الحجازي الذي أقام وتاجر مع الصين والهند أربعين سنة لم ينعت بالكارمي وإنّما لقب بالحجازي[2]. وعبد الرحيم المغربي الذي سافر الى الصين وأقام بها مدة وعاد الى بلدة المغرب بأموال طائلة، كان يعرف بعبد الرحيم الصيني[3]. وأبو اسماعيل أبراهيم بن تاج الشريف الحسني المتوفي سنة 415هـ/ 1024م، وكان وكيلاً للتجار، وحُملت البضائع اليه والمتاجر من كل ناحية، وخلّف مالاً كثيراً لم يسمى بالكارمي[4]. وغيرهم الكثير، ممّا يدل على أنّ اسم الكارم لم يكن يشمل وقتذاك كل التجار المترددين على الصين والهند، الأمر الذي ينتقص من صحة الرأي الذي ذهب اليه جويتن .

وهناك تفســـير آخر، يرى أنّ كلمة كارم تتكون من مقطعين أوّلهما (كار) بمعنى حرفة أو عمل أو تجارة، وثانيهما (يم) بمعنى المحيط أو البحر أو النهر الكبير ثم ســـقط حرف الياء من (يم) فصــــارت كارم التي تعني العمل البحري أو التجارة البحرية[5]، أو (كار البحر) وهو معنى قد يدل على المشتغلين بأمور الملاحة من ربابنة ونواخذة أكثر ممّا يدل على التجار الذين يركبون البحر ، ويظهر هذا الفرق بين الدلالتين واضــــحاً فيمن كتب عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي، فالرامهرمزي ميّز في عبارة واحدة بين تجار البحر والبحريين[6]. وهذا يعني التمييز بين حرفة التجار في البحار التي تعني الكارم وبين تجار البحر الذي يبدو بوصفه دلالة لفظية لذلك التقطيع السابق الذكر وعموماً، فكلمة (كار) لاتزال تعني الحرفة أو العمل وهو استعمال دارج. وقد تعني نوع من السفن، وهي كرر Krr وكرّ Kr المصرية الأصل، والأولى مراكب ذات حجم أكبر من الثانية تستعمل في نقل الحبوب في حين تستعمل الثانية في نقل البضائع المختلفة والنقل من مركب الى آخر. وتســـمية هذا النوع من المراكب تقترب من تســـمية كار أو كارات[7]، والذي يدعم هذا الرأي الاشــــارة التي وردت عند المؤرخ ابن أيبك الدواداري عن الكارم أثناء حديثه عن الغلاء الذي حدث في سنة 456هـــــ/1063م، إذ جعل من أسبابه

---

(1) دراسات في التاريخ الإسلامي، ص287.
(2) الغرناطي، أبو حامد، تحفة الألباب، نشر: جبريل فران، 1925، ص108.
(3) ن . م، ص108 .
(4) ن . م، ص106، ص107 .
(5) بصيلي، الكارمية، ص220 ؛ بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن 7-19م، مصر – 1972، ص29، ص391 ؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص25-ص26 . والملاحظ أنّ كلمة Carry في الانجليزية ومشـــتقاتها تخص النقل والتحميل .
(6) إذ يقول ((ومن طريف اخبار تجاره ومن ركبه ما حدث من أســـحاق بن اليهودي .. فحدثني غير واحد من أخواننا البحريين أنّه ورد عمان من الصـــين في مركب لنفســـه وجميع مافيه له)) . عجائب الهند، ص141 .
(7) البيلي، محمد بركات، بداية الكارم ومعناها في العصـــر الفاطمي، مجلة المؤرخ المصري، ع13، 1994، ص94.

((قلة التجار وانعدام الوارد وانقطاع الكارم)) [1]. ويدل ذلك على انّ الكارم لم يكن حينذاك مجرد تجارة في التوابل والسلع الثمينة ولكنه يشتمل على سلع غذائية شكل انقطاعها سبباً في غلاء الأسعار[2].

أمّا عن المقطع الثاني وهو (يم) فيعني البحر الذي لاتُدرك ســـعته، أو يعني النهر الكبير، فالله تعالى خصّ نهر النيل بتســـمية اليم بقوله تعالى: ((أنّ اقذِفيهِ في التابُوتِ فَاقذِفيهِ فِي اليَمِّ فَليُلقِيهِ اليمُّ بِالسّـــاحِلِ يَأخُذهُ عَدُوٌ لي وَعَدّو لَهُ)) [3]. والمســـعودي يؤيد ذلك، بقوله ((وليس في أنّهار الدنيا نهر يســـمى بحراً أو يماً غير نهر مصـــر لكبره واســـتبحاره)) [4]،وعلى ذلك فاليم المشـــار اليه في المقطع الثاني من كلمة كارم ليس المحيط الهندي، وإنّما هو نهر النيل، وقد يكون أيضـــاً البحر الأحمر، ولاسيما أنّ رحلة الكارم كانت تمخر عبابهما، فتبحر في البحر الأحمر حتى عيذاب، ثم تُحمل منها البضـائع على ظهور الإبل عبر صـحراء مصـر الشـرقية ومنها الى قوص[5] لتبحر بها المراكب ثانية من قوص الى فنادق[6] الكارم بالفســطاط في نهر النيل [7].

---

(1) أبو بكر عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، ج6، (المســـمى الدرة المضـــية في الدولة الفاطمية)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة – 1961، ص380، ص381.

(2) البيلي، بداية الكارم، ص93 .

(3) القرآن الكريم ســـورة طه، آية:39. فهو الذي أمرت أم النبي موســـى (ع) حين ولدته وخافت عليه من فرعون أنّ تجعله في تابوت ثم تقذفه في اليم. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لســـان العرب، تحقيق: يوســـف الخياط، القاهرة-1979،مادة يم، ص4966 .

(4) أبو الحســـن علي بن الحســـين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، باريس-1861، ص301.

(5) قوص : كلمة قبطية تعني الدفن وأطلق هذا الاســـم على الذين أختصـــوا من بين أهلها بدفن ملوك الفراعنة. ماهر، ســـعاد، محافظات مصـــر، القاهرة – 1945، ص270. وكانت محاطة بســـور من الحجر وأكثر أبنيتها من الحجارة. ابن مماتي، الأســـعد أبو المكارم، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز ســـوريال عطية، القاهرة- 1991، ص325. تقع على الشاطيء الشرقي لنهر النيل جنوبي القاهرة بحوالي 350 ميلاً بمحافظة قنا. رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصـــرية، القاهرة- 1935، ج1، ص125؛ غربال، شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة- 1165، ص1407.

(6) فندق: أصل تسميته من الكلمة اليونانية Pandukeeium التى كانت تطلق على مثل هذا النوع من المنشـآت . متز، أدم، الحضـارات الإسـلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، مصـــر- 2003، ج2، ص 284. ثم أنقلبت الى اللغة الأيطالية لتدل على المبنى الذي فيه مخازن وحجرات للنوم. زكي، نعيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشـــرق والغرب في أواخر العصـــور الوســـطى، القاهرة – 1973، ص290. يعرف في مصر باسم الفندق وفي بلاد الشام باسم الوكالة وفي تركيا بالخان . لبيب التجارة الكارمية، ص12.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص464. ومن المحتمل أنّ تشمل كلمة اليم المحيط الهندي، لأن بضـائع الكارمية كانت أصـلاً تمخر عباب المحيط الهندي حتى غيرها من البلاد.

وهذا يعني أنّ الكارم كان في الأصل اسماً مصرياً محلياً تعرف به المراكب النيلية، لكنه اتسـع ليشـمل السـفن المبحرة في البحر الأحمر الى عيذاب فأصـبحت رحلة الكارم طويلة تمتد من عدن الى الفسـطاط، يُقطع شـوطٌ منها في البحر الأحمر وشوطٌ آخر في نهر النيل[1].

وربما يكون الاسم مشتقاً من المنطقة التي وجدوا فيها، فأبو شامة يرى أنّها تعني أكارم التجار في عدن، إلاّ أنّه لم يُشر الى أصلهم أو جنسيتهم[2]. وبما أنّ هذه الجماعات عاشـت في مصـر، فإن هناك رأي آخر مفاده أنّه ربّما يكون الاسـم متأتياً من اسم أو لقب أول تاجر منهم أو لعله اسم أشهرهم الذي قد يكون اسمه كريم ممّا جعله ينسحب على الجماعة كلّها، فسُمّوا بالكارمية أو أنّهم اشتهروا بصفة الكرم، فنُسبوا اليها[3].

وأخيراً، وبعد هذا الاستعراض المُرَكز حول اسم الكارم، نصل الى رأي مهم سـنحاول من خلاله أنّ نثبت عروبة هذه التسـمية وأصـالتها العربية، ومفاده أنّ العراقيين القدماء أطلقوا تسـمية الكارم على المحطات التجارية القائمة في بلاد وادي الرافدين، فمنذ الألف الثاني قبل الميلاد، أقام الآشـوريون (2000ق.م - 1521ق.م) عدَدا من المراكز التجارية على الطرق المتجهة نحو آسـيا الصـغرى اسـموها كارم Karum [4]،وتعني المركز الذي يعيش فيه التجار. أمّا في اللغة الأكدية فكانت تعني الميناء أو المركز التجاري أو المخزن. وقد أظهرت التنقيبات الأثرية وثائق تتضمن عقوداً تجارية تبين وظائف التجار الذين كانوا بمثابة وسطاء تجاريين مهامهم نقل البضائع وأقراض الأموال بفائدة معينة، لدرجة أنّ أي شخص يقرض الناس المال يُسمى بالكارمي[5].

ولابدّ من الاشـارة هنا الى نقطة مهمة، فعند الآشـوريين كان العمل التجاري ينتقل بالوراثة[6]، كذلك كانت التجارة في العهد البابلي القديم (2006 ق.م- 1595 ق.م) بصـورة عامة من اختصـاص طبقة تدعى (تمكارو Tamkaru) ومفردها

---

(1) يمكن اعتبار نقل البضـائع على ظهور الإبل عبر الصـحراء تكملة لمرحلة المراكب. البيلي، بداية الكارم، ص96، ص97.

(2) عبد الرحمن بن اسماعيل، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: عزت العطار، ج2، القاهرة – 1287، ص27.

(3) ينظر: عثمان، شوقي عبد القوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، الكويت -1990، ص270، حاشـية(2) . في حين يذكر بصـيلي أنّ لفظ الكارم الذي عرفت به الكارمية لايمت بصـلة للكرم في شـيء، وإنّما يطلق على نوع من الأحجار يسـمى كهرماني يسـتخدم في عمل المسـابح والعقود، وأحياناً يُلفظ كرمان أو كارم. تاريخ وحضارات السودان، ص391.

(4) الفتيان، أحمد مالك وعامر سـليمان، محاضـرات في التاريخ القديم، ق1، جامعة الموصل، كلية الآداب، ص148.

(5) حمود، حسـين ظاهر، التجارة في العصـر البابلي، أطروحة دكتوراه غير منشـورة، جـامعـة الموصـل، كليـة الآداب – 1995، ص89؛ Leemans , W.F., Old Bablonian Merchant , Leiden , Brill-1950, P.36.

(6) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، 1979، ص381.

(تمكارم Tamkarum)، وهي تعني عندهم التاجر[1].لكن الملاحظ أنّ هذه الكلمة تعني أكثر من ذلك، فأحد الباحثين يشــير الى أنّ التمكارم في نشــاطاته المختلفة لم يكن مجرد تاجر هدفه بيع بضــاعته فقط، بل أيضــاً وسـيطاً وصــرافاً وأحياناً وكيلاً للحكومة[2]، ومموِّلاً لتجار آخرين ليقوموا برحلات تجارية له مقابل فائدة[3]، وقبول الرهون وتســــهيل مهمة نقل البضـــائع والأموال التي يُعهد اليه بها[4]، وتقديم القروض الى وكلاء آخرين[5].والملاحظ أنّ شــريعة حمورابي (1792-1570 ق.م) تضمنت إشارات متعددة الى التمكارم وألقت الضوء على أنشطتهم[6]. فتجارتهم لم تكن مقصــورة على داخل البلاد، بل امتدت الى خارجها أيضــاً، عندما أشــارت الى قيامهم بجلب الرقيق من خارج البلاد، ((فمن وقع في يد التمكارم فمن حقه بيعه))[7].

وهناك الكثير من الرقم الطينية التي تؤكد قيام أفراد من طبقة التمكارم ببيع الرقيق وشــرائهم داخل بلاد بابل وخارجها. فضــلاً عن ذلك فقد نظم التمكارم تجارة مواد أخرى كـالمواد الغذائيـة والخشـــب والملابس والأقمشــــة والحبوب والنبيذ والمعادن ومواد البناء والماشـــية والخيل [8]. من هنا نرى أنّهم لم يتاجروا بمادة التوابل بالذات كما حدث في القرون اللاحقة ولاسيما بعد الإسلام.

إنّ جميع المعاملات والأنظمة التجارية التي وردت عند الآشوريين والبابليين تشـــبه الأنظمة التجارية التي ســـادّت في الأزمنة التالية دون أدنى اختلاف. ذلك أنّ أنتقال هذه النظم التجارية من بلاد وادي الرافدين منذ ألفي ســـنة ق.م الى شـــمال إفريقيا والمحيط الهندي كي تؤدي دور ها في الحياة الاقتصـــادية، إنّما يعود الى ارتباط الحضـارات واتصـالها ببعضـها مثل حضـارات واديي الرافدين والنيل والهند القـديمــة. فـإلى العراقيين القـدمـاء ولاســـيمـا البـابليين، تعود الكثير من

(1) ن. م، ص326.

(2) قد يكون سبب كون التمكارم، وكيلاً للحكومة هو خصوصية ومتطلبات العمل التجاري الخارجي، فقد أستمرت هيمنة الدولة على النشـاطات التجارية لفترات طويلة، وتحول الاهتمام من الطابع الفردي الى الطابع الجماعي المنظم الذي تشرف عليه الدولة، وفي نفس الوقت نجد حالات نشـــاط اقتصـــادي خاص لكنه كان يتم على نطاق محدود، فقد أستمرت سيطرة المعبد أو القصر أو ممثل الدولة في تنفيذ أعمال الدولة الاقتصـادية. الهاشـــمي، رضـــا جواد، التجارة، مقال في كتاب حضـــارة العراق لمجموعة مؤلفين، بغداد – 1985، ج2، ص196، ص227، ص228.

(3) كان من ضـمن عمله أيضــاً أنّه يضــع فائدة على الدين وكان هذا أمر معروف منذ تلك الأزمنة السحيقة وأشارت اليه القوانين المعروفة آنذاك، لكن الملاحظ أنّ نسبتها كانت عالية، لذا نصت شريعة حمورابي على مصادرة مبلغ دين التمكارم الذي يتقاضى اكثر من النسب القانونية. ساكز، عظمة بابل، ص328.

(4) ساكز، عظمة بابل، ص326، ص327.

(5) ن. م، ص327.

(6) أنّ المواد القانونية التي تناولتهم في شــريعة حمورابي هي 32، 281، 282. ســاكز، عظمة بابل، ص328.

(7) ساكز، عظمة بابل، ص326.

(8) ن. م، ص327.

المصطلحات التجارية واسماء المكاييل والموازين التي انتقلت منهم الى الشعوب الأخرى التي طوّرتها[1]، وبما يثبت أنّ اصل الكلمة عراقي يعود الى زمـــن الآشوريين [2].

أمّا المتغيرات التي طرأت على رســـم الكلمة فيعود الى التحريف الذي طرأ على بعض الكلمات في اللغة مع تغير حاجات تلك المجتمعات ومتطلباتها في العصــــور اللاحقة. إذ أيّده العديد من مؤرخينا العرب والمســـلمين[3] الذين أكّدوا استقرار أعداد كبيرة من العراقيين بمصر وبلاد الشام من الذين تركوا وطنهم نتيجة المستجدات التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية 656هـــ/1258م، وكان من بينهم تجار الكارم. فأصبح بعضـهم وكلاء أو حتى وزراء للحكام وأطباء وفقهاء وقضـاة ومدرســـين، قدموا من مختلف مدن العراق، من بغداد وتكريت وأربيل والموصــل ومن البلدان المجاورة للعراق[4] مثل تبريز[5] وتفليس[6].

ومن الطريف أنّ نشــــير هنا الى أنّ لفظة (كار) لاتزال موجودة في اللهجة العراقية الدارجة، ولاسيما في الجنوب فيقال: مالي كار أي ليس لي عمل أو شغل.

---

(1) المشـهداني، ياسر عبد الجواد، العلاقات المصرية الهندية (468-923هـــ/ 1250-1517م) دراسة في الجوانب السياسية والحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية –2000، ص61.

(2) تكلم الآشـــوريين لهجة متفرعة من اللغة الأكدية التي ســـأدّت لهجاتها في العراق منذ أواســـط الألف الثـالث قبل الميلاد كما تكلموا الآرامية والأخيرة مع الأكدية تعودان بالأصل الى اللغة العربية القديمة، لغة أقوام الجزيرة العربية الام قبل هجرتهم الى بلاد الشام والعراق. الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ق1، ص143 حاشية (1).

(3) ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدمشـــقي، البداية والنهاية في التاريخ، ط1، بيروت – 1966، ج13، ص310؛ المقريزي، الســـلوك، ج1، ص613، ص739، ص818؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص202؛ ابن حجر، شـهاب الدين بن علي، الدرّر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدر آباد – 1972، ج2، ص406،ص410؛ ج3،ص327، ج4، ص12، ص23، ص257؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة – 1918، ج7، ص181؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن شـمس الدين، الضــوء اللامع لأهل القرن التاســع، بيروت، ج5، ص153؛ الحنبلي، أبو العماد أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة- 1947، ج5، ص332، ص379، ص427، ص428.

(4) أشتور، آ.س، التاريخ الاقتصادي والأجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة : عبد الهادي عباس، دمشق -1985، ص337، ص378.

(5) تبريز : مدينة من اشــــهر مدن اذربيجان، وهي ذات أســـوار محكمة تمر بها الأنّهار، وكانت قرية صــــغيرة حتى نزلها الأزدي المتغلب عليها في عصــــر الخليفة المتوكل (ت247هـــ/ 861م) فجعلها مدينة كبيرة. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص13. وهي الآن ثاني المدن الأيرانية، وتقع في شمال غرب إيران.

(6) تفليس : مدينة تقع في أقصــى شـمال غرب أرمينية وكان أهلها مسـلمون ونصــارى، وكانت أحدى ثغور المسلمين ضد الروم البيزنطيين. الاصطخري، أبو إسحاق ابراهيم بن محمد، المســـالك والممالك، ط2، ليدن – 1927، ص185؛ الحديدي، خليفة عايد عبد الله، الطرق البرية في ظل الخلافة العباسـية من (132-334هــــ/ 749-945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل كلية التربية – 2003، ص49.

إذن ومع مرور الوقت، أصـــبحت الكارمية تعني فئة من التجار الذين كانوا يديرون تجارة التوابل الواردة الى مصر من الصين والهند عن طريق موانئ اليمن تحديداً، ثم أطلق اللفظ على كل من مارس التجارة مع الشـــرق بصـــورة عامة، ولاسيما التوابل في مصر، كما كان يطلق عليهم أحياناً تجار الفلفل.

ويذكر بعض الباحثين أنّ هذا الاسم هو ما عرف به تجار الفلفل وتوارثه من جاء بعدهم أو من تحولت اليه السيطرة التجارية على أسواق الهند وغيرها[1]. وهذا لا يشـمل التجار البرتغاليين الذين احتكروا تجارة التوابل بعد اكتشـاف طريق رأس الرجاء الصـالح ابتداءاً من أواخر القرن التاسـع الهجري/ الخامس عشـر الميلادي [2]، أي بعد انتقال احتكار التجارة من الكارمية الى البرتغاليين، الذي انتهت به تجارة الكارم. وفي الوقت الذي اقتصـــرت فيه التجارة البرتغالية مع الشـــرق على التوابل فقط، لم يقتصـر نشـاط الكارم على التوابل بل شـمل سـلعاً مشـرقية ثمينة أخرى[3].

ثانياً. التطور التاريخي للكارم حتى قيام الدولة الفاطمية

تعود أقدم إشـارة عن تجارة الكارم في مصـادرنا العربية الإسـلامية الى سـنة 92هـــ/710م، حينما تتحدث عن خروج القائد طارق بن زياد لفتح الأندلس فالتقى في إحدى الجزر التي نزلها بتجار كارمية لم يكن بها غيرهم [4]. ثم تســـكت هذه المصادر عن الاشارة اليهم حتى العصر الفاطمي إذ تعود لذكرهم[5]، فيشير ابن ايبك الى أنّ انقطاع الكارم كان من أسباب الغلاء الذي حدث سنة 456هـــ/ 1063م[6]، وإشارة القلقشندي الى تمركز اسطول فاطمي لحماية سفن الكارم[7]، فضلاً عمّا جاء في بعض وثائق الجنيزة التي ترجع الى العصـر الفاطمي من إشـارات صـريحة الى

---

(1) بصيلي، الكارمية، ص217؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص17.

(2) Moreland, W. H. , The Ships of the Arabian Sea About A.D., 1500, (The Journal of the Royal Asiatic Society) of Great Britain and Ireland , London – 1939, P. 74.

(3) Sanuto, M.I. Diarli Marion Sanuto Venezia- 1903 , P. 92- 116.

(4) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن، فتوح مصر وأخبارها، نشر: تشارلز تروري، ليدن- 1920، ص206 ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصـــر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة – 1961، ص120؛ ابن عبد الحكم، فتح إفريقيا والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس، بيروت – 1964، ص93.

(5) لم تذكر المصـادر الميسرة اسم هؤلاء التجار صـراحة خلال الفترة المحصـورة ما بين 92-456هـــ/ 710 –1063م، فقد كانت الكتابات تسميهم بالتعميم التجار المسلمين، وبالتخصـيص التجار المصـريين. ابن حجر، أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسـين حبشـــي، ج3، القاهرة – 1969، ص42؛ الصـــيرفي، علي بن داود؛ نزهة النفوس والابدان في تواريخ أهل الزمان، تحقيق: حســـن حبشـــي،ج3، القاهرة – 1971، ص235. كـمـا تسـمـيـهـم الـكـتـابـات الأخـرى الـتـجـار الـعـرب؛ Moreland , The Shipsof the Arabin sea, P.74.

(6) الدرة المضية، ج6، ص380، ص381.

(7) صبح الأعشى، ج3، ص520، ص524.

الكارم[1]، لذا أكّد بعض الباحثين وجود الكارم في مصـــر قبل العصـــر الفاطمي[2]، أســتناداً الى النصــوص الســابقة المشــار اليها[3]، فقد بذلوا جهوداً كبيرة لاجتذاب تجارة التوابل من الخليج العربي الى البحر الأحمر وطوروا مراكزهم التجارية على الطريق الى الهند[4]. فالعصــر الفاطمي امتد في مصــر لأكثر من قرنين من الزمان (297-567هـ/ 909-1171م)، وإشارة ابن ايبك الى الكارم سنة 456هـ/1063م، تدلّ على أنّه كان معروفاً قبل هذا التاريخ[5].ويؤيّد هذا ما ورد في أوراق الجنيزة المتعلقة بالنشـاط التجاري لأحد أهم البيوت التجارية في مصر، وهو بيت أبو الفرج يوسف بن يعقوب بن عوكل وحجم تعاملاته المالية وهو أقدم نشاط تجاري مارسته أســرة تاجرت في التوابل. وتتضــمن هذه الأوراق مراســلات لأربعة أجيال من بيت عوكل فيما بين سـنة (369-469هـــ/ 980-1076م)، ويقول سـتلمان Stilman الذي درس أوراق أسرة عوكل أنّها استقرت في الفسطاط، ودليله أنّ أغلب الرسائل المرسلة اليها وجهت الى هناك. ويبدو أنّ هذه الأسرة الفارسية الأصل هاجرت الى إفريقيا في أواسـط القرن الثالث الهجري/التاسـع الميلادي، ثم قدمت الى مصـر بعد سنة 358هـ/ 968م، وهي سنة قيام الدولة الفاطمية بمصر[6].

ولنا أنّ نتســاءل لمن كانت هذه التجارة قبل ظهور التجارة الكارمية؟ بداية، لابدّ من التأكد أنّ تجارة مصر من التوابل مع الهند والصين ترجع الى أيام الفراعنة، عندما فرضــت مصـــر نفوذها على البحر الأحمر منذ القرن 18 ق.م[7].هنا لابدّ من الاشارة الى نصّ مهم لأحد جغرافيي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، مفاده أنّ مصـر كانت ((مسـلك التجار اليهود الذين يتكلمون العربية والفارسـية والرومية والافرنجية والاندلسـية والصـقلية وأنّهم يسـافرون من المشـرق الى المغرب ومنها الى المشـــرق، برّاً وبحراً يجلبون من المغرب الغلمـان والـديبـاج والجلود والفراء والســـيـــوف ويـــركـــبـــون مـــن فـــرنـــجـــة فـــي

(1) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص279، ص290.

(2) Ashtor, The Karimi Marchants, (Journal of the Royal Asiatic society)April-1956, P.45 –56. ؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص53.

(3) ابن ايبك، الدرة المضـية، ج6، ص380، ص381؛ القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج3، ص520، ص524.

(4) يعقوب، عـادل ابراهيم، التـاريخ الاقتصــــادي للشـــرق الأوســـط، القـاهرة، ص41؛ Ashtor , The karimi marchants , P. 45-56.

(5) جويتن، دراسـات في التاريخ الإسـلامي، ص284؛ السـيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصـر، العرب وطريق الهند في أواسـط القرن السـادس، مجلة المؤرخ المصـري، ع8، 1992، ص308.

(6) N.A., The Eleventh Century Merchants Honse of Ibn Awakal, A Geniza Study , (Journal of the Economic and Social history of the Oriant) , 1973 , P. 16-17.

(7) حوراني، جورج فضـــلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة : يعقوب بكر، القاهرة – 1950، ص31.

البحر الغربي فيخرجون بالفرما[1] ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم [2]، ثم يركبون البحر الشرقي الى الجار[3] وجدة ويمضون الى السند والهند فيحملون من الصين، العود والكافور والدار صيني وغير ذلك، حتى يعودون الى القلزم فيحملونه الى الفرما، ثم يركبون في البحر الغربي وربما يعدلون بتجارتهم الى القســطنطينية فيبيعوهــا أو يعبرون الى بلاد الفرنجــة فيبيعونهــا هنــاك)) [4].وهؤلاء التجار، هم اليهود الراذانية[5]،المختصــون بالتجارة البعيدةالمدى [6]. ســاعدهم في ذلك أنّهم كانوا جماعات متمركزة على حافات طرق التجارة العالمية آنذاك ، فكانوا يتبادلون المعلومات عن الفرص التجارية المتاحة في مختلف جهات العالم[7]. وإنّ ما ذكره ابن خرداذبة عن الراذانية يختص بخط سيرهم من دون أصلهم[8]، وأغلب الظن أنّهم كانوا لاينتمون الى مكان واحد، وإنّما عاشوا متفرقين بين شعوب الشرق

(1) الفرما: من حصون مصر القديمة وتقع شرق بحيرة المنزلة بالقرب من شاطيء البحر المتوسـط وهي حصـن اكثر ممّا هي مدينة ومنذ أيام الفراعنة كانت بها قوة عسـكرية لحماية الحدود الشرقية لمصر، أحرقها ونهبها الفرنج، كما أحرقت مرة اخرى من قبل أبو شجاع وزير العاضد الفاطمي مرة اخرى فاصبحت خراب. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص171.

(2) القلزم: فرضة مصر على البحر الأحمر، بينها وبين الفرما أحدى حصون مصر القديمة حوالي 100كم، أضمحل شأنّها منذ أنّ تحولت التجارة الى عيذاب. المقريزي، الخطط، ج1، ص375. وقد أطلق العرب على البحر الاحمر اســم بحر القلزم نسـبة اليها كانت تسمى أيضاً قليزمة التي تقع قرب السويس. المنجد في اللغة والأعلام، ط21، بيروت، ص55.

(3) الجار : مرســى قريب من جدة ترســو فيه المراكب الواردة من مصــر، ويقابل عيذاب. ابن المجاور، محمد بن مســعود بن علي النيســابوري، صــفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المســماة (تاريخ المســتبصــر)، نشــر: أوســكر لوفغرين، ج1، ليدن- 1951، ص124، ص125.

(4) ابن خرداذبة، أبو القاسـم عبيد الله بن عبد الله، المســالك والممالك، نشــر : دي غويه، ليدن – 1889، ص153 – ص154.

(5) الراذانية أو الرهدانية : الاسم الذي أطلق على تجار اليهود في الشرق. ابن خرداذبة، المســالك والممالك، ص154. وينســبون الى نهر الرون الذي يخرج من بحيرة جنيف الواقعة في جنوبي غربي ســويســرا في أوربا. لومبارد، موريس، الإســلام في مجده الأول، ترجمة: اسماعيل العيسوي، المغرب – 1990، ص313. دراج، أحمد، عيذاب، مجلة نهضة إفريقيا، 1958، ص58. ويقال أنّ الراذانية كلمة مرادفة لجوابو البلاد أي الرحالة. هايد توماس، في، تاريخ التجارة في الشــرق الأدنى في العصــور الوســطى، ترجمة : أحمد محمد رضــا، مصــر – 1985، ج1، ص142. وكان دخولهم الى مصــر من جنوب فرنســا بحراً ومن ثم تابعوا رحلتهم الى الشــرق عن طريق البر. بوزورث، تراث الإسلام،ج1، ق1، ص108 ؛ متز، الحضارة الإسلامية ج2، ص272 – ص273. فقد تاجروا بين الشرق والغرب في سلع الشرق الثمينة وخاصـة التوابل. هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص140. وتاجروا في المعادن النفيســة والجواهر والتحف. بوزورث، تراث الإسلام، ج1، ق1، ص108. كما أنّ تاريخ مصر الإسلامية قبل الغزو الصليبي لم يحل من تغلغل التاجر البيزنطي أو التاجر الراذاني في أرضـها والمتاجرة مع مناطق البحر الأحمر. ابن خرداذبة، المسالك والممالك،ص135 ؛ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحســن التقاســيم في معرفة الأقاليم، بيروت – 1906، ص199. ويســميهم لبيب تجار الطبقة الأرستقراطية. التجارة الكارمية، ص13.

(6) بوزورث، تراث الإسلام،ج1، ق1، ص336.

(7) لومبارد، الإسلام في مجده الأول، ص305 ؛ دراج، عيذاب، ص58.

(8) الذي يبدو من كلام ابن خرداذبة أنّ هؤلاء التجار كانوا يهوداً غربيين لأنّه في وصــفه لطريق تجارتهم يرسم الطريق بادئاً من أوربا الى آسيا، ثم من آسيا الى أوربا. هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص142.

والغرب فكان لهم إسـهام فاعل في تجارة الشـرق، فهم لم يشـاركوا تلك الشـعوب التي عاشـوا معها شـؤونها وحياتها العامة، واقتتالها فيما بينها لذا اسـتطاعوا أنّ يتجولوا ويتاجروا محققين أرباحاً طائلة من دون أنّ يثيروا ريبة ضـدهم، أو أنّ يتعرضوا لأية أخطار. وقد اتخذهم حكام الأقاليم الغربية التابعين لروما موردين لهم، كما لم يتردد أعيان الدولة الرومانية في شـراء الأشـياء الثمينة منهم[1]. وامتد نشاطهم الى المتاجرة مع الشرق في التوابل والمواد غالية الثمن، فضلاً عن تجارة الرقيق التي مارسـوها قديماً. كل هذا جعلهم على صـلة بالمسـلمين[2]. تدريجياً اختلطوا بهم وهم الذين اشتغلوا بتجارة الهند والصين قبل الكارمية نتيجة لانشغال العرب بالفتوحات الإسلامية في هذه المناطق[3].

ولكن الملاحظة المهمة الجديرة بالاعتبار هنا، أنّ القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسـع والعاشـر الميلاديين، أحدثا تغييراً كبيراً في المجتمع العربي الإسلامي فاصبح التجار ممثلين للحضارة العربية الإسلامية التي صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب، وأصبحت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البلاد، فاحتلت التجارة العربية الإسـلامية المكانة الأولى في التجارة العالمية، فكانت بغداد والاسكندرية هما اللتان تقرران أسعار البضائع[4].

هذه الحالة مهدت لانحسـار نشـاط الراذانية بصـورة تدريجية[5]. ذلك أنّ الحروب الصليبية (489-690هـ/ 1095-1291م) أسهمت بصورة قوية في اتساع نطاق التجارة العالمية، فالسـفن المحملة بالغزاة كانت تعود لأوربا محملة بسـلع الكارم الثمينة، ممّا أسهم في تقوية الأواصر التجارية بين الشرق والغرب[6]، وأدى لاحقاً الى التقليل من الاعتماد على التجار اليهود الراذانية وتدريجياً القضـاء على نشاطهم في الغرب [7]. كما أنّ تحول الطريق الملاحي من الساحل الآسيوي للبحر الأحمر الى سـاحله الأفريقي، لايعني فقط اختفاء الراذانية من التجارة العالمية، وإنّما كان مؤشراً أيضاً على ظهور نشاط جديد هو نشاط تجارة الكارم. وهذا يعني أنّ الكارم أخذ في النصف الثاني من القرن 5هـ/ 11م، ينشط ويتسع ويشارك في التجارة العالمية. لتنقسم بعدها التجارة البعيدة المدى الى جناحين أحدهما في البحر

---

(1) هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص140.
(2) ن.م ، ج1، ص140، ص141.
(3) بما أنّ اهتمام ادارة الدولة العربية الإسلامية أنصب في القرون الأولى على أستكمال حركتي التحرير والفتوح وبناء مؤسسـات الدولة المختلفة، لذا مارست أمور الحياة المدنية ومنها التجارة، أناس آخرين، واستمر الحال هكذا حتى العصر العباسي حينما احتل التجار العرب والمسـلمين وغيرهم مكانة اجتماعية مرموقة. ينظر: متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص271.
(4) متز، الحضارة الإسلامية، ج2،ص272.
(5) ن. م، ج2، ص270.
(6) الأسكندراني، عمر، تاريخ مصر الى الفتح العثماني، القاهرة – 1915، ص264.
(7) متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص312.

المتوسط، سيطر عليها تجار المدن الإيطالية[1] والآخر تجارة الشرق التي أصبحت تحت سيطرة رعايا الدولة العربية الإسلامية. وقد تدفقت تجارة الشرق في البداية عبر الخليج العربي، لكن تدهور الدولة العباسية واضطرابها، وتزايد اهتمام الفاطميين، بعد استيلائهم على مصر، بتحويل تجارة الشرق الى البحر الأحمر[2]، كانت عوامل حاسمة لصالح طريق البحر الأحمر،إذ أصبحت تجارة الشرق تتدفق من عدن الى السواحل المصرية[3].

وكان المحيط الهندي مركز نشاط الكارم، إذ أصبح بمثابة السوق التجاري الذي تتجمع فيه سلع الهند والصين وشرقي إفريقيا وغيرها[4]. وأصبح هذا الاسم يعني جماعة التجار المشتغلين بتجارة الشرق، ولاسيما التوابل، فالتاجر الكارمي هو تاجر التوابل وسلع الشرق الغالية الثمن كالأحجار الكريمة والمعادن والمنسوجات وغيرها[5]. وقد توصل بعض الباحثين من خلال دراسة وثائق الجنيزة الى حقيقة، أنّه مع بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، أصبحت كلمة كارم لفظة شائعة في بيوت القاهرة، فعلى سبيل المثال، فإن زوجة أي تاجر، ولاسيما الذين يعملون في مختلف مناطق المحيط الهندي، كانت تتوقع أنّ يرسل لها زوجها هدايا ولُطف عن طريق الكارم[6]، والملاحظة المهمة هنا أنّه حتى منتصف القرن 6هـ/ 11م، لم يحتك تجار الكارم تجارة الهند، بل كان هناك آخرون غيرهم يعملون في هذه التجارة أيضاً[7].

كان نشاط الكارمية يتزايد باضطراد في المحيد الهندي أيام الدولة الفاطمية بمصر، إذ أصبحوا فئة من كبار التجار اهتمت بجلب البضائع النفيسة، ولاسيما التوابل من الهند والصين، الى عدن ومنها الى مصر التي أصبحت مركز نشاطهم

(1) ميكيل، اندريه، السلام وحضارته، ترجمة: زينب عبد العزيز، بيروت – 1980، ص180.
(2) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص270؛ السيد، العرب وطريق الهند، ص65-ص81.
(3) هايد، تاريخ التجارة، ج2، ص28.
(4) Goitien , From the Mediterranean to India , Document on the Trade to India, South Arabia and East Africa From the eleventh and Twelfth centuries (Journal of Medieval Studies) Specululum , April , 1954 , T.1. P.120; Goitein, Newlights, P.173.
(5) القوصي، أضواء على تجارة الكارم،، ص17؛ بشير، بشير ابراهيم، الفاطميون والبحر الأحمر، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ع1، 1972، ص142.
(6) ؛Goitein, New Lights, P. 180-182 ؛Ashtor,The Karimi marchants , P. 53 القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص22.
(7) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص288، ص289 ؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص23.

الأسـاس[1].واسـتمر الحال في العصـر الأيوبي الذي شـهد منافسـة مناطق البحر المتوسط للمحيط الهندي، لذا كان طبيعياً أنّ يُبقي تجار الكارم مصر مركزاً ومستقراً لنشـاطهم[2]. لكن نشـاط تجار الكارم بلغ الذروة في العصـر المملوكي، إذ اقترنت تجارة المماليك باسـمهم وذلك بسـبب التنظيم الدقيق الذي اتسـم به عملهم أولاً، ولتنوع هذا العمل ثانياً، ولنوعية البضـائع الثمينة التي جلبوها وبهروا بها العالم المتمدن آنذاك ثالثاً، ولتوحدهم وترابطهم فيما بينهم بعيداً عن أي نوع من أنواع التمييز، فأوجدوا ما يشـبه الشـركة التجارية التي اسـتطاعوا بواسـطتها منع التجار الأوربيين من منافسـتهم في عملهم، ولاسيما في المحيط الهندي [3]. كما لم يكن من اليسير حصول التاجر الصغير على بضاعته إلاّ بواسطة جماعة لها رأس مال كبير ووسائل نقل الى الأسواق الكبرى وبواسطة المزايدات والصفقات، كانت تنتقل الى تجار نصـف الجملة ومنهم الى التجار الصـغار في مصـر وغيرها، كما كانت تنقل أيضـاً الى وكلاء التجار الأوربيين الذين يحضـرون لشـراء هذه البضـاعة لتزويد الأسـواق الأوربية بحاجتها؛ لذلك كانت الرغبة في السـيطرة على هذه التجارة التي كانت بيد العرب والمسلمين من أهم الدوافع الى قيام المستعمرين البرتغاليين بكشف الطريق حول إفريقيا الى المحيط الهندي، في أواخر القرن 9هـ/ 15م[4].

وأخيراً يمكن القول أنّ هذه الفئة من التجار ضمّت تجاراً من قوميات وأديان مختلفة، وبينهم عائلات معروفة بالغنى[5]، كان للتوابل مكان الصـدارة في سـلعهم فضـلاً عن الحاصـلات الزراعية والملبوسـات والحرير والدقيق والسكر والأسـلحة وأدوات الزينة[6]. كما كان لهم الفضـل في امتداد نفوذ مصـر التجاري الى الهند والصـين وشـرقي إفريقيا[7]، ومن ثم تكوين مراكز رئيسـة لهم في أمّاكن تجارية مهمة، ككوجرات وسـيراف وعدن وغيرها، كما كانت لهم وكالات في مختلف الموانئ، وجماعات منتشـرة في مختلف المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة ودمشـق وغيرها[8].

ثالثاً. الكارمية في العصر الفاطمي (567-297هـ/ 909-1171م)

(1) ابن أيبك، الدرة المضـية، ج6، ص380؛ القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج3، ص520، ص524؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص6 ؛ القوصـي، أضـواء على تجارة الكارم، ص17؛ Goitein , New Lights P.178.

(2) ابن أيبك، كنز الدرّر وجامع الغرر، ج7، (المسمى الدر المطلوب في مناقب بني أيوب)، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة – 1972، ص71؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص26؛ بشـير، الفاطميون والبحر الأحمر، ص142؛ بصـلي، الكارمية، ص217.

(3) Goitien , From the Mediterranean to India , P.149

(4) بصيلي، الكارمية، ص217، ص218.

(5) اشـتور، التاريخ الاقتصـادي والأجتماعي، ص394 ؛ القوصـي، أضـواء على تجارة الكارم، ص22.

(6) بصيلي، الكارمية، ص217.

(7) لبيب، التجارة الكارمية، ص16، ص17.

(8) بصيلي، الكارمية، ص219.

كانت الظروف السـياسـية والاقتصـادية التي شـهدتها مصـر منذ منتصـف القرن 5 هــــ/ 11م، عاملاً حاسماً في أنّ تصبح موانئ مصر الجنوبية على البحر الأحمر محطات للتجارة الشـرقية، إذ أدّت السـياسـة التي اتبعتها الدولة في خلافة المستنصر بالله الفاطمي(487-427هــــ/ 1035-1094م) الى خراب الدلتا وهجر قوافل التجار لطريق سـيناء البري والقلزم البحري وزيادة الاقبال على الطريق النهري[1]. ثم أدّت الحروب الصـليبية الى توقف طريق سـيناء والقلزم تمأمّا[2]، وللمقريزي عبارة مهمة يقول فيها أنّ ((حجاج مصر أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة إلاّ من صـحراء عيذاب، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشـة يردون في البحر الى عيذاب ثم يسـلكون هذه الصـحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر(القاهرة) من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة الى أعوام بضع وستين وستمائة وذلك أيام الخليفة المستنصر بالله (659هــــ/929م) وانقطاع الحج في البر)) [3].

هذه الحالـة أدّت الى زيادة اقبال السـفن على ميناء عيذاب، التي اهتم الفاطميون بتأمين الطريق اليها من شـتى الأمّاكن وتدريجياً بدأ يتشـكل ما يمكن تسـميته بكيان الكارمية التجاري. ويروي القلقشـندي لنا ما يؤكد اهتمام الفاطميين بالأساطيل وحفظ الثغور وتعقب خطر القراصنة في البحر الأحمر، فيقول ((إنّه كان للفاطميين اسـطول بعيذاب يلتقي به الكارم فيما بين عيذاب وسـواكن[4] وما حولها خوفاً على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر القلزم هناك يتعرضـون المراكب فيحميهم الأسطول منهم. وكانت عدة هذا الأسطول خمسة مراكب ثم صارت ثلاثة، وكان والي قوص هو المتولّي لأمر الأسـطول، وربما تولاه أمير، ويحمل إليه من خزائن السلاح ما يكفيه)) [5]. ويرجع سبب تخفيض عدد السفن الى تحسن العلاقات بين مصـر وحاكمي كلاً من عيذاب وسـواكن التي جعلت الفاطميون يطمئنون لأمن الطرق التجارية البحرية ممّا دفعهم الى تخفيض قطع الأسطول في تلك المناطق[6].

---

(1) مشـرفة، عطية مصـطفى، نظام الحكم بمصـر في عصـر الفاطميين، القاهرة –1940، ص9؛ القوصـي، تجارة البحر الأحمر، ص126؛ مالكي، سـليمان عبد الغني، طريق حجاج الشام ومصر، المجلة التاريخية المصرية، م30، القاهرة – 1984، ص52.

(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص44، حسن، علي ابراهيم، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، القاهرة – 1954، ص15.

(3) الخطط، ج1، ص276.

(4) سـواكن : جزيرة تقع على الجانب الغربي من سـاحل البحر الأحمر. ضـرار، محمد صالح، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الخرطوم- 1981، ص23. وتعد من أقدم موانئ الساحل الأفريقي للبحر الأحمر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص274. وهي قريبة من عيذاب، ترسو فيها السفن القادمة من جدة. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص156.

(5) صـبح الأعشـى، ج3، ص520، ص524. هذا الأجراء أتخذه الفاطميون عقب العدوان الذي تعرضـت له سـفن الكارم القادمة من اليمن الى عيذاب من قبل حاكم مكة الذي حرّض القراصنة لمهاجمة التجار ونهب مراكبهم سنة 512هــ/ 1118م. المقريزي، أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي، ج3، القاهرة – 1971، ص58؛ سـالم عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسـلامية في مصـر والشـام، الإسكندرية – 1993، ص158.

(6) يذكر ابن حوقل، أنّ تجار سـواكن كانوا في النصـف الثاني من القرن 4هــــ/10م في طاعة الخليفة الفاطمي. المسالك والممالك، ص23.

ويبدو أنّ مدن الصــعيد تنافســت على أنّ تكون محطة للقوافل القادمة من عيذاب، وسـرعان ما أصـبحت قوص هي نهاية الطريق الممتد عبر الصـحراء من عيذاب الى النيل[1]. ونتيجة اهتمام الفاطميين بقوص صـارت كبرى ولايات الصـعيد في العصر الفاطمي، وكذلك تدفقت تجارة الشرق على طريق عيذاب – قوص لتحمل في النيل على مراكب الكارم المنحدرة من قوص الى الفســطاط التي ترد اليها من البحر المتوسط والبحر الأحمر [2].

وخارج مصر شكلت عدن مركزاً لتجار الكارم ونقطة انطلاق رئيسة لهم في العصر الفاطمي. فكانت توابل الهند تصل اليها، أمّا على أيدي تجار الهند أو بواسطة تجار الكارم الذين يعيدون تصديرها الى عيذاب، وكان ذلك يتم في مواسم معينة من السـنة[3].وقد اسـتفاد الفاطميون من ولاء بلاد الحجاز واليمن السـياسـي لهم وذلك بتأمين مصـــالح تجار الكارم في البحر الأحمر وتدعيم علاقتهم التجارية مع بلاد الحجاز واليمن [4].

وقد أثرت عوامل طبيعية وسـياسـية على تجارة الكارم في العصـر الفاطمي مثل أحوال البحر والرياح؛ لذا كانت سـفن الكارم ترسـو أحياناً في ميناء عدن وهي في طريقها الى الهند وبالعكس، وأحياناً أخرى كانت تمر بها مروراً عابراً[5].

كما كان للأحداث السياسية أثرها في هذا المجال، مثل الحصار الذي تعرضت له عدن في مطلع القرن 6هـــ/ 12م[6]. من قبل حاكم[7] كيش[8] ليدفع بسفن الكارم

---

(1) الزهري، أبو عبد الله محمد بي أبي بكر، الجغرافية، تحقيق: محمد حجاج صـــادق، القاهرة، ص43 ؛ البراوي، ابراهيم راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة – 1948، ص291؛ ابراهيم، عبد المنعم عبد الحميد، البحرية الإســلامية في العصر الفاطمي، الأسكندرية -1975، ص137.

(2) البيلي، بداية الكارم، ص106.

(3) Fischel , The Spice Trade In Mamluk Egypt,(Journal of the Economic and Social History of the Orients) Vol.1,1960, P.161-163.

(4) محمد، صـبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصـر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، القاهرة – 1993، ص99 – ص106 ؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص246.

(5) Goitein, new Lights, P.180-182. ؛Ashtor, The Karimi Merchants, P.53-54

(6) وردت تفاصـيل هذه الأحداث عند ابن المجاور، تاريخ المسـتبصـر، ج1، ص124 – ص125. فضـلاً عن وثيقتين أصـدرهما اثنان من تجار الكارم الذين يردون الى عدن أحدهما مرسلة الى القاهرة والأخرى الى الهند، وهما شاهدا عيان لحوادث غزو عدن. Goitein , S., Two eye Witness Reports of an Expedition of the King of Kish (Qais) Againsl Aden, (Bullatin of the School of Oriental and African Sudies) T.2, London – 1954 , P. 247 – 255.

(7) تذكر وثائق الجنيزة وأبن المجاور أنّ اســم حاكم كيش هو (ولد العميد). تاريخ المستبصر، ج1، ص150؛ Goitein , New Lights , P. 252

(8) كيش: وتسـمى أيضـاً قيس وقيل (كرش) Kirish، وتقع في بحر عُمان في الخليج العربي، وهي من أهم المراكز التجارية. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص422. لكنها ما لبثت أنّ فقدت أهميتها تدريجياً منذ منتصف القرن 6هـــ/ 12م، بسبب تحول السفن التجارية الى عدن. سـالم، سـحر عبد العزيز، عرب الخليج وطريق تجارة التوابل في المحيط الهندي في العصر الإسلامي، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ابحاث الندوة العلمية بالقاهرة – 1990، ص198.

للرسو في جزيرته، ليحافظ على أهميتها التجارية [1]. ويستدل من خطاب أرسله أبو ذكرى كوهين التاجر[2] الى صـــهره محروس اللبدي أنّ الكارم لم ينزلوا بعدن سنة 491هـ/ 1097م، لكنهم ساروا مباشرة من الهند الى سواكن أو بعض الموانئ اليمنية، كما أنّ بعضـــها الآخر كان يتجه مباشـرة الى الشـاطيء الأفريقي من دون المرور بعدن[3]. ومن الطريف الاشارة هنا، الى أنّ عادة التاجر الكارمي درجت على أنّ يرسل بعد وصوله للهند الى عائلته يخبرهم فيه أنّه أرسل اليهم بضـائع ثمينة. لايوجد مثيلها في الكارم وهذا يظهر لنا أنّ تجار الكارم أشـــتهروا بنقل البضـــائع الغالية الثمن[4]، والمتنوعة إذ كانت تصل حمولة إحدى سفن الكارم الى 3000 بالة [5]، كما قدرت بضـائع إحدى سـفنهم بمبلغ ألف ألف وخمسـمائة ألف دينار، الأمر الذي يظهر لنا مدى ارتفاع أسعار بضائع الكارم، وعظم ثروات تجارها آنذاك[6].

إنّ المكاسب الضخمة المتحققة من تجارة الكارم أدّت الى تقارب العاملين في هذا الحقل من ربابنة[7] ونواخذة وتجار، إذ تجمعوا تدريجياً في طائفة حرفية. وقد ســاعدتهم روح التســامح الديني التي غلبت على العهد الفاطمي في أنّ ينظم أرباب كل حرفة في تجمع محدد بغض النظر عن الاعتبارات الدينية.

---

(1) Goitein , New Lights , P. 181.

(2) أبو ذكرى كوهين : وكيل التجار بالفســطاط، وهو من ســجلماســـة، وقد قام برحلات عديدة الى الهند إلاّ أنّه ظل يحتفظ بروابط متينة مع موطنه بالمغرب. تحدثت عنه وثائق الجنيزة في الفترة ما بين 527 – 543هـ/ 1132 – 1148م، جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص261.

(3) جويتن، دراسـات في التاريخ الإسـلامي، ص287، ص288 ؛ القوصـي، أضـواء على تجارة الكارم، ص19.

(4) ن. م، ص288 ؛ ن.م، ص20.

(5) البالة أو العدِل: تسـاوي 440 كغم مربوطة ربطة واحدة. جويتن، دراسـات في التاريخ الإسلامي، ص242. وتبدو حمولة مليون وثلث مليون كغم صـغيرة نسـبياً، ولكن يجب الأخذ بنظر الاعتبار أنّ البضـــائع الشــرقية المحمولة كانت في معظمها ســلعاً كمالية غالية الثمن مثل التوابل والعقاقير والنباتات المســتخدمة في الصـــباغة وغير ذلك. جوتين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص288.

(6) جويتن، دراســات في التاريخ الإســلامي، ص283؛ القوصـــي، أضـــواء على تجارة الكارم، ص19 ؛ Goitein , New Lights ,P.180.

(7) الربابنة : جمع ربان وهو الرجل الثاني في الســفينة، ويطلق عليهم احياناً أرباب السـفن أو قبطان السـفينة. وأحياناً يكون هو مالك السـفينة أو مسـتأجرها. ابن ماجد، ثلاث أزهار، ص79، ص101. ومهمته الأشراف على قيادة السفينة بدءاً من إبحارها وكل ما يتعلق بشـؤون الملاحة، ابن منظور، لسـان العرب، ج13، ص175؛ الشـاوي، التجارة العربية، ص56.

من هنا لم يقتصـــر العمل في الكارم خلال العهد الفاطمي على المســـلمين فقط[(1)]، بل شــارك فيه أهل الذمة[(2)] من رعايا الدولة العربية الإسـلامية [(3)]، ومن ثم لوحظ أنّهم كانوا يدفعون للبضـائع التي يحملونها في الكارم مرة كل سـنة[(4)]. كما لم يقتصر العاملون في الكارم في العصر الفاطمي على المصريين، بل شارك فيه تجار عرب من شتى الأنحاء حتى من الأندلس، إذ تطالعنا المصادر أنّ تاجراً أندلسياً عمل في الكارم يدعى أبو عبد الله الشـــاطبي[(5)].كما اشـــترك التجار اليهود في العصـــر الفاطمي مع التجار المسلمين في تجارة الكارم. ويفهم من وثائق الجنيزة بأنّ غالبية هؤلاء استقروا في مصر، إلاّ أنّهم كانوا يميلون الى الأعتماد على البضائع الكمالية في تجارتهم مثل الأحجار الكريمة والمصـــوغات الذهبية والفضـــية والحرائر والمنســوجات الفاخرة والسـجاد، في حين فضــل تجار الكارم المســلمين المتاجرة بالســلع التي اعتادوا المتاجرة فيها، ولاســيما التوابل فضــلاً عن الملح والســكر ومنتجات أخرى متنوعة[(6)].

ويلاحظ أنّه ومنذ القرن 5 هـــــ/ 11م، شــجع الفاطميون هجرة التجار من المغرب الى مصــر ، ففي وثائق الجنيزة اســماء عوائل مغربية عملت بالتجارة مع

(1) لويس، برنارد، النقابات الإســـلامية، ترجمة : عبد العزيز الدوري، مجلة الرســـالة، ع14، 1947، ص83.

(2) عبدة، قاسم، أهل الذمة في العصور الوسطى، القاهرة – 1977، ص148؛ ترتون، أ. س.، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة : حسن جشي، القاهرة، ص207.

(3) يقول القلقشـندي ((أنّ المقرر في الشـرع أخذ العشـر من بضـائعهم أي بضـائع التجار غير المسـلمين الداخلين في الديار المصـرية وللأمّام أنّ يزيد من العشـر أو ينقص الى النصـف للحاجة الى الزيادة في جلب البضـاعة الى بلاد المسـلمين. وكيفما يكون الأخذ فلايزيد فيه على مرة من كل قادم بالتجارة في كل ســـنة، حتى لو عاد الى بلاده مرة أخرى في نفس الســـنة، أمّا مراكب الافرنج والروم فيؤخذ منها الخمس وهو ضـــعف العشـر من كل ما يصـل لهم في كل مرة وربما زاد ما يؤخذ منهم لى الخمس ايضـاً)). صبح الأعشى، ج3، ص463.

(4) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص327.

(5) أبو عبد الله الشاطبي: أصله من شاطبة بالأندلس، ولد في الإسكندرية سنة 544هـــ/ 1149م. أبو مخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب، تـاريخ ثغر عدن وتراجم علمـائهـا، نشر: علي حسن وعلي عبد الحميد، بيروت – 1936،ج1، ص147.

(6) Fischel , W., Jews in the Economic and Political Life of Medieval Islam , London – 1937 , P. 75.؛ كوهن، مـارك، المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية، القاهرة، ص73؛ عبدة، قاسم، اليهود في مصر، القاهرة – 1987، ص83 ؛ عطية، عزيز ســـوريال، العلاقات بين الشـــرق والغرب، ترجمة : فيليب صابر، القاهرة – 1972، ص186.

الهند،[1] كما اســتقرت– نتيجة الســياســة الســابقة – أعداد كبيرة منهم في عدن للاستفادة من خبرتهم التجارية وذلك في القرن 6هـ/ 12م.[2]

المهم هنا أنّ الفاطميين اســتثمروا نشــاط بعض تجار الكارم بنشــر الدعوة الاســماعيلية[3]، ولاســيما في مناطق البحر الأحمر والمحيط الهندي فانتشــرت في اليمن والهند خاصة في عهد الخليفة المستنصر، ففي عهده كان لتجار الكارم جهود متميزة في نشر تلك الدعوة هناك حتى أنّ الأهالي لم يستطيعوا التفرقة بين الدعاة الاســماعيلية وتجار الكارم، فكانوا يطلقون عليهم لفظة: بوهرا، وهي تعني عندهم تاجر البهار[4].

من ناحية أخرى أدّت سياسة التسامح الديني التي انتهجها الفاطميون أزاء التجار الأوربيين الى تسابق المدن الإيطالية الى أسواق مصر، وحصلوا منهم عن طريق المعاهدات التي عقدتها دولهم معها على تســهيلات تجارية في داخل البلاد، يســرت لهم ســبل التعامل مع تجار الكارم. فالفاطميون كانوا يدركون أهمية تجارة الكارم في تحقيق هدفين، الأول تدعيم اقتصــاد بلادهم عن طريق الدخل الكبير الذي توفره تلك التجارة عبر أراضيهم. والثاني اتخاذ تجارة الكارم وسيلة لفرض الولاء السياسي والمذهبي في العالم الإسلامي لخدمة معركتهم مع العباسيين. لذلك عقد الفاطميون العديد من المعاهدات التجارية مع دول الشــرق والغرب [5]، التي هدفت الى تنظيم وسائل التعامل بين الجانبين[6]، فوثائق الجنيزة تحمل الكثير من الإشــارات الى أنّ الدولة الفاطمية عاملت هؤلاء بقدر كبير من التسامح والاحترام[7]. ونتيجة ذلك تردد على مصر من سنة 449هـ/ 1056م، الى سنة 456هـ/ 1063م، تجار ايطاليون من مدن أمّالفي

(1) Goitein , Letters and Document , P. 200؛ جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص27 ؛ القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، ص24.

(2) كوهن، المجتمع اليهودي، ص25؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، 23 ؛ Goitein , Jews and Arabs Their Contact through the ages , New York – 1955, P. 115.

(3) الاسماعيلية: فرقة من الشيعة، ينسبون الى اسماعيل بن جعفر بن محمد بن الأمّام الجعفر الصادق (ع). العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، السيف المهند، سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، القاهرة –1967، ص60.وأهم خصائص مذهبهم هو التأويل بالباطن لذلك سموا بالباطنية ويسمون أيضاً السبعية أو اصحاب الدعوة الهادية. المقريزي، السلوك، ج1، ص277، ج2، ص577. وعرف مذهبهم بالتماسك وقوة التنظيم والنضوج الفكري، فقد كانوا ينادون بالعدالة الاجتماعية والاصلاح، فاتصلوا ببسطاء الناس فكانوا دعاة لهم، فقد تبعهم عدد من القبائل العربية في أطراف بلاد الشام والجزيرة، وقد تحقق لهؤلاء غرضهم بقيام الدولة الفاطمية في مصر وتهديدهم العباسيون في بغداد. العريني، السيد الباز، المغول، بيروت- 1967، ص184،ص185.

(4) ابراهيم، عبد المنعم عبد الحميد، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، القاهرة – 1985، ص74 – ص77؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص24.

(5) سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة – 1960، ص54 ؛ كوهن، المجتمع اليهودي، ص16.

(6) سرور، الدولة الفاطمية، ص203.

(7) كوهن، كلود، تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، مقال ضمن أبحاث الندوة العلمية لتاريخ القاهرة - 1971، ج2، ص871.

والبندقية وجنوا وبيزا [1] لعقد معاهدات تجارية مع مصـر، تتعلق بنقل توابل الهند وسلع الشرق الى أوربا، فكانت سفنهم تنقل من ميناء الإسكندرية الى أسواق أوربا متاجر الهند الواردة عبر البحر الأحمر الأمر الذي أدّى الى زيادة نشاط تجارة الكارم في البحر الأحمر وازدهـار مينـائي عدن وعيـذاب[2].وقد اهتم الفـاطميون بحمـايـة قوافل الكارم التي ترسو في ميناء عيذاب من قراصنة البحر الأحمر، فبنوا أسطولاً لهذا الغرض كانت عيذاب قاعدته [3].

إنّ حرص الفاطميين على استتباب الأمن لفت انتباه الرحالة ناصـر خسـرو، فسجل انطباعه بقوله: ((بلغ أمن واطمئنان المصريين الى حد أنّ التجار والصيارفة لا يقفلون أبواب دكاكينهم، بل يسـدلون عليها السـتائر ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده الى شيء منـها)) [4].

وتبعاً لازدهار عيذاب، ازدهرت مدينة قوص، أصـبحت أهم أسـواق مصـر لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود والأحباش، وكان أهلها تجاراً على قدر واسـع من الثراء عمل الكثير منهم في الكارم [5]، من هذا نرى أنّ رواج تجـارة الكـارم في زمن الفـاطميين أدّى الى رخـاء البلاد الاقتصـادي حتى انعكسـت أثاره على جميع مظاهر الحياة. وبالرغم من تدهور الوضـع السـياسـي للفاطميين، إلاّ أنّ اقتصادهم لم يتاثر بالنظر لاستمرار نشـاط تجار الكارم. وقد أورد بعض المؤرخين أنّ الفاطميين أنفسـهم اشـتركوا برؤوس أموالهم في تجارة الكارم، ممّا أدّى أيضـاً الى ازدهار مراكز التجار الداخلية ولاسـيما أسـوان[6]ودمياط[7] و

(1) ينظر: دراج، أحمد، الوثائق العربية المحفوظة في دور الارشيف الأوربية، مقال ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة – 1970، ج1، ص124.

(2) سرور، محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة – 1967، ص249 – ص251 ؛ دياب، صـابر محمد، دراسـات في العلاقات بين المدن الإيطالية والدول الإسـلامية، مجلة جامعة القاهرة، ع4، 1973، ص212 – ص222 ؛ البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص243.

(3) القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج3، ص520 ؛ مشـرفة، نظم الحكم بمصـر، ص153 ؛ مؤنس، حسـين، المسـلمون في حوض البحر المتوسـط، المجلة التاريخية المصـرية، م1، 1951، ص109، ص110.

(4) أبو معين الدين علوي المروزي، سـفرنامه، رحلة ناصـر خسـرو الى لبنان وفلسـطين ومصـر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، ترجمة: يحيي الخشـاب، القاهرة-1993،ص62. أنّ هذا النص يؤشر حالة الأمان التي كانت سائدة في البلاد في العصر الفاطمي.

(5) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة – 1959، ص600.

(6) أسـوان: تقع في جنوب مصـر باتجاه بلاد النوبة والسـودانيين الاوسـط والغربي. الحويري، محمد محمود، أسوان في العصور الوسطى، مصر-2002،ص28. وسُميت سـونو وتعني السـوق. حتة، محمد كامل، أسـوان في الماضـي والحاضـر والمسـتقبل، القاهرة، ص10.

(7) دمياط: من ثغور مصـر القديمة على الشـاطيء الشـرقي لفرع النيل المعروف بفرع دمياط وبينها وبين مصب هذا الفرع في البحر المتوسط 15 كم، واسمها القبطي تميات ومنها اسـمها العربي، و دمياط القديمة شـمال دمياط الحالية. ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، مراجعة محمد علي النجار، ط1، القاهرة – 1961، ص35 حاشـية (1) ؛ ماهر، محافظات مصر، ص170؛ المنجد في اللغة، ص882.

الإســكندرية[1]. وقد ترك الخلفاء الفاطميون وأســرهم ثروات طائلة من الذهب والأحجار الكريمة في خزائنهم وخزائن أمرائهم ورد معظمها من بلاد الشــرق ومن تجارة الكارم. [2] كما عم هذا الرخاء معظم فئات الشعب المصري ولاسيما التجار، ذلك أنّ أعداد كبيرة منهم كانوا يتاجرون بالكارم أو معهم، وامتلكوا ثروات طائلة وكانت دكاكينهم كالبزازين مثلاً [3] مملوءة بالبضــائع المختلفة بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أنّ يجلس [4]، ممّا يدل على الرخاء والازدهار الاقتصادي في مصر أيام الفاطميين.

رابعا. الكارمية في العصر الأيوبي (567-648هـ/ 1171 –1250 م)

ازدهرت تجارة الكارم أكثر بقيام الدولة الأيوبية لما قام به الأيوبيون من جهود لتأمينها وإقرار النفوذ المصــري في البحر الأحمر[5]. ذلك أنّ نشــاط تجار الكارم تعرض منذ ســنة 577هـــ/ 1181م، الى خطر بسـبب التحرك الصـليبي باتجاه البحر الأحمر وذلك حين فكر أرناط [6] صـاحب الكرك[7] في ضـرب اقتصـاد مصر، وذلك بتحويل تجارة هذا البحر الى أيلة [8]. ومن ثم الى الموانئ الصليبية في بلاد الشــام، وبذا كانت هذه أول محاولة اعتداء أوربية على تجارة الكارم في البحر

(1) القوصي، تجارة البحر الأحمر، ص131 ؛ سرور، الدولة الفاطمية، ص84 ؛ ابراهيم، المجتمع المصــري في العصــر الفاطمي، ص74 – ص77 ؛ ماجد، عبد المنعم، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، 1994، ص249، 250.

(2) ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميون ورسومهم في مصر، 1973، ص122، ص123.

(3) جرت العادة أنّ ينفرد البزازون في المدن الإســلامية بخانات وأســواق خاصــة بهم،الباشـا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف في الاثار العربية، القاهرة – 1965، ج1، ص1 – ص3.

(4) خسرو، سفرنامه، ص62.

(5) القوصــي، تجارة البحر الأحمر، ص171؛ عاشــور، ســعيد عبد الفتاح، الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة – 1990، ص152.

(6) أرناط : صـليبي فرنسـي مشـهور، وهو من أخلص التابعين لملك بيت المقدس واسمه شــاتيون أو أرولد أو رينولد ويسـميه العرب البرنس أرناط. المقريزي، السـلوك، ج1، ص64. حاشـية (5)، قدم الى الشـام برفقة الملك لويس السـابع مع الحملة الصـليبية الثانية سنة 510هـ/ 1148م، وبعد فشل الحملة رجع لويس لكنه فضل البقاء في خدمة ملكة أنطاكية الأرملة كونستانس التي تزوجته فيما بعد سنة 530هــ/ 1153م، فأرتقى الى الأمّارة فزاد خطر انطاكية على البلاد الإســلامية . وفي إحدى غاراته على حلب وقع في الاسر وذلك سنة 555هـ/ 1160 م، وبقي الى أنّ أفتدي بمال كثير سنة 572هـ / 1176م، ثم تزوج من الارملة ستيفانا وريثة مقاطعة الكرك، وظل مستمراً في حروبه ضد المسلمين حتى وفاته. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص651.

(7) حصن الكرك: أحد القلاع الشديدة الحصانة، يقع على جبل شاهق الارتفاع في أطراف بلاد الشــام من نواحي البلقاء. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص312، ج12، ص57؛ البغدادي، ابن عبد الحق صـفي الدين عبد المؤمن، مراصـد الاضـطلاع على اسـماء الامكنة والبقاع، تحقيق : علي محمد البجاوي، ج3، القاهرة – 1954، ص1159 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص115؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: أيمان عمر شكري، ط1، مصر – 2002، ص64، ص164. وتأتي أهميته من موقعه إذ أنّه يقع على الطريق البري بين مصر وبلاد الشام والحجاز، ولازال موجوداً في المملكة الأردنية الهاشـمية. سـيد،= =أحمد فؤاد، تاريخ مصـر الإسـلامية زمن ســلاطين بني أيوب، ط1، مصــر – 2002، ص318؛ البخيت، محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط1، 1976،ص105.

(8) أيلة: تقع في الطرف الشرقي للبحر الأحمر مقابل القلزم، كانت صغير جداً. وهي الآن ميناء العقبة في المملكة الأردنية الهاشـمية.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص206، حاشية(8)،ج10، ص221؛ سالم، تاريخ البحرية المصرية، ص191.

الأحمر [1]. وفي سنة 578 هـــ/ 1182م، هاجم عيذاب ونهب وأحرق عدة مراكب للكارم، فضـــلاً عن قتل كثيرٍ منهم، ثم حاولوا السـيطرة على عدن، لكن محاولتهم باءت بالفشل بسبب تصدي الأيوبيين لها[2] الذين أدركوا أهمية اليمن لأمن مصر العسكري والتجاري، ولاسيما ما يخصّ تجارة الكارم في البحر الأحمر، فضـلاً عن حصولها، على الضرائب المستحصلة في ثغور اليمن لصالح حكامها[3]. وللهدف نفســه، ســعى الأيوبيين لتثبيت نفوذهم على بلاد الحجاز. لكنّ بني رسـول[4] حكام اليمن آنذاك حاولوا تحقيق أمرين، أولهما: منافســـة الأيوبيين في نفوذهم في بلاد الحجاز، وثانيهما: اهتمامهم بتجارة الكارم في عدن التي تسببت عوائدها في ازدياد وثراء الرسوليين وقوتهم، وكانت لهم صلاتهم وسفاراتهم مع بلاد الهند والصين[5].

وكما فعل الفاطميون اهتم الأيوبيون بتأمين الطرق البحرية والبرية فتصدّوا لخطر القراصنة في البحر الأحمر لحماية تجارة الكارم. فهيؤوا سفنا من أسطولهم لهذه الغاية، وقد أكدت وثائق الجنيزة هذا الأمر[6]، ونشـــروا الخفراء في الطرق

---

(1) ابن الاثير، عز الدين علي أبو الحســن، الكامل في التاريخ، ج11، القاهرة – 1303، ص183 ؛ ابن واصـــل، جمال الدين محمد بن ســـالم، مفرج الكروب في مناقب بني أيوب، تحقيق : جمال الدين الشيال، ج2، القاهرة – 1957، ص118 ؛ العريني، السيد الباز، مصر في عصر الأيوبيين، القاهرة، - 1960، ص69، ص70، ص201.

(2) حول تفاصيل هذه الاعتداءات ينظر: ابن جبير، الرحلة، ص34. وقد أكد صلاح الدين الأيوبي في خطابه للخليفة العباسي الناصر لدين الله، أنّ هدف الصليبيين هو القضاء على تجارة الكارم في البحر الأحمر، كما يفهم من عبارة المؤرخ أبو شـــامة ((وأمّا الطريق القاصـــد ســـواحل الحجاز واليمن فقدر أنّ يمنع الحاج عن حجه ويحول بينه وبين حجه، وأخذ تجار اليمن وأكارم عدن ويسلم بسواحل الحجاز فيستبيح المحارم ويهيج جزيرة العرب بعظيمة دونها العظائم)). الروضـــتين في أخبار الدولتين، ج2، ص37، ج3،ص139.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج11، ص173، ص174؛ المقريزي، الســلوك، ج1، ص52 ؛ العريني، مصر في عصر الأيوبيين، ص193، ص194 ؛ عاشور، الأيوبيين والمماليك، ص191.

(4) تنسب دولة بني رسول (630-858هـــ/ 1232 –1454م) الى جدهم محمد بن هارون بن أبي الفتح، كان يقوم بمهام دبلوماســية بين الأمراء الأيوبيين وبين حكام البلاد الأخرى، لذلك لقب (رسول) وأول ما نسمع به عن بداية قدوم بني رسول الى اليمن، أنّه قدم علي بن رسول بصحبة الاتابك الناصر بن طغتكتين الى اليمن في عهده سنة (608 – 610هـ/ 1211-1213م) أصبح علي بن رسول من كبار قادة الجيش الأيوبي في اليمن وفي سنة 617هـ/ 1220م، أستناب الملك المسعود بن الملك الكامل في حكم اليمن نور الدين بن عمر بن رسول، ولما توفي الملك المسعود، سنة 628 هـ / 1230 م، استطاع نور الدين بن عمر، أنّ يثبت سيطرته على اليمن. الخزرجي، الشيخ علي بن الحسين، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني، ج1، القاهرة - 1911، ص46، ص47، ص54؛ القاســم، يحيى بن الحســين، غاية الأماني من أخبار القطر اليماني، تحقيق: ســعيد عبد الفتاح عاشــور، ج1، القاهرة – 1968، ص282 حاشــية (1) ؛ أحمد، محمد عبد العال، بنو رسـول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الإســكندرية – 1980، ص383 ؛ الفقي، عصـــام الدين عبد الرؤوف، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، القاهرة- 1982، ص326- ص340.

(5) دراج، أحمد، أيضـــاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر، المجلة التاريخية المصـرية، القاهرة – 1967، ص187، ص188؛ ســعيد، ابراهيم حســن، البحرية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة – 1983، ص142.

(6) القوصي، تجارة البحر الأحمر، ص176 ؛ سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص142.

البريـة بين موانئ مصـــر على البحر الأحمر وبين النيل، لتـأمينـهـا وحفظ تجـارة الكارم، فكانوا يقطعونـها من دون أنّ يرهبهم شـــيء(1). وقد أكد ابن جبير هذا الأمّان الذي كان يســود هذه الطرق، ولاســيما بين عيذاب وقوص التي هي أشــقّ مراحل الطريق بين البحر الأحمر والاسكندرية ودمياط بقوله ((إنّ أحمال التجار من القرفة والفلفل وغيرها من التوابل تترك ملقاة، والقوافل صـــاعدة وهابطة لا يتعرض لـها أحد حتى يأخذها صاحبها)) (2).

ولتحقيق راحة تجار الكارم داخل البلاد عملوا على انشـاء فنادق خاصـة بهم مارسوا فيها مختلف أنشطتهم(3). ففي سنة 579هـــ/ 1183 م، أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء فندق(4) لهم في الفسطاط على شاطئ النيل، كانت تتم فيه صفقات بيع التوابل وسلع الشرق الى تجار أوربا(5).

وهناك من يرى أنّ الخدمات التي قدمها الأيوبيون لتجار الكارم كانت في مقابل ما يقدمه هؤلاء من أموال ومساعدات للدولة في أوقات أزماتها المالية، وذلك اســتناداً الى رواية المقريزي الذي أشــار الى قيام صــلاح الدين الأيوبي في ســنة 577هـــ/ 1181م، بتحصيل زكاة أربع سنين من تجار الكارم دفعة واحدة(6). ومع غرابة هذه الرواية لكن من المؤكد، أنّه كان بحاجة للأموال في جهاد الصـليبيين في ذلك الوقت، بعد أنّ هاجموا عيذاب والبحر الأحمر في العام نفسه، وفي الوقت نفسه كان يسـقط عنهم ما كان ينبغي جبايته منهم بعيذاب ، وألغى الضـرائب على التوابل بضع سنوات تشجيعاً لهم على القدوم الى مصر(7).

وكان لجهود الأيوبيين هذه أثرها في تحجيم المقاطعة الأوربية لمصر وجذب التجار الإيطاليين ثانية، ســاعد في ذلك الرغبة المشــتركة بين مصــر وإيطاليا في الاستفادة من الربح الوفير الذي حققته تجارة الكارم(8). كما أدّت سياسـية التسـامح التي اتبعها الأيوبيون أزاء التجار الايطاليين وعدم القصـاص منهم بسـبب اشـتراك مدنهم في الحروب الصـــليبية الى عودة هؤلاء التجار غير آبهين بتهديدات البابوية

---

(1) ابن العميد، المكين جرجيس بن أياس، أخبار الأيوبيين، تحقيق : كلود كوهن،نشـــر المجمع العلمي الفرنسي، دمشق - 1955، ص56.
(2) الرحلة، ص66 – ص88.
(3) Fischel , The Spice Trade , P. 59.
(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص468.
(5) أبو شـامة، الروضـتين في أخبار الدولتين، ج2، ص51، ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، الأنتصـار لواسـطة عقد الامصـار، تقديم: فولز، ط1، ج4، بولاق – 1893، ص40.
(6) المقريزي، السلوك، ج1، ص71، ص76 ؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص11، ص12.
(7) يذكر ابن جبير أنّ صـــلاح الدين ألغى الضـــرائب التي كانت قائمة في عهد الفاطميين. الرحلة، ص55 ؛ بيلي، أحمد، حياة صــلاح الدين الأيوبي، القاهرة – 1920، ص199 ؛ ســـيد الاهل، عبد العزيز، أيام صـــلاح الدين، القاهرة – 1961، ص113؛ ربيع، حسنين، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة- 1964، ص50، ص51.
(8) أبو شـامة، الروضـتين في أخبار الدولتين، ج1، ص234 ؛ العريني، مصـر في عصـر الأيوبيين، ص73.

لهم[1]. ممّا مكن السـلطان صـلاح الدين الأيوبي مثلاً من عقد المعاهدات التجارية مع البندقية وجنوه وبيزا في سـنة 571هـــ/ 1175م[2]، ممّا أعاد النشـاط للحركة التجارية في الموانئ المصرية كالإسكندرية التي شاهد ابن جبير فيها سنة 579هــ/ 1183م، كـــثـــيـــراً مـــن ســـفـــنـــهـــم جـاءت لنقـل متـاجر الكـارم[3]. وقـد ســـار خلفـاؤه[4] بســـيرتـه أزاء التجـار الأيطاليين [5]، الأمر الذي أفضـــى الى فشـــل الســـياســـة البابوية وزعماء الحرب الصليبيين في استمرار فرض الحظر التجاري على مصر ومن ثمّ الى فشل محاولة ضـرب الاقتصـاد وتجارة الكارم في مصـر، بحرمأنّها من الموارد الهائلة التي كانت تحققها من وراء تجارة الكارم بين الشـــرق والغرب[6]. وبالرغم من الخدمات التي قدمتها الدولة الأيوبية للكارم، فقد فضّل هؤلاء الوقوف على الحياد في فترة الصراع على السلطة بين الأيوبين والمماليك[7]، حتى استقر الأمر للمماليك[8]، ووصلت الى اسماعهم قوة السلطان الظاهر بيبرس (658- 676 هـــ/ 1260-1277م) ونشره للامن والعدل وأنّه أرســـل الى ولاته في قوص وعيذاب يشـــدد عليهم بضـــرورة المحافظة على تجار الكارم الوافدين وأبطال الضـــرائب المفروضـــة عليهم.[9]عندها استأنفوا نشاطهم في مصر، فقاموا منذ سنة660هـــ/ 1262م، برحلتين تجاريتين بدلاً من رحلة واحدة كما جرت العادة، الأمر الذي آثار دهشـــة المؤرخ ابن واصـــل الذي كتب يقول ((إنّ هذا لم يسمع بمثله ولم يتعرض أحد لشيء من أموالهم)) [10]. إنّ موقفهم هذا اتسـم بالعقلانية، فهم أصـلاً تجارٌ وليسـوا رجال حرب، وبالرغم من

---

(1) عاشـور، فايد حماد محمد، العلاقة بين البندقية والشـرق الادنى الإسـلامي في العصـر الايوبي، القاهرة – 1980، ص211؛ هايد، تاريخ التجارة، ج1، ص399.
(2) الخربوطلي، علي حسن، مصر العربية في العصر العربي الإسلامي، القاهرة – 1963، ص349.
(3) الرحلة، ص34.
(4) ينظر: زامباور، أدوارفون، معجم الأنسـاب والأسـرات الحاكمة في التاريخ الإسـلامي. ترجمة: زكي حسن وحسن محمود، ج5، القاهرة – 1952، ص150.
(5) سـلطان، سـامي سـعد، أسـس العلاقات الاقتصـادية بين الشـرق الأدنى والجمهوريات الأيطالية، القاهرة -1958، ص73، ص74؛ محمد عطا، زبيدة، الشـــرق الإســـلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، القاهرة – 1994، ص128، ص162.
(6) عبد اللطيف، محمد الصـغير، العلاقات التجارية بين مصـر وأوربا في عصـر الأيوبيين ودولة المماليك البحرية، القاهرة – 1945، ص164، ص166؛ القوصي، تجارة البحر الأحمر، ص152.
(7) لعل مرجع ذلك الى ما تعرض له تجار الكارم من عنت وأضطهاد من قبل السلطان قطز (657-658هــ/ 1259-1260م) الذي صادر في سنة 657هــ/ 1259م ثلث ثرواتهم بســـبب حربه مع التتار. المقريزي، الخطط، ج1، ص96؛ المقريزي، الســـلوك، ج1، ص437، ص438 ؛ ضـــومط، أنطوان خليل، الدولة المملوكية التاريخ الســـياســـي والعسكري والاقتصادي، ط1، بيروت – 1980، ص7.
(8) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص402.
(9) المقريزي، السلوك، ج1، ص437.
(10) مفرج الكروب، ج2، ص402.

أنّهم كانوا يحمون قوافلهم في البر والبحر بفرق دفاعية مسلحة خاصة، وكانوا يقدمون فرق الحراسة للدولة نفسها للعمل على أستتباب الأمن والمشاركة في بعض الحملات بحسب ما تقتضيه الظروف[1].

خامسا. الأثر السياسي والتجاري لتجار الكارم على الصعيد الدولي

1. أثرهم في العلاقات السياسية الدولية

كان لتجار الكارم أثر مهم في توثيق العلاقات الدولية، السياسية والتجارية على السواء بين مصر والدول الأخرى، حرصاً منهم على ازدهار تجارتهم وتدعيم مكانتهم. من هذا المنطلق كان من الطبيعي أنّ يدركوا أولاً أهمية اليمن في رحلاتهم بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، لذلك عملوا على تدعيم نفوذهم فيها، فضلاً عن جهود الإدارة المصرية في دعم مصالح التجار في اليمن ورعايتها. وما حدث في سنة 704هـ/ 1304م خير دليل على ذلك، فعندما إشتكى بعض تجار الكارم من تصرفات صاحب اليمن الذي أرهقهم بالضرائب، حذره السلطان الناصر محمد(709-741هـ/1310-1341م)من نتائج سياسته هذه، لكنه زاد من نهبه لأموالهم، فتسبب ذلك في حدوث أزمة بين البلدين[2].

دفعت هذه الأزمة السلطان الى التهيؤ لإرسال حملة الى اليمن. بيدَ أنّ تجار الكارم عملوا على تهدئة الأمور بين الطرفين مطالبين باتباع الحلول السلمية[3]، فوافق السلطان على إرسال التاجر الكارمي محمد بن عثمان المصري برسالة الى المؤيد صاحب اليمن وذلك في سنة 707هـ/ 1307م، يحذره من عواقب الأمور، فضلاً عمّا بذله هذا التاجر من جهود شخصية لدى حكام اليمن في تهدئة الأمور، وتحسين العلاقات بين البلدين[4]. ومن المؤكد أنّ تجار الكارم أسهموا بصورة قوية وغير مباشرة في استمرار العلاقات الودية بينهما[5]. فقد كانو أنفسهم سفراء حملوا

---

(1) لكن صبحي لبيب أتهم تجار الكارم بالسلبية تجاه أزمة أنتقال الحكم من الأيوبيين الى المماليك. التجارة الكارمية، ص17.

(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص3 ؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم 1584، تاريخ؛ ج58، ورقة329، 340أ؛ حسن، ابراهيم حسن، اليمن، القاهرة – 1958، ص107.

(3) ينظر : نص هذا الكتاب عند القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص422 – ص426.

(4) أبو الفدا، عماد الدين بن اسماعيل بن محمد بن علي، المختصر في أخبار البشر، ج4، القاهرة – 1907، ص54 ؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص373 ؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص32، ص33، ص78 ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333، ص334 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص226 ؛ ابن أياس، محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ج1، القاهرة – 1963، ص147.

(5) وقد بلغ اهتمام السلاطين بتجارة الكارم بين مصر وعدن، من أنّ السلطان بنى على جبل حقات بعدن منظرة، وهي قصور الانتظار والضيافة. ابن ظهيرة، ابو اسحاق برهان الدين ابراهيم، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة- 1969، ص195. لكي يرقب منها منظر مراكب تجار الكارم الواصلين من مصر ومعرفة وقت وصولهم لغرض فرض الضرائب عليهم والحصول على المواد الثمينة، ومصدرنا الأساس في ذلك الخارطة رقم (1) الخاصة بمدينة عدن. ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج1، ص129؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص70.

الهدايا المتبادلة للمحافظة على المصالح المشتركة بين الدولتين[1]. لم يقف الأمر عند ذلك ((ففي سنة 799 هـــ / 1396م، قدم الملك الأشراف بن الافضل صاحب اليمن الى القاهرة وبصـــحبته التاجر الكارمي برهان الدين المحلي[2]،ومعه هدية نفيسة الى السلطان الظاهر برقوق (801-784هـ/ 1382-1399م) [3].

كما ارتبطت مصر مع الهند بعلاقات سياسية جيدة كان لتجار الكارم أثر مهم فيها وذلك لكثرة ترددهم عليها، وعلاقتهم الطيبة مع حكامها. ففي سنة 730هــــ/ 1329م، بعث صاحب الهند محمد تغلق شاه (725 – 752هــــ/1324 – 1351م) ثاني سلاطين الأسرة التغلقية التي حكمت الهند (720- 813هــ/ 1321 – 1413م) بهدية فاخرة الى السـلطان الناصـر محمد بصـحبة تجار الكارم[4]. وقيل إنّ قيمتها بلغت ألف ألف دينار، فضــلاً عن أموال أخرى أرسـلت للحرمين الشـريفين وبيت المقدس[5]. وكّررها في سنة 731هـ / 1329م مع تجار الكارم أيضاً فأكرم السلطان وفأدّتهم [6].

في سنة 741هــــ/1340م، وصل وفد آخر من السلطان محمد تغلق يحمل رسـالة وهدية ثمينة طالباً من السـلطان الناصـر محمد أنّ يتوسـط له عند الخليفة الواثق بالله ابراهيم بن المستكفي(741-740هـــ/1339-1340م) ليكون نائبه على تلك البلاد ليكتسب الصفة الشرعية وأن يبعث لهم من يعلمهم شرائع الإسلام، وقد وافق الخليفة والسـلطان الناصـر محمد على طلبه. مع بعض تجار الكارم[7]. وفي سنة 876هـــ/1471م، أرسل صاحب الهند بهلول اللودي (855-884هـــ/ 1451-1488م) مؤسس الأسـرة اللودية(855 – 932هـــــ/1451- 1526م)، في دلهي، الوفد بصحبة تجار الكارم تحمل الهدايا الى السلطان قايتباي (873-901هـ/ 1468-1495م) [8].

---

(1) العيني، السيف المهند، ص324. وعلى سبيل المثال الهدايا النفيسة الواصلة الى مصر في سنة 775هـــ/ 1374م و 799هــ/ 1397 م. ينظر : ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص37،ص414. وهدايا واصلة الى اليمن في سنة 789هـ/ 1387م و790هـ/ 1388م. يُنظر : الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص193، ص198.

(2) المحلي: نسـبة الى مدينةالمحلة التي تقع في شـمال القاهرة، وتقع الان في محافظة الغربية في مصـر، وهي مركزاً لصـناعة المنسـوجات القطنية المصـرية . المنجد في اللغة ، ص37.

(3) ابن قاضـي شـهبة، تقي الدين أبو بكر أحمد، تاريخ ابن قاضـي شـهبة، تحقيق:عدنان درويش، ج3، دمشق – 1977، ص608 ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص444.

(4) أبو الفدا، المختصر، ج4، ص104. أنّ هذا يدل على جراة صاحب اليمن في الاستيلاء على هذه الهدية متجاوزاً على حدود الآداب السلطانية في التعامل بين الملوك والحكام.

(5) العمري، ابن فضـــل الله احمد بن يحيى، التعريف بالمصـــطلح الشـــريف، القاهرة – 1312هـ، ص49.

(6) عطية، سليمان، سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب – 1959، ص135.

(7) المقريزي، السلوك، ج2، ص 645.

(8) ابن أياس، بدائع الزهور، ج2، ص431 ؛ جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية، ترجمة: الأمير يوسف كمال، القاهرة – 1927، ص23.

من ناحية أخرى أرسلت مصر سفراءها من تجار الكارم الى الصين أيضاً وكانوا يُقابلون بحفاوة وإكرام. فقد أرسل السلطان برسباي (825-842هــ/ 1422 – 1438م) سفارة الى الصين في سنة 841هـــ/ 1437م، تتألف من بعض تجار الكارم، كان الهدف منها تقوية أواصر الصداقة بين البلدين مع تبادل الهدايا(1).

ومن ناحية أخرى كان بعض تجار الكارمية يدعمون مكانتهم في المناطق التي يتاجرون معها، فعملوا مع حكامها وتمكنوا من الوصــول الى أعلى المناصــب مثلاً تولى التاجر الكارمي يحيى بن مســـند الوزارة في اليمن(2)،وأثمرت العلاقات الطيبة بين مصر والهند في تسلّم بعض تجار الكارم مناصب هناك، ففي سنة 693 هـــــ/ 1294م عمل التاجر الكارمي ابن بكاش في خدمة أمرائها (3).وعمل التاجر الكارمي محمود بن محمد الجيلاني في خدمة صاحب الهند سنة 884 هــ/ 1488م، متولياً إدارة إحدى مدنها وسـياســة أمورها. (4) كذلك عُيّن التاجر الكارمي أحمد بن علي الكواز سفيراً لمصر في الهند سنة 886هـ/ 1490م(5).

2. أثرهم في ازدهار العلاقات التجارية الدولية

كان لتجار الكارم اسهامّات فاعلة في مجال السياسة الدولية، بعد أنّ ازدهر عملهم التجاري. فهناك نص رســالة يفســر طبيعة العلاقات الودية الســياســية والتجارية بين اليمن ومصـر أرسـلها صـاحب اليمن الى السـلطان برقوق في سـنة 798هـــــ/ 1396م، بيد التاجر الكارمي برهان الدين المحلي، وفيها يلبّي صــاحب اليمن، طلب سلطان مصر تجهيز ما تحتاج اليه الدولة من بضائع الكارم الواردة الى عدن، ويطلب من الســلطان تســهيل مأمورية التاجر في شــراء بعض الحوائج من مصر، كما يطلب الإذن له بالحج وتسيير المحمل(6). الى بيت الله الحرام (7).

(1) الصـــيني، بدر الدين، العلاقات بين الصـــين والعرب، القاهرة – 1950، ص239، ص240.

(2) ابن حجر، الـدرر الكـامنـة، ج4، ص 419؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص221؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ج2، ص133، ص132.

(3) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص138.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص44، ص45.

(5) ن . م، ج3، ص43.

(6) المحمل : احتفال تزف فيه كسوة الكعبة التي تصنع في مصر وتحمل الى مكة مع أمير الحج الذي يعين من قبل السلطان وكان يتغير كل عام، ويتقدم هذا الأمير الاحتفال يتبعة المماليك الذين يلعبون بالرماح ومعهم كل من عزم على الحج،. وكانت الناس تخرج لرؤية ذلك المحمل ذهاباً وأياباً. ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشـهور، تحقيق : وليم بوير، ج6، كاليفورنيا – 1931، ص242. وكان الغرض منه تعظيم الســلطان وترغيب الناس في أداء فريضــة الحج. عاشــور، ســعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة – 1962، ص181.

(7) الخزرجي، العقود اللؤلؤيــة، ج2، ص182؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص307؛ المقريزي، الســلوك، ج4، ص23. يُنظر نص الرســالـة في القلقشــنـدي، صــبح الأعشى،ج8، ص72- ص76.

كما كانت العلاقات التجارية المصـرية الصـينية تتطور باضــطراد[1]، ففي سـنة 703هـــ/1303م، وصـل أحد تجار الكارم من بلاد الخطا[2] ومعه من الحرير ثلاثمائة بهار[3]، ومن المســـك[4] أربعمائة وخمســـين رطلاً[5] وكثيرٌ من الفخار الصيني، وقد طلب من صاحب اليمن السماح له بمواصلة رحلته الى مصر[6].

ويذكر ابن بطوطة، أنّ التاجر الكارمي إذا قدم على بلد معين من بلاد الصين في تجارة كان يخير بين النزول عند أحد التجار المسـلمين المسـتقرين هناك أو في الفندق، وفي كلتا الحالتين كان التاجر آمناً على أمواله وحياته وكانت له حرية التنقل. وقد أشاد ابن بطوطة بأسرة سراج الدين بن عفان المصري التاجر الكارمي الذي التقى به في مدينة الخنســـا[7]،إذ اســـتقر بها وأورث أبناءه الجاه والمال فيها[8]،وكانت لبعضــهم علاقاتهم التجارية المتينة مع مختلف مناطق جنوب شــرق آسيا[9].

أمّا ســرنديب[10] فقد كان من الطبيعي أنّ يكون لتجار الكارم النصــيب الاكبر في تجارتهم نتيجة لكثرة ترددهم عليها واتساع نشاطهم التجاري. ففي سنة 682هـ/

---

(1) الصــيني، العلاقات بين العرب والصــين، ص239 ؛ زيتون، محمد، الصــين والعرب، القاهرة – 1964، ص13، ص14 ؛ محمود، حسين أحمد، البعثات الدبلوماسية لدولة سلاطين المماليك، مقال في كتاب ابن أياس دراسات وبحوث، تقديم: عزت عبد الكريم، القاهرة – 1977، ص39- ص45.

(2) بلاد الخطا : الاسم الذي يطلقه الروس على بلاد الصين وهو أصلاً اسم لقبيلة مغولية. ديورانت، قصــة الحضــارة، ج4، ص219. والخطا هي الصــين الشــمالية ومنها جاء الاسم القديم لبلاد الصين وهو كاثاي Cathay. مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته، مصر – 1980، ص200.

(3) البهار: وحدة قياس للوزن مقداره 300 رطل للحمل الواحد. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص276. وهو يعادل 270,562 كغم. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان، ترجمة: كامل العسلي، الاردن – 1971، ص21.

(4) المســـك: مادة تؤخذ من ظباء تعيش في التبت وســـرنديب.وأجود أنواعه موجود في التبت. شـــيخ الربوة، شـــمس الدين أبو عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تصحيح: فرين ومهرن: بطرسبورغ – 1865، ص360.

(5) الرطل: وحدة من وحدات الوزن، وهو أكثرها اسـتعمالاً في الشـرق وهو يسـاوي 1.5 كغم، أي ما يعادل 437.5 غم. الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، تصــحيح: أدارة المطبعة المنيرية بمصــر القاهرة – 1923، ص11؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص30، ص31، ص45.

(6) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص350.

(7) الخنســـا : هي مدينة هانغ جو الحالية في الصـــين. مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص197.

(8) شرف الدين أبي عبد الله الطنجي، رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، القاهرة – 1928، ص227.

(9) زيادة، نقولا، الرحالة العرب، القاهرة – 1956، ص181 ؛ زيتون، الصـــين والعرب، ص120 ؛ لوبون، غوستاف حضارات الهند، ترجمة : عادل زعيتر، القاهرة - 1948، ص 278.

(10) سرنديب: أو سيلان، أو جزيرة الياقوت، تعني في اللغة السنسكريتية الجزيرة الذهبية. السيرافي، أبو زيد حسين سليمان الفارسي، رحلة أبو زيد حسن السيرافي الى الصين والهند، باريس- 1891، ص7 . وهي سري لانكا الان، يفصل بينها وبين جنوب الهند

1283م، حمل تجار الكارم رسـالة من حاكم سـرنديب الى السـلطان المنصـور قلاوون (678-689هـ/ 1279–1290م) تتضمن رغبته في عقد اتفاقية تجارية مع مصر تتضمن استعداده لشحن عشرين سفينة بأنواع بضائع الكارم، فرحب السلطان قلاوون بهذا العرض[1].

أمّا بلاد التكرور[2] التي تعد واحدة من أهم مدن السـودان الغربي، فقد كانت على علاقة طيبة مع مصر بفضل تجار الكارم. ففي سنة 725هـ/ 1325م، حضر ملك مالي منسا موسى[3] الى القاهرة وبصحبته العديد من التكاررة مع بعض تجار الكارم ومعهم كميات كبيرة من الذهب[4] بعثوا بها الى السلطان الناصر محمد [5] ، والى كل الأمراء وأصحاب الوظائف السلطانية[6]، وقد كان هذا الحدث محط إعجاب الناس لدرجة أنّهم ظلوا يتذكرونه لسنوات لاحقة[7]. فضلاً عن أنّهم اشتروا العديد من أصـناف المواد المرغوبة لديهم وقد جنى تجار الكارم والصيارفة أرباحاً كبيرة من ذلك[8]. فقد كان الواحد منهم يربح حوالي سـبعمائة دينار في بضـاعة قيمتها ثلاثمائة دينار[9]. وقد بلغ من مكانة تجار الكارم عند ملوك التكرور أنّ منسا موسى

مضيق يصل عرضه الى أكثر من 160كم. جيان، وثائق تاريخية وجغرافية، ص440- ص441.

(1) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام ، ص51، الدوادار، بيبرس الخطائي المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، ج9، مصـر – 2001، ص231، ص232؛ ابن الفرات، محمد عبد الرحيم الحنفي، تـاريخ الدول والملوك، المعروف بتـاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسـطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، ج7، بيروت – 1939، ص261؛ القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج8، ص77، ص78؛ المقريزي، السلوك، ج8، ص313.

(2) بلاد التكرور: تقع فيما بين النيجر وبحيرة تشـاد، واسم التكرور كان يطلق على مدينة بالقرب من نهر السـنغال، ثم صـار هذا الاسـم يطلق على شـعب هذه المملكة وجرى العرب بعد ذلك على أطلاق اسـم التكرور على كل من جاء من السـودان الاوسـط، والغربي. نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، الموصل – 1985، ص283 – ص274. وهي خمسـة أقاليم : مالي وصـوصـو وغانة وكوكو والتكرور، وكل إقليم مسـتقل عن الآخر ثم خضـعت لنفوذ سـلطان واحد عرف باسـم سـلطان التكرور. القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج5، ص292. وهناك حي في بولاق بالقاهرة يسمى بولاق الدكرور، ينسب الى الشيخ الصالح بن عبد الله التكروري، الذي دفن في ذلك المكان وما يزال مقامه موجوداً. طرخان، ابراهيم علي، قيام أمبراطورية مالي الإسلامية، مجلة جامعة القاهرة، ع1، 1970، ص41.

(3) ابن الوردي، سـراج الدين عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ج2، القاهرة – 1258، ص375.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص295، ص296.

(5) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص375. ويذكر ابن ايبك أنّ السـلطان الناصـر محمد ألبس منسـا موسـى خلعة الملك والزم منسـا موسـى أنّ يخطب في بلاده باسـم السلطان ويضرب العملة باسمه. كنز الدرر وجامع الغرر، ج9، (المسمى: الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق: هانز روبرت رومير، القاهرة – 1960، ص317.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص295، ص296.

(7) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص27.

(8) العيني، ج23، ورقة 429أ.

(9) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص295، ص296.

عندما وصــل الى مصــر نزل عند التاجر الكارمي ســراج الدين الكويك في منزله بالقاهرة.[1]

كذلك كان لتجار الكارم إسهامًا في توثيق العلاقات التجارية بين مملكة البرنو [2] ومصر، ولاسيما في أيام السلطان برقوق في سنة794هــ/ 1391م[3]، بعد أنّ بسطت برنو سيأدّتها على طرق القوافل المؤدية الى الجزء الشمالي الشرقي من وادي النيل [4].

واذا انتقلنا الى بلاد النوبة، نجد أنّ حملة الســلطان بيبرس عليها في ســنة 674هــ/ 1275م، وضعت أساساً جديداً للعلاقات بينها وبين مصر ازدهرت بفضل تجار الكارم الذين حملوا منها الى مصر الرقيق والخشب والذهب وغيرها[5].

ويمكن القول أنّه كان لتجار الكارم أثر إيجابي في العلاقات بين مصر وبعض الدول الأخرى ، فقد كانوا سفراء للملوك والسلاطين يحملون لهم رسائلهم وهداياهم خارج مصــر، وعملوا على توثيق العلاقات الســياســية فازدهرت تجارتهم وعلت مكانتهم داخل مصر وخارجها.

---

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص316، ص319 ؛ القلقشــندي، صــبح الأعشــى، ج5، ص589.

(2) البرنو: اسم أطلق على مجموعة قبائل الكانوري، وهذه المملكة تمتد شمالاً بالصحراء المقابلة لبرقة وغرباً ببلاد الهوســا وجنوباً بأدمورد وتحد من ناحية الجنوب الشــرقي بجرمي وشــرقاً ببحيرة تشــاد. ويشــمل البرنو اليوم إقليم نيجيريا الشــمالية في غرب إفريقيا. نوري، تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ص161، ص281.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص116.

(4) طرخان، ابراهيم علي، أمبراطورية البرنو الإســلامية، القاهرة – 1975، ص165، ص172.

(5) النويري، شــهاب الدين أحمد عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط بدار الكتب المصــرية برقم 549 معارف عامة، ج28، ورقة 108 أ؛ المقريزي، الســلوك، ج1، ص373، ج2، ص9.

أولا. جهود سلاطين المماليك في تأمين قوافل الكارم :

1. جهود سلاطين المماليك في تأمين الطرق البرية

كان للدور الكبير الذي قام به تجار الكارم، أنّ وجدوا كل رعاية وحماية من قبل ســـلاطين المماليك الذين كرســـوا جهودهم لتشـــجيع تجارتهم وتأمين طرقها البحرية والاهتمام بالموانئ. [1]

و اهتموا بـالطرق البريـة وتنظيم القوافل وتزويـدها بـالإدلاء الـذين يعرفون هذه الطرق جيداً بما فيها من آبار الماء[2]، وعينوا موظفين لحفظ المخازن ســـواء البرية أو في الموانئ[3]. أمّا بالنسبة لحراس البضـائع المنقولـة بين البلاد، فقد رتب سلاطين المماليك خفراء ينزلون في الخانات على الطرق، يخفرون الرائح والغادي، وينادي في البلاد أنّ لا يسافر أحد في الليل ، بل من طلوع الشمس إلى غروبها[4].

تميزت جهود الســـلاطين المماليك في تأمين قوافل تجارة الكارم، منذ أيام السـلطان الظاهر بيبرس (676-658هـــ/ 1260-1277م) فإليه يعود الفضـل في وضـع سياسـة واضـحة هدفها تأمين تجارة الكارم ومستلزماتها الاقتصـادية طبقها سلاطين المماليك من بعده،[5] من خلال تحقيق الأمن وتحسين الطرق ليكون السفر أمنـا، و زودها بكل ما يحتاج إليه المســـافر من زاد وعلف لدوابه[6]، حتى قال فيها المقريزي ((إنّ المرأة تســافر من القاهرة إلى بلاد الشــام بمفردها راكبة أو ماشـية لاتحمل زاد ولا ماء))[7].

ابتدأ هذا السلطان بتطبيق سياسته هذه منذ العام 661هـ/1263م بالاستيلاء على حصن الكرك الذي كان يتحكم في الطريق البري شرق صحراء سيناء، وكذلك لتأمين حدود مصر الشمالية الشرقية[8]، فمن الكرك واليها ينتهي هذا الطريق الذي يربط خليج العقبة بالبحر الميت وفيه تصـــعد التجارة إلى بلاد الشـــام[9]، ولم يدخر جهداً في الضرب على أيدي قطاع الطرق فيه لتأمينه[10].

---

(1) ابن بطوطة،تحفة النظار،ص112، فييت،جاستون،المواصلات في مصر الإسلامية،مقال في كتاب مصر الإسلامية،ترجمة:محمد وهبي،القاهرة-1940،ص42.
(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص875 .
(3) القلقشندى، صبح الأعشى، ج13،ص96.
(4) صالح، محمد أمين، تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، القاهرة، 1980، ص159.
(5) فييت، المواصلات، ص14.
(6) غوانمة، يوســـف درويش، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصـــر المملوكي، عمان-1982،ص89.
(7) السلوك، ج2، ص258.
(8) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص192.
(9) أبو الفـدا، المختصـــر،ج2،ص225،ص227،الظـاهري،ابن شـــاهين غرس الـدين خليل،زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك،تصحيح:بولس ريفز،باريس-1894 ،ص132،ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة،ج7،ص294، شـقير ، نعوم،سـيناء القديم والحديث،القاهرة-1916،ص63.
(10) الدوادار ، زبدة الفكرة ، ج9 ، ص54.

من ناحية أخرى نراه يبسط نفوذه السياسي على الحجاز ويخضع حكام مكة وذلك منذ سنة 655هـ/1267م، وينعم على حاكم مكة ابن أبي النمي[1] ويغدق عليه كي لا يأخذ أموالا من التجار لتشجيع مرور التجارة بمصر[2].من هنا أصبح الحجاز تابع اســمياً لســلاطين المماليك الذين اهتموا بإقرار الأمن في تلك البلاد، وكثيراً ما كانوا يوفرون المســـاعدات لحكام مكة حتى لايتعرضــوا لتجار الكارم في موســم التجارة في مدّة الحج[3].

و ســعى الســلطـان الظـاهر بيبرس لتـأمين الطريق البري الـذي يخترق الصـــحراء، والذي يمتد من عيذاب على البحر الأحمر إلى قوص على نهر النيل، وذلك بالضـــرب على أيدي العابثين من البدو والبجة. واقتضـــى هذا الأمر أنّ يجرد عدة حملات عســكرية عليها، وأن يخضــع الموانئ التي تصــل إليها التجارة على البحر الأحمر، مثل ســـواكن ومصـــوع[4]، ويحيد حاكم جزيرة دهلك[5] الذي كان يعترض تجارة الكارم[6]. و اســتلزم تأمين هذا الطريق الإشــراف على موانئ البحر الأحمر الغربية التي ترد إليها تجارة الكارم وأخصّها ميناءي عيذاب وسواكن[7]. لذا عيّن السلطان الظاهر بيبرس والياً على عيذاب من قبله، وأسقط الضرائب عن تجار الكارم في سنة 660هـــ/1261م، تشجيعاً لهم للوصول بتجارتهم إلى مصر[8]. أمّا ميناء سواكن الواقعة جنوب عيذاب[9] فقد وجه حملة إليها لتأديب حاكمها في سنة 662هـــ/1264م، بسبب عرقلته للتجارة، كان من نتائجها توطيد سلاطين المماليك

(1) ابن أبي ألنمي:من بني قتادة ينســـبون إلى قتادة بن إدريس بن مطاغي حاكم ينبع،حكم مكة أيضا سنة 617هـ/1227م.القلقشندي، صبح الأعشى،ج4،ص273.

(2) المقريزي،السلوك،ج1،ص585.

(3) ن .م ،ج2 ، ص888.

(4) مصوع: من موانئ الحبشة على البحر الأحمر . الحموي، معجم البلدان، ج8، ص238. وهو تحريف لناصـــع الاســم القديم للمدينة، وقد أطلق عليها اســم مصـــوع في القرن 7هـ/13م المسعودي، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، القاهرة- 1938، ص330، عابدين، بين الحبشة والعرب، ص144.

(5) دهلك : يتكون أرخبيل دهلك من مجموعة كبيرة من الجزر أهمها دهَل وحَران وكبَاري ودركة ونورة ونقرة وكمران والتي هي أكبرها. المقريزي، الإلمام، ص22. ودهلك هي اكبر الجزر المعروفة باسم أرخبيل دهلك الذي يقع شرق ميناء مصوع بالبحر الأحمر. وهذا الأرخبيل هو مرســـى للســفن. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص114. أبو الفدا، تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين، باريس- 1840، ص371.

(6) المقريزي، الخطط، ج1، ص204.ينظر أيضـــا:خطاب ،حنفي محمود،الحركات الداخلية في الدولة المملوكية الأولى،رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة القاهرة،كلية الأدب-1949 ،ص16.

(7) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر، كتاب البلدان، ليدن-1892 ، ص336؛ ابن بطوطة،تحفة النظار،ص30؛عوض،محمد،السودان الشمالي سكانه وقبائله،القاهرة-1955 ،ص22.

(8) المقريزي، السلوك، ج1، ص437.

(9) ابن عبد الظـاهر،الروض المعطـار في ســـيرة الملـك الظـاهر طـر، تحقيق:عبـد الـعـزيـزخـويـطـر، رســـالـة خـطـيـة جـامـعـة لـنـدن-1960،ج1، ص285، ص286؛ Burkhardt, E., Travels to Nubia, Dictionary if national Bibliography, London- 1815, Vol.3, P.130, 440,402.

هناك[1]. ولكي يزيد الســـلطان الظاهر بيبرس من قوته وقدرته على حماية طرق التجارة عموماً والكارم خصوصاً، حرص على بناء أسطول لحماية الساحل الغربي للبحر الأحمر بين عيذاب وسواكن[2]، وفي خطوة لاحقة مهمة، بنى السلطان الظاهر القلاع في ميناء آيلة ، فضـــلاً عن المحطات وحفر الآبار لتوفير الماء للتجار والحجاج[3]. واستطاع في العام 666هـــ/ 1268م، إعادة فتح الطريق البري عبر شبه جزيرة سيناء باتجاه شمال الجزيرة العربية والذي كان قد تعطل نتيجة الحروب الصليبية[4].

ثم التفت بعد ذلك لإقرار الأمن وتأمين قوافل الكارم في بلاد النوبة، والتي كانت دائماً من المناطق التجارية المهمة، فضلاً عن كونها طريقاً لتجارة الكارم. فقد أرسل إليها عدة حملات في سنة 670هـ/1272م[5] ، 71هـ/1273م[6].

من ناحية أخرى ونتيجة لجهود الســـلطان الظاهر بيبرس لإقرار الأمن في المنطقة، أرســـل له ملك الحبشـــة رســـالة ســـنة 673هـــــ/1274م، أشـــار فيها إلى حســـن معاملته لتجار الكارم الوافدين على بلاده من مصر[7].

أمّا السلطان المنصور قلاوون(689-678هـــ 1279 -1290م) فقد اهتم بموانئ البحر الأحمر؛ لأنّها تؤمن المواصلات لإيصال بضائع الكارم منها إلى موانئ البحر المتوسـط، و اهتم بمنع العابثين من بعض القبائل التي اعتادت سـلب القوافل المارة بها[8]. وأمر ولاته بتجريد القبائل من أسلحتها وفرض على باعة الأسلحة في

---

(1) المقريزي، الســلوك، ج1، ص506، ص550، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص138-139.

(2) المقريزي، السلوك، ج1، 506 .

(3) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص86 .

(4) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج7،ص194؛الســـليماني،علي بن حســـين،العلاقات الحجازية لمصرية ،القاهرة-1973 ،ص201؛احمد أحمد رمضان ،شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى،القاهرة- 1977 ،ص18،ص204.

(5) ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق : بلو شـيه، باريس –1919، ص375؛ رياض، مصـر وأفريقيا، ص83؛ مسـعد، مصـطفى محمد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة، ص37 .

(6) ابن الفرات، تـاريخ ابن الفرات، ج7، ص47؛ الحويري، محمود محمد، أســـوان في العصـور الوسـطى، ط2، مصـر- 1996، ص33؛ عاشـور،سـعيد عبد الفتاح، الظاهر بيبرس، القاهرة-1963 ، ص120 .

(7) ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص219.

(8) المقريزي، السـلوك، ج1، ص700؛ الحداد، محمد حمزة، السـلطان المنصـور قلاوون، مصر- 1993، ص69.

القاهرة ألاّ يبيعو ها لهم[1]. ولم يتردد في إرســـال حملات لكل من يتعرض لقوافل الكارم[2]، ولعلّ من أشهرها تلك الحملة التي وجهها ضد بني الكنز[3].

وفي سبيل تشجيع التجار في عملهم، وضع سياسة ضرائبية عادلة وشدد على عمال الأطراف في تنفيذها بدقة. وقد بدت آثار هذه السياسة في الرسالة التي حملتها بعثة حاكم جزيرة سرنديب سنة 682هـ/1283م، إلى السلطان قلاوون طالباً فيها عقد معاهدة تجارية مع مصر وراغباً عن التعامل مع حاكم اليمن، بسبب معاناة التجار من دفع نسبة ضرائب عالية بعدن، وأوضح أنّه على استعداد لشحن عشرين سـفينة بأنواع متاجر الكارم من أحجار كريمة وتوابل وأقمشـة حريرية وغيرها[4]، وأمر البعثة أنّ تسـلك طريق الخليج العربي والعراق وبلاد الشـام حتى لاتمر بعدن ومنها إلى مصر[5].

وقد بلغت عناية السلطان قلاوون بتجار الكارم، أنّه أصدر مرسوماً في سنة 687هـ/1288م، وجهه إلى ملوك وسلاطين الهند والصين واليمن والعراق والحجاز وأرغون وقشـتالة، يحثّ فيها تجارهم على القدوم إلى مصــر وتنشـيط علاقاتهم التجارية معها[6]، والى ما سـوف يحظون به من أمان وعدل وحسـن معاملة من

(1) ابن الفرات، تـاريخ ابن الفرات، ج7، ص226 ؛ عـاشـور، الأيوبيين والممـاليـك ، ص314.

(2) ينظر: المقريزي، السلوك، ج1، ص737،736.

(3) بني الكنز: بطن من بطون ربيعة التي هاجرت من نجد وتهامة في الجزيرة العربية. ابن حوقل، أبي القاسـم محمد البغدادي، صـورة الأرض، ليدن-1967، ص31. إلى مصـر وانتشرت في أرجائها، ولا سيما في أعالي الصعيد وخاصة في أسـوان. المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصـر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة-1960، ص44. وقد أتاحت الظروف التي مرت بها مصـر أيام الدولة الفاطمية إلى ظهور زعيمها أبو المكارم هبة الله، الذي لقبه الخليفة الحاكم بأمر الله بلقب كنز الدولة تكريمـاً لـه لقضـائـه على أحـد الثوار. المقريزي، اتعـاظ الحنفـا، ج2، ص60، ص61،ص64،ص65، وأصبح هذا اللقب علماً لمن جاء من بعده بل عرفت قبيلة ربيعة بعد ذلك ببني الكنز، المقريزي، البيان والإعراب، ص46،ص124. وقد حدث صـدام بينهم وبين صلاح الدين الأيوبي عندما اتصلوا ببقايا الشيعة والجند الفاطميين لرغبتهم في عودتهم ، لكنه تمكن من القضاء عليهم في سنة 572هـ/ 1176م، فتقهقروا إلى شمال النوبة. ابن خلدون، عبد الرحمن= = بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ج5، بيروت -1959، ص278، 288. واختلطوا بـأهـالي النوبة وتزوجوا منهم، ثم علا نفوذهم في بلاد النوبة وأصـبحوا من أقوى القبائل على الحدود السودانية المصرية وقد سـاهموا بشكل مباشـر في تعريب جزء كبير من بلاد النوبـة. الحويري، أسـوان، ص200-202، القوصـي، عطيـة، تـاريخ دولـة الكنوز الإسلامية، القاهرة- 1981، ص116-125.

(4) القلقشـنـدي، صـبح الأعشـى، ج8، ص77، ص78؛ المقريزي، السـلوك، ج1، ص711،ص713 ؛ سرور، محمد جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس في مصر، القاهرة-1960، ص44؛ الحداد السلطان المنصور قلاوون، ص70 .

(5) الدوادار، زبدة الفكرة، ص232،231؛ عاشـور، سـعيد عبد الفتاح، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، القاهرة – 1968، ص55.

(6) ابن الفرات، تـاريخ ابن الفرات، ج8، ص65؛ المقريزي، السـلوك،ج1، ص742؛ القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج13،ص340، . قامت الدولة الحفصية في تونس بدور

المسؤولين في الموانئ المصرية[1]، وأشار إلى محاسن مصر وموقعها كوسيط في التجارة الدولية[2].

واشتملت سياسة السلطان قلاوون الاهتمام بمناطق أخرى في سبيل تأمين تجارة الكارم، فعندما نُهبت متاجر الكارم سنة 673هـ/ 1274م، في مدينة سيس[3] جرّد عليها حملة أجبرت الأرمن على توقيع الصـلح وعلى حُسـن معاملة التجار فيها[4]. وكان من جوانب سـياسـته هذه تحسـين وتمتين العلاقة مع ملك التتار استجابة لطلب الأخير الذي راسله في سنة 681هـ/ 1282، في سبيل تسهيل مهمة تجار الكارم[5].لتأمين سياسته، فأوكل إلى قبائل المنطقة الشرقية حراسة الطريق الشامي عبر سيناء لحماية تجار الكارم مقابل مكافأة سنوية[6]. ولكون مكة مركزاً غاية في الأهمية لمصـر ولتجارة الكارم، فقد أبدى سلطان قلاوون اهتماماً متزايداً بها، فكان يقصي أو يعاقب حكامها إذا أساؤوا لتجار الكارم[7].

وحرص السلطان الناصر محمد على تطهير الصحراء الغربية من اعتداءات قبائل البجة على التجار الذي زاد نشاطها في سنة 719هـ/ 1219م فأضطر السلطان إلى تجريد حملة لإقرار الأمن فيها[8].

من جهة أخرى نرى السـلطان الناصـر محمد يتطلع نحو اليمن التي كانت محطة أساسية من محطات تجارة الكارم التي أساء كثيرٌ من حكامها معاملة التجار

الوسيط بين تجار الكارم وتجار قشتالة وأراغون في الغرب. خلف الله، ابتسام مرعي، العلاقات بين الخلافة الإسلامية والمشرق الإسلامي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب – 1985، ص37، ونص هذا المرسـوم عند: ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص326-327.

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص421، ج13، ص 339-342.

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص66،ص67.

(3) سـيس: قاعدة بلاد الأرمن تقع بين أنطاكيا وطرسـوس في شـمال أرمينية بآسـيا الصغرى، ولها قلعة حصينة بناها ولاة هارون الرشيد. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص197.

(4) الدوادار، زبدة الفكرة، ج9، ص54؛ عطية، العلاقات بين الشـرق والغرب، ص124،ص125.

(5) ينظر: ابن عبد الظاهر، تشـريف الأيام، ص17،ص18؛ ابن أيبك، الدرّر الفاخر، ج9، ص56؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7،ص248؛ القلقشندي، صبـح الأعشى ج8، ص69-71؛ المقريزي، السـلوك، ج1، ص719، ج2، ص175، 207، 209؛ المقريزي ،الخطط، ج2، ص43؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1،ص381، ص382؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص138،ص140.

(6) ابن أيبك، الدرّر الفاخر، ج9، ص115،ص116.

(7) ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضـوع . ينظر: أبو الفدا، المختصـر،ج4،ص47؛ ابن تغري بردي، المنهل الصـافي والمسـتوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، ج1، القاهرة –1986، ص184؛ العيني، عقد الجمان، ج2، ورقة 435-442 أ؛ دحلان، أحمد زيني، خلاصـة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة-1305، ص121.

(8) المقريزي، السـلوك، ج2، ص194؛ مؤلف مجهول، تاريخ سـلاطين المماليك، نشـر وجمع :زيترشتين، لندن- 1919، ص169.

الوافدين من مصـر إلى عدن، ممّا دفعه لإرسـال حملة في سـنة 726هـــ/ 1325م لإخضاع حاكمها[1]. أمّا بالنسبة لبلاد الحجاز ، فقد ظلت سياسة مصر تجاهها قائمة والمتمثلة بحماية تجار الكارم، إذ كثيراً ما قدم ســلاطين المماليك المســاعدات لأمرائها حتى لا يتعرضـوا لهم، و لاسـيما في موسـم الحج، كالذي حدث في سـنة 754هـــ/ 1352م[2]. وطبق سياسته هذه من بعده السلطان الاشرف شعبان(764-778هــ/ 1363-1377م)، الذي طلب من حكام مكة إلغاء الضرائب التي يجبيها من تجار الكارم، ومنعه من تحصيل أي ضـريبة على ما يباع في أسـواق مكة وعوضـه عن ذلك بمبلغ مائة وستين ألف درهم وألف إردب[3] من القمح ترسلها مصر سنوياً له، وسجّل ذلك في وثيقة وقع عليها الطرفان[4]. وفي سنة 834هـــ/ 1431م, من تعرض تجار الكارم لمواجهة قبيلة الأق قوينلو[5]، ممّا دفع السـلطان برسـباي إلى إعداد حملة في سـنة 835هـــ/ 1432م، لتأمين المناطق المتاخمة لأطراف الدولة المملوكيـة، الأمر الـذي دفع زعيم قبيلـة ألاق قوينلو إلى التفـاوض مع السـلطان المملوكي على أنّ لايهـاجم أطراف الـدولـة ويلتزم بتـأمين تجـارة الكـارم وأن يطيع أوامر السلطان وينفذ مراسيمه[6].

---

(1) أبو مخرمـة، تـاريخ ثغر عدن، ج2، ص142، ص143؛ ينظر:تفاصـيل الحملـة في المقريزي، السـلوك، ج3، ص268؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص84-87.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص288.

(3) الإردب: مكيال مصري للحنطة والشعير، يساوي 125و73 كغم حنطة و56 كغم شعير، هنتس، المكاييل والأوزان، ص58. ينظر أيضا: الزمخشري، محمد بن عمر، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرون، ط1، ج2، بيروت، ص53؛ الفيومي، أحمد بن محمد، المصـباح المنير في غريب الشـرح الكبير للرافعي، ج1، بيروت، ص224.

(4) المقريزي، السـلوك،ج2،ص340 ؛ الخالدي، محمد بن لطف الله بن عبد الله، الدرر الفرايد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، نشـر: حمد الجاسـر، الرياض – 1983، ص269.

(5) ألاق قوينلو: قبيلة تركمانية الأصل،ومعناها الشـاة البيضـاء، هاجرت من تركسـتان ثم سكنت نواحي ديار بكر ثم آمد والموصـل واتخذت من ديار بكر عاصـمة لها سـليمان، احمد السـعيد، تاريخ الدول الإسـلامية ومعجم الأسـر الحاكمة، ط2،ج3، القاهرة – 1969، ص359،. ثم أخذت تُغير على الأمارات التركمانية المجاورة لها وتضمها إليها، فاتسـعت أملاكها حتى شـملت أجزاء كبيرة من بلاد فارس، ودخلت في علاقات مع الأوربيين، وفي عهد السـلطان برسـباي خطب باسـمه في مسـاجدها وضـربت العملة باسـمه. عبد التواب، عبد الرحمن محمود، قـايتبـاي المحمودي، القـاهرة – 1978، ص159-160 .

(6) ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص693، ص705، ص706.

وزيادة على اهتمام الســـلاطين المماليك بالطرق البرية، أصـــدر الســـلطان قايتباي في سنة 873هـــ/ 1468م ، أمراً بإبطال ضرائب قطيا[1] وعدم أخذ الأموال من تجار الكارم رغبة في تنشيط الحركة التجارية البرية بين مصر وبلاد الشام[2].

وانعكس اهتمام السلاطين المماليك بتجارة الكارم على ناحية أخرى مهمة ألا وهي نظام البريد، الذي كان في خدمة النظام الإداري وأداة مســـاعدة لاســـتقراره. وبما أنّ دولة المماليك ازدهرت بفضـــل دورها التجاري، لذا اهتم الســـلطان الظاهر بيبرس بتنظيم شـــبكة ضـــخمة من خطوط البريد، ليكون على علم بكل الأمور في أرجاء دولته[3]. فقد كانت الخزينة العامة تدفع سنوياً مبلغ عشرة آلاف دينار لتنفيذ أية إصلاحات تتطلبها الطرق البرية، ومن بينها أنّ يكون السفر آمناً وسهلاً، فأقام في تلك الطرق الخفراء لحفظ المسافرين والتجار[4].

2. جهود ســـلاطين المماليك في تأمين الطرق البحرية والتصـــدي لغارات القراصنة.

اهتم الســـلاطين المماليك بالأســـطول لحماية الطريق البحري ولتأمين تجارة الكارم[5].فأشرف بعضهم بأنفسهم على بناء السفن، فضلاً عن تعزيز الحاميات في

(1) قطيا: قرية في مصر قرب الفرما، على الطريق بين مصر وبلاد الشام من جهة ساحل البحر المتوسط في شبه جزيرة سيناء من ناحية الشمال الغربي، وقد وصفها البعض بـأنهـا في الطريق بين القنطرة والعريش. الحموي، معجم البلـدان، ج3، ص144؛ المقريزي، السلوك، ج1، 303؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص401؛ رمزي، محمد، القاموس الجغرافي للبلاد المصـرية، ج1، القاهرة-1953، ص351. ولا يمكن لأحد الجواز بين البلدين إلا منها. وهي مكان أخذ= =الضرائب من القادمين إلى مصر. البغدادي، مراصد الاضطلاع، ج3، ص1121؛ الدوادار، زبدة الفكرة، ج9، ص220.

(2) الصـــيرفي ، أنباء الهصـــر بأنباء العصـــر، تحقيق: حســـن حبشـــي، القاهرة-2002، ص217، ص220؛ عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ الاسكندرية وحضـارتها، القاهرة – 1963، ص302.

(3) القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج12، ص80؛ فييت، المواصـلات في مصـر، ص46، ص47؛ ســعداوي، نظير حســان، نظام البريد في الدولة الإســلامية، القاهرة-1958،ص124-126. حدث ذلك سنة 669هـــ/ 1235م، عندما وضع نظاماً لجميع أنحاء المملكة مرتبط بشبكة من الخطوط البرية، فأصبحت قلعة الجبـل مركزاً لخطوط البريد حتى كانت تخرج منها أربعة طرق بريدية يمتد احدها إلى قوص والأخر إلى عيذاب والثالث إلى الاسـكندرية والرابع إلى دمياط ومنها إلى غزة ومنه تتفرع ســائر خطوط البريد في بلاد الشـــام . القلقشـــندي، صـــبح الأعشـــى، ج14،ص373؛ فييت، المواصـــلات في مصـــر، ص44؛ حســـن، علي إبراهيم، تاريخ المماليك البحرية، ط3،القاهرة-1967،ص 324.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص372؛ سعداوي، نظام البريد، ص104؛ حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص322-329.

(5) زقلمة، أنور، المماليك في مصر، القاهرة-1930، ص138.

الموانئ مثل جدة وينبع والطور والســـويس وغيرها وبناء الأبراج للمراقبة وذلك منذ عهد السلطان برقوق[1]. ولا شك أنّ التقدم الذي شهدته مصر في القرن8هـــ/ 14م ، يرجع إلى اســتتباب الأمن الذي انعكس ايجابياً على طرق المواصـلات على اعتبار أنّ مصـر وقتذاك شـكلت حلقة الوصـل بين الشـرق والغرب. ففي تلك المدة كانت قوافل الكارم منظمة تنظيماً دقيقاً، وكانت تتم في أزمنة منتظمة[2].

من ناحية أخرى نراه يوطد علاقته بمصــادر هذه التجارة في جنوب البحر الأحمر مثل جزر دهلك والحبشـة وبلاد اليمن، ولعل في اسـتمرار تبادل الهدايا بينه وبين حكام هذه المناطق دليل جديد على حســن العلاقة بينهم وعلى اهتمامه بتجارة الكارم[3].

أمّا السـلطان برسـباي فقد حرص على تأمين وصـول قوافل الكارم من بلاد الحجاز خاصـة بعد أنّ أصبحت جدة المركز الرئيس لعمليات التبادل التجاري والنقل في السفن الهندية إلى سفن الكارم المصرية، بعد أنّ اضطر التجار إلى الابتعاد عن عدن بسبب سوء معاملة حكامها لهم[4].

بلغت عناية السـلطان برسـباي بتجارة الكارم، أنّ كلف أحد أمرائه في سـنة 826هـ/1423م ، بتطهير قناة الاسكندرية لتسهيل[5] مرور تجارة الكارم من رشيد إليها[6]. و أنّه أرسل حملة إلى ميناء عيذاب في سنة 831هـ/ 1427م، لكسر شوكة قبائل الكنز التي كانت تعيث فيها فساداً، ولخطورتها على تجار الكارم[7].

وتصمت المصـادر المملوكية عن جهود السلاطين المماليك في تأمين قوافل الكارم خاصــة بعد عهد الســلطان قايتباي وحتى نهاية دولة المماليك، ربما بســبب

---

(1) عطية، سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص225.

(2) ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية في السيرة الشريفة الملكية الاشرافية، نشر: سويديه، مدريد- 1902، ص55.

(3) ابن الفرات، تـاريخ أنّ الفرات، ج9، ص458؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤيــة، ج2، ص182، ص198؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص174، ص251؛ عبد السـيد، حكيم أمين، قيام الدولة المملوكية الثانية، القاهرة-1967، ص161.

(4) الفاســي، تقي الدين محمد بن احمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج1، تحقيق: محمد حامد الفقي، مصر-1986، ص175.

(5) قناة الاسكندرية: قناة قديمة وكثيراً ما كانت الرمال تطمرها، أُعيد حفرها عدة مرات في سنة 245هـــ/859م، في العصر العباسي وأيضا في سنة 259هـــ/872م، أيام الدولة الطولونية وفي ســنة 404هـــــ/ 1013م في عصــر الدولة الفاطمية، وفي ســنة 664هـ/1265م في العصر المملوكي زمن السلطان بيبرس البندقداري(708-709هـ/ 1309-1310م) . طوســون عمر، تـاريخ الاســكندرية القديم وترعة المحمودية، الاسكندرية-1942، ص28،ص29،ص46.

(6) العيني، عقد الجمـان، ج22، ورقـة 517 أ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص588.

(7) المقريزي، الخطط، ج1، ص172؛ سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص54.

انشغالهم برد أخطار القراصنة الذين كانوا يغيرون على السواحل المصرية وينهبون السفن ويأسرون التجار[1].

لم يقف اهتمام سلاطين المماليك على تأمين قوافل تجار الكارم، بل حرصوا على التصدي لغارات القراصنة الذين كانوا يهاجمون السفن في البحر المتوسط. فقد تعرضت الموانئ المصرية والشامية، والسفن التجارية إلى هجمات هؤلاء وعلى رأسهم فرسان الاستبارية[2] الذين هدفوا شل الحركة التجارية مع الموانئ المصرية والشامية وإتاحة الفرصة للأسطول البرتغالي لمهاجمة السفن الهندية المتجهة نحو البحر الأحمر، ومن ثم تشتت جهود المماليك ما بين البحر المتوسط والمحيط الهندي. من هنا نراهم يبذلون جهوداً مضاعفة ضد القراصنة الذين كان هدفهم القضاء على تجارة الكارم، مصدر ثروة دولة المماليك . وفي أحيان أخرى كانوا يدرؤون خطر الأعداء بالاشتباك معهم في عرض البحر قبل وصولهم للموانئ المصرية، ففي سنة 788 هـ/ 1376م، خرجت شواني[3] أمير رشيد للاشتباك مع عدد من المراكب الجنوية المهاجمة وعادت بالأسرى والغنائم[4].

وفي سنة 806هـ/1403م ، جمع حاكم جنوا قواته وقوات قبرص ورودس للتوجه نحو طرابلس ومهاجمتها، واستولت على مركب كارمي فيه بضائع بحوالي 200ألف دينار، ثم توجهت إلى بيروت واستولت على أحمال من التوابل ومواد تجارية أخرى تعود لتجار بنادقة بقيمة 10 آلاف دينار، وأحرقت السوق القريبة من الميناء، فحاربهم نائب دمشق وهزمهم[5].

وقام السلطان برسباي بإرسال عدة حملات إلى قبرص ابتداءاً من سنة 827هـ/ 1424م، حتى سنة 829هـ/ 1426م، بسبب أعمال القرصنة التي قام بها القبارصة في البحر المتوسط. وقد عادت آخر هذه الحملات في سنة 829ه/

(1) Piloti , L’Eygpte and Commencement du quinzinc Siecle dapres letraled. Emmanuel Pilpti de Cret (Incipit 1420) ara une introduction et des notes, caire-1939. , P. 85-93.

(2) الاستبارية: الكلمة تحريف للفظ الإفرنجي Hospitaller أطلق في الحروب الصليبية على طائفة من الفرسان الدينيين. كان نظامهم أول الأمر، ديني عسكري، أنشئت في بيت المقدس في القرن 5هـ/12م، ويسميهم المسلمون خدم بيت الله، عرفوا طوال حياتهم بعدائهم للإسلام، وارتكاب المجازر، ويذكر إنها أسست من أجل القيام بالحرب المقدسة ضد المسلمين. المقريزي، السلوك، ج1، ص68ن حاشية(4)؛ التكريتي، محمود ياسين احمد، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة ،بغداد –1981، ص266،ص268.

(3) الشواني: سفن حربية كبيرة بها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم يعلوها جند مسلح بالسهام والأقواس وفي أسفلها ملاحون وبها مجاذيف قد تصل إلى 140 مجذافاً. عاشور، العصر المماليكي، ص290؛ البيومي، إسماعيل، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، مصر-1998،ص398.

(4) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص22؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص19-ص22.

(5) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص629-630، العيني، عقد الجمان، ج25، ورقة 196-197أ.

1426م، بملك قبرص وغنائم وأسرى[1]، ونتيجة لوساطة الفرنج تم إطلاق سراحه مقابل فدية مع تعهده بعدم إيواء القراصــنة[2].ولم يبق أمام السـلطان برســباي إلاّ جزيرة رودس أملاً في القضاء على آخر معاقل القراصنة في شرق البحر المتوسط ، وضـــمان أمن موانئ تجارة الكارم[3]، ومع أنّه ســـير ثلاث حملات ضـــدها في السنوات 844هـ/ 1440م، 847هـ/ 1443م ، 848هـ/ 1444م، لكنه لم يستطع إخضاعها بسبب مساعدة أسبانيا لها[4].

(1) المقريزي ،الســلوك ،ج3،ص362-ص363؛ العيني ،عقد الجمـان ،ج 25،ورقـة 572،573أ،الظاهري ،زبدة كشـف الممالك ،ص 138. بلغت قيمة الأموال التي غنمتها الحملة 18 ألف دينار من بيع الأســرى،و1000 دينار غنائم فضـــية و 500 دينار ثمن الحديد و200 دينار قيمة عدة أنواع من الأقمشـــة. المقريزي الســلوك، ج3، ص368؛ العيني، عقد الجمان، ج25، ورقة 577أ.

(2) المقريزي، الســـلوك، ج3، ص437؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص617،ص618.

(3) الســـيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، غزوات قبرص ورودس، جزء من كتاب السيوطي المسمى بكتاب تاريخ الأشراف قايتباي ا لمحمودي الظاهري، فينا- 1884، ص340.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص112؛ الســخاوي، التبر المســبوك في ذيل السلوك، مصر-1896، ص87- ص89.

وفي سـنـة 855هــــ/1451م، هاجمت سـفن أراغونية صـور ونـهبوه، لكن أميرهـا هزمهم[1]. ولم تتوقف غـارات القراصـــنــة، و لم تتوقف جهود الممـاليك للتصدي لها فقد ظلت حتى سنة 917هـــ/1511م، عندما دخل القاهرة زهاء مائتين من أسـرى الفرنج، كان قد تم أسـرهم وهم يغيرون على البرلس[2] ويهددون تجارة الكارم[3].

من ناحية أخرى فقد تصـدى المماليك لغارات القراصـنـة، بطريقة أخرى. فقد نصت معاهدات الصلح التي عقدت بين مصر والدول الأجنبية على مطاردة القراصنة وعدم السـماح لهم بالتموين. ففي سـنـة 669هــــ/ 1270م، نجح السـلطان الظاهر بيبرس في إقناع البنادقة بعدم اشـتـراكهم في الحملة التي قادها لويس التاسـع ملك فرنسا (669-623هــــ/1226-1270م) مقابل الامتيازات التجارية في مصر، وجاء ذلك عن طريق معاهدة الصلح المعقودة بين الطرفين، وبسببها اتهمت البندقية بأنّها حليفة للمسلمين[4]. وفي سنة 767هـــ/ 1365م، قام القبارصة بالهجوم على ميناء الاسـكندرية[5] وأسـروا عدد من تجار الكارم فما كان من السـلطان شـعبان إلاّ أنّ هاجم قبرص، ممّا اضطر ملكها إلى طلب الصلح معه [6]، في سنة 768هـ/1366م، وبناءاً عليه أطلق ملك قبرص سـراح التجار المسـلمين[7]، لكنه رفض طلب ملكها بإعفاء القبارصة من الضرائب[8]، ويبدو أنّ الدافع من وراء قبول السلطان شعبان الصلح هو رغبته في إنهاء تعرض الموانئ المصرية والشامية لهجمات القراصنة،

---

(1) أنّ تغري بردي، حوادث الدهور ، ،ج1، ، ص127، ص128.

(2) البرلس: أحد الثغور المصـرية القديمة الواقعة على شـاطئ البحر المتوسـط بين دمياط ورشيد واليها تنسب بحيرة البرلس الواقعة في شمال المدينة، ويطلق اسم البرلس على المنطقة السـاحلية الممتدة بين البحر المتوسـط وبين بحيرة البرلس. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص248.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص220.

(4) Harold, L. The Crusades the flam of Islam, London-1931, P.346.

(5) النويري، محمد بن قاسـم بن محمد الاسـكندري، الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الاسكندرية، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 449 تاريخ ؛ ج2، ورقة 382-383أ.

(6) حبشـي، حسـن، هجوم القبارصـة على الاسـكندرية، المجلة التاريخية المصـرية، م15، 1969، ص1-ص35.

(7) إبراهيم، احمد عبد الفتاح، قبرص لؤلؤة شـــرق البحر المتوسـط، القاهرة- 1961، ص24-26.

(8) خلف الله، العلاقات بين الخلافة العباسية والمشرق، ص226.

الذي نتج عنه كساد بضائع الكارم وتكدسها في الاهراء[1] في موانئ الدولة، نتيجة لتوقف التعامل مع التجار الأجانب[2].

من ناحية أخرى طبق المماليك مبدأ المســؤولية الجماعية إزاء التجار الأجانب وقناصـلهم المقيمين بمصـر، وذلك عن طريق تحديد مدة، إقامتهم والتحفظ على أموالهم وبضائعهم والقبض عليهم وعلى سفنهم في بعض الأحيان إلى أنّ تتم تســوية المشــكلة، فقد كانت هذه الدول تســعى بأموالها وتجارتها وقناصــلها إلى أسواق مصر وبلاد الشام حرصاً على المكاسب التي كانت تجنيها من وراء الاتجار معهما[3].

فالسلطان الظاهر ططر (824هـــ/ 1421م) أصدر مرسوماً في السنة نفسها التي تولى فيها الســـلطنة حدد بمقتضـــاها مدة أقامة جميع طوائف الفرنج بأربعة أشـــهر، وهي المدة التي يفترض أنّها كافية لإنهاء عملياتهم التجارية[4]. وكان الهدف من هذا الإجراء أيضـــاً تجنب الأخطار التي قد تنجم عن أي اتفاق لهم مع القراصنة، فقد كانوا أحياناً يمدّونهم بالمعلومات عن استعدادات السلطنة لمواجهة غاراتهم أو مواعيد وصول سفن الكارم ومغادرتها[5]. بيدَ أنّ هذا التحديد لم يستمر طويلاً، إذ سـرعان ما ألغى السـلطان برسـباي هذا المرسـوم في سـنة 825هــــ/ 1422م، حرصـاً على المصـالح التجارية المتبادلة وأتبع ذلك بإصـدار أوامره لإقرار جميع الامتيازات التي منحت للبندقية بمقتضى المعاهدة التي عقدها السلطان المؤيد شيخ سنة 818هـ/1415م[6].

إلاّ أنّ اســتمرار الهجمات على الموانئ المصــرية والشــامية جعلت الســلطان جقمق في سنة 840هـــ/ 1436م، يعيد العمل بمرسوم السلطان ططر بعدم السماح للتجار الفرنج البقاء في دمشق أو الاسكندرية أكثر من ستة أشهر، ولقناصلهم فيها أكثر من سنة حفاظاً على أمن البلاد من التآمر[7].

وفي أحيـان أخرَ، كـانـت الـدولـة تعمـد إلى حجز التجـار وأموالهم في حـالـة الإخلال بالوضـع العام. ففي سـنـة 790هــــ/ 1388م، هاجم الجنويون سـفناً لبعض تجار الكارم قادمة من بلاد الشام تحمل معها أخت السلطان وابنة عمه ، عندها أمر

(1) الاهراء: الأماكن التي تخزن فيها الغلال والاتبان الخاصـة بالسـلطان، وكانت لا تفتح ألا عند الضــرورة وفيها أكياس أو شــون توضــع بها ما يســتهلك طول الســنة من الغلال والاحطاب والاتبان وما شــابه ذلك. الظاهري، زبدة كشــف المالك، ص122-ص123؛ الدوادار، زبدة الفكرة، ج9، ص274.

(2) سالم،تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص328.

(3) Makhairas, Recital Concerning , the Sweet Land of Cyprus, Edit, By R.M. Daw Kins, Oxford – 1983. T.1, P.195, 289, 291.

(4) Heyd, T.,Historire du Commerce du Leavant a Moyen Age T.2, Leipzig – 1925 p.473.

(5) دراج، احمد، المماليك والفرنج، القاهرة –1961، ص28.

(6) De Lannoy , Ouvres de G.De Lannoy, Bublies Par Potrin Louvin –1878, P. 110.

(7) حسن، مصرفي العصور الوسطى، ص342.

السلطان المملوكي بالقبض على تجار الفرنج بجميع البلاد الساحلية والتحرز على أموالهم، ويحدثنا ابن الفرات ((بأنّه رأى نائب السلطنة[1] وحاشيته يقبضون على من بميناء الاسكندرية من الفرنج وأنّهم ختموا حواصلهم وتسلموا أمتعتهم ومتعلقاتهم وكل ما كان لهم))[2].

وبسبب اعتداءاتهم المتكررة على التجار المسلمين فرض السلطان المؤيد شيخ على التجار الأرغوانيين المقيمين في مصر و بلاد الشام دفع مبلغ قدره 30 ألف افرنتي[3] في سنة 818هـ/ 1415م، عندها سرب القنصل الأرغواني هذه المعلومة لمواطنيه طالباً منهم الإسراع بمغادرة البلاد، لكن السلطات المملوكية اكتشفت هذه المحاولة، فاستولت على أموال الأراغوانيين وبضائعهم، وهذا ما دفع القراصنة الأراغوانيين إلى مهاجمة مراكب الكارم في الموانئ المصرية والشامية، الأمر الذي أدى إلى قطع العلاقات بين مصر واراغون في سنة 820هـ/1418م[4].

وقام السلطان برسباي في سنة 825هـ/ 1422م، بطرد جميع الأجانب ومصادرة أموالهم [5]،عندها هاجم الأسبان الاسكندرية وأخذوا مركباً كارمياً فيه بضائع بقيمة 100 ألف دينار[6]. وعاد الأسبان مرة أخرى سنة 827 هـ/ 1424م، إلى الاستيلاء على مركبين لتجار الكارم قرب دمياط فيها بضائع لمائة تاجر. فأمر

---

(1) نائب السلطنة: من اكبر الوظائف في الدولة المملوكية، وهو في الترتيب الوظيفي للدولة الرجل الثاني بعد السلطان ولذلك عرفته المصادر بأنه السلطان الثاني أو سلطان مختصر أو ملك الأمراء أو الكافل أو كافل المماليك الشريفة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص16، ص17؛ المقريزي، السلوك،ج1، ص215؛= =المقريزي، الخطط، ج2، ص213،ص214. ويقوم متوليها مقام السلطان في غيبته في عامة أموره أو اغلبها، بل له الحق في استخدام الجند دون مشاورة السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص17؛ العيني، عقد الجمان، ص53. وكانت نيابة السلطنة نوعين فهناك النائب الكافل أو نائب الحضرة الذي ينوب عن السلطان أثناء وجوده وإقامته في مصر، وهناك نائب الغيبة وهو اقل درجة وينوب عن السلطان أثناء غيبته فقط، في حالة الحرب أو الحج وغير ذلك. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص453؛ العيني، عقد الجمان، ص57، ص138؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب تقي الدين، معيد النعم ومبيد النقم، ط1، بيروت- 1986، ص21 ؛ عاشور،سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط3،القاهرة-1994، ص366.

(2) تاريخ ابن الفرات، ج9، ص33، ص38، ص50.

(3) الافرنتي: عملة ذهبية، ضربت في مدينة البندقية سنة 683هـ/ 1284م، وسميت بالدنانير الافرنتية، ثم أطلق عليها دوكات أو دوقات بينما عرفت في الشرق باسم بندقي، وتسمى أيضا المشخصة بسبب الصور المنقوشة عليها، وهي جيدة العيار وزنها 3.45 غرام تداولت بالعدد وليس بالوزن. القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج3، ص44؛ بلوك، مارك، مشكلة الذهب في العصر الوسيط، ترجمة : توفيق اسكندر، مقال في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي، القاهرة – 1961، ص5،ص6.

(4) Piloti , Op.Cit. , T.2, P.113.

(5) Darragea,A L'Egypte Sous Le Regue Barsbay Damas-1961, P.300.

(6) المقريزي، السلوك، ج3، ص352؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص561.

السـلطان بالتحفظ على أموال التجار الأجانب في الاسـكندرية ودمياط وبلاد الشـام ومنعهم من السـفر إلى بلادهم حتى يُردّ ما أخذ من تجار الكارم[(1)]. كما ألقي القبض على عدد من التجار الفرنج وصـودرت أموالهم ومتاجرهم، بأمر من السـلطان قايتباي، ثم ألزمهم بالاتصال بملوكهم ليطلقوا سراح الكارم المحتجزين لديهم الذين كان من بينهم تاجر السلطان التاجر الكارمي ابن عليبة، فأطلق سراحهم وعادوا إلى الاسـكندرية في سـنة 880هـ/ 1475م[(2)]. وقد أثبتت هذه الطريقة فاعليتها؛ لأنّ التجار الأجانب كانوا يضغطون على دولهم للتدخل لمنع هذه القرصنة[(3)].

أمّا عن نظام الدفاعات البحرية في الموانئ ضـد غارات العدو. فكان يوجد عند مدخل كل ميناء برجان تشدّ بينهما سلسلة ثقيلة من الحديد[(4)]، حتى لا تستطيع المراكب الدخول بغير إذن[(5)]. كذلك أقيمت الأسـوار الداخلية المزدوجة والأبواب المحكمة التي تبلغ ثلاثة أبواب[(6)]، الواحد وراء الآخر و في الاسـكندرية. وحفروا الخنادق التي تملأ بمياه البحر ، وكذلك القلاع التي تزود بالمكاحل[(7)]، والمدافع[(8)]. واهتموا بتعمير الأبراج خاصـة بعد هجوم الفرنج على دمياط، فقد عمر السـلطان برقوق في دمياط في سنة 768هـ/ 1384م[(9)]. وبنى برسباي عند ميناء الطينة[(10)] برجاً للمراقبة ,وجعل فيها حامية فكان القراصـنة يهاجمون ميناء الطينة وينهبون تجار الكارم أثناء مرورهم من قطيا إلى العريش، وبنى برج السرايا في طرابلس[(11)]. وأمر ببنـاء المراقـب على البحر[(12)] وعين لهـا موظفـاً مختصـاً هو مراقـب السـواحل[(13)]. وكانوا يعمدون إلى إجراء المناورات لمنع قرصـنة العدو في البحر، ويستخدمون مختلف الأساليب في الخدع كطلاء المراكب بلون سفن العدو، أو رفع

---

(1) المقريزي، السـلوك،ج3، ص362، ص410، ص417، ج6 ص578،ص579؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص288، ص299 .

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص162؛ ابن إيـاس، بـدائع الزهور، ج4، ص162.

(3) Weit G., LEgypt arab, , Histoire de la nation Egyptienne dirige Par Gabriel Hanatean, Paris- 1937, P.553.

(4) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص35.

(5) الأشقر،محمد عبد الغني،الملحمة المصرية في عصر المماليك الجراكسة،ط1،القاهرة-2002، ص96

(6) الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص39.

(4) المكاحل: آلة حربية تقذف كرات توضع فيها النفط، ويسمى الشخص الذي يرمي بها المكحل. ابن زنبل ، الشيخ أحمدا لرمال، آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سـليم العثماني،ط2،تحقيق:عبد المنعم عامر،تقديم:عبد الرحمن عبد الله الشـيخ، القاهرة-1998 ،ص308؛ عاشور، العصر المماليكي، ص475.

(8) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص9، ص25.

(9) ابن دقماق، الجوهر الثمين في سـير الملوك والسـلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، ج2، بيروت-1985، ص200.

(10) الطينة: بلدة بين تنيس والفرما، بالوجه البحري . عاشـور، سـعيد عبد الفتاح، قبرص والحروب الصليبية، القاهرة-1957، ص100؛ الأشقر، الملحمة المصرية، ص110.

(11) المقريزي، السلوك، ج3، ص365، 366.

(12) ن.م، ج1، ص246.

(13) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص567، ص585.

الصلبان عليها لتشبه سفن الفرنجة[1]. وكان أسطول المماليك شديد البأس واليقظة في الدفاع عن سلامة السواحل، فكان يقوم بدوريات منظمة لمنع القرصنة[2].وأشرف السلاطين بأنفسهم على بناء السفن الحربية كالسلطان برسباي الذي أشرف على بناء السفن الحربية في بولاق[3]. وحرصهم الشديد في الحصول على الأخشاب اللازمة رغم قرارات المنع[4].

وكان للمماليك جهود في تعزيز الحاميات في الموانئ للدفاع عنها في حالة هجوم القراصنة عليها. فقد أمر السلطان برقوق بتعزيز حامية الاسكندرية للدفاع عنها، وخاصة بعد أنّ هاجم الفرنج ميناءي الطينة ودمياط في سنة 785هـ/1383م ، تحسباً من هجومهم على الاسكندرية[5]. وأمر برسباي بتعزيز الحاميات في دمياط ورشيد والإسكندرية[6]، وقد واجهت هذه الحاميات حملة ملك أراغون على الاسكندرية سنة 832هـ/ 1429م، واضطرته للانسحاب[7].

وإنّ هذا يعني أنّه نتيجة لجهود المماليك في تأمين قوافل الكارم والتصدي لغارات القراصنة والإجراءات التي اتخذوها للحد منها، أنّ نشطت تجارة الكارم، إذ يعد يوم وصول قوافلهم من الأحداث المهمة في مصر تؤرخ به الأمور الخاصة باعتبارهم كانوا يصلون في مواسم معينة من السنة[8].

ثانيا. إبرام المعاهدات التجارية لتنسيق التعامل بين تجار الكارم والتجار الأجانب

دفع حرص الدولة المملوكية على تشجيع تجارة الكارم، أنّ قدموا تسهيلات للتجار الأوربيين، الذين قدر عددهم في الاسكندرية في أوائل القرن 8هـ/14م، بثلاثة آلاف فضلاً عن الوافدين من الحبشة وأرمينية وغيرها من البلاد، إذ اختار هؤلاء الإقامة في المدن التجارية والموانئ على ساحل البحر المتوسط كالإسكندرية ودمياط[9].

وتجدر الإشارة هنا أنّه كانت للمماليك صلات تجارية طيبة مع الدول الأوربية، فعملوا على إنمائها، بإبرام المعاهدات التجارية، وكانت هذه الرغبة مشتركة بين الطرفين. نظمت هذه المعاهدات طريقة التعامل بينهما، وتضمنت

(1) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص39.
(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص217.
(3) الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص228.
(4) عبد النبي، ناجلا محمد، مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ط1، القاهرة-2001، ص135.
(5) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص199؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص7-ص10.
(6) المقريزي، السلوك، ج3 ، ص365، ص366؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6، ص567-ص585؛ الصيرفي، نزهة النفوس ، ج2 ، ص228.
(7) المقريزي، السلوك، ج3، ص392، ص366؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص465-ص466؛ العيني، عقد الجمان ، ج25 ، ورقة 644ب؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6، ص644.
(8) Fischel , The Spice Tread , P.163
(9) البلوي، أحمد بن علي، رحلة البلوي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 400 جغرافيا، ورقة 54أ ؛ عاشور، المجتمع المصري، ص55.

الحقوق والامتيازات الممنوحة للتجار الأجانب في مصــــر. وكان أحد أهم الدوافع وراء عقد هذه المعاهدات، المشاكل التي واجهت التجار الأجانب في مصر، ممّا دفع الدول الأجنبية إلى إرســال السـفراء من حين لآخر لعقد المعاهدات التي كانت تُوجد حلولاً لهذه المشــاكل. مثل حق الإقامة والمتاجرة، وحق النظر في القضــايا وأموال المتوفين والضــرائب، و تضـمنت بعض الامتيازات الممنوحة لبعض الدول الأجنبية كالإعفاءات الضـريبية أو تخفيضـها[1]. ويمكن الإشـارة هنا الى أنّ هذه المعاهدات كانت أحيانا تتم بطلب من مصـــر وأحياناً أخرى بطلب من الدول الأجنبية بحســـب طبيعة الظروف التي كانت تدفع بأي طرف لعقد معاهدة مع الطرف الأخر.

عقد الســـلاطين المماليك معاهدات مع بعض المدن العربية التي كانت تحت سيطرة الصليبيين مثل بيروت وعكا وصور، والملاحظ أنّ كل هذه المعاهدات كانت في سنة 690هـــ/1291م، أي قبل سقوط عكا على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (689-693هـ/ 1290-1293م) [2].

أمّا مع الدول الأجنبية، فقد عقد معهم ســلاطين المماليك عدة معاهدات، منذ سنة 649هـــ/ 1251م، حين وقع السلطان المعز أيبك (648-655هـــ/ 1250-1257م) معاهدة تجارية مع ملك فرنسا، نصت على أنّ يكون لفرنسا قنصل دائم في الاسكندرية[3]. وفي سـنة 861هــــ/1456م، عقد السـلطان أينال مع ملك فرنســا، معاهدة نصـت على أنّ تسـتأنف شـركة جاك كير[4] الفرنسـية للتجارة الشـرقية نشــاطها، وقد حملت سـفن الشـركة إلى مصـر وبلاد الشــام الأصـواف والمعادن والحرير ، وعـادت بـالتوابـل والبهـار والجواهر والعـاج والعقـاقير[5]. و عقـدت معاهدات أخرى مع السلطان قايتباي في سنة 877هـــ/ 1472م، نصت على حسن معاملة التجار الفرنسيين، وعلى عدم تشدد السلطات المملوكية معهم[6].

أمّا فلورنســا، فقد ســارعت إلى عقد معاهدة مع الســلطان أينال في ســنة 865هــ/1460م، للحصول على امتيازات لها في الموانئ المملوكية، وتضمنت حق إعفاء سـفنها من الضــرائب، إذا حملت ســلعاً لبلاد أخرى ولم تفرغها في الموانئ

---

(1) عبد المنعم، طومان باي، ص73.

(2) ينظر: ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص34-42، ص103-110، ص204،ص209؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص11،ص12؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص229-231، ص262؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج14،ص73، ص74؛ سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص144؛ حســن، محمد عبد الغني، المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب، القاهرة – 1966، ص11.

(3) سرهنك، إسماعيل، حقائق الأخبار في دول البحار، ج3، القاهرة- 1923، ص90.

(4) جاك كير : أحد ابناء مدينة بورج Bourges بوسط فرنسا، كان والدة حرفياً ماهراً، إلا أنّ الابن عمل في مجال التجارة وكون ثروة طائلة من الاتجار مع مسلمي المشرق، ونقل أفواج الحجاج المسيحيين الى الأراضي المقدسة ، مستغلاً نفوذه في الدولة في زيادة ثروته، وصار من مشاهير فرنسا، فأمتلك مصانع للنسيج فيها ، وأشترى أرضي النبلاء الذين زالت ثرواتهم وأفتقروا، وقامت الحكومة الفرنسية بأرساله في سفارات دبلوماسية . عبد النبي ، مصر والبندقية ، ص91.

(5) Hayd , Op. Cit., T.2, P. 713-714.

(6) عبد المنعم ، ماجد، وثيقة عربية نادرة من أرشـــيف البندقية ، مجلة المؤرخ العربي ، م21، ع3، 1995، ص311-316.

المملوكية، ويعتبر هذا أول إعفاء من نوعه إذ كانت الســلطات المملوكية تحصـــل ضــرائب مرور على مثل هذه الســلع.وقد حرص الســلطان قايتباي على التعامل مع فلورنسا أيضا فأبرم معهم معاهدة في سنة 894هـــ/ 1488م، نصت على أنّ عقود البيع المبرمـة بين التجـار الفلورنســيين وتجـار الكـارم نـهـائيـة وملزمـة للطرفين، وتنظيم التبادل بنظام المقايضة ومسألة التوريث في حالة وفاة أحدهم في مصر[1]. ومنع غش التوابل وغيرها[2].

وجددت معاهدة سنة 902هــ/ 1496م، مع فلورنسا بإبرام عقود البيع بين الطرفين، وإنّ اســتلام البائع عربونـاً يُعد بمثابة عقداً ابتدائياً غير قابل للرجوع فيه[3].

وفي سنة 912هـــ/ 1506م، وصل المبعوث الفلورنسي إلى القاهرة للقاء الســلطان الغوري بهدف الحصــول على امتيازات لمواطنيه من التجار، وكان القلق قد بدأ يصيب فلورنسا لقلة ما في أسواق مصر من توابل بسبب نشاط البرتغاليين في الهند ومحاولتهم القضـــاء على تجارة الكارم. وفيها أكد الســـلطان على رعايته لتجار فلورنسـا، طالباً من السفير أنّ يبلغ دولته بوصول سلع الكارم، وأنّه لاصحة لما يشــاع عن قصــور تجاره في جلبها من مناشــئها في المحيط الهندي، و أصــدر مرســـوماً لموظفي الموانئ المملوكية بمنح الأمان للتجار الفلورنســـيين ورعاية مصالحهم [4].

أمّا عن أراغون، فقد أسـرع ملكها بعد سـقوط عكا، وحرصـاً على مصــالحه التجارية[5] في مصر وبلاد الشام إلى عقد معاهدة باسم أراغوان وقشتالة في سنة 691هـ/1291م مع سلطان مصر الأشرف خليل بن قلاوون(689-693هـ/1290 - 1293 م)، نصــت على رد أموال أي تاجر متوفي عند الطرف الأخر لبلده، وإرســال الحديد والخشـــب إلى مصـــر. وان يقوم تجار كلا الطرفين بتســـديد ما عليهم من ضــرائب ولا تزاد عليها[6]. وفي المدّة ما بين 700-729هـــ/ 1300-1328م، تم تبادل الســفراء والرســائل مع مصـر بخصــوص حماية التجار في كلا البلدين أثناء ذهابهم وإيابهم[7].

---

(1) Heyd,Op. Cit., T.2 , P.361.

(2) فقد حدث أنّ أشتكى بعض التجار الأجانب في سنة 887 هـ/ 1482م، من حالات غش التوابل فما كان من الســـلطان قايتباي إلا أنّ أصـــدر أمراً بمنع غشـــها . زكي، طرق التجارة، ص374.

(3) Heyd, Op. Cit., T.2 , P.459.

(4) ومن الجدير بالذكر أنّ القاهرة كانت تسـتقبل سـنوياً سـفيراً فلورنسـياً لتأكيد العلاقات وتجديد الامتيازات الممنوحة لتجارها. زكي، طرق التجارة، ص8 7،ص88.

(5) صـبرة، عفاف سـيد محمد، علاقة البندقية بمصـر وبلاد الشـام من بداية القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة- كلية الآداب- 1977، ص61.

(6) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة 324، 325أ؛ عنان، محمد عبد الله، مصـر الإسـلامية، تاريخ الخطط المصرية، القاهرة- 1969، ص169-ص172.

(7) بلغ عدد هذه السـفارات ثمانية. ينظر: عنان، مصـر الإسـلامية، ص171-176؛ أحمد، شفيق جاسر، دولة المماليك البحرية، مجلة الدارة، ع4، 1411هـــ، ص189-219. و عقدت مصـــر واراغون معاهدات أخرى نظمت العلاقات= التجارية بينهما منذ ســـنة

أمّا بالنسبة للمدن الايطالية، فقد حرص السلطان بيبرس على إثارة المنافسة بينها بمنحها امتيازات أكثر ممّا أدى إلى نشــاط تجارتهم مع تجار الكارم في مصـر وبلاد الشام[1]. فعقد معاهدة مع صقلية في سنة 662هـ/1263م، نصت على ضمان الأمن لتجار الكارم ومراكبهم والســماح للتجار الأوربيين بجلب ما يلزم مصـــر من المواد الحربية[2].

وأصدر السلطان المنصور قلاوون في سنة 689هـــ/ 1290م، أماناً لتجار المدن الايطالية، نص على ((إنّ أرواحهم وأموالهم ومتاجرهم تحت رعايته ولا يؤخذ منهم غير المقرر فقط ولاشـــيء غير ذلك)) [3]. وفي الســـنة نفســـها جدد المعاهدة التي كان السلطان الظاهر بيبرس قد أبرمها مع صقليه في سنة 662هـــ/ 1263م[4].

أمّا جنوا، فقد سعى السلطان قلاوون إلى عقد معاهدة معها، نصت على عدم التعرض لتجار الكارم الذين يســافرون على المراكب الجنوية أو حتى سـفناً معادية لجنوا، وألاّ يطالبون بدين ولا بدم، ما لم يكن هناك ضـماناً أو كفيلاً[5]. وتحت ضـغط تجارها الذين تعرضـوا لانتقام السـلطات المملوكية بسـبب قراصـنة جنوا، اضـطرت جنوا إلى عقد معاهدة مع السلطان فرج بن برقوق(815-801هـ/ 1399-1412م) نصـــت على أنّ يدفع الجنوية تعويضـــاً وقدره ثلاثة آلاف افرنتي في مقابل تأمين رعاياهم من التجار في مصر[6].

أمّا البندقية، التي حظيت باهتمام الســلاطين المماليك، فقد كتب الســلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة690هـــ/1291م, أماناً للتجار البنادقة بأن يترددوا على الموانئ الإسـلامية، آمنين وذلك بعد تعويض تجار الكارم الذين لحقهم الضـرر

817-906هـ/ 414-1501م . ولمزيد من المعلومات عن هذه المعاهدات ينظر: مكي، معاهدة تجارية، ص85؛
Depping, G.B, Histoire du Commerce entre le Ievant et L'Europe, Paris-1910, T.1, P., 112, 128-130,242; Heyd, Op. Cit., T.2, P.474. ؛ عاشـــور، الظاهر بيبرس، ص69؛ ســـرور، دولة الظاهر بيبرس، ص75.

(1) أحمد، أحمد رمضـان، المجتمع الإسـلامي في بلاد الشـام في عصـر الحروب الصـليبية، القاهرة- 1977، 318.

(2) ابن عبد الظاهر، شريف الأيام، ص162،156؛ المقريزي، السلوك،ج1، ص513.

(3) Heyd , Op. Cit., T.2, P.40.

(4) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص156،ص162؛ المقريزي، السلوك،ج1، ص513؛ ســعداوي، نظير أحســان، الحرب والســلام زمن العدوان الصــليبي، القاهرة- 1961، ص144.

(5) ابن عبد الظاهر، تشـــريف الأيام، ص167،165؛ ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية، ص54،ص55؛ الكسـباني، مصـطفى حسـين محمد، العلاقات بين جنوا والشـرق الأدنى الإسلامي، القاهر ة، ص302 .

(6) يذكر بيلوتي ، أنه منذ ذلك الوقت فقد الجنوية الشـرف والشـــهرة، وفي كل مرة تحدث خسارة من هجوم قراصنة جنوا، فأن تجارها يوضعون في السجن .
L'Egypte au Commencement , P. 95.

بسبب تعرض البنادقة لأحد مراكبهم(1).وفي عام 865هـــ/ 1460م ، عقد السلطان أينال مع البنادقة معاهدة أخرى نصت على تمكينهم من شراء ما يلزمهم من سلع الكارم مقابل إمداد المماليك بالأخشاب والمواد الحربية، وأوصى السلطان بمراعاة مصـــالح التجار البنادقة(2). وتعتبر المعاهدة التي أبرمت بين الســـلطان الغوري والسفير البندقي في سنة 918هـــ/ 1512م ، في مصر من أهم المعاهدات التي عقدت بينهما وآخرها، وهي التي تعرف بالمعاهدة الشاملة, إذ نصت على منح مزيد من المرونة للطرفين في تحديد أسعار التوابل(3)، ونصت على تشديد السلطان على عماله بمراعاة راحة التجار البنادقة(4). ومع أنّ تجارة الكارم ازدهرت بفضـــل هذه المعاهدات التجارية التي عقدها ســـلاطين المماليك مع الدول الأجنبية(5)، ولكن القصور كان ينتاب سير العمليات التجارية بين تجار الكارم والأجانب مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ التوابل، ولا سيما الفلفل، شكلت أهم المواد المتاجر بها بين الطرفين.
ويمكن الآن إيجاز أهم هذه العقبات التي اعترضت تطبيق تلك المعاهدات بالاتي:

أولا . كثيراً ما كان يحدث أنّ يتراجع التاجر الكارمي عن الصـــفقة التي تمت بينه وبين التاجر الأجنبي بسبب عدم تمكن الأخير من تصريف بضاعته وحرصاً من التاجر الكارمي على عدم بقائها كرأس مال عاطل، لذلك كان يفضـــل التراجع عن الصفقة ورد البيع مقابل استرداد الثمن.

ثانيا. إنّ ســـعر التوابل بالنقد كان أقل من ســـعر التوابل بالمقايضـــة لكلا الطرفين، لذلك كان يحدث في بعض الأحيان أنّ يرفض الكارمي اســـتلام البضـــاعة المقايض عليها ويطلب الثمن نقداً على أساس السعر المرتفع لبضاعة من دون السلع الأخرى موضوع المقايضة بغرض الانتفاع بفرق السعر .

ثالثاً . كان التاجر الكارمي يمتنع أحيانا عن استلام بضائعه بعد الاتفاق على شرائها من التاجر الأجنبي لطول المدة التي يســـتغرقها في التســـليم وما كان يحدث أثناء هذه المدة من سرقات؛ لذا كان التاجر الكارمي يخشى على بضاعته،

(1) لم يقتصـــر هذا الأمان على البنادقة فقط، بل شـــمل الجنوية الأســـبان أيضـــا. ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية، ص44،ص45؛ سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص144.

(4) وقد كانت لهذه الدولة معاهدات أخرى مع مصـــر. ينظر: الحفناوي،مصـــطفى،قناة الســـويس ومشـــكلاتها المعاصـــرة ،القاهرة -1952 ،ص 25،زكي ،طرق التجارة، ص373؛ أمين ،محمد محمد، معاهدات تجارية بين مصر والبندقية في عصر السلطان المؤيد شيخ، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة- 1985،ص313 ؛ ؛ Heyd, Op. Cit., T.2, P. 460, 461, 481.
. Depping , Op.Cit., , T.2, P. 218.

(4) زكي، طرق التجارة، ص407، 408.

(5) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص103 – ص110.

(5) سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص145؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر معبراً للثقافة الإسلامية في حوض البحر المتوسط في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، ص291.

وذلك على العكس من التاجر الأجنبي الذي كانت بضـــاعته تعد بمثابة أمانة لدى السلطات المختصة.

رابعا. كثيراً ما كان يقع الخلاف بين الكارمي والأجنبي حول الســلع المباعة من حيث نوعها وجودتها. إلى غير ذلك من المواصـــفات الخاصـــة بالســـلع المعروفة لدى التجار.

خامسا. في أحيان أخر كان التاجر الأجنبي يبتاع توابل وسلعاً ويقوم بسداد ثمنها ثم يتركها أمانـة لـدى التـاجر الـذي ابتـاعها منـه على الـذمـة، فيقوم الأخير بالتصرف فيها وبيعها ثانية لتاجر آخر.

ســادســاً . وفي أحيان أخرى كان التاجر الكارمي يمتنع عن تسـليم التاجر الأجنبي التوابل التي تم التعاقد عليها والعدول عن الصـــفقة مع إعادة العربون المدفوع إليه[(1)].

بعد هذا يمكن القول إنّ تجار الكارم كانوا يستفيدون من جميع الظروف لكونهم في وطنهم، ممّا تطلب أحياناً تدخل الدولة لحماية التجار الأجانب ورعاية مصـــالحهم، واســـتجابة لرغبات الدولة الصـــديقة . ومن ثم فقد نصـــت الشـــروط العامة في المعاهدات التجارية التي عقدت بين الدولة المملوكية والدول الأجنبية على ضرورة حماية بضـائعهم ومتاجرهم وأموالهم ومراكبهم، وتضـمنت أيضـاً حلولاً للمشـاكل التي كان التجار الأجانب يتعرضـــون لها. فبالنســـبة لتراجع التاجر الكارمي عن الصـفقة ورغبته في استرداد الثمن من التاجر الأجنبي، أشـارت بضـرورة حضـور شاهدين من ديوان القبان[(2)]، أثناء عقد الصفقات سواء الرسمية منها أو التي كانت تتم بالاتفاق الشـخصـي. و نصـت على أنّه لا يجوز التراجع عن الصـفقة من دون موافقة كلا الطرفين وأنّه يتعين تدخل نائب الاســـكندرية[(3)] في حالة عدم موافقة الطرف الآخر على رد الصفقة لتنفيذ القانون[(4)].

أمّا عن محاولة الانتفاع بفرق سعر النقد عن السعر المقايض به فقد اعترف مرسوم قايتباي في سنة894هـــ/1488م،أنّه يشكل ظلماً صارخاً بالنسبة للتاجر

---

(1) لمزيد من المعلومات عن هذه المشـــاكل ينظر : Amari, M. Diplomi Arabi Archives Fierention, Infirenze, P.183, 209, 219. ؛ عـدوان، احـمـد محمود، الوضـع الاقتصـادي في مصـرفي الدولة المملوكية، مصـر-1972، ص418-423.

(2) ديوان القبان : هو الذي يشرف على عمليات البيع والشراء بين تجار الكارم والأجانب عن طريق شـــاهدين من موظفيه كل عملية تجارية تتم داخله أو خارجه. القلقشـــندي، صـبح الأعشـى، ج5، ص466. وكان هذا الديوان يفتح حسـاباً جارياً للتجار المترددين على الاسـكندرية وطبيعي أنّ يكون حسـابهم دائنا أكثر منه مديناً، ويقوم الديوان بعمل خصم عند محاسبة التاجر الدائن بما عليه من ضرائب. زكي، طرق التجارة، ص445.

(3) تحولت الاسكندرية من ولاية إلى نيابة يقوم عليها نائب معين من قبل السلطان في زمن السـلطان الاشـرف شـعبان الذي رأى ضـرورة تحصـينها والاهتمام بشـؤونها وينفرد النـائب بحكمها ويكرس جهوده لحمايتها، وعادة ما يكون النـائب من أمراء المـائتين مملوك، وبذلك أصـبحت الاسـكندرية إقليما يحكمه نائب من السـلطان ويماثل نـائب بلاد الشـام ودمشـق وحلب وطرابلس. الباشـا، الفنون الإسـلامية، ج1، ص380، ص408؛ الأشقر الملحمة المصرية، ص420.

(4) زكي، طرق التجارة، ص439-ص440؛ Heyd, Op. Cit, T.2, P.489.

الأجنبي وأمر نائب الاســكندرية[1]، بمنع حدوث مثل ذلك إلاّ إذا كان هناك اتفاق سابق ينص على ذلك بشهادة الشهود مع مراعاة العدل للطرفين[2].

وفيما يتعلق بتأخير التاجر الكارمي في استلام السلع المشـتراة، فقد نصت معاهدة سنة 894هـ/ 1488م، على ضرورة أنّ يتم الاتفاق على موعد التسليم في عقد البيع على أنّ يســتلم التاجر المسـلم السـلع أمام شـاهدين من ديوان القبان، ونصت على ضرورة إخراج السلع بعد ذلك خارج الميناء لتصبح تحت مسؤولية التاجر الكارمي ولا يلزم التاجر الأوربي بشيء بعد ذلك[3].

أمّا عن الخلاف الذي كان يحدث بسـبب مواصـفات السـلع المشـتراة ، فقد نصـت المعاهدة الشـاملة، التي عُقدت في سـنة 902هــــ/ 1496م على أنّ يقوم المشـــتري ســـواء كان كارمياً أو أجنبيا، بفحص البضـــاعة ومعاينتها بدقة قبل خروجها من المخازن بحيث لا يقع في خلاف ولا نكث بعد ذلك[4]. وفيما يتعلق

بتســويف التاجر أو هروبه من سـداد ثمن السـلع المشـتراة، فقد نصـت معاهدة قايتباي التي عقدت في سنة 833هـ/ 1429م، على ضرورة إلزام الوسيط أو الدلال الذي أشـرف على هذه العملية الوفاء عن التاجر بما التزم به[5].وبالنسـبة لما كان يقوم به بعض تجار الكارم من إعادة بيع البضـائع المتعاقد عليها وقبض ثمنها. فقد نص مرسوم قايتباي الذي صدر في سنة 894هـــ/ 1488م، على ضرورة إعطاء التاجر الأجنبي حق مقاضـــاة التاجر الكارمي على أســـاس مبدأ أنّ السـلعة لمن اشتراها مهما كانت الظروف[6].

وعن امتناع تجار الكارم عن تســليم أصـــناف التوابل المتعاقد عليها، فقد أشـــارت المعاهدة الشــاملة وغيرها من المعاهدات إلى ضـــرورة منع ذلك والتقيد بكتابة عقد بيع شرعي بصدور البيع وقبض العربون بحسب ما تقتضيه الشريعة[7].

من ناحية أخرى سـبب التجار الأجانب إشـكالات أخرى للحكومة المصـرية والتجار معاً، ممّا دفع السـلطة المملوكية لشكواهم لدولهم. فالسلطان قايتباي كتب إلى حكومة البندقية مشـيراً إلى حالات غش كثيرة بالذهب والفضــة اللتين تصـلان إلى الاســكندرية وغيرها من المدن المصــرية، وكذلك الحال بالنســبة إلى القماش الوارد فإن غالبه كان مغشــوشـــاً، ونقصـــت أطوال أنواع منها ما بين 30-55

(1) الخادم، سمير علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بيروت- 1988، ص223.
(2) الخادم، الشــرق الإســلامي، ص223؛ مرســوم قايتباي فقرة (4), ينظر: زكي، طرق التجارة، ص439؛ عدوان، الوضع الاقتصادي ص419، ص447، ص448.
(3) مرسوم قايتباي، فقرة (1)، زكي طرق التجارة، ص447،ص448 .
(4) سرهنك، حقائق الأخبار، ج3، ص91.
(5) مكي، معاهدة تجارية ، ص85، فقرة (20). ويلاحظ أنّ هذا الأمر لم يكن كثير الحدوث بدليل عدم تكراره في معاهدات لاحقة بعد ذلك. وخاصة في معاهدات فلورنسا التي كانت تشمل كل ما سبق من امتيازات، أعطيت لتجار الدول السابق تعاملها مع مصر.
(6) الخادم، الشرق الإسلامي، ص223 .
(7) المعاهدة الشـــاملة، الفقرة (2) . ابن عبد الظاهر، تشــريف الأيام، ص103، ص110؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص267، ص269.

ذراعـاً[1]. ممّـا يســبـب الضــرر لتجـار الكـارم ، مؤكـداً ضــرورة تجنـب مـثـل هـذه الأمـور وإلا ســيضــطـر إلـى مـحـاســبـة الـتـجـار عـلـى ذلك[2].

ونوه الســلطان الغوري بدوره إلى أنّ الأقمشـــة الواردة ليســت بالجودة المطلوبة ولا بالأطوال المتفق عليها ســابقا، بل كانت تبدو جيدة في الأذرع الأولى أمّا الباقي فكان رثاً، ذلك أنّ القماش كان يلف دون تطريته، ممّا كان يسبب خسارة كبيرة للتاجر الكارمي؛ لأنه إذا ما أراد غسله أو فصاله فإنّه ينكمش وطلب السلطان ضرورة مراعاة ذلك وأشار إلى حق الكارمي في رد مثل هذه البضاعة[3].

يمكن القول إنّ ســلاطين المماليك كانوا يراعون دائما مصــالح التجار الأجانب، ويظهر هذا في العديد من المعاهدات التي نصت على ضرورة عدم تعرض أحد للتجار الأجانب، ولا لبضــائعهم أو أموالهم أو مراكبهم، وان تحصــل منهم الضرائب المحددة. و نصت بعض المعاهدات على عدم إعاقتهم أو توقيف سفنهم من غير سبب ولا دين شرعي، ونصت على ضرورة عدم التعرض لأحد منهم في مطعمهم أو مشربهم وتمكينهم من ذلك[4].

ونصت المعاهدات أيضــاً على أنّ تترك حرية البيع والشـراء إلى الوسطاء فلهم عمولة على ذلك وهذا ما جرت به العادة، كذلك أنّ لا تؤخذ الضــرائب على البضاعة إلا بعد وصولها إلى الميناء وبيعها [5].

وتضــمنت المعاهدات أنّ يتم تعويض المركب المنكســر من قبل المنطقة القريبة من الحادث أو إصلاحه سواء للتاجر الكارمي أو الأجنبي[6].

فضـلا عما نصت عليه المعاهدات من إعطاء التجار الأجانب حق التقاضـي أمام القضــاء في حالة غياب السـلطان وحمايتهم من الدعاوي الكيدية المقدمة من جانب تجار الكارم، ومنحهم حق التقاضي أمام قناصلهم في حالة حصول نزاع فيما

(1) الذراع :وهي على عدة أنواع، يهمنا منها الذراع السوداء وهي تقدر بـــ 154 أصبع وأول من وضـعها هارون الرشـيد وهي التي يتعامل بها التجار في مصـر. ابن الأخوة، محمد بن عبد العزيز محمد، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: = =روبين ليفي، كمبردج –1938، ص87؛ القلقشـندي ،صـبح الأعشـي، ج2، ص147، ص148. وسميت بالسوداء لأنها كانت من حديد وهي تعادل ست قبضات و24 أصبع . البوزجاني، أبو الوفاء، المنازل السـبع، ج1، تحقيق : احمد سـليم سـعيدان، ص427، ص460.

(2) خطاب قايتباي إلى دوق البندقية في شعبان في سنة 877هـــ/ 1482م . زكي، طريق التجارة، ص374،ص376.

(3) اتفاقية تريفزاني سنة918هـ/1512م.عبد المنعم،وثيقة من أرشيف البندقية، ص313.

(4) ابن عبد الظاهر، تشـــريف الأيام، ص103-ص110؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص67، ص229. ويمكن أنّ نلمس تثمين جهودهم تلك من خلال رســائل الشـكر التي يبعث بها الأجانب إلى الســلاطين التي تعبر عن شــكرهم وتنوه= =الى العدالة والأنصــاف وحسـن المعاملة، لمزيد من المعلومات عن هذه الرسائل، ينظر: صـالح، محمد أمين، التنظيمات الحكومية لتجارة مصر في عصر المماليك الجراكسة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب – 1969، ص122-ص124.

(5) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص165، ص167.

(6) ابن عبد الظاهر، تشـــريف الأيام، ص162،156؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج6، ص67، 292.

بينهم والســماح للقناصـــل بالحضـــور إلى القاهرة لعرض ما يجدوه لازماً لتدخل السلطات العليا[1].

ومن المهم الإشــارة إلى أنّ هذه المعاهدات تضــمنت نصــوصــاً في نواحي معينة. كالتحفظ على أموال وبضــائع التاجر الأجنبي في حالة وفاته وتســليمها إلى قنصل جاليته، أو وضعها تحت يد من أوصى له بذلك[2].

وأخيراً ، يمكن القول إنّ هذه المعاهدات قد نسقت التعامل التجاري بين تجار الكارم والأجانب، وشكلت أحد العوامل المساعدة على ازدهار تجارة الكارم في زمن سلاطين المماليك.

ثالثاً. تصدي المماليك للتحالف الأوربي الأسيوي لتحويل التجارة من مصر إلى الطريق البري عبر آسيا

أدرك الغرب أنّ المصـــدر الرئيس لثروة مصـــر وقوتها ليس موقعها أو مواردها الأولية فحسـب، بل في تجارة الكارم التي سـيطرت على طرقها، أصـبحت تشــكل مصــدر دخل مهم ومنتظم للدولة[3]، لذلك شــاعت في أكثر من دولة أوربية فكرة هدفت إلى تحويل طريق التجارة من مصـــر إلى الطريق البري الذي يخترق أواسـط آسـيا من الهند ليلتقي مع القوافل الوافدة من الصـين، ثم يسـيران معاً حتى بخارى وأرمينيا وبلاد فارس ومنها إلى أوربا أو يســـلك طريق آخر من بغداد إلى دمشـــق ومنها إلى موانئ البحر المتوســط[4]، أو تغير ســير الطريق التجاري من مصر إلى طريق آسيا عبر الخليج العربي ومنها إلى الفرات ثم إلى أرمينية، وبذلك تغلق طرق التجارة الهندية بوضـــع أســـطول في المحيط الهندي لمنع تجار الكارم الاتجار مع مصــر عن طريق عدن، وبما أنّ مصــر تحصــل على ثرواتها من البلاد المجاورة لها التي تمدها بمواد الشرق لذا شـاعت فكرة منع التعامل مع مصر، بما يؤدي إلى القضــاء على الاقتصــاد المصــري[5]. ويذكر أنّه لو امتنع الأوربيون عن

(1) مكي، معاهدة تجارية، ص88؛ الخادم، الشـــرق الإســـلامي، ص33. ينظر: الدعوة المقدمة من قنصــل البندقية في ســنة 807هـــــ/ 1404م. Piloti, L'Egypte au Commence Ment, P.33, 34.

(2) مكي، معاهدة تجارية، ص88. يُنظر: رسالة فلورنسا سنة 880هـــ/ 1475م. صالح، التنظيمات الحكومية، ص275.

(3) Atiya , A.S., The Crusade, Commerce and Culture, Indiana – 1966. , P. 17, 18.

(4) وقد اعتاد التجار العرب المسلمون سلوك هذا الطريق وخاصـة، الذين يزاولون تجارة التوابل والعاج والأحجار الكريمة. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص70؛ الصمادي، رائد احمد سليمان، طريق الحرير وأهميته الإدارية والاقتصادية في القرنين 3و 4 هـــ/ 9و 10م، في المشـرق الإسـلامي، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، جامعة بغداد، كلية الآداب – 2000، ص9، ص29؛ رامــز، مــرجــانــه، طــريــق الــحــريــر، WWW.terezia.com 10/23 / 2003 ، ص1- ص10، عبد المجيد، إبراهيم، طيور العنبر، WWW.nizwa.com 2005/10/22، ص6.

(5) عاشـور، سـعيد عبد الفتاح، الحصـار الاقتصـادي على مصـر زمن الحروب الصـليبية، المجلة المصرية للعلوم السياسية، تشرين الأول، 1962،ص59.

شـراء التوابل من تجار الكارم والا يذهبوا إلى مصـر وبلاد الشـام لمدة سـتة أشـهر لكان كافياً لإفلاس دولـة المماليك[1]. وأشارت أيضاً أنّ جزءاً كبيراً من أرباح مصر من المتاجرة مع أوربا تذهب لتسليح المماليك[2].

والجدير بالذكر أنّ هناك عوامل عدة سـاهمت في إنجاح هذه الآراء فسـقوط عكا سـنة 691 هـــ/ 1291م، عجلت بنهاية الصليبيين ثم تدمير مدنهم السـاحلية والموانئ التي تميزت بنشــاطها التجاري شــرقاً وغرباً ممّا شــجع على تغير الطريق[3]. وكان للضـرائب الباهظة التي فرضــها المماليك على التجارة أثرها في إحداث هذا التغير[4]،فضلا عن السياسة التي اتبعها السلاطين المماليك بمنع التجار الأجانب من عبور الأراضــي المصـرية شـرقاً أو جنوباً وذلك لكي لا يتعرفوا على مصادر تجارة الكارم[5]، مقابل هذه السياسة الجديدة اتبع ايلخانات المغول سياسة المهادنة مع تجار أوربا، وكانوا يفرضون عليهم ضرائب قليلة، فضلا عن ما قاموا به من تأمين للطرق بأقامة مخافر للحراسة[6].

وسارت أرمينيا على سياسة المغول فخفضت الضرائب بدورها على البضائع المارة بأراضيها 4-2٪ من أقيامها[7].وبهذه السـياسـة التي اتبعها الخانات المغول وأرمينية، أزدهر عمل التجار الأجانب فنشـــطت العلاقات المغولية الأوربية. ففي ســنة 664هــــ/ 1265م، التقى جماعة من التجار الأوربيين بخان المغول وبعد عودتهم نقلوا رغبته في إرسال بعثة تبشيرية إلى بلاده، فأرسلتها مع التجار[8].

ففي منتصف القرن 8هـ/ 14م, توقفت حركة التجارة في الطريق البري عبر آسـيا، وعاد ليمر من خلال مصـر. سـاعد على ذلك عدة عوامل منها تحول المغول إلى الإسلام الذي كان بمثابة ضربة وجهت إلى البابوية التي فشلت في كسبهم إلى الديانة المســيحية، وظهور العثمانيون في آســيا الصــغرى، ابتداءاً من القرن 8هـــ/14م، الذين أخذوا يسـتولون على الأراضــي المغولية، ممّا اضـطر التجار

---

(1) عاشور، البحرية في عصر السلاطين المماليك، ص310.

(2) عاشـور، العلاقة بين البندقية والشـرق الأدنى، ص217. قدمت هذه الآراء والمقترحات من قبـل مجموعـة من مفكرين ومنهم فيـد نزو وغليوم آدم وديمنـدلـل ومـارينو، وقد أثمرت هذه الآراء بالفعل عندما تحولت التجارة القادمة من آســيا إلى أوربا خلا ل النصف الأول من القرن 8هـــ/ 14م إلى الأراضي المغولية. فأصبحت التجارة تستخدم الطريق البري الذي يعتبر أحد الطرق القديمة فعادت إليه الحياة من جديد. ســـعداوي، الحرب والسلام، ص158.

(3) عطية، سليمان، العلاقات السياسية بين مصر وغرب آسيا من وفاة الايلخان أبو سعيد إلى نهاية دولة الاق قوينلو، رســـالة ماجســـتير غير منشـــورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب- 1952، ص81.

(4) Heyd , Op. Cit., T.2, P.25.

(5) عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر، ص401.

(6) حسين، جعفر، أحوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانين، القاهرة –1991، ص42.

(7) شــلبية، محمود إبراهيم، علاقات المغول بســلطنة المماليك، رســالة ماجســتير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب- 1979، ص86.

(8) أ شتور، التاريخ الاقتصادي، ص344.

الأجانب إلى ترك هذا الطريق[1]،وكان لضعف المغول بعد سنة 736هـــ/ 1335م [2]، أثر بعيد ترتب على ذلك أنّ كثيراً من التجار رحلوا إلى مصــر وبلاد الشــام بعد ذلك التاريخ، مستقرين هناك ومعاودين نشاطهم التجاري[3]. ولم تكن الحروب التي قادها تيمورلنك بأقل أهمية من العوامل الســابقة في القضــاء على النشــاط التجاري للطريق البري عبر آســـيـا[4]، ثم تعطـل تمـامـاً، بعـد اشــــتـداد الصـــراع بين العثمــانيين(1341-699هــــ/1299-1922م) والتركمــان، ثم الصـــفويين والعثمانيين[5].

أمّا موقف سلاطين المماليك من تحول التجارة إلى الطريق البري عبر آسيا، فقد واجهوها بتجريد الحملات لإخضــاع أرمينية لمصــر[6]. ويصــور لنا القلقشــندي ذلك بأن الأرمن ((بعد أنّ تعهدوا بدفع الجزية الســـنوية، صــــاروا بعد ذلكم ما بين طاعة وعصـــيان، انتهى الأمر بســـقوط أرمينية في يد ســـلاطين المماليك ســـنة 777هــــــ/1375م))[7]. ممّا دفع التجار الأرمن القدوم إلى مصـــر وبلاد الشــــام [8].واضـــطر المماليك إلى خوض حروب كثيرة مع المغول، وعلى الرغم من ذلك فإن التجارة لم تنقطع بين العراق وســـلطنة المماليك في بلاد مصـــر والشــــام، بل تضــامنت العراق مع المماليك بعد غزو القبارصــة للإسـكندرية سـنة 767هـــــ/ 1365م، وخصـــوصـــاً عندما ذهب بعض التجار القبارصـــة إلى العراق لكن الخان المغولي لم يمكنهم من ذلك وقال لهم ((أنا اســمي اويس بن حســن بن حســين[9]، ارجعوا إلى سلطان مصر واستدركوا ما أفسدتم في الاسكندرية واتوني بخط سلطان مصر بدخولكم تحت طاعته وحينئذ تبيعون ببلدي وتبتاعون منه))[10].

ويمكن القول أنّه أثناء مدة التحول التي عانت منها مصــر، لم يقف ســلاطين المماليك مكتوفي الأيدي بل بذلوا قصـــــارى جهودهم على ألاّ تكون العلاقة بينهم وبين أوربا مقطوعة تماماً، و عملوا على اســـتمرار المبادلات التجارية التي كانت تتم في نطاق ضيق. وقد ســاعد على ذلك أنّ التعابير الواردة في المراسيم البابوية كان يمكن تفسـيرها على أسـاس أنّ منع التعامل مع سـلاطين المماليك لا ينطبق إلاّ

(1) كوجوي، أي ، طريق التوابل، مجلة اليونسكو، ع277، 1984، ص20،ص21.
(2) أبو الفدا، المختصر ، ج4، ص148.
(3) عمل هؤلاء التجار بمصـــر بتجارة الكارم مابين الهند واليمن ومصـــر. المقريزي، السلوك، ج2، ص163.
(4) عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص142.
(5) عاشور، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص217.
(6) كانت أرمينية تدفع إلى مصر جزية سنوية قدرها ألف ألف ومائتين درهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج8،ص29.
(7) صبح الأعشى، ج8، ص29.
(8) العيني، عقد الجمان، ج3، ورقة 358أ.
(9) أويس بن حســـن بن الشـــيخ حســـين: أو أويس الأول، وهو ثاني الســـلاطين المغول الايلخانات على العراق (776-756هـــ/ 1355-1374م) وكانت بغداد مركز نشــاطه، وتمكن من الاسـتيلاء على تبريز التي كانت في يد المغول القفجاق. المسـعودي، مروج الذهب، ج2، ص330 ؛ عبد النبي، مصر والبندقية، ص41.
(10) النويري، الإلمام بالأعلام ، ج2، ورقة 81، 82 أ؛ الأشقر ،الملحمة المصرية، ص39.

على الســـلع الحربيـة، كذلك كـانت أربـاح الكـارم مغريـة، تدفع الكثير من التجـار الأجانب إلى التعامل مع سلاطين المماليك، غير مبالين بقرارات المنع[1].

يبدو أنّ حاجة البابو ية إلى المال كانت تدفعهم إلى غضّ النظر أحياناً عن المعاملات التجارية بين مصـــر وأوربا ما دامت تدرّ عليهم دخلاً لا بأس به. ففي سـنة 664هـــــ/1265م ، منحت البابوية عفواً عن بعض التجار الذين كانت تعتبر تعاملهم مع المسلمين جريمة[2].

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنّ سياسة عدم التعامل مع مصر، نجحت في تعطيل تجارة الكارم بعض الوقت ويبدو أنّ قرار تحريم التجارة مع مصـــر وبلاد الشام الذي أصدرته البابوية في سنة 722هـ/1322م ، قد استمر نافذ المفعول لمدة ثلاثة وعشـرين سـنة بدليل أنّ السـلطان الصـالح إسـماعيل(743 -746 / 1342-1345م) أرسـل في سـنة 746هــــ/1345م، إلى البندقية يخبرها أنّه منذ أكثر من ثلاث وعشــرين ســنة لم ير ســفينة بندقية واحدة في بلاده[3] ، فقد كانت البندقية طوال هذه المدة تســلك الطريق البري. ولكن عندما ســاءت العلاقات بين المغول والبنادقة، اضطر البنادقة إلى العودة إلى طريق مصر، فأرسلت إلى البابوية لتشرح لها أنّ الخراب سوف يعصف بمصالحها إذا لم يسمح لها باستئناف تجارتها في الأسـواق المصـرية والشـامية، فاقتنع البابا بوجهة نظرها وسـمح لها بالاتجار مع مصر بالسلع غير الحربية في سنة 745هـــ/ 1344م، فبعثت البندقية إلى السلطان إسماعيل بسفيرها في سنة 746هـــ/1345م، وبعد مفاوضات وافق السلطان على إعادة ما كان للبنا دقة من امتيازات تجارية في مصـــر وبلاد الشـــام، موجهاً بذلك ضــــربـة إلى التحـالف المغولي الأوربي بوجـه عـام والى الطريق البري بوجـه خاص[4].

ويمكن القول إنّ علاقـة الدول الأوربيـة بمصــــر خلال هذه المدة لم تنقطع تماماً. إذ كانت هناك عمليات تجارية تتم بفضـل جهود ســلاطين المماليك في إبرام المعاهدات التجارية مع الدول الأوربية، ويكفي القول إنّ تجار مرسيليا افشوا سنة 727هـــــ/1326م، سـر تدبير حملة صـليبية ، فاسـتعد السـلطان الناصـر محمد للقائها[5].

واصدر ملك برشلونة في سنة 739هـــــ/1326م، أمراً بابطال الأوامر التي كانت قد صدرت ضد التجار الذين كانوا يتعاملون مع مصر[6].

إذن لايمكن إنكار جهود الســـلاطين المماليك في تأمين التجارة والتصــــدي لغارات القراصـنة وتشـجيع تجار الشـرق على جلب بضـائعهم إلى مصـر، وكذلك

(1) أعلن أهل جنوا والبندقية أنهم تجار قبل أنّ يكونوا مسـيحيين. الكسـباني، العلاقات بين جنوه ومصر، ج2، ص308.
(2) عاشور، الحصار الاقتصادي،ص51.
(3) المقريزي، السلوك، ج2، ص370، ص371.
(4) أ شتور، التاريخ الاقتصادي، ص344.
(5) Heyd , Op. Cit, T.2, P.34.
(6) Ibid., T.2, P. 32.

تشـجيع تجار الغرب بالتردد على موانئ مصـر لشـراء ما يلزمهم من سـلع الكارم حتى عادت السـيادة مرة ثانية إلى الطريق البحري عبر عدن وموانئ البحر الأحمر والى موانئ بلاد الشـــام كطريق رئيس لتجـارة الكـارم إلى الغرب، ممّـا أدى إلى ازدهارها ثانية[1].

رابعا. جوازات المرور واهتمام الولاة والنظار بتجارة الكارم

عرفت مصر في شتى عصورها الإسـلامية نظام دقيق لجوازات المرور. فلم يكن أحد يسـتطيع أنّ يترك البلاد أو يدخل إليها، أو يترك الناحية التي يقيم فيها إلى ناحية أخرى من دون أذن السلطات. وكان يقبض على أي مسافر من مكان إلى آخر من غير ذلك الأذن الذي يسمى ألآن بجواز السـفر[2]. ويؤكد هذا ما ذكره ابن سـعيد المغربي من أنّه لابدّ للمسافر من جواز للخروج من مصر أو الدخول إليها يدرج فيه كل من يرافق المسـافر حتى وإن كانوا عبيده[3]. فالمصـرين اعتبروا أنّه من الأمور الخطيرة التي تهدد بلداً ما تسـرب الغرباء إليه خلسـة وتغلغلهم في أنحائه وكشـفهم عن أسـراره، فكم من الدول ابتليت بهذا البلاء فذهبت ضـحية هذا الأمر، لذا تنبهت إلى أضـــرار مثل هذا الدخول غير المشـــروع، فعمدت إلى اتخاذ ما يعرف بالجواز يحمله من يدخل بلداً آخر[4].

أمّا صيغة الجواز التي أشار إليها القلقشندي بقوله ((هي المعبّر عنه بأوراق الطريق، وتكون في ثلاث فقرات يكتب في أعلاها سـطر واحد يذكر فيه ورقة طريق على يد فلان الفلاني لاغير، وفي بقية الفقرات يكتب فيه اسـم السـلطان وختمه، أنّه يمكن لفلان الفلاني من العبور، وتكتب الغاية من السـفر ، ثم تكتب الجهة المقصـود الذهاب إليها والعودة منها، وإذا كان من أصحاب الألقاب أو المكانة العالية يكتب له أنّ يعامل باحترام وإكرام، وعند العودة يكتب له أنّه عاد، فإذا فرغ منه كتب بعد ذلك(إنّ شـــاء الله تعالى) ثم التاريخ والمســـتند على العادة في أوراق الطريق أحد ثلاثة أمور، أمّا خط كاتب السر[5] وهو الغالب أو رسـالة الداودار[6] وهو كثير أيضاً

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص339،ص342.

(2) الجواز : في اللغة العربية يعني صـك المسـافر جمعة أجوزة، أي صـكوك المسـافرين. الجراري، عبد الله بن العباس، تقدم العرب في العلوم والصـناعات وأسـتاذيتهم لأوربا، القاهرة-1961، ص130.

(3) علي بن موسـى بن عبد الله ،المغرب في حلى المغرب، نشـر: زكي حسـن وشـوقي ضيف، ج1، القاهرة – 1953، ص53.

(4) فهمي، علي محمود، التنظيم البحري الإسـلامي في شـرق البحر المتوسـط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي،ترجمة: قاسم عبده، بيروت-1981، ص125.

(5) كاتب السـر: بين أعظم الوظائف الديوانية واجلها قدراً في عهد سـلاطين المماليك، ويلقب صـاحبها بالجناب الكريم، ولا يتولى هذا المنصب ألا أشخاص من ذوي السمعة الجيدة والأخلاقية العالية. وهو أول من يدخل إلى السـلطان وأخر من يخرج من عنده ولا يستغني عن مشورته والافضاء إليه بأسراره، ولا يثق السلطان بأحد من موظفيه كثقته به. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص150، ابن تغري= =بردي،النجوم الزاهرة، ج1، ص110-ص111، ص114، ج7، ص333 ؛ السيوطي، حسن المحاضرة وتاريخ مصر القاهرة، ج2، القاهرة- 1968، ص94.

(6) الداودار: أسـم مركب من لفظين احدهما عربي وهو الدواة، والثاني فارسـي وهو دار ومعناها ممسـك، فيكون المعنى ممسك الدواة، وحذفت الهاء من آخر الكلمة اسـتثقالاً. القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج5، ص462. وهو من معاوني كاتب السـر وعمله تبليغ الرسـائل عن السـلطان وتقديم الكتب إليه، و كان يقوم مع الجاندار وكاتب السـر بتقديم

أو إشـــارة نـائب السـلطان، وكان هناك شـخص يقوم بإمرة الأجوزة يســمى متولي الجواز، يسجل اسم الرجل في الجواز ومن معه وعمره أيضـا، ومن أي بلد والمال الذي معه وإذا ورد الشخص بمكان، كتب في الجواز أنّه يوم كذا في شهر كذا ومعه كذا، حتى إذا أضـاع منه شــيء أو مات، علم كيف ذهب أو يرد إلى ورثته، لقد كان الجواز يتضمن صفة الشخص وهيئته ولئلا يشتبه به أحد ويتخذ لغير أهله))[1].

كانت قطيا الواقعة على الحدود المصرية الشـامية تشـكل أحد مناطق العبور والمراقبة، ولاسيما منذ سنة 703هــــ/1304م , فضلاً عن كونها مركزاً ضرائبياً لتجارة الكارم، يصفها رحالتنا ابن بطوطة بقوله ((لا يجوز فيها أحد من بلاد الشام إلاّ ببراءة من مصــر، ولا من مصـــر ألا ببراءة من بلاد الشـــام احتياطاً على أموال الناس))[2]. من هذا نستدل على عظم تجارة الكارم العابرة من مصر إلى بلاد الشام والعكس. وإنّ ســلاطين المماليك كانوا ينبهون تجار الكارم بوجه خاص بضـــرورة حصولهم على تصاريح المرور من مصر إلى بلاد الشام وبالعكس.[3]

ومن الطريف الإشارة هنا إلى أنّ المسؤولين في قطيا، ومنعاً للتهرب، كانوا يســوون الرمل حول قطيا ليلاً كي يســتدل منه في الصــباح عمن يمر بدون جواز المرور[4].

من هنا قامت قطيا بدور مزدوج، كثغر حراســة وحاجز للمرور بين مصـــر وبلاد الشــام[5]. ولم يقتصــر أمر أجوزة المرور على الثغور البرية فقط ، بل شـمل الثغور البحرية أيضـــا، فابن بطوطة يذكر أنّه ((لم يكن يســمح لأحد بالخروج من دمياط إلاّ بتصـــريح كتابي من نائبها حفاظاً على أمن البلاد بالنســبة للوجهاء من القوم (يقصد تجار الكارم) وغيرهم، أمّا من دونهم فكان يطبع على ذراعه)[6].

كانت عناية السلاطين المماليك بإصدار أجوزة المرور هذه كبيرة، ولاسيما التي تخص تجار الكارم إذ حققت لهم الطمأنينة في أســفارهم وخاصــة في المناطق التي تسيطر عليها مصر.[7]

أعطت هذه الجوازات صــورة واضــحة عن الســياســة التجارية الخارجية المصرية التي حددّتها في البحر الأحمر والمحيط الهندي للتوسع في استجلاب سلع الكارم، وتلقي الضوء على قدرتها في تصريف ما يرد إليها من هذه السلع في دول

البريد. حســن، تاريخ المماليك البحرية، ص318. وهذه الوظيفة قديمة اقتبســها العباسـيون عن الفرس ثم أدخلت على نظام الحكم في مصر وارتفع شـأنها في عصـر السلطان الناصر. الخالدي، المقصد الرفيع، المنشأ ورقة 121؛ حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص319-ص322.

(1) صبح الأعشى، ج7، ص231-ص233.

(2) تحفة النظار، ص113، ص114؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص470؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص33 ،ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص77.

(3) لبيب، التجارة الكارمية، ص60.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص378.

(5) شقير، سيناء القديم والحديث، ص174؛ سالم، تاريخ البحرية، 393.

(6) تحفة النظار ، ص113.

(7) طافور، بدرو، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشـــر الميلادي، ترجمة: حســن حبشـــي، القاهرة – 1968، ص84-ص86؛ ســرور، دولة الظاهر بيبرس، ص145؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص343.

البحر المتوسـط[1]. وهذا يعني أنّه كان يوجد ممثلون مصـريون يقيمون في المراكز التجارية ليصــدروا هذه الجوازات نظير أجر معين[2]، فضــلاً عن التســهيلات التي منحت لتجار الكارم، ولاسيما عند دخولهم من بلاد الشـام إلى مصر[3]، وكان لنظام الجوازات فوائده لتجار الكارم والســـلطنة معاً فقد كان يدون فيه أســـماء التجار ومنـاطق دخولهم وخروجهم من البلاد ومـا معهم من أموال وأتبـاع فتتمكن بـذلـك الدولة من الاطمئنان على حياتهم وأموالهم , و أنّه يتضــمن دقة الضــرائب التي تستوفى منهم .[4]

لم يكتف المماليك بتأمين قوافل الكارم والتصدي لغارات القراصنة وإصدار الجوازات، بل تعدى الأمر إلى إصــدار التعليمات للولاة ونظار الثغور بان ((يتيقظوا لمهمات الثغر والإقليم وان يأســروا التجار بحســن معاملتهم ، ويكونوا رفقاء بهم عادلين))[5].

كل ذلك من اجل تخفيف الوطأة عنهم ، فكانت الأوامر تصــدر تباعاً إلى ولاة الثغور بحســن معاملة تجار الكارم والتودد إليهم حتى تتواصـــل التجارة وتعمر الثغور[6]. وعلى سبيل المثال ما حدث سنة 660هـ/ 1262م ، عندما أرسل السلطان بيبرس إلى ولاته في قوص وعيذاب يوصي بتجار الكارم الوافدين وبالمحافظة على مصـــالحهم[7].فجاء في توصـــية صـــادرة عن الســلطان قلاوون في ســـنة 678هــــ/1279م، إلى ناظر ثغر الاســـكندرية ((بتنمية متاجره ومعاملة التجار الوافدين إليه بالعدل، الذي كانوا ألفوه منه ، والرفق الذي نقلوا أخباره السـارة عنه ، فإنهم هدايا البحور، ودوالبة الثغور، ومن ألســنتهم يطلع ما تحبه الصــدور، وإن بذر لهم حب الإحسـان نشـروا له أجنحة مراكبهم كالطيور ويعتمد معهم ما تضـمنته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخر وقت، ولا يسلك معهم حالة توجب لهم القلق والمقت، وليعرفوا همته العالية إلى تدبير أحوال التاجر بهذا الثغر))[8]. و جاء في أحد مراسيم تولية أحد ولاة الصعيد أنّ عليه ((أنّ يسهر على مصالح تجار الكـارم، وذلـك جزء من الوادي لأنـه بـاب اليمن والحجـاز))[9]. بـاعتبـاره الطريق التقليدي لمتاجر الكارم ما بين المحيط الهندي والبحر المتوسط [10]. وأشار مرسوم

(1) لبيب، التجارة الكارمية، ص18 .
(2) عطية، العلاقة بين الشـرق والغرب، ص69 ؛ اليوزبكي، توفيق، تجارة مصـر البحرية في العصر المماليكي، الموصل – 1975، ص69 .
(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص303 .
(4) اليوزبكي، تجارة مصر البحرية، ص69 .
(5) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7 ، ص198 .
(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص96 .
(7) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص402.
(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص419، ص321؛ توفيق، عمر كمال، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين في الاسكندرية، 1986، ص103.
(9) القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج2، ص24، ص26، 65 ؛ المقريزي، السـلوك ج10، ص145 .
(10) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص428 .

آخر إلى نشاط تجار الكارم في الصعيد، وواجب الولاة نحوهم ((وأكرم قدوم من يرد عليك في الكارم وقرر بحسن تلقيك أنك أول ما قدمناه لهم من المكارم ، فهم سمسار كل ناد، ورفاق كل ملاح وحادي ولا بد من أنّ يتحدث التجار وتتداول بينهم الأسمار فاجعل شكرنا دأب ألسنتهم ومننا حيلة إعتاقهم، ومنحنا سبب لاستجلاب رفاقهم من مواد الآفاق))[1].

من ناحية أخرى، كان السلاطين يأمرون ولاة الأقاليم بحفظ الطرقات وصون الصادرين والواردين من تجار الكارم. كالذي فعله السلطان الناصر محمد في سنة 797هـ/ 1394[2]، وأوصى السلطان برقوق حاكم مكة، بحفظ الطرق وتجارة الكارم التي نهبت في سنة 796هـــ/393 م، واستطاع فعلا تـــأمين الطرق، فكسب رضا السـلطان، فقد كان يرسـل الحرس مع القوافل البرية حتى تصـل آمنة إلى السـفن، وأسقط عن التجار ثلث الضريبة المفروضـة عليهم، ممّا أدى إلى زيادة عدد التجار وازدهار تجارة الكارم[3].

خامسا . تجارة الكارم كأحد مصادر الدخل المهمة في العصر المملوكي

كانت لطبيعة الازدهار الاقتصادي الذي عاشه المجتمع العربي الإسلامي في العصور الإسلامية الوسطى انعكاساته العديدة التي كانت حالت الترف والرفاهية أحد أوجهها ومن متطلبات الحياة اليومية للعديد من شرائح المجتمع.

لذا ازداد الطلب وبقوة على المواد التي تاجر بها الكارمية كالتوابل والعقاقير الطبية والبخور والملابس المطرزة والأحجار الكريمة. من هنا شكلت هذه المواد مصدراً من مصادر القوة والثراء لكل من تجار الكارم والمماليك وإحدى ركائز بقاء دولتهم. فالأمران ارتبطا طردياً، فأيّ ضـعف يصـيب تجارة الكارم كان من الممكن أنّ يؤثر سلبياً في قوة دولة المماليك [4]، على اعتبار أنّ واردات هذه التجارة شكلت أساساً لميزانية الدولة، وممّا يؤخذ بالاعتبار هنا أنّ الناس كانوا يصفون الغني بأنّه (كيس بهار) [5].

إذن كانت تجارة الكارم مصـدر ثراء دولة المماليك، بوصـفها سـلعاً يشـتد الطلب عليها من الناس جميعاً. كالفلفل مثلاً الذي كانت له في هذه المدة قوة شرائية يتم التعامل بها [6]. وعن طريق مصر ، كانت تصل سلع الكارم من الموانئ الهندية

---

(1) ن. م، ج11، ص437.
(2) عدوان، الوضع الاقتصادي في مصر، 425 .
(3) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص156 .
(4) هونكه، سيغريد، فضل العرب على أوربا، ترجمة: فؤاد حسين علي، القاهرة – 1964، ص97؛ اسكندر، توفيق، بحوث في التاريخ الاقتصادي، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة – 1991، ص140 .
(5) السليماني، علي بن حسين، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، القاهرة – 1976، ص233 .
(6) هاو، سونيا، في طلب التوابل، ترجمة : محمد عزيز رفعت ومحمد النحاس، القاهرة – 1975، ص13، ص14 .

وغيرها، فكانت خزائنهم تفيض بما كانوا يجنونه من تلك التجارة، ويمكن تقدير ما يعود على دولة المماليك في مصــــر من فوائد تجارة الكارم، إذا ما علمنا مثلاً أنّ سعر البضائع في الاسكندرية يصل إلى أربعة أضعاف سعرها الأصلي في المنشأ(1)، أمّا في القاهرة فكانت تباع بثمن أغلى ممّا هو عليه في كاليكوت بخمس مرات (2). وكان عدد الســــفن في ميناء القاهرة كبيراً ويعادل لوحده أكثر ممّا في الموانئ الأخرى كجنوا أو البندقية(3).ولم يقتصــــر ثراء ســـلاطين المماليك على الضــــرائب المفروضـــــة على تجار الكارم فقط، بل قرروا الاشـــتغال بتجارة الكارم ومن ثم احتكارها(4). وعادة ما كانت هذه الأموال تحت تصـــرف ســـلاطين المماليك، وفي خزائنهم، ويصف الظاهري الخزانة السلطانية بقوله ((بها عدة خزائن وصناديق مملوءة بالفصوص والجواهر وأصناف ذلك وأوان ذهبية وفضية وسروج ذهب وكنبوش(5) وطرز مزركش(6) وأمتعة حسنة من كل نوع وأكياس مكبسه ذهب وفضة)) (7).

اســـتغل ســـلاطين المماليك هذه الأموال في الترف والبذخ وبناء الدور والقصور الضخمة وشراء المماليك والإنفاق عليهم بسخاء . وممّا لاشك فيه أنّ هذه الثروة ساعدتهم على أنّ يعيشوا في رفاهية وأن يخلدوا أسماءهم على الابنية التي أنشأوها التي انتشرت في أرجاء القاهرة، ذلك أنّهم ظفروا بالنصيب الأوفر من ثروة تجارة الكارم التي جنوها من خلال فرضهم شتى أنواع الضرائب عليها(8).ومن ملاحظة الحياة الاجتماعية في مصــــر مابين القرنين الســـــابع – التاســـع الهجريين/الثالث عشر – الخامس عشر الميلاديين، يجد صور المجتمع تنطق بوفرة الثروة البذخ والرفاهية(9) . ولم يبخل المماليك على حاشـــيتهم بالمال والجواهر وكثرة استعمال العنبر حتى جعلته النساء قلائد(10). وتبدو حقيقة المكانة المالية التي

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص117، 118.

(2) Ashtor, E. A .Spice Prices in the Near East in the 15th Century(Journal of the Royal Asiatic Society), 1976. P. 26-28.

(3) ربيع، حســنين، البحر الأحمر، أبحاث الأســبوع العلمي الثالث، القاهرة – 1980، ص116 .

(4) Rabi , H. The Financial System of Egypt, A. H. 564- 741L A.D. 1169 – 1341 , Oxford University, Press – 1972, P. 100-101.

(5) الكنبوش: قطعة من القماش له عدة استخدامات فهو احيانا يستخدم ليوضع على صدر الطفل ، أو يكون غطاء للمائدة ، أو قطعة من القماش التي تلقى على ظهر الحصـــان . الصيرفي ، انباء العصر، ص100 ، حاشية رقم 4 .

(6) مزركش : لفظة فارســية تعني المطرز بالذهب، التو نجي، محمد، المعجم الذهبي، فارسي عربي، ط1، بيروت – 1969، ص313.

(7) زبدة كشف الممالك، ص32 .

(8) طرخان، إبراهيم علي، مصــر في عصــر دولة المماليك الجراكســة، القاهرة – 1965، ص277.

(9) المقريزي، الخطط، ج2، ص117، ص118؛ سعداوي، نظير أحسان، صور ومظالم من عصر المماليك، القاهرة - 1966، ص108 .

(10) المقريزي، الخطط، ج2، ص117، ص118؛ مبارك، علي، الخطط التوفيقية الجديدة لمصــــر القاهرة، بولاق - 1305،ص52.تســـمى هذه القلائد والتي هي نوع من أنواع

تمتع بها المماليك واضـــحة من خلال القوافل الأوربية البحرية التي كانت تأتي إلى الاسكندرية مرتين في السنة. والقافلة الواحدة كانت تضّم ما بين ثمان- ثلاث عشرة ســفينة، وتقدر حمولة القافلة الواحدة القادمة إلى مصـــر بحوالي ألف ألف افرنتي على أقل تقدير, فضـلاً عن نصـيبهم من الضـرائب المفروضـة على السـلع الداخلة والخارجة منها[1].واحتكارهم لتجارة الكارم، ولاســيما التوابل وفرضـــهم ضـــرائب أخرى عند أعادة تصــديرها[2] الأمر الذي اكســب ســلاطين المماليك ميزة خاصـــة تتمحور في قدرتهم على البقاء الاستمرار وتنفيذ المشـاريع سـواء كانت حربية أم عمرانية علاوة على ما أنفق من أموال في حروبهم ضـــد المغول والصـــليبيين والعثمانيين، فقد تطلبت هذه الحروب أموالا طائلة لأعداد الجيوش من جهة ولحماية تجارة الكارم من جهة أخرى[3].

وهذا يعني ببســاطة أنّ المماليك أثروا من تجارة الكارم فعملوا أولاً وسـطاء بين تجار الكارم والتجار الأجانب، ثم تاجروا بأنفسهم بها بعد أنّ انتزعوها من تجار الكارم وبالغوا في احتكارهم، وفرض الضـــرائب عليهم عند مرورهم من البحر الأحمر إلى مصر ودول أوربا[4].

ولا ننســـى أنّ نذكر أنّ تجارة الكارم كانت مصـــدر رزق لأعداد كبيرة من المصـــريين ، كانوا ينتفعون من دورهم كوســيط في المبادلات التجارية ، لما كانوا يتقاضونه من أجور لاشتغالهم في نقل البضائع واستخدام دوابهم، أو تقديم خدمات لتجار الكارم في المنشآت التجارية والأطعمة والمشروبات، فساعد بذلك على نشاط التجارة الداخلية إلى جانب تجارة الكارم ، فكانت مدناً كالقاهرة والإسكندرية ودمياط ورشيد مراكز حيوية لهذا النشاط التجاري[5].

الحلي التي تلبســـه النســـاء حول الرقبـة بـالعنبريـة .ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج9،ص139.

(1) ديل، شـــارل، البندقية جمهورية أرسـتقراطية ،ترجمة:أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسـكندر،القاهرة-1948، ص142؛ لين بول، سـتانلي، سـيرة القاهرة، ترجمة : علي إبراهيم حسن، القاهرة، ص221 .

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص459،ص466.

(3) عاشـــور، ســـعيد عبد الفتاح، مصـــر في عصـــر المماليك البحرية، القاهرة- 1959، ص112 .

(4) حسن، علي إبراهيم، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة – 1967، ص160، 323.

(5) زقلمة، المماليك في مصر، ص138؛ سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص145 .

التنظيم النقابي لتجار الكارم

مع تعدد المجاميع التجارية في مصـــر، كانت مجموعة تجار الكارم، أهمها على الإطلاق، حيث تميزت بقوة أواصـر وحدتها وتداخل مصـالحها وتماسـكها[1]. ذلك أنّ تجار الكارم عرفوا نظام الأصـــناف[2] هذه التنظيمات المهنية التي تأثرت بتنظيمات البلاد المفتوحة، أضــــافت اليها ما أفرزته حاجات المجتمع العربي الإسلامي في هذا المجال[3]، فنتجت عن ذلك الأصناف الإسلامية[4] التي كانت وليدة الظروف الإقتصـادية والاجتماعية والفكرية[5].اسـتخدمت كلمة صـنف منذ البداية للتعبير عن الجماعات الحرفية والمهنية في المجتمع العربي الإســلامي[6]. التي أصبح لكل ذوي أختصاص منهم أصول ونظم خاصة بحرفتهم أو مهنتهم[7].وتقابل كلمة صنف كلمة نقابة [8]، فقد وردت في المصادر إشارات الى النقابات والنقباء[9]، وقد أطلق هذا التعبير على التنظيمات المهنية والحرفية في العصــور الإســلامية الوسـيطة[10].وكان الغرض من وراء تكتل أصـحاب كلّ حرفة أو مهنة في نقابة أو تنظيم هو أنّ هذه الجماعات كانت ترنو الى الاجتماع في مكان واحد لما بينهما من روابط مهنية ومصــالح مشـتركة من أجل حماية أنفسـهم، وتنظيم شـؤون مهنتهم

---

(1) .Ashtor, The Karimi Merchants , P.51

(2) الأصـناف :تعني في اللغة الطائفة من كل شـيء وكل ضـرب من الأشـياء صـنف على حدة. ابن منظور، لســان العرب، ج9، ص169. ويطلق ياقوت الحموي كلمة صـــنف على أهل المهن والحرف. معجم البلدان، ج5، ص410-ص411.

(3) الشـيخلي، صـباح أبرهيم، الأصـناف في العصـر العباسـي نشـأتها وتطورها، بغداد- 1976، ص72.

(4) عرفت المجتمعات الإسـلامية نظام المجاميع والأصـناف منذ العصـر العباسـي الأول، وبمقتضـى هذا النظام كانت كل طائفة تضـم أصـحاب الحرف أو المهنة أو الصـنعة الواحدة وبالتالي فان قيام طائفة تجار الكارم كان أمراً طبيعياً. خفاجي، أحمد عبد الحميد، طبقة التجار في مصـــر المملوكية، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، ع1، 1982، ص65.

(5) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص54.

(6) ن. م، ص65.

(7) ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة – 1963، ص86.

(8) النقابة: مجموعة من الناس يعملون في فرع معين من الأقتصــاد، في فترة من الزمن، ويكونون وحـدة تؤدي وتنجز مختلف الأغراض، بوجود جهــاز معين من الموظفين الذي يختارون من بين أفراد هذه الجماعة ويرأسهـــــم رئيس.=
Goldziher, I., Muslim Studies , Edited by : Stern , S.A., =
.London – 1967, P-11. وبعبارة أخرى نستطيع القول أنّ النقابة تطلق فقط على الجماعات التي تقتصر عضويتها على حرفة أو تجارة أو اتحاد حرفي أو تجاري هدفها خدمة المصالح الإقتصادية والاجتماعية العائدة لاعضائها. لابدوس، أيرامارفين، مدن أسلامية في عصر المماليك، ترجمة: علي ماضي، مصر – 2001، ص166.

(9) النقيب: في اللغة، هو شاهد القوم وضمينهم ورأسهم لانه يفتش عن أحوالهم ويعرفها. ابن منظور، لســـان العرب، ج1، ص769. وكان لزاماً على من يتولى رتبة نقيب أنّ يجتهد في طلب العلم ويكون عادلاً عارفاً وعالماً بصناعته، وله سلطة مالية. الشيخلي الأصناف في العصر العباسي، ص114.

(10) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص68.

والشـــعور بروح الجماعة[1] وكذلك الرغبة في التميز بين حرفة وأخرى فلا تختلط الصنائع النفيسة بالبضائع الوضيعة[2]. وقد يكون عنصر المنافسة هو الذي دفعهم الى التكتل، وذلك للتعرف على الأســعار التي يشــترى ويباع بموجبها[3]، والفائدة التي تجنيها الدولة من جراء وجود هذه النقابات أنّها تســهل عملية التعامل معهم حيث يكون التعامل مع الطائفة أسـهل من التعامل مع الأفراد[4]، وهي تسـهل عملية الرقابة على أي تنظيم[5]، وقد وصــلت هذه النقابات الذروة في المجتمع العربي الإسلامي بعد القرن 5هــ/ 11م، حيث نجد في الحرفة الواحدة تخصصات فرعية متنوعة ورتباً مختلفة[6]. ولم يقتصـر دور النقابة على الجانب الاقتصـادي، بل أدت خدمات اجتماعية ودينية[7] فضلاً عن مشاركتها في الحياة السياسية العامة [8].

كان هناك نظام داخلي لكل تنظيم نقابي يتميز بتدرج الرتب بين أعضـــاء النقابة، كما حُددت واجباتها التي كان من أهمها رعاية مصالح أعضائها، ومكافحة الغش، ومراقبة الأوزان والمكاييل والاهتمام بالمواد التي يتاجرون بها والأســعار وغير ذلك.

وهناك شـروط للانتماء الى النقابة، فهي تشـترط على العضـو تعلم أصـول المهنة ومعرفة أســرارها. والمحافظة عليها وعدم تلقينها الى غير المنتمين اليها. والملاحظ أنّ النقابات الإسلامية نشأت من تلقاء نفسها كمؤسسات شعبية من أجل تلبية حاجات أفرادها، وضـمت أفراد من مختلف الطوائف فكانت مفتوحة للمسلمين وأهل الذمة على حد سواء. وقد أهتمت بالنواحي الدينية والخلقية لأعضائها[9].

ولم تُشر المصادر القديمة التي بين أيدينا صراحة الى وجود نقابة تضم تجار الكارم. لكن كلّ ما كتب عنهم فيها يدلّ على أنّ هؤلاء ســاهموا جميعاً في تأســيس تجمع على صورة نقابة مهنية خاصة بهم قامت على تجارة التوابل بشكل أساسي. ويعزز ذلك ما يتردد في المصـــادر من عبارات تؤيد ما ذهبنا اليه مثل ينتمي الى تجار الكارم ويُعد واحداً من أشـــهر تجار الكارم ورئيســـهم، أو هو من أعيان

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص306.
(2) ابن عبد الله، الحسن، آثار الأول في ترتيب الأول، القاهرة – 1295هـ، ص165.
(3) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص77.
(4) روســتو فتزف، م، تاريخ الامبراطورية الرومانية الأجتماعي والأقتصـــادي، ترجمة: زكي علي، ج1، القاهرة – 1957، ص244.
(5) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص70
(6) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص85.
(7) ن.م، ص166.
(8) المقريزي، الخطط، ج1، ص96؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص437، ص438.
(9) Lewis , Bernard , The Islamic Guilds , Econmic History Review 1937, P. 37 ,؛ ماجد، عبد المنعم، نظم دولة ســلاطين المماليك ورســومهم في مصر، مصر – 1964، ج1، ص127.

الكارم[1]. و هذا يعني أنّ التركيب التنظيمي لهؤلاء التجار مماثل لحد كبير للتنظيم النقابي لأية جماعة حرفية أخرى[2].

ولعل أهم ما يميز طائفة تجار الكارم ارتباطها بروابط المصـــاهرة التي ظلت قائمة بينهم على مدى أكثر من ثلاثة قرون[3]. فهناك صـلـة قوية تربط العاملين فيما بينهم ومع العائلات الكارمية الأخرى، بما أكســـبها المزيد من الصـــفتين المهنية والنقابية. كانت المؤسسات الكارمية محصورة بالإطار العائلي فكل جيل يرث المهنة عن الجيل الســـابق ومكانته المالية والتجارية والاجتماعية، فضـــلاً عن خبرته وتجربته ويصـــورهُ للأحســـن. والكارمي يدرب أولاده ومن يتخيرهم من عبيده من ذوي الفطنة والذكاء وهم في ســـن مبكرة على مباشـــرة الأعمال التجاريةاســـتعداداً لتحمل المسؤوليات والمهارات التجارية ومعرفة الأسواق في مصر والحجاز واليمن والهند وبلاد التكرور وكيفية التعامل معها[4]، متاجرين ومســـتثمرين ومدعماً في الـــوقـــت نـــفســـــه مـــكـــانـــة الأســـــرة الـــمـــتـــوارثـــة فـــي تـــلـــك الأســـواق [5].ووفقاً لوثائق الجنيزة، فقد ضـمت نقابات الكارم تجاراً يهود عملوا في تجارة الكارم في العصـر الفاطمي[6] كبني ســـهل[7]. فالاســلام لم يضـع أي عوائق أو حواجز أمام أي عنصـــر أو مذهب لممارســـة أي عمل بما فيه التجاري، فضـــلاً عن سياسة التسامح الديني التي اتبعتها الدولة الفاطمية مع الديانات الأخرى[8].

---

(1) حطيط، أحمد، قضـايا في تاريخ المماليك السياسـي والحضـاري، ط1، بيروت -2003، ص196.

(2) Fischel , Ubber die Gruppe der Karimi – Kauflete, Studia Arabica 1937 , P. 165 ؛ لابدوس، مدن أسلامية، ص165.

(3) حطيط، قضـــايا في تاريخ المماليك، ص197 ؛ القوصـــي، أضـــواء على تجارة الكارم، ص27، ص129.

(4) طرخان، أبرهيم علي، أمبراطورية غانة الإســـلامية، القاهرة – 1970، ص37؛ لبيب التجارة الكارمية، ص31، ص32 ؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص273.

(5) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص273، أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص394.

(6) القوصـــي، أضـــواء على تجارة الكارم، ص18، ص23؛ Goitien, New Lights, P.175.

(7) بنو ســـهل: يهود من تســـتر الواقعة في جنوب أيران هاجروا الى بغداد بســـبب تنكيل البويهيين لهم ومصادرة أموالهم. وبعد أنتقال السيطرة السياسية والإقتصاديـــة= =مـــن بغداد الى الفسطاط بمجيء الفاطميين، رحلوا الى القاهرة واتخذوا لهم مقراً في داخل الحي اليهودي، وقد برز منهم في هذه الفترة أبو سعد ابراهيم بن سهل التستري اليهودي وأخيه أبو نصـر هارون، فقاما بتأسيس شـركة لهم بأسم الأخوين سـهل وقد أستمر نشاطهما من سنة 411-439هـــ/ 1020-1047م، فكان أبو سعد ابراهيم يعمل في تجارة الكارم وأبو نصـــر هارون يعمل في الصـــيرفة وتحويل الأموال والتســـليف وأعمال الحسـابات . و شـغل أبو سـعد مناصـب رسمية عديدة في البلاط الفاطمي وكان مقرباً من الخليفين الفاطميين الظاهر والمستنصر، الى أنّ قتل في مكيدة دبرت له من قبل أحد الوزراء في سـنة 439هـــــ/ 1047م، أما أخيه أبو نصـر هارون فتوفي سـنة 440هـ/ 1048م. فيشل،ولتر، ج، يهود في الحياة الإقتصادية والسياسة الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة : سهيل زكار، بيروت – 1988، ص99 – 126.

(8) القوصـي، أضـواء على تجارة الكارم، ص25-ص26؛ محمود، حسـن أحمد، حضـارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، بيروت، ص69.

وتحدثت الوثائق نفسها على وجود تجار نصارى في تجارة الكارم في العصر الأيوبي[1]. وحتى العام 586هـ/ 1190م، كان الأنبأ يونس بن أبي غالب[2] يعمل تاجراً في الكارم ويتردد على بلاد الهند واليمن، فكوّن ثروة كبيرة من تجارته في الكارم[3]. وورد اسم عائلة يهودية في العصر الأيوبي كانت تعمل في تجارة الكارم والصيرفة، واستمر نشاطها حتى أيام المماليك وكانت تُعرف بالبيت الكارمي[4].

ورغم ما قيل عن انفراد المسلمين بتجارة الكارم في العهدين الأيوبي والمملوكي، إلاّ أنّها تضم مسلمين ونصارى ويهود أسلموا[5]، فاندمجت خبراتهم مع خبرات التاجر الكارمي المسلم[6]. والسبب يعود في ذلك الى أنّ العمل التجاري بالذات بعيد عن الروح الدينية أو المذهبية أو الطائفية وروح التسامح كانت سائدة، فضلاً عن ازدهار الحركة التجارية في تلك المدة التي شارك فيها الكثيرون من مختلف الأجناس والأديان وقد شجعتها الدولة العربية الإسلامية في شتى أماكنها وعصورها[7]، واستمر وضع الكارمية بهذا الشكل حتى العصر المملوكي إذ اقتصرت تجارة الكارم على المسلمين وحدهم الذين وضعوا الاسلام أساساً لوحدتهم وتمسكوا بمبادئ دينهم وتجمعوا كتنظيم كان أساس بقائهم واستمرارهم في العمل التجاري في مصر[8]. فأصبح التاجر الكارمي المسلم هو تاجر التوابل وسلع الشرق الغالية الثمن[9]. ولأول مرة في تاريخ مصر الإسلامية يُسيطر على التجارة المصرية تجمع اسلامي خالص يتحكم في أهم تجارة عالمية آنذاك هي تجارة التوابل التي

---

(1) Ashtor, The Karimi Merchant , P. 55.

(2) الانبأ يونس بن أبي غالب: بطريك اليعاقبة في الإسكندرية والديار المصرية والحبشة والنوبة توفى سنة 612هـ/ 1215م، وكانت مدة بطركيته 26 سنة و11شهر و23يوم. ابن العميد، تاريخ ابن العميد، ص6؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص30؛ الجعيدي، شلبي ابراهيم، طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، القاهرة -2003، ص173.

(3) ابن العميد، تاريخ ابن العميد، ص128.

(4) Fischel, The Spice Trade, P.166. ؛ Goitein , New lights , P. 180-182

(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص204؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص272؛ اشتور، التاريخ الاقتصادي، ص306، ص394؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص31، ص32؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص30، ص39.

(6) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص35.

(7) أحمد، عبد الكريم، المسلمون والفرنج في البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس الهجري التاسع والثاني عشر الميلادي، ط1، ج1، مصر- 1982، ص277؛ متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص372؛ القوصي، أضواء على تجارة الكارم، ص28.

(8) لبيب، التجارة الكارمية، ص14. ومع ذلك ففي العصر المملوكي عرف عن التاجر الكارمي عبد العزيز بن منصور الحلبي (ت 713هـ/ 1313م) أنّ أباه كان يهودياً من حلب لكنه أسلم في عصر الظاهر بيبرس. المقريزي، السلوك، ج2، ص132، ص133؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص383- ص384؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص229. وقد جمع فييت أسماء عدد كبير من تجار الكارم المسلمين في العهد المملوكي، كان من بينهم من ينسبون الى اصل يهودي. Marchands d'epices Sous LesSultans Mamlouks Cahiers d'histoire Egyptienne Cairo – 1955,P. 106-110.

(9) Piremme , H., Economic and Social History of Med Europe, London – 1937, P. 143.

كانت مصر سوقها والاسكندرية ودمياط مركز تصديرها المشـهورين في العصور الوسطى[1].

اولاً : المراتب الوظيفية لنقابة الكارم

لم تسـعفنا مصـادرنا العربية الإسـلامية القديمة بمعلومات جيدة عن التنظيم النقابي لتجار الكارم و وجد عند بقية التنظيمات الإقتصـادية العربية الإسـلامية الزراعية والتجارية والصناعية ومنذ مدة تعود الى حوالي منتصف القرن 2هـ/ 7م، وولاسيما بعد بناء بغداد على يد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. حيث شاعت هذه التنظيمات المهنية في كلّ مدن الدولة العربية الإسـلامية منذ ذلك الوقت وحتى العصور اللاحقة. لكن الملفت للنظر حقاً أنّ مصادرنا تسكت عن ذكر حقائق محددة دقيقة عن التنظيم النقابي لأهم نشـاط اقتصـادي عرفته مصر، ألا وهو نشـاط تجارة الكارم، فلا تذكر الا نتفاً عن تنظيمهم النقابي، مع أنّ مصـر شـهدت في العصـور الوسـيطة الإسـلامية لبغداد وبقية الحواضـر تنظيماً مهنياً نقابياً طال كلّ مفاصـل الحياة الإقتصادية وبأدق تفاصيلها.

إذن ما علينا إلا محاولة بناء هيكل لمثل هذا التنظيم مسـتندين الى إشـارات محدودة، ولاسيما وان طبيعة العصر ومؤسسـاته الإقتصـادية آنذاك، كانت تقتضـي وجود مثل هذا التنظيم النقابي عند هذه الشـريحة ذات الأهمية الكبيرة في مفاصـل حياة المجتمع آنذاك. وهنا تجدر الإشـارة الى نقطتين أولهما، أننا لانعرف هل أنّ التنظيم النقابي للكارم كان خاصـاً بهم أم أنّه يضّـم تحت سـقفه التنظيمات النقابية الأخرى. وإن كنّا نرجّح الرأي الأول. وثـانيهمـا أنّ المراتـب في هذا التنظيم الذي سنحاول استقراءه من النصوص يختلف بشكل ما عن المراتب الوظيفية أو أعمالها في التنظيمات النقابية الأخرى التي كانت معروفة آنذاك. ولا ندري ما السـبب، فمصـادرنا القديمة لاتسعفنا بأي تعليل أو تفسير لذلك وتأسيساً على هذا يمكننا أنّ نحدد أول مرتبة وظيفية في تنظيم الكارم النقابي وهي :

1. الرئيس

كانت هناك أسس معينة تحدد اختيار من يتبوأ هذه المرتبة من التجار[2] كأن يكون موصـوفاً بالحكمة والعقل والثراء ويُختار من بينهم ثم يوافق السـلطان على تعيينـه ليقوم بمتـابعة وتنظيم أعمـالهم. وعليـه واجبـات مـاليـة تجـاه الـدولـة كجمع الضـرائب المفروضـة على جماعته للدولة، ويشـارك أيضاً في وضـع أسعار جديدة للسـلع، ولاسيما حالات الغلاء[3]، ومن يتولى هذه الوظيفة يخضـع له سـائر التجار حتى أكابرهم. هذه الرئاسـة أتاحت له مركزاً رفيعاً ليس بين تجار الكارم فقط بل في بلاط السـلاطين وعنـد الأمـراء ومـختلـف منـاطق البـحر الأحمـر واليـمن

(1) لبيب، التجارة الكارمية، ص15. أسـس تجار الكارم في قوص بعد أنّ أتخذوها مركزاً هاماً لهم نقابة لهم ، وسـوقاً واسـعاً لتجارتهم سـيطرت على تجارة التوابل وأحتكرتـها أحياناً وصار لهذه النقابة رئيس معترف به من قبل سلاطين المماليك. عاشور، العصر المماليكي، ص291؛ الحويري، أسوان، ص107.

(2) لبيب، التجارة الكارمية، ص34.

(3) المقريزي، السلوك، ج2، ص340.

والحجاز[1].عرفت هذه الوظيفة منذ العصر الفاطمي[2]،وسُمى صاحبها رئيساً أو كبيراً أو ملك التجار، وطبيعة عمله كانت تؤهله لمثل هذا المنصب، فالتجار الكارمية كانوا على شكل عوائل رئاستها وراثية تنتقل من الأب الى الأبن جيلاً بعد جيل[3]. فالابناء يتعلمون أصول مهنتهم في سن مبكرة ويبدأون في إدارة أعمالهم والقيام برحلات تجارية بعيدة[4]. إنّ أهم شروط اختيار الرئيس هو أنّ يكون من أهل المهنة وأكثر الكارمية مالاً وجاهاً ونفوذاً و خُلقاً [5].ويبدو أنّ السلاطين كانوا يتدخلون أحياناً في اختيار أو تغيير رئيس الكارمية بناءً على مدى ولائه للسلطان أو ما أسدى إليه من خدمات سياسية أو مادية لمكانته التجارية[6] وقد وردت في المصادر التي أرخت للدولة المملوكية أسماء لعائلات وبيوت تجارية تولّى رؤساؤها الكارم منذ العصر الفاطمي وحتى العصر المملوكي حفل تاريخها بالعمل في توطيد مكانتها المالية و تعددت مآثرهم الجليلة، أمثال أسر الكويك والربعي والدماميني[7] والبالسي والطبندي[8] والمخزومي والخروبي والمحلي[9].

---

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص219؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص289.

(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص340.

(3) Wiet , Les Merchands d'pices , P. 130.

(4) غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص82؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص273؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص394.

(5) أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص413.

(6) ينظر: ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص211.

(7) الدماميني: نسبة الى بلدة دمامين، وهي بلدة حسنة طيبة الهواء كثيرة الزرع. الادريسي، نزهة المشتاق، ص49. وذكر ابن مماتي أنها من أعمال مدينة قوص في الصعيد. قوانين الدواوين ، ص141؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص462؛ الادفوي، الطالع السعيد، ص16.

(8) الطبندي: نسبة الى قرية من قرى ناحية مغاغة في المنيا في صعيد مصر. الحموي، معجم البلدان، ج4،ص42.

(9) وأبرز رؤساء تجار الكارم في العصر المملوكي، شمس الدين الكويك (ت 714هـ/ 1314م) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص252. وسراج الدين الربعي (ت714هـ/ 1314م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص23. وتاج الدين الدماميني (ت 731هـ/ 1330م). ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص156 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج10، ص229 . وناصر الدين البالسي(ت776هـ/1374م). المقريزي، السلوك، ج3، ص426. وعتيق بن محمد المخزومي (ت 781هـ/ 1379) رئيس تجار الكارم بالاسكندرية. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص289. وزكي الدين الخروبي (ت 787هـ/= =1385م). الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص443. وشهاب الدين المحلي (ت 806هـ/ 1403م) ابن اياس، بدائع الزهور، ج4، ص38. وبرهان الدين الطلحي (ت745هـ/ 1344م). الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص175، ص253. وناصر الدين بن مسلم الكارمي المالكي الدمشقي المعروف بالرندي (ت 723هـ/ 1323م) . السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج2، ط1، بيروت- 1993، ص420. و كان هناك ثلاثة من رؤساء الكارم موظفين لدى الدولة كالشيخ علي الكيلاني تاجر السلطان المؤيد شيخ. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2،

والملاحظ أنّ بعض هؤلاء الرؤســاء في مصـر حصـلوا على ألقاب عدة منها لــقــب كــبــيــر الــتــجــار [1]، وكــذلــك تــجــار الــكــارم فــي دمشــــق[2] ومكة[3]. و حصـل بعضـهم على ألقاب أخرى أطلقت عليهم من قبل عامة التجار من قبيل الاحترام [4]. مثل شــاهبندر التجار[5] وكذلك ملك التجار[6] لكن الملاحظ أنّ هذه الالقاب لم تكن شائعة، بل حدثت في حالات قليلة، وهناك عدد من تجار الكارم سُموا

ص62. وابن عليبة الاسكندري تاجر السلطان قايتباي. ابن أياس، بدائع الزهور، ج3، ص221. وقد عملا في تجارة التوابل لصــالح السـلاطين. والثالث هو التاجر نور الدين الطبندي الذي كان له حصة في احتكارات السكر التي كان يقوم بها السلطان برسباي. السـخاوي، الضـوء اللامع، ج6، ص30؛ السـخاوي، الذيل على رفع الآصـر، تحقيق: جودة هلال ومحمـد محمود، مراجعـة: علي البجـاوي، القـاهرة – 2000، ص271؛ لابدوس، مدن أسلامية، ص164.

(1) ومنهم محمد بن علي البالســي (ت 776هـــــ / 1374م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص363. ومحمد بن محمد الاسكندري (ت777هـ/ 1375م). السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص83. ونور الدين الخروبي (ت803هــــ/ 1400م). المقريزي، الخطط، ج2، ص369. وخير الدين الروكي الرومي (ت 820هـ/ 1417م). السخاوي، الضــوء اللامع، ج3، ص694. ومحمد بن محمد بن البراق (ت 822هــــ/ 1439م). السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص167.

(2) ومنهم ابن مزلق الحلبي الدمشقي (ت 878هـ/ 14732م). السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص173. والحسن بن علي الاسعردي (ت 801هــ/ 1398م). السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص103. وتاج الدين الرهايلي الذي كان من أكابر تجار دمشـق الكارمية. ابن كثير ، البداية والنهاية، ج14، ص156.

(3) ومنهم بدر الدين الصفدي اليمني الطاهر (ت 860هـــ/ 1455م). السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص127.

(4) لابدوس، مدن أسلامية، ص258.

(5) حمل لقب شاهبندر التجار في جدة أحمد بن علي بن محمد الخواجا الكواز. السخاوي، الضــوء اللامع، ج2، ص43. و كان منصـب شــاهبندر التجار حتى فترات متأخرة في مصــــر يتوارث من قبل العائلات، وكان آخر شــــاهبندر للتجار في القاهرة هو أحمد المخزومي الذي خلف أحمد عبد الســـلام. الجبرتي، عبد الرحمن بن حســـن، عجائب الاثار في التراجم والأخبار، ج2، بولاق – 1297، ص219؛ جومار، وصــــف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، مراجعة: ايمن فؤاد السيد، ط1، القاهرة –1988، ص292.

(6) أول من لقب بملك التجار هو عبد الرحمن بن زوران بصري (ت 879هـــ/ 1474م). الســخاوي، الضــوء اللامع، ج4، ص87. ابن قاوان الجمال الكيلاني (ت 889هـــــ/ 1481م) الســخاوي، الضــوء اللامع، ج1، ص44، ص45. وعبد الله الأبيوردي (ت 895هـ/ 1490م). السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص116.

أعيــان التجــار[1]، وفي أحيــان أخرى لقبوا بــالجنــاب العــالي[2] وملجــأ الفقراء والمساكين[3]، ومن الجدير بالذكر الاشارة الى أنّ بعض هؤلاء الرؤساء تولوا إمارة بعض الولايات كالذي حدث للتاجر الكارمي حسن بن مزلق الذي أنعم عليه السلطان برسباي بإمرة جدة في سنة 841هـ/ 1437م[4].

وظل منصــب رئيس التجار أو كبير التجار مقصــوراً على الكارمية لما بلغوه من مكانة اجتماعية وتجارية ومالية، ولكن منذ أواسط القرن 9هــ/ 15م، فقدت هذه الوظيفة كثيراً من مكانتها المرموقة، فقد بلغ الأمر أنّ أحد الأمراء المماليك أمســك في سنة 827هــــ/ 1425م، بنور الدين الطبندي رئيس التجار وضربه ضرباً مبرحاً لموقف بينهما[5]. لكنه مع ذلك ظل قائماً حتى زمن العثمانيين [6].

2. الوكيل

وهي المرتبة الثانية في التنظيم النقابي الكارمي ففي كثير من الأحيان كان رؤساء التجار يعتمدون على عدد من المستخدمين لمباشرة شؤون تجارتهم سمّوا بالوكلاء[7]. وهي تعني نائب التاجر[8].وعمله يتمحور في جلب متاجر البلاد التي يفدون عليها أو يستقرون بها ويروّجون فيها المواد التي يحملونها اليهم[9]، وكذلك

(1) ومنهم ابن غنوم نجم الدين الدماميني (ت 707هــــــ/ 1307م). الادفوي، الطالع السعيد، ص456. ومحمد بن حسين بن الكويك(ت764هــ/ 1362م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص429. ابو بكر فخر الدين التبريزي ابن بعلنبد (ت 859هـ/ 1454م). السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص93. ويعقوب بن محمد البرلسي (ت 883هـــــ/ 1478م). الســخاوي، الضــوء اللامع، ج10، ص285، ص286. ونور الدين علي بن عنان. أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين، ج3، ص139 .

(2) الجناب العالي : أحد ألقاب التعظيم، وأقدم من تلقب به الســلطان ســنجر الســلجوقي وأنتقل الى الأيوبيين لكنه لم يعد يطلق عليهم وأنما أستعمل للوزراء، وتدرج أستخدام اللقب في عصر المماليك الى عدة وظائف، وقد أورد القلقشندي أنه كان أرفع الألقاب بالنسبة لطبقة العلماء والقضاة والتجار أيام المماليك. صبح الأعشى، ج5، ص449، ج7، ص85.

(3) أطلق على عمر بن محمد بن علي الخواجا الدمشقي (ت 841هـ/ 1437م). السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص120.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص126.

(5) ابن حجر، أنبــاء الغمر، ج2، ص207؛ ابن تغري بردي، المنهل الصــــافي، ج3، ص527.

(6) كان رئيس التجار في مصر على أيامهم الخواجا جمال الدين الذهبي، وقد انشأ له منزل بحارة خشقدم سنة 1047هــ/ 1637م، وهو باقي لحد الآن على حالته الأولى. أحمد ، محمود، تاريخ العمارة الإسلامية بمصر ، مقال في كتاب في مصر الإسلامية، ص94.

(7) المقري، أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصــن الأندلس الرطيب، نشــر: محي الدين عبد الحميد، ج2، القاهرة – 1949، ص628.

(8) هذه الوظيفة تشبه وظيفة قناصل المدن الإيطالية في بلاد الشرق، جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص276.

(9) لبيب، التجارة الكارمية، ص31، ص32.

اسـتيفاء ديون مرؤوسـيهم. ومن الوكلاء من يعمل لأكثر من تاجر[1]. والتعامل بين التاجر والوكيل قائم على أســـاس الثقة[2]، فكان التجار يطلقون يد الوكيل في البيع واستيفاء الأموال[3]. ومن مهامه أيضاً متابعة أعمال رؤسـائهم في الموانئ والمدن المتعامل معها ويشـرف على تسـويق بضـائعه ويشـتري له السـلع التي يحتاجها. ووكيل التاجر الناجح هو الذي يسـتطيع الحصـول على توكيلات متعددة من التجار لمباشـــرة أعمالهم والقيام على شـــؤونهم في غيابهم[4]، وقد تمتع هؤلاء الوكلاء المقيمون بالموانئ بامتيازات خاصة، من لدن حكامها[5].

وعليه أيضـاً أنّ يبني مخزناً يسـمى وكالة يخزن فيه بضـائع عملائه يكون بمثابة مكتب لمتابعة عملياته وصفقاته التجارية بوجه عام أو للسلع التي تخصص فيها. كذلك كان يقوم بدور الصـــراف[6] حيث يودع التجار أموالهم لديه، وهو الذي يقوم بالدفع نيابة عنهم وتدريجياً أصـبحت تشـبه مكتب البريد، حيث كانت تُرسـل اليها الرسـائل الخاصـة بالعملاء[7]. ويبدو أنّ الدولة سـاهمت أحياناً ببناء الوكالات، ففي إشارة وردت لدى ابن ميسر تذكر ((أنّه في سنة 516هـ/ 1122م أمر بتشييد دار للوكالة في القاهرة للتجار الواصلين من العراق وبلاد الشام)) [8]. ويبدو أيضاً من بعض إشـارات وثائق الجنيزة، أنّ الدولة كانت أحياناً تعين بعضـهم كوكلاء، أو على الاقل توافق رسمياً على تعيينهم، وعندها تضع الدولة في اعتبارها مكانة هذا الشـخص بين زملائه وحسـن سـيرته ودقة عمله[9]. وقد قدر ابن حجر عدد التجار الكارمية مع وكلائهم بأكثر من ثلاثمائة تاجر ((مائتي كارمي ومائة وكيل لهم)) في بداية عصر السلطان الناصر محمد.[10] ومن التجار الكارمية الذين كان لهم وكلاء، التاجر الكارمي ناصر الدين محمد بن مسلم فقد كان له عدد من الوكلاء يرسلهم الى

---

(1) أوفد التاجر الكارمي، سـراج الدين بن الكويك أحد وكلائه مع الملك منسـا موسـى الى بلاد التكرور للتجارة وأسترداد أمواله، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص405.

(2) موسـى، عز الدين، النشـاط الاقتصـادي في المغرب الإسـلامي خلال القرن السـادس الهجري الثاني عشر الميلادي، بيروت، ص281.

(3) الونشـريسـي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والاندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء، إشـــراف: محمد حجي،ج6، بيروت – 1981، ص207.

(4) Maqbul, Ahmad , Indo- Arab Relations, New Delhi – 1978 , P. 151.

(5) جويتن، دراســـات في التاريخ الإســـلامي، ص272 ؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص276.

(6) يصـدر الصـراف خطاب ضـمانات لتسـهيل مهمة التاجر فبعد تسـليمه لمبلغ معين يقوم بتوجيه تعليمات الى وكيله في البلد الذي يريد التاجر أو المســـافر تحويل المبلغ اليه. عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص276.

(7) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص272.

(8) تاج الدين محمد بن علي، تاريخ مصر، نشر: هنري ماسيه، القاهرة – 1919، ص81.

(9) جوتين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص257، ص273.

(10) أنباء الغمر، ج1، ص96.

جهات مختلفة كالهند والحبشة وغرب أفريقيا[1]، و كان لبعضهم وكلاء محليين مثل مجد الدين معالي الكارمي[2].

3. تجار التجزئة

وهم التجـار المحليون من بـائعي التوابـل خـاصـــة وأيضـــاً البخور والعطور[3].ومع أنّ المصـادر لم تسـلّط عليهم الضـوء تماماً[4]، إلاّ أنّ اسـتقراءنا للنتف الضئيلة المذكورة عنهم في الكتب تؤكد أنّهم شكّلوا مرتبة وظيفية في التنظيم النقـابي للكـارم. ومن المحتمـل أنّ علاقتهم كـانـت أقوى مع الوكلاء أكثر من الرؤسـاء[5]. ويفهم من اســمهم، أنّهم التجار الذين كانوا يبيعون بالمفرد للناس مباشرة.[6]

4. الخدم والعبيد

تمتع التجار الكارمية تحديداً بمكانة اجتماعية مرموقة بفضـــل علاقاتهم السـيـاســية والاجتماعية المتنوعة، وبفضـــل الثروات الهائلة التي امتلكوها؛ لذا وبســبب كثرة وتنوع عملهم، ظهرت بينهم مرتبة رابعة هم العبيد[7]. فقد احتاج هؤلاء التجـار الى من يتـابع أعمـالهم التفصــيليـة الكثيرة، فعهدوا بهـا الى بعض عبيدهم ممن يتميز بالفطنة وثقة رؤسـائهم. فيختارهم التاجر الكارمي ويدرّبهم على أعمالهم و يدرّب أولاده، ثم يكّلفهم ببعض المهام التجارية تدريجياً في شتى الأماكن التي يتعاملون معها[8]. وعادة ما يقومون بجلب سلع تلك البلاد التي يفدون اليها أو يستقرون بها[9] وخاصـة تجارة التوابل [10]. واسـتنتاجنا الذي نتوصـل اليه بالرغم من قلة المعلومات في مصادرنا القديمة، أنّ هؤلاء بدأوا يشكلون الطبقة الرابعة في التنظيم النقابي الكارمي. وجرت العادة أنّ يصـطحب التاجر الكارمي عدداً من عبيده في رحلته التجارية[11]. قد يصـل الى سـتة، تحت يد كلّ واحد منهم مائتا ألف دينار لمتابعة عمل سيده التجاري[12].ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، بل إنّ بعض الكارمية أحاطوا أنفســهم بالحرس منهم لثقتهم بهم وقدرتهم على تأمين حياة مرؤوســيهم

---

(1) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص96، ج6،ص9 ؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص394، عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص272.
(2) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص44.
(3) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص273.
(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص103
(5) Meqbul ,Indo-Arab Relations , P. 151.
(6) Ashtor, Studies on the Levantine Trade in the Middle Age, Princet on University Press, 1984, , P55.
(7) كان للتجار الكارمية أعداد كبيرة من الرقيق والخدم ليقوموا على خدمتهم الشـخصـية. لابدوس، مدن أسلامية، ص200.
(8) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص273؛ حطيط، قضـايا في تاريخ المماليك، ص196؛ لبيب التجارة الكارمية، ص31، ص32؛ Fishcel , The Spice Trade, P. 166.
(9) المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص26.
(10) الحويري، أسوان، ص108.
(11) خفاجي، طبقة التجار في مصر المملوكية، ص63، ص65.
(12) المقريزي، السلوك، ج2، ص133؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2،ص204، ص493.

والمواد التجارية العائدة لهم[1]. فمثلاً كان للتاجر الكارمي ابن رواحة الاسـكندراني ما بين 100 - 200 من العبيد حملة السلاح[2].

ثانياً. الوظائف الرسمية التي تولاّها تجار الكارم

استطاع تجار الكارم أنّ يدعموا نفوذهم التجاري والاجتماعي ومكانتهم عن طريق شغلهم لبعض الوظائف المهمة في داخل مصر وخارجها، وإن كانت المصادر المملوكية لم تشر في معظم الأحيان الى تواريخ تولّيهم تلك الوظائف. وتنقسم هذه الوظائف الى قسمين :

1. الوظائف الدينية [3]:

أ. القاضي

وهذه الوظيفة شـغلها عدد من التجار الكارمية، منهم شـمس الدين محمد المصـري الذي ولّي قضـاء العسـكر[4] مرتين في سـلطنة السـلطان الناصـر محمد[5]، كما تولّى التاجر الكارمي شـهاب الدين بن البرهان قضـاء الإسـكندرية[6]، وشغل التاجر الكارمي شهاب الدين بن الكويك قضاء قوص[7].

تولّى بعضـهم القضـاء لمذهب معين كالتاجران برهان الدين المحلي وجلال الدين المحلي اللذان تولّيا قضـاء الشـافعية بمصـر [8]، وكان للتاجر الكارمي بدر الدين الفارسكوري قضـاء مدينة فارسكور[9] بحسـب المذهب الشـافعي أيضـاً[10].

---

(1) ابن حجر،الدرر الكامنة،ج4، ص257؛ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج3، ص363.

(2) بسرور رشيدة، الإسكندرية في العهد المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة كونس، كلية الاداب – 1986، ص12 ؛ لابدوس، مدن أسلامية، ص200.

(3) كان أرباب الوظائف الدينية ينقسـمون الى قسـمين: الأول من لهم مجلس بالحضـرة السلطانية وهم قاضي القضاة وقضاة العسكر والمحتسب ومفتو دار العدل اما القسم الثاني الذي ليس لهم مجلس بالحضـرة السـلطانية فعددهم لاحصـر له، ومنهم نقيب الاشراف وناظر الاوقاف وشيخ المشايخ وغيرهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص34، ص39.

(4) قضـاء العسكر : المقصود بالعسكر هو الجيش النظامي الثابت الذي يستخدم أفراده بصفة دائمية ويتقاضون راتباً منظماً أما الجند فهم أجناد الأمراء، وعلى كل أمير إعداد ما يتطلبه إقطاعه وإذا نشـبت الحرب ذهب الأمير الى الميدان بجنده وإذا انتهت عادوا الى اقطاعاتهم. سعداوي، نظير حسان، جيش مصر أيام صلاح الدين، القاهرة -1956، ص8، ص9، ص12. وكان للعسكر قضـاة يحضـرون مع قضـاة الشرع في دار العدل وكانت رتبتهم في مجلس السـلطان دون رتبة قضـاة الشـرع، وظلت هذه الوظيفة الى اليوم التي تعرف بالقضـاء العسـكري ولهم محاكم خاصـة بهم. العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص123،ص124.

(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333، ص334؛ ج4،ص198،ص283.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص98.

(7) الادفوي، كمال الدين أبي الفضـل معتز بن ثعلب، الطالع السـعيد الجامع لأسـماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: طه الجابري، القاهرة – 2001، ص595.

(8) الخزرجي، العقود الؤلؤيـة، ج2، ص175، ص235؛ ج4، ص198، ص283؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص451، ص471.

(9) فارسكور: قرية من قرى محافظة الدقهلية بمصـر، مبارك ، الخطط التوفيقية، ج14، ص64.

(10) الادفوي، الطالع السعيد، ص193.

وعين التاجر الكارمي بدر الدين بن أبي بكر الدماميني قاضياً في اليمن[1]، ثم قاضي قضاة للمالكية في أيام السلطان الناصر محمد[2].

وكان لبعضـهم منصب القضـاء خارج مصر، يروى أنّ التاجر الكارمي، عبد الله بن خضـر الجزري تولّى القضـاء بدمشـق وبغداد قبل غزو المغول للاخيرة.[3] وفي سنة 844هـ/ 1440م، شغل التاجر الكارمي أحمد بن أبي بكر القضاء في بلاد الشـام[4]، أمّا في مكة فقد تولّى التاجر الكارمي شـرف الدين المعروف بالمشـهدي قضـاء مكة[5]. وتولى الكارمي شـهاب الدين بن أبي العيون قضـاء جدة والتوقيع[6] بقضائها[7].

ب. نائب القاضي

أمّا نيابة القضاء، فقد تولاّها التاجر الكارمي سراج الدين بن محمد المصري في مصـر في عهد السـلطان الناصـر محمد بن قلاوون[8].و شـغلها التاجر الكارمي شمس الدين محمد المصري في سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير (708-709هـ/ 1309-1310م) [9] وكذلك ناب في القضاء بمصر التاجر الكارمي زين الدين الزيني أبو بكر[10]. وتولى التاجر الكارمي بدر الدين أبي بكر الدماميني نيابة القضـاء بالاسكندرية والقاهرة [11]. و كان للتاجر الكارمي بدر الدين الفارسكوري قبة لنيابة القضاء في سرياقوس [12].

(1) ابن تغري بردي، الدليل الشـافي على المنهل الصـافي، تحقيق : محمد فهيم شـلتوت، ج2 ، السعودية، جامعة ام القرى – 1375هـ، ص583، ص584.
(2) ن.م، ج2، ص583، ص584؛ السـامرائي، يونس الشـيخ أبرهيم، علماء العرب في شبه القارة الهندية، ط1، القاهرة – 1959، ص153.
(3) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن،ص152.
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص328، ص329.
(5) السخاوي، الضوء اللامع، ص235، ص236.
(6) التوقيع : الشـخص المكلف بكتابة التوقيعات والمراسـيم. الهيلة، محمد الحبيب، النظم الادارية بمصـر في القرن لتاسـع من خلال كتاب روضـة الاديب ونزهة الاريب لابن ظهيرة الحنفي، أبحاث الندوة الدولية، القاهرة – 1971، ص108.
(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص303، ص304.
(8) ن. م، ج3، ص169
(9) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333، ص334.
(10) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص80.
(11) ابن تغري بردي، الدليل الشافي ، ج2، ص583،ص584.
(12) سرياقوس: قرية قرب الفرما على الطريق الخارج من مصر نحو بلاد الشام. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص144. وهي الآن من قرى شبين القناطر بمحافظة القليوبية في شـمال القاهرة. على بعد 18 كم منها . الصيرفي، أنباء الهصر، ص14؛ السـخاوي ، الضوء اللمع ، ج11 ، ص121.

وناب بالقضاء بمنية بني خصيب [1] التاجر الكارمي محمد بن سويد[2] كما ناب في القضاء التاجر الكارمي جلال الدين محمد الزفتاوي[3] وتولى نيابة القضاء المالكي بمصر تاجرا الكارم عبد الرحمن بن سويد[4] وفتح الدين بن سويد[5]. وناب في القضاء الشافعي التاجر الكارمي شمس الدين بن محمد المصري[6]. أمّا خارج مصر فقد نابَ التاجر الكارمي بدر الدين المكي في قضاء مكة[7].

ج. المحتسب

كان لمتولّيها مجلس بالحضرة السلطانية أيام المماليك، ومن واجباته منع الغش والتلاعب بالأسعار والموازين في الأسواق[8]. وكان يراعى في اختياره أنّ يكون ذا سمعة حسنة لسبب آخر وجيه، إذ أنّ سمعة سلاطين المماليك الخارجية الجيدة كانت مرتكزة على سلامة مُعاملاتهم في الأسواق؛ لذا حرصت الدولة على ألاّ تتعارض الحسبة مع الأنظمة التجارية المطبقة مع تجار الكارم خاصة ومع التجار الأجانب الوافدين على اعتبار أنّ إيرادات الأسواق، ولاسيما من تجارة الكارم أصبحت مصدراً رئيساً لميزانية الدولة. جرت العادة أنّ يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء، وأحياناً يجمع بين الحسبة والقضاء[9]. وأشهر من تولّى الحسبة من تجار الكارم القاضي شرف الدين الدماميني الذي كان محتسب القاهرة في سنة 798هـ/ 1395م، وخلع عليه، ثم عزل وأعيد مرة أخرى في السنة التالية[10].وتولّى الحسبة في مصر أيام السلطان الظاهر جقمق التاجر الكارمي محمد بن الشهاب المصري اللبان وابن[11] الجمال المصري الكارمي[12]. وفي سنة 789هـ/ 1387م، تولّى

---

(1) منية بني الخصيب : مدينة كثير الاهل والسكن. الحموي، البلدان، ج5، ص218. وتنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد هارون الرشيد ابن زنبل، أخر المماليك، ص158. أختلفت المراجع في اسم هذه المدينة بين منية ابن الخصيب وابي الخصيب وبني الخصيب. تقع هذه المدينة في شمال أسيوط بصعيد مصر على حافة نهر الغربية. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص114. وتعرف اليوم باسم المنيا. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص9 حاشية (1) ؛ الجعيدي، طبقة العامة في مصر، ص53، ص202.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص27.

(3) ن. م، ج9، ص 281.

(4) ن. م، ج4، ص73، ص74.

(5) ن. م، ج7، ص287، ص288.

(6) ن.م، ج9، ص50.

(7) ن.م، ج3، ص201، ص202.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص37؛ المقريزي، السلوك ج2، ص415. عددَ المقريزي ثلاثة محتسبة ((واحد للقاهرة والوجه البحري، وواحد للفسطاط والوجه القبلي وثالث خاص بثغر الإسكندرية ومحتسب القاهرة أعظمهم، له حق حضور مجلس القضاء في دار العدل)). الخطط، ج1، ص464.

(9) دراج، أحمد، الحسبة وأثرها الاقتصادي في مصر المملوكية، المجلة التاريخية المصرية، م14، 1968، ص110-ص116.

(10) العيني، عقد الجمان، ص396، ص398، ص407، ص408.

(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص50.

(12) ن. م، ج11، ص74.

حسبة القاهرة نجم الدين الطبندي [1]، وتولّى شمس الدين بن السلعوس نظر الحسبة لمّا قدم الى القاهرة في عهد السلطان الأشرف خليل[2]. وتولى التاجر الكارمي حسن بن محمد بن مزلق حسبة دمشق[3]، أمّا حسبة جدة فقد تولاّها التاجر الكارمي ناصر الدين بن بخشيش[4].

د. نقيب الإشراف

لم يكن لمتولي هذه الوظيفة مجلس بالحضــرة الســلطانية وتتلخص وظيفته في الإشـراف على ما يسـمى بنقابة الإشـراف[5] التي كان عليها الاهتمام بأمور فئة مهمة من المجتمع الإسـلامي هم الإشـراف الذين ينتسـبون للرسـول محمد (ρ) من علويين وعباســيين وعليها تقع مهمة المطالبة بحقوقهم [6]. وقد تولّى محمد بن عيسى أبو السعادات الشافعي المصري هذا المنصب في مصر[7].

---

(1) العيني، عقد الجمان، ص216.
(2) النويري، نهاية الارب، ج31، ورقة178 ،191.
(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص55.
(4) ن. م، ج3، ص126.

(5) نقابة الأشـراف: أوجد الاسـلام نوعاً من شـرف النسـب في أقرباء أكرم الرسـل النبي محمد (ص) من أهل بيته، وقد أطلق عليهم اسم الأشراف وكانت أعدادهم في المجتمع الإســلامي كبيرة. الصــابي، هلال بن المحســن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الســتار أحمد، القاهرة - 1958، ص25. فأصــبحت لهم نقابة عرفت بنقابة الأشــراف. القلقشــندي، صــبح الأعشــى، ج4، ص37. ومن أحكام هذه النقابة أنّ الجهة المولية فيها هو الخليفة أو من يفوضــه في تدبير الأمر كالوزير أو أمير الأقليم. الماوردي، أبو الحســن علي بن محمد، الاحكام الســلطانية والولايات الدينية، ط1، القاهرة – 1960، ص96. ويرأس هذه النقابة عادة النقيب ووظيفته تولي أمورهم وضــبط أنســابهم وتدوين مواليدهم ووفياتهم وينزههم عن المكاســب الدنيئة ويطالب بحقوقهم، ويدعوهم الى أداء الحقوق. الماوردي، الأحكام الســلطانية، ص96. وقد وضعت شروط يتم بموجبها أختيار النقيب، منها أنّ يكون من أخيار الناس وأجلهم بيتاً، وأكثرهم فضلاً وأجزلهم رأياً. الماوردي، الاحكام السلطانية، ص96.
(6) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص68.
(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص276.

الوظائف الرسمية [1]

أ. الإمارة

لم تقتصـــر وظائف تجار الكارم على الوظائف الدينية بل تعّدى ذلك الى الوظائف الحكومية، التي كان في مقدمتها وظيفة الإمارة. فقد تولّى التاجر الكارمي شمس الدين حسن بن مزلق إمارة جدة في سنة 841هـــ/ 1437[2]. وعندما وصل تاج الدين بن الكوملي الكارزوني الكارمي من أرض الترك الى الهند ولاه ســـلطان الهند مدينة كنباي، وصـارت له أموالاً عظيمة من متحصـل الضـرائب على السـفن القادمة من المليبارد وسيلان اليها[3].

ب. ناظر[4] الجيش

يختص ناظر الجيش برئاســـة ديوان الجيش، وكذلك تولي شـؤون اقطاعات المملكة سواء كان في مصر أو في بلاد الشام، والكتابة بشأنها، وأخذ رأي السلطان ومشـاورته في أمرها، ويسـاعده في عمله هذا عدد من الموظفين[5].هذا المنصـب تولاه التاجر الكارمي زين الدين بن مقبل الزيني في مصــــر[6]. وشـــغلها التاجر الكارمي موسى الأنصاري في عصر السلطان أينال[7]، وفي سنة 799هــ/ 1396م،

(1) تسمى أيضـاً الوظائف الديوانية إذ إنّ السلطة في مصر تنقسم الى سلطة سياسية وتشمل أرباب الوظائف الديوانية وهم قسمين الأول الأمراء داخل الحضرة السلطانية ومنهم نائب الســـلطان والأتابك والوزير وحاجب الحجاب والوالي ومن يعاونهم من الحجاب والولاة وعددهم25 موظف. أما الثاني فهم الأمراء خارج الحضرة السلطانية وهم ثلاث طبقات نواب الســـلطان في الأقاليم كالاســـكندرية والوجه القبلي والوجه البحري والكشــــاف أو والي الولاة. أما الطبقة الأخيرة فهم الولاة بالوجهين القبلي والبحري وهم سبعة ولاة، أمراء طبلخاناه وسبعة ولاة أمراء عشرة، والسلطة الثانية هي الدينية أو الشرعية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص16-ص27.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص482؛ الســخاوي، الضــوء اللامع، ج3، ص126.

(3) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص167، ص242، ص245؛ المشـــهداني، ياســـر عبد الجواد، الهند من خلال رحلة ابن بطوطة، أطروحة دكتوراه غير منشـــورة، جامعة الموصل، كلية التربية- 2005،ص77.

(4) الناظر: يعني المشرف وخاصة المالي فهو ينظر في الأموال والايرادات والمصروفات وترجع اليه حساباتها، وتختلف باختلاف ما يضاف اليه، مثل ناظر النظار وناظر ديوان النظر وناظر الجيش وكذلك النظر في أمور الجوامع وناظر المال وناظر الدواوين وغيرها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص465؛ الباشا، الفنون الإسلامية، ج3، ص117.

(5) وهم صاحب الديوان والمستوفي ومستوفي أقطاع العرب ومستوفي الرزق. الخالدي، المقصـــد الرفيع، ورقة 136، البيومي، النظم المالية، ص237. ويســـاعده هؤلاء في أمور ديوان الانشاء، وملبس الجند في عروضهم العسكرية أمام السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ص21، ص22.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص80.

(7) ن.م، ج10، ص186، ص187.

شــغل التاجر الكارمي شــرف الدين الدماميني نظر الجيش بالديار المصــرية[1]، ثم أُقصــي عنها في سنة 800هـــــ/ 1397م[2]. وكذلك عمر ابن أبي الفتوح الدماميني الكارمي نظر الجيش بالقاهرة[3] أمّا نظر جيش بلاد الشــــام فقد تولاّها من التجار الكارمية شمس الدين بن مزلق[4].

ج. أمير الطبلخاناه [5]

وهي رتبة عسكرية، لأميرها رئاسة أربعين فارس[6]. وتولاها زمن السلطان قايتباي عدد من تجار الكارم كان أبرزهم أحمد بن مسلم شهاب الدين[7].

د. موقع [8] الدست

ويســـــمى أيضــــاً كاتب الدســـت[9]، وهي وظيفة مرموقة، وذلك لقربها من السلطان، وقد شغلها التاجر الكارمي شمس الدين بن الفخر المصري[10].

هـ. وكالة بيت المال

شغلها من تجار الكارم شمس الدين موسى في عهد السلطان خشقدم (865-872هـــــــ/ 1461-1467م)، وكــان لـمـتـولـيـهـا مـجـلـس بـالـحـضــــرة السلطانية[11].

---

(1) الصــيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص440 حاشــية (3) ؛ العيني عقد الجمان، ص401، ص408، ص426.

(2) العيني، عقد الجمان، ص446 ؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج1، ص500.

(3) الادفوي، الطالع السعيد، ص438، ص439.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص482؛ الســخاوي، الضــوء اللامع، ج3، ص126.

(5) الطبلخاناه: معناه بيت الطبل الذي يحوي الطبول والأبواق وتوابعها من الالات الخاصة بالدولة والجيش ويشرف عليها أحد أمراء العشرة يسمى أمير علم يقف عند ضربها في كل ليلة ويتولى امرها في السفر. وهناك من يضرب على الطبل وأخر على الصنوج النحاس. الداودار، زبدة الفكرة،ج9، ص91 حاشية (2).

(6) العمري، مســالك الابصــار في ممالك الامصــار، تحقيق: أيمن فواد ســيد، القاهرة – 1985، ص93 ؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص113.

(7) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص366؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص386.

(8) الموقع : الشــخص المســؤول عن التوقيع وهو لفظ يطلق على كل تولية ســواء كانت مراسـيم أو تفاويض. العمري، التعريف بالمصــطلح الشــريف، ص94. وأصــله الكتابة على الرقاع والكُتب. بما يعتمد الكاتب من أمر الولايات، والأمور المتعلقة بالســـلطنة والتحدث في المظالم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج10، ص110.

(9) كاتب الدست: صاحب ديوان الانشاء أو ناظر الانشاء الشريف، ويجلس مع كاتب السر في مجلس الســلطان، ويقوم بقراءة الكُتب والتظلمات والمكاتبات على الســلطان بعد قراءة كاتب السر وتكون قراءتهم على ترتيب جلوسهم، ويوقع على الكُتب بما يأمر به السلطان ثم ترفع الى كاتب السر. وسمي كاتب الدست نسبة الى دست السلطان وهي المرتبة التي يجلس عليها وهم من حوله للكتابة بين يديه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص137؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص82.

(10) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص276.

(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص186، ص187.

و. نظر الكسوة

ومن الكارمية من تولّى نظر الكسوة، كالتاجر الأنصاري موسى بن علي في عصر السلطان المؤيد شيخ[1]، أمّا في عهد السلطان الإشراف قايتباي فقد تولاّها التاجر الكارمي عبيد الله الأبيوردي [2]. وتولاها أيضـاً منهم شـرف الدين محمد بن سليمان بن جعفر الدماميني[3].

ز. رئاسة المتجر السلطاني

شكلت هذه الوظيفة إحدى الوسائل التي اعتمدتها الدولة في علاج الأزمات المالية التي تمرّ بها. فالمتجر السلطاني هو النشاط التجاري الذي تقوم به الدولة، فبعد أنّ كان السلطان يتعامل مع الأسواق شأنه شأن أي تاجر، انفرد بسلع الكارم ومنع تداولها. إلاّ عن طريقه حيث احتكر بيعها، وكان على المتجر تمويل الدولة، وهكذا وظفته الدولة لخدمة الدواوين المكّلفة بسـداد كلف السـلطنة[4]. وقد تولّى التاجر الكارمي علي بن يحيى بن جميع الشـرف وظيفة رئاسـة المتجر السـلطاني بعدن حتى وفاته في سنة 803هـ/ 1401م.[5] وكذلك تولاّها كلّ من التاجر الكارمي ابن الهليس وابن بعلبد في عدن أيضاً[6].وفي اليمن وجدة تولاّها التاجر الكارمي أبو بكر الزبيدي[7].

ح. الشاد

أو المشـدّ، وتعني الإشـراف والمراقبة والتفتيش وربما يلجأ صـاحبها الى اسـتخدام الشـدة في عمله[8]. ومتوليها يكون مقرّباً من الوزير[9]، ويرأسـها عادة أمير عشـرة[10]، ترفع اليه كشـوف الضـرائب ليتحقق من جملة الايرادات والمتأخرات، وهو مكلف بجباية الأموال من سائر البلاد، وتعيين الخفراء والفصل في النزاعات، وتطبيق العقوبات الخاصـة بجباية الأموال[11] . وقد تولّى التاجر

(1) ن . م ، ج1، ص187.
(2) ن.م، ج4، ص116.
(3) العيني، عقد الجمان، ص401، ص426.
(4) ابن حجر، أنباء الغمر، ج3، ص423.
(5) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص522، ج2، ص562؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج10، ص187.
(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص9، ص10.
(7) ن. م، ج3، ص201، ص202.
(8) الباشا، حسن، الالقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة – 1957، ج2، ص604-ص611. وكان يُختار على الأغلب بسبب سمعته الطيبة وأمانته أو عن طريق دفع الرشوة أو بالضمان كأن يضمن الا يتأخر شيء من مال السلطان وأن تأخر شيء قام بسداده. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص8.
(9) القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج2، ص22 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص64.
(10) أمير عشرة: وظيفة عسكرية صاحبها من الطبقة الثالثة ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص15 ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص214؛ العيني، عقد الجمان، ص66، ص201.
(11) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص298.

الكارمي جابر الحراشـــي وظيفة شـــاد أمور مكة وجدة أيضـــاً[1]. وشـــغل كلّ من التاجرين الكارميين حسـن النابلسـي[2] وبدر الدين حسـن بن محمد بن قاسـم اليمني وظيفة شاد جدة[3]، وكذلك كان ابن الفارقي شاداً للدواوين في اليمن [4].

ط. وظائف أخرى

هناك وظائف تولاّها بعض تجار الكارم، لكن المصادر لاتذكر عنها إلاّ الشيء القليل جداً، منها نظر الجوالي التي تولاّها من تجار الكارم شـــمس الدين بن علي الشـافعي في عصر السلطان المؤيد شيخ[5]. ونظر الأوقاف التي لم يكن لصـاحبها مجلس في الحضـــرة السـلطانية، فقد تولاّها من تجار الكارم بدر الدين المكي[6] وحسـين بن أحمد بدر الدين الهندي في مكة[7].وشـغل من تجار الكارم شـمس الدين الكارمي منصـــب نائب دار الضـــرب[8]. أمّا نظر الأحباس[9] فقد تولاّها من الكارمية أبو جعفر محمد الكويك في سنة 766 هـ/ 1364م[10].

واستقر شمس الدين بن الفجر المصري[11] في ديوان المفرد[12] ومنهم من كان سـفيراً لمصــر في بلاد أخرى كشــمس الدين المصــري وبرهان الدين المحلي اللذان كانا سـفيري مصـر في اليمن[13]. و كان التاجر الكارمي أحمد بن علي الكواز

---

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص201، ص202.

(2) السخاوي، الضوء اللامع ، ج13، ص134.

(3) ن.م، ج3، ص127.

(4) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص137.

(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص187.

(6) ن.م، ج3، ص51.

(7) ن. م، ج10، ص246، ص247.

(8) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص445.

(9) الأحباس : من الدواوين المهمة في عصـر المماليك، ويتولى صـاحبة الأشـراف على الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس والعقارات المحبوسة عليها. والأحسان على الفقراء والمعوزين، وسميت بالأحباس لأن القاضي الليث بن سعد أشترى بعض الأراضي التابعة لبيت المال من جهات عدة وحبسها على وجوه البر، فسميت الأحباس ثم أضـيفت الى هذه الأراضـي بعض الرباع والدور وغير ذلك من مصـادر الأحباس. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة والقضاة، تصحيح: رفن جست، بيروت – 1908، ص372. وقد قسم المماليك ديوان الأحباس الى ثلاثة أقسام الأولى الأحباس التي يشـرف عليها الدوادار وناظر الخاص ويتولى صـاحبها توزيع الصـدقات على المسـاجد والزوايا، والثانية الأوقاف الحكيمة وتوزع الأموال على طلبة العلم والفقراء والمعوزين والثالثة الأوقاف الأهلية ويشـرف على الخانقاهات والمدارس والجوامع والمقابر. المقريزي، الخطط، ج2، ص96؛ حسـن تاريخ المماليك البحرية، ص329 – ص330.

(10) المقريزي، السلوك، ج3، ص219.

(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص276.

(12) ديوان المفرد: أحد الدواوين التي تعني بالشؤون المالية ولها ناظر يسمى ناظر المفرد الشـريف ويسـاعده مسـتوفي ومفتش أو رقيب. الظاهري، زبدة كشـف المماليك، ص125 ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص179. وقد أنشأه السلطان برقوق للنفقة على مماليكه وخصـص له عدة أوقاف للصـرف عليه. الظاهري، زبدة كشـف الممالك، ص101 ؛ القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج3، ص457؛ المقريزي، الخطط، ج3، ص363.

(13) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333 ؛ الخزرجي، العقود الؤلؤية، ج2، ص175.

ســفير مصــر في الهند[1]، وأخيراً تولّى من تجار الكارم إدارة الطواحين عبد القادر بن موسى صلاح الدين القاهري[2].

ثالثاً. المهن غير الرسمية التي عمل بها تجار الكارم

مـارس تجـار الكـارم أعمـالاً اخرى، فضـــلاً عن عملهم في تجـارة الكـارم كالسمسرة[3]التي مارسها التاجر الكارمي زين الدين الظاهري[4]. ومارس قاسم بن علي الفرجوطي مهنة طبخ الســكر[5]، واشـــتغل عبد العزيز بن الكويك وبدر الدين الدماميني بالحياكة[6]، أمّا يحيى بن محمد بن سـعيد القاهري الكارمي فكان قبانياً[7] واشـتهر محمد بن علي جزري سـيكال بمهارته في ثقب اللؤلؤ[8] وعرف عن محمد بن عز الدين المحب أبو عبد الله القاهري الشــافعي أنّه كان مزارعاً[9]. و كان مثقال الكارمي الشهير الاسم ناخوذة [10].

رابعا. الوظائف المستحدثة[11] لخدمة تجار الكارم

من أجل حماية مصـــالح الدولة التي أرتبطت بقوة مع تجار الكارم، فقد أهتم المماليك بهم، وقدموا لهم مختلف الضـــمانات والتســـهيلات. التي كان من بينها تخصيص بعض الوظائف في نظامهم الإداري لرعاية مصالحهم وشؤونهم التجارية وهي كالآتي :

1. تاجر السلطان الخاص الشريف[12] الخواجا[13]

نتيجة لزيادة عدد التجار العاملين كوكلاء وموظفين منتظمين لدى السـلطان، ومع تكاثر الوظائف الحكومية المســـتحدثة لتجارة الكارم، أســـتحدثت وظيفة حمل صــاحبها لقب الخواجا، ومهمته شــراء وجلب العبيد للســلطان، ثم صــار يقوم ببيع

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص15؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص43.
(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص299.
(3) السمسرة: ويسمى الشخص الذي يمارسها سمسار وهو الشخص الذي يتوسط بين البائع والمشتري ويوفق بينهما مقابل أجرة تسمى السمسرة أو الدلالة. الباشا، الفنون الإسلامية، ج2، ص515؛ البيومي، النظم المالية، ص194.
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص80.
(5) الأدفوي، الطالع السعيد، ص258.
(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص288 ؛ السامرائي، علماء العرب، ص177.
(7) الادفوي، الطالع السعيد، ص247.
(8) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن،ج2، ص151.
(9) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص49.
(10) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص167؛ المشهداني، ابن بطوطة، ص77.
(11) لم تذكر لنا المصـادر أسـماء هذه الوظائف قبل العصـر المملوكي ممّا يتيح لنا الاعتقاد أنّ الإدارة المملوكية قد أستحدثتها أو عملت بها لخدمة تجارة الكارم، ومن خلال قراءة النصوص، قمنا بترتيبها حسب أهميتها.
(12) الشريف: لاتعني كلمة الشريف هنا الأنتساب للدوحة المحمدية الشريفة، لكن المعنى هنا هو لقب تمنحه السلطات المملوكية لأشخاص يتولون مناصب مختلفة فيقال لقب شــريف وعهد شــريف وتقليد شــريف ومرســوم شــريف وتاجر الخاص الشــريف. القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص17.
(13) الخواجا: لفظ فارسي بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد أو المالك أو الحاكم أو الفاضل أو الحكيم، وقد أستعمل في العالم الإسلامي كلقب عام، و استخدم في عصر المماليك ضمن الألقاب الممنوحة للتجار الأعاجم والأوربيين والنصارى واليهود والعرب.القلقشــندي،صــبح الأعشــى، ج6، ص13؛ ج11، ص38، ص39 ؛ الباشــا، الالقاب الإسلامية، ص279، ص280.

التوابل الخاصة بالسلطان خصوصاً بعد سياسة الاحتكار، فكانت رتبة رسمية لها امتيازات توازي الامتيازات الممنوحة للرتب العليا في مجلس السلطان[1].

شغل بعض الخواجات مراكز رسمية، فالعديد من الموظفين الرسميين الذين كانوا يحملون لقب خواجان كانوا في يوم ما يعملون في التجارة وخاصـــة تجارة الكارم بسبب ارتباطهم الوثيق بالسلطة[2]. وقد أطلق لقب الخواجا[3] وأحياناً رئيس الخواجات[4] أو لقب خواجات جهان[5] على عدد كبير من تجار الكارم. ومن الكارمية المعروفين بأنهم عملوا كتاجر خاص للســلطان برهان الدين المحلي[6] وشمس الدين بن مزلق[7] وفخر الدين الكارمي الذي كان تاجراً للسلطان برسباي[8].

2. نظر البهار والكارمي

ويسمى أيضاً مستوفي[9] البهار والكارم، ويصف القلقشندي هذه الوظيفة بأنّها ((وظيفة جليلة، تارة تضــاف الى الوزارة وتجعل تبعاً لها. وتارة تضــاف الى ناظر الخاص[10] وتجعل تبعاً لها، وتارة تنفرد عنها، وذلك حسب مايراه السلطان))

(1) لابدوس، مدن أسلامية، ص214.

(2) لابدوس، مدن أسلامية، ص215.

(3) أطلق هذا اللقب على تجار الكارم ومنهم علي بن عبد العزيز بن منصـور الكولمي (ت 713هـ/ 1313م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص229. ومحمد بن علي بن مسلم البالسي (ت 776هـ/ 1374م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص257. وعلي بن عبد العزيز الخروبي (ت 803هـ/ 1400م). المقريزي، السلوك، ج3، ص747. ويعقوب بن محمد بن أويس الخواجا الكردي (ت833هـ/ 1478م). السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص285. وسراج الدين الخواجا بن الخواجا الدمشقي (ت841 هـ/ 1437م) . السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص120، وحسين بن أحمد الخواجان (ت 889هـ/ 1484م). السخاوي ، الضوء اللامع،ج3، ص90، ص91.

(4) أطلق هذا اللقب على الخواجا ابن مزلق الدمشقي (ت848هـ/ 1444م). السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص173. والخواجا شمس الدين الماحوزي (ت851هـ/ 1447م). السخاوي، الضوء اللامع ج10، ص112، ج11، ص224.

(5) أطلق هذا اللقب على عبد القادر بن يحيى الهاشمي(ت 888هـ/ 1425م). السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص299. ونور الدين الكيلاني (ت 895 هـ/ 1489م). السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص38.

(6) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص175، ص258؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص198، ص283.

(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص173.

(8) ن. م، ج11، ص93.

(9) المستوفي : موظف مالي عليه ضبط ومراجعة الحسابات ومحاسبة أصحاب الكيل على استحقاقاتهم الى بيت المال وعمل المقايسات. النويري، نهاية الأرب، ج8، ص301. وهو رأس الديوان وهناك ما يسمى مستوفي الأصل ومستوفي المباشرة ولكل منهما أعمال يقوم بها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص466.

(10) ناظر الخاص : المتحدث فيما هو خاص بمال السلطان، أما المال العام فيأخذ رأيه فيه. السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص97. السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص94.

[1] وقد أتصلت هذه الوظيفة بعمل تجار الكارم لكثرة مصالحهم مع المماليك و أنها أرتبطت بتنظيمهم الإداري وتجارتهم، ومن أختصاصها جمع الأموال المتحصلة من مقايضة البهار ورسم البهار الوارد من ميناء جدة[2].

يعرف رئيس هذه الوظيفة باسم مستوفي البهار والكارم وله جهاز أداري يسمى أدارة البهار والكارم وقد أوجد المماليك هذه الوظيفة لتتناسب مع توسع تجارة الكارم ولتنظيم جباية الضرائب منها ورعاية مصالحهم. ومن واجبات صاحبها أيضاً، مراقبة واردات متاجر الكارم من الإهراء، وعليه أنّ يلاحظ ويجرّد كلّ الوارد على ايدي تجار الكارم من اليمن وعدن ثم جدة الى مصر وكذلك الإشراف على فنادقهم، والمباع للتجار الأجانب وتسهيل تعاملهم مع الآهلين والأجانب.[3]

3. استادار [4]الكارمي

ولمستوفي البهار والكارم موظف يساعده هو أستادار الكارمي وكان يطلق عليه أيضاً متحدث الكارمي أو المراقب. وهذه الوظيفة أصلاً كانت من وظائف أرباب السيوف، ويتولى صاحبها الإشراف على بيت السلطان، ثم عهد اليه الإشراف ومراقبة تحصيل الضرائب والعوائد على تجار الكارم. وأرباب هذه الوظيفة على درجة كبيرة من الثراء بدليل أنّ أستادار السلطان برقوق كان كفيلاً وضامناً له عند تجار الكارم عندما أستدان السلطان منهم لتجهيز حملة لملاقاة التتار[5].

4. مباشر الختم

يتولى صاحبها ختم بضائع الكارم الصادرة والواردة، الذي هو دليل على استيفائها الضرائب المطلوبة، ولمنع الغش في السلع. وكان لديه أختام أخرى توضع كدليل على نقاء السلع وأنها قد مرت على رقيب لفحصها[6]. ليصدر بعدها ما

وقد تولى التاجر الكارمي علي بن عنان رئاسة نظر الخاص. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص312 ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص163.

(1) صبح الأعشى، ج2، ص32. يذكر زكي إنها تسمى أيضاً نظر البحر الكارمي أو نظر البحار الكارمي. طرق التجارة، ص303، ص329.

(2) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص109؛ البيومي، النظم المالية، ص92.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص32؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص109.

(4) الأستادار: كلمة فارسية الأصل مركبة من أستد أي أخذ ودار بمعنى الصاحب فيكون معناها صاحب الأخذ أو متولي الأخذ وقبض المال. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص457. ويسمى أيضاً وكيل الخرج أو المؤنة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص322. وأهم ما يعنى به معرفة ما في بيوت السلطان من حاشية وغلمان ومطابخ وما فيها من الاشربة والأدوية التي يحتاجون اليها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص10؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص105، حاشية رقم (2) وهو مطلق التصرف في طلب كل ما تحتاجه هذه البيوت من النفقات وغيرها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص4.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص20، ج5، ص457؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص365، ص366 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص232.

(6) المقريزي، السلوك، ج2، ص439.

يسمى بالبراءة[1] التي هي بمثابة مخالصة ضرائبية لتعقبها عملية النقل الى الميناء وشحن السفن، وخلال ذلك يتصل نائب الوالي ببلاط السلطان يعلمهم بأنهاء الأعمال المطلوبة، وتحديد موعد للرحيل، وعندها يرد تصـــريح البلاط بالســـماح للســـفن بالسفر[2].

5. ناظر الخاص

وظيفة اســـتحدثها الســـلطان الناصـــر محمد عندما أبطل الوزارة[3]. وكان متوليها يباشـر الإشـراف على أموال وأملاك السـلطان الخاصـة، ويوكله في شـراء وبيع ما يحتاج اليه[4]، كما سبق وأشرنا وقد خصص السلطان الناصر محمد موارد الجيزة ومنفلوط والمرج والاسكندرية وخُمس دمياط وبحيراتها والبرلس وبحيراتها لهذه المصـــروفات، فضـــلاً عن الموارد التي تأتي من جباية البهار[5]. وكلّ هذه الموارد تحمل الى خزانة الخاص الذي يشـــرف عليها ناظر الخاص[6]. وهو يشـــبه رئيس بيت المال الخاص في بغداد والمشرق. ويساعد الناظر أربعة موظفين هم :

أ. مستوفي الخاص

ووظيفته مراجعة حسابات الديوان وضبطها[7].

ب. ناظر ثغر الإسكندرية

وعادة ما يعهد بها الى موظف كبير للإشـــراف على جباية الضـــرائب على البضائع الواردة ثم يصرف ريعها على الجند وعلى جهات أخرى[8].

ج. ناظر المواريث الخاص

وهو المتحدث باسم مماليك السلطان وأبنائهم ومواريثهم[9].

د. ناظر الكارم

الموظف المشـرف على جباية ضـريبة البهار أو الصـادر ومرجعه الى ناظر الخاص[10].

نالت وظيفة نظر الخاص أهمية كبيرة في عهد دولة المماليك الثانية (784-923هــ/ 1382- 1517م)، ففيها تولّى ناظر الخاص المتجر السلطاني أحد أجهزة

(1) البراءة: حجة يعطيها الخازن للمؤدي بما يدفعه اليه أي انها بمثابة أيصال سداد يعطى للدافع. مدكور،المعجم الوجيز، ص42 ؛ البيومي، النظم المالية ، ص390 ، متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص85.

(2) زكي، طرق التجارة، ص407، ص408.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص317 ؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص67.

(4) ن .م ، ج11، ص320؛ ن.م، ج2 ، ص366.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص452؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص108.

(6) عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص151.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص358.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص416؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص108.

(9) الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة 136 أ.

(10) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص416؛ الخالدي، المقصد الرفيع المنشأ، ورقة 136أ، 137أ، 142أ.

الدولة المهمة، فقد كان ناظر الخاص كالوزير بالنسـبة الى السـلطان، ففي شـؤون التجارة الخارجية كان يوكل اليه أمر مراعاة مطالب التجار الأجانب وقناصـــلهم، فيعطى تعليمات على لسان السلطان يمنع الإضرار بهم، وتمكينهم من البيع والشراء من تجـار الكـارم بحريـة والتخفيف من القيود المفروضـــة عليهم، و كـان يجوب الأسـواق لمراعاة تنفيذ هذا[1]. وكان يُختار لهذه الوظيفة عادة من بين تجار الكارم للاستفادة من خبرتهم، فقد تولّى كلّ من ابراهيم بن عمر وبرهان الدين المحلي هذه الوظيفة في عهدي السلطانين برقوق وابنه السلطان فرج[2]. وشغل التاجر الكارمي شـــهاب الدين بن عبد القادر وظيفة نظر الخاص بنواحي المنية[3]. وفي عصـــر السـلطان المؤيد شـيخ عهد نظر الخاص الى التاجر الكارمي موسـى الأنصـاري[4]. وجهّز السلطان المؤيد التاجر الكارمي الشيخ علي الكيلاني سنة 816هـ/ 1413م، بخمسة آلاف دينار ليشتري له الفلفل لغرض التجارة [5].

6.شهادة[6] الكارم

ومتوليها من كتاب الأموال وهو غير مكلف بعمل الحســـابات[7]، لكنه يوقع عليهـا ويشـــهـد بمتعلقـات[8] ديوان النظر[9]، وهو ممثـل تجـار الكـارم في مجلس القضاء[10]

وتولى كلّ من أبي الفتح الكويك[11] وأبي الصــفا غرس الدين[12] والشـــهاب المصـري[13] وحسـن بن عطية الهاشـمي[14] وأنس بن ابراهيم الحلبي[15] وأبي بكر

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص32.
(2) توفي أبرهيم بن عمر المحلي في سنة 806هـ/ 1403م، وأستدعى السلطان أبنه أحمد أبرهيم من اليمن ليفوض اليه أمر المتجر ولكنه توفي في ذي القعدة من نفس السنة. ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص641؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص38.
(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص352، ج7، ص204.
(4) ن. م، ج10، ص186؛ ص187.
(5) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج2 ، تحقيق : فواد السيد ، مصر- 1324 ، ص15.
(6) الشهادة: أيصال بعدة نسخ تعطى صورة منه لصاحب الحق وصورة أخرى تبقى مع كاتب ديوان النظر يثبتها فيه، ثم يوقع عليها السلطان ونائبه ثم تثبت بعد ذلك في باقي الدواوين. النويري، نهاية الأرب، ج8، ص208-ص210؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص167.
(7) القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج5، ص466 ؛ المقريزي، أغاثة الامة بكشـف الغمة، نشـر: محمد مصـطفى زيادة، القاهرة – 1940، ص75 ؛ المقريزي، السـلوك، ج1، ص593، ص667.
(8) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص9؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص466.
(9) ديوان النظر: الى هذا الديوان ترجع جميع الحســابات واليه ترد أموال الدولة ومنه تخرج نفقاتها، وله علاقات مع بقية دواوين الدولة، أنشـأ نتيجة لتعدد موارد المماليك المالية وعدم أعتمادهم على مصـــدر واحد للدخل فظهرت الحاجة الى وجود ديوان لضبط مالية الدولة من خلال موظفيه وفروعه المختلفة المنتشرة في مصر أو الولايات التابعة لها. البيومي، النظم المالية، ص113، ص114. وهو يشــبه ديوان المال العام في بغداد والمشرق.
(10) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص173، ص174.
(11) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص252.
(12) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص203، ص204.
(13) ن. م، ح9، ص50.
(14) ن. م، ج3، ص150.
(15) ن. م، ج2، ص323.

تقي الدين الدمشـقي[1] وشـهاب الدين ابن الدماميني شـهادة الكارم بمصر[2]. وشـغل التاجر الكارمي شـمس الدين الأنصـاري شـهادة الكارم بعيذاب في عهد السـلطان الناصـر محمد بن قلاوون[3]. وتولّى الكارمي عبد اللطيف بن محمد بن موسـى أبي الفتوح الخراساني شهادة الكارم في عيذاب أيضاً [4].

7. المشرف

وعلى صاحبها الإشراف على ما يرد من سلع مع تجار الكارم[5].

8. ناظر الصادر

يتولى صاحبها جباية رسم الصادر[6] على سلع الكارم [7]. وقد كان السلاطين أحياناً يعفون التجار من رسم الصادر وذلك تشجيعاً للصادرات[8].

9. ناظر جدة

أستحدث المماليك سنة 828هـ/ 1425م، وظيفة سلطانية يخلع على متوليها ويسافر الى جدة وفي صحبته قوة عسكرية، ولاسيما وقت وصول المراكب الهندية اليها. وهو مكلّف بجمع الضـرائب على بضـائع الكارم، وقد أسـتحدثت هذه الوظيفة بسبب ازدهار تجارة الكارم في البحر الأحمر [9].ويسـاعد ناظر جدة بعض المعاونين ومنهم :

أ. الشاد : ووظيفته المراقبة والإشراف والتفتيش[10].

ب. الصيرفي: يتولى تحصيل الأموال وصرفها[11].

ج. شـهود القبان: الذين يشـرفون على عمليات البيع والشـراء بين تجار الكارم والأجـانـب عن طريق شـــاهـدين من موظفي ديوان القبـان لكـل عمليـة تجارية[12].وفي سنة 829هـــ/ 1425م، عشرَ ناظر جدة أربعة عشر مركباً موسـوقة ببضـائع الكارم من الهند وعاد بأموالها الى السـلطان برسـباي في القاهرة[13].

---

(1) ن. م، ج11، ص41، ص42.
(2) ن. م، ج2، ص105، ص106.
(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص100.
(4) ن.م ، ج4،ص219.
(5) ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص220.
(6) رسـم الصـادر: رسـم معين يدفعه التجار الأجانب عندما يجهزون بضـائعهم في ثغر الإسكندرية لتصديرها الى بلادهم. الخالدي، المقصد الرفيع المنشأ، ورقة 142. وكانوا يدفعون ضـريبة صـادر بنسـبة 5٪ كقاعدة عامة. المقريزي، الخطط، ج1، ص103- ص111 ؛ ج2، ص121- ص124.
(7) القلقشـندي، صـبح الأعشـى،ج11، ص416؛ الخالدي، المقصـد الرفيع المنشـأ، ورقة 142أ.
(8) أباظة، فاروق عثمان، أثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصـالح، 1988، ص15.
(9) المقريزي، السلوك، ج3، ص365، ص371.
(10) الباشا، الفنون الإسلامية، ج2، ص604- ص611.
(11) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص466.
(12) ن. م، ج5، ص466.
(13) المقريزي، السلوك، ج3، ص365، ص371.

10. لجنة تحديد أسعار التوابل

استحدثها السلطان برسباي وبدأت تمارس نشاطها بعد أنّ أعلن احتكاره للتوابل في سنة 835هـ/ 1432م[1]، وتضم هذه الوظيفة أربعة تجار بنادقة يختارهم القنصل الإيطالي ومندوب السلطان الخاص، ووظيفة هؤلاء تحديد أسعار التوابل الخاصة بالسلطان التي يرغب في بيعها الى التجار الأجانب، أمّا مندوب السلطان فوظيفته حضور تقدير أسعار التوابل المشتراة من الأسواق، وينتهي عمل الطرفين بعد أنّ يتم الاتفاق بينهما على الأسعار. وفي أواخر عصر المماليك صار وجود هذه الوظيفة غير مهم، فقد أصبح لكل من الطرفين حرية تحديد أسعار التوابل [2].

11. المندوبون التجاريون (القناصل)

ظهرت الحاجة الى هذه الوظيفة بسبب تركز القناصل في مصر وبلاد الشام لتغطية تسويق وعبور تجارة الكارم والتجارة الأجنبية، ولما كانت ظروف التجار تحتم عليهم الإقامة في الموانئ المصرية لمدة طويلة أو ممارسة التجارة في ظل القوانين المحلية؛ لذا كان لابد من وجود فئة تتولى مهمة الاتصال بين هؤلاء التجار والسلطات المحلية، وتحديداً القناصل التجاريون، وأطلق عليهم أيضاً اسم المندوبون التجاريون. ولكل مجموعة تجارية مندوب يمارس وظيفته بعد موافقة السلطات المصرية[3]. ومنذ القرن 8هـ/14م، أصبحت وظيفة رسمية تشرف على عمليات البيع والشراء بين تجار الكارم والتجار الأجانب[4].

كان يعاون القنصل وكيل له وموثق للعقود ومترجم، وقد يكون من الآهلين الذين يتقنون لغة الأجانب أو أجنبياً يتقن اللغة العربية.ويحرم على القنصل الاشتغال بالتجارة لحسابه أو لغيره أو يعمل مندوباً لدولة أخرى إلاّ بإذن من السلطات المحلية. ويرشح لهذه الوظيفة عادة أفراد الأسر النبيلة، وتجدد المدن قناصلها عاماً بعد عام، وقد يستمر في وظيفته لثلاث سنوات، إذا زكّاه مواطنوه التجار. ويعتبر ممثلاً لدولته، ويسمح له بتحصيل ضرائب إضافية على التجار لصالح القنصلية[5]. ولدى وصول القنصل كان يقدم نفسه ومعاونية للسلطان، ويتلقى التعليمات التي عليه أنّ يطبقها بدقة[6]. و كان للقناصل نواب في كافة المدن والموانئ، وهم

---

(1) ابن حجر، أنباء الغمر، ج4، ص314.

(2) ينظر: أتفاقية تريفزاني عن تجارة البندقية في مصر سنة 918هـ/ 1512م. زكي طرق التجارة، ص407، ص408، فقرة (1).

(3) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص223 ؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص41.

(4) يبدو أنّ هذا النظام كان سابقاً للحروب الصليبية وولاسيما في حالة النزاع بين الأجانب، فلا يجوز للقضاء الإسلامي الفصل في هذا النزاع، لذا كان يرجح وجود مندوب من الجاليات الأجنبية، يتولى هذه العملية وكذلك الأشراف التجاري على مواطنيه وعرف باسم القنصل، ويبدو أنّ السلطان كان قد رحب بهذه الوظيفة لتسهيل الأشراف على التجارة ؛ Deeping , Op. Cit., T.2 , P. 20 , 21.

(5) مكي معاهدة تجارية، ص90، ص91 ؛ الحويري، محمود، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، القاهرة – 1979، ص145.

(6) المقريزي، السلوك، ج2، ص694؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص225، ص447، ص453؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص41.

مســؤولون عن مواطنيهم وعن تحصــيل الضــرائب المطلوبة منهم [1]، وهو يمثل مــواطـنــيــه أمــام الســـلـطــان يــرفــع طــلــبــاتــهــم الــيــه، أو أنّ يمثلهم أمـام نـائـب دار العـدل[2] في مجلس القضـــاء [3]، ومن مهامهم أيضاً عقد وتجديد المعاهدات التجارية، كلّما تولّى السلطنة حاكم جديد[4].

وأخيراً، إذا كان المماليك قد أهتموا بهذه الوظائف لخدمة تجارة الكارم في أول الأمر، الا أنّه في أواخر عهدهم هدفوا من خلالها خدمة مصـــالحهم فقط من دون تجار الكارم، لانهم احتكروا هذه التجارة لأنفسهم.

خامساً. مكانة تجار الكارم الاجتماعية

ممّا لا جدل فيه أنّ تجار الكارم كانوا دعامة أســاســية من دعائم الأقتصــاد المصــري. وأذا كان كيانهم قد اتضــح في عصــر الدولة الفاطمية، إلاّ أنّ نشــاطهم التجاري الكبير تجلى وتأكد عندما حققوا ذلك الاتصال الحضاري القوي بين الشرق والغرب، ثم نقلوا مركز نشــاطهم من عدن الى القاهرة، منذ العصــر الأيوبي بســبب أنتقال مركز هذه التجارة من موانئ المحيط الهندي الى موانئ البحر المتوســط. لذا أصـــبح من الطبيعي أنّ ينقل تجار الكارم مركز نشـــاطهم الى القاهرة ليكونوا على مقربة من المركز التجاري الجديد[5].

كان الكارمية تجاراً كباراً متمرســـين أســـتطاعوا تأكيد نفوذهم في المحيط الهندي والبحر الأحمر ثم البحر المتوسط وتوسّعوا في شتى المشروعات التجارية وشـكّلوا أهم طبقة من أصـحاب الأموال في مصـر [6]. فضـلاً عن كونهم أكبر موزع لمتاجر الشـرق في مصـر وبلاد الشـام وأسـواق الحجاز ولاسـيما في موسـم الحج والأسـواق الأوربية. لذلك نصـح الفقيه المغربي ابن الحاج المسـتهلك الصـغير في

---

(1) مرزوق، محمد عبد الناصر، الناصر محمد بن قلاوون،القاهرة – 1964، ص330.

(2) دار العدل: هي أيوان كبير أقامه السلطان المنصور قلاوون، أصبح يعرف بدار العدل، واخذ السلاطين المماليك يجلسون فيه أياماً محددة في الاسبوع للنظر في المظالم، في سـنة 611 هـــ/ 1263م. المقريزي، الخطط، ج2، ص204 – ص208. مكانه بقلعة الجبل بين القاهرة وجبل المقطم والفســطاط حيث يجلس فيها الســلطان للنظر في المظالم، وهي تشبه محكمة المظالم في بغداد والمشرق. القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص366-ص371، ج5، ص450، ص242؛ العيني، عقد الجمـان، ص139، ص140.

(3) جرت العادة أنّ يعقد مجلس القضـاء كل يوم أثنين وخميس من كل أسـبوع زمن الدولة المملوكة الأولى، أما في زمن الدولة المملوكية الثانية فأصـــبحت كل يوم أحد وأربعاء ثم تغيرت الى السـبت والثلاثاء وأضـيف يوم ثالث هو الجمعة أسـبوعياً طوال العام ما عدا شهر رمضان، وعندما يكون المجلس برئاسة السلطان يحضر معه ناظر الحسبة في القاهرة أو في الإسكندرية، ويجلس على يمين السلطان، قاضي الشافعية والمالكية وعلى يســاره قاضــي الحنفية والحنبلية. ثم الوزير وكاتب الســر، أما قضــاة العســكر فيجلسـون عن يمين القضـاة، و يحضـر الجلسـة أيضـاً وكيل بيت المال، واثناء غياب السلطان أو انشغاله بأمور السياسة أو الحروب يتولى نائب السلطنة النظر في المظالم. المقريزي، السلوك، ج4، ص288، ج4، ص615، ص616 ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص204 – ص219.

(4) زكي، طرق التجارة، ص327.

(5) Fischel , Ueber die Glruppe des karimi , P. 167

(6) المقريزي، السلوك، ج2، ص103 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص415.

مصـــر، ألاّ يذهب الى تجار الكارم للحصـــول على مطالبهم منهم (1). إنّ هذا النص يؤشـــر لنا أنّ الكارمية كانوا تجاراً للجملة وليســـوا تجار مفرد، لذلك كان على المسـتهلك أنّ يتجه الى الاخيرين للحصـول على مطالبه اليومية منعاً للسـراف وبما يكفي حاجته، لانّ تاجر الكارم كان لايبيع إلا بالجملة، وهذا يفوق حاجة المستهلك.

إنّ المركز المـالي القوي لتجـار الكـارم الـذي تحقق من خلال مشـــاريعهم وأنشطتهم المالية والإقتصادية، أدت الى تبوئهم مكانـة سياسية واجتماعية مرموقة، ولاســـيما في كنف الدولـة المملوكية، مكنتهم حتى من تقديم القروض لســـلاطين المماليك، ولاسيما في أوقات الازمات. ففي سنة 796هـــ/ 1396م، خرج السلطان برقوق لملاقاة التتار، وذلك بضـمان أحد موظفيه، ومن خلال العقد المبرم بين تجار الكارم والسـلطان، تتجلى مكانة الكارمية وثرواتهم الضـخمة وتجاوز نفوذهم لنفوذ السلطان نفسه الى حد أنهّم أصبحوا لايثقون بالصكوك التي كان السلطان يسجلها على نفســـه وبخط يده مالم يضـــمنه أحد كبار رجال دولته، وعلى هذا النحو يمكن تصـــور المكانة الرفيعة التي احتلتها طبقة تجار الكارم في المجتمع المصــري زمن ســـلاطين المماليك(2)، وكان لهم النفوذ نفســـه في مناطق أخرى كاليمن والحجاز وأفريقيا والهند وغيرها(3).

وإذا أمعنا النظر في مركز تجار الكارم المالي وثرواتهم نجد أنّه حينما كانت ثروة بعض التجار تقدر ما بين عشرة الآف دينار وثلاثين ألف دينار، أصبحت ثروة التاجر الكارمي تصل أحياناً الى حدود مليون دينار وأكثر(4). فمثلاً لفتت ثروة التاجر الكارمي المصــري محمد بن مسـلم انتباه المؤرخ ابن حجر الذي اعتبره ((أعجوبة عصــــره في كثرة المال حتى كان يقال إنّه لا يعلم قدر ماله))(5). وقال عنه المؤرخ ابن تغري بردي إنّه ((كان أعظم تجار الكارم وأكثرهم مالا، ولم يعرف أحد من أهل مصـر أكثر مالاً منه)) (6)، ووصـل نفوذه الى بلاد الهند فوصـف بأنّه لا يوجد فيها من ((يقاربه في المال)) (7).

(1) محمد بن محمد العبدري الفاسي، مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة المسمى المدخل، ج3، القاهرة – 1929، ص120.
(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص273، ص386 ؛ ابن حجر، أنبـاء الغمر، ج2، ص365، ص366.
(3) ابن خلدون، العبر، ج7، ص451 ؛ عباس، فوزي حامد، الحياة الإقتصـادية في مصــر العليا خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم - 1986، ص142.
(4) حطيط، قضايا في تاريخ المماليك، ص201.
(5) الدرر الكامنة، ج4، ص257؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص363.
(6) المنهل الصـافي والمسـتوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، ج2، القاهرة – 1985، ص120 ؛ ابن قاضي شهبة، الاعلام بتاريخ دول الاسلام، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 1584 تاريخ، ج5، ورقة 227أ.
(7) ن. م، ص120 ؛ن. م، ج5، ورقة 227 أ.

وكان التاجر الكارمي في مصــر يفوق أغنى تجار الصــين، من حيث المكانة المالية والتجارية [1]، وأشــار ابن بطوطة الى إنّ مكانة التاجر الصــيني بأنّها لاتكاد تبلغ مكـانـة التـاجر الكـارمي[2]. وان أكثرهم ثراء هو الـذي يمتلـك قنـاطير الـذهب والفضة، وكان يسمى الستي وهو يشبه الكارمي بمصر[3].

وهذا يدلّ على مدى ما وصــل اليه التاجر الكارمي من مكانة مالية وتجارية، تفوق مكانة أي تاجر في عصــره. ولعلّ من المفيد الإشــارة هنا الى أنّه عندما تعافى القاضــي كريم الدين[4] وكيل السـلطان الناصـر محمد قلاوون من مرضــه وزينت له العاصــمة نثر عليه تجار الكارم الذهب والفضــة[5]. وقلّما تناولت كتب التراجم أحداً من تجار الكارم إلاّ وذكرت أنّه كان من ذوي الأموال الواســعة أو أنّه ترك مالاً كثيراً وما شــابه ذلك من التعابير ذات المغزى الاقتصــادي الواضــح. فمنهم من ربح أموالاً طائلة وأثرى ثراءاً كبيراً، ومنهم من كان لديه صـــناديق من الجواهر الثمينة التي لاتُقدّر بثمن، ومنهم من عجز عن حصـــر ماله لكثرته وتنوع مصـــادره، ومنه من كانت له أوقاف وممتلكات كثيرة [6].

فالتاجر الكارمي عبد اللطيف التكريتي، بنى مدرســـة من ربح يوم واحد من متجره[7]. وأنفق بعضــهم خمسـين ألف مثقال ذهب على بناء قصـر[8] وقد بلغوا من الثراء أنّ أحدهم وهو عز الدين بن ابراهيم الســواملي امتلك جزيرة خاصـــة له في ســـرنديب هي جزيرة كشــم[9]. ويشــير كلّ من ابن تغري بردي[10] وابن حجر[11] والسخاوي[12] الى العديد من الأمثلة التي تؤكد ثراءهم الفاحش.

والواقع إنّ هذه الثروات كانت أقل بكثير في الحقيقة، إذ كـان تجـار الكـارم يخفون ما لديهم من أموال خوفاً من المصادرات[13].

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ص204 ؛ ابن قاضي شهبة،الاعلام بتاريخ دول الاسلام، ج6، ورقة 123أ.
(2) تحفة النظار، ص259.
(3) ن . م ، ص259.
(4) القاضــي كريم الدين: علم الدين عبد الله بن الصــاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام ناظر البيوت السلطانية توفى في سنة 795هـ/ 1392م. العيني، عقد الجمان، ص374 ؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1،ص460؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص369.
(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2،ص402، ج3،ص207.
(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص215 ؛ ج6، ص120، ج11، ص19، ص20.
(7) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص41. ومع أنّ في هذا النص مبالغة الا انه يشير الى ضخامة الأرباح المتحصلة للتجار الكارمية.
(8) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص425.
(9) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص79؛ المشهداني، ابن بطوطة، ص76.
(10) المنهل الصـــافي، ج3، ص363؛ ابن تغري بردي، الدليل الشـــافي ، ج2، ص705، ص819.
(11) الدرر الكامنة، ج1، ص450، ص451 ؛ ج3، ص68، ص69، ص429، ج4، ص357.
(12) الضـــوء اللامع، ج3، ص101، ج4، ص73، ص74 ؛ ج5، ص783، ج6، ص92، ج8، ص246، ج9، ص90، ص91، ص209، ج10، ص285، ص286، ج11، ص41، ص42.
(13) لابدوس، مدن أسلامية، ص188.

لـذا حرص تجـار الكـارم علـى تقويـة مركزهم الاجتمـاعي عن طريق ملازمة السـلاطين والأمراء الذين اصـطفوا من بعض تجار الكارم مسـتشـارين وندماء وأصحابا لهم. فقد روى السخاوي ((أنّ التاجر الكارمي موسى بن علي الأنصاري صـاحبَ السـلطان جقمق والأعيان وراج أمره في الدولة)) [1]. وعرف عن التاجر الكارمي عبد الرحمن بن سويد المصري، ملازمته لإتابك[2] الدولة يشبك الأعرج[3] في عهد السلطان برسباي، ولازم الأمير جوهر [4] الخازندار[5]فعظم أمره)) [6].

وبهدف رفع مركزهم الاجتماعي حرص بعض تجار الكارم على مصـاهرة كبار رجال الدولة من الأمراء وغيرهم، فالسـخاوي يروي أنّ التاجر الكارمي أحمد بن فهيد تزوج من ابنة أحد الأمراء ((وأكثر من معاشـرة الترك مع تزينه بزيهم ومعرفته بلسـانهم)) [7]. ومن الطريف أنّ نذكر هنا أنّ التاجر الكارمي موسـى بن سـليمان الأنصـاري وفي سـبيل رفعة مركزه الاجتماعي أكثر من التزوج ببنات السـلاطين والأمراء كأبنة السـلطان الظاهر ططر وأبنة الأمير جرباش[8] الكريمي أمير السـلاح[9] وبزوجة السـلطان الظاهر جقمق بعد وفاته في سـنة 857هـــ/

---

(1) الضوء اللامع، ج10، ص186، ص187.

(2) الاتابك: يعبر عن صـاحبها باتابك العسـكر، وهي بمقطعين، أتا وتعني الأب أو الوالد، وبك وتعني السيد، أي السيد الأب أو أبو الأمراء. وأول من تلقب به السلاجقة، وكان مهمته في البداية الوصايا على أولاد السلطان وتربيتهم ولكن المعنى تغير في العصر المملوكي فأصبحت تطلق على القائد العام لجيوش الدولة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص20. ويأتي في المرتبة بعد النائب الكافل أو نائب السـلطة الذي ينوب عن السلطان في كل أختصاصاته. الدوادار، زبدة الفكرة، ج9، ص54.

(3) يشبك الأعرج: يشبك بن سلمان شاه المؤيدي الفقية، أحضر من بلاد الجراكسة في غرب القوقاز في سنة 800هـ/ 1397م، تدرج في الوظائف وترقى، ثم تزوج من آسيا أبنة السـلطان برسـباي وصـار في أيام الأشـرف برسـباي رأس نوبة الجمدارية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص18، ج5، ص455، والجمدارية هو المسؤول عن إلباس السلطان أو الأمير ثيابه ويحمل خلفه البقجة في الموكب والكلمة مؤلفة من جام ودار أي ممسـك الثوب. ابن شـداد، عز الدين محمد بن علي، تاريخ الملك الظاهر: تحقيق: أحمد حطيط، بيروت-1983، ص163؛ القلقشـندي ج5، ص459. الى أنّ أنعم عليه الظاهر بأمرة عشـرة بعد وفاة متوليها ، وتوفى في سـنة 870 هـــ/ 1465م. السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص10.

(4) الأمير جوهر: بن عبد الله الأمير صـفي الدين اليشـبكي الهندي المعروف بالتركماني الزمام أي المشـرف على وظيفة الخيالة، الخازندار وقد أعتقته زوجة الأمير أقبغا التركماني لذلك عرف بالتركماني، ثم صار شاد الحوش السلطاني في قلعة الجبل، ثم ولي وظيفة الزمانية والخازندارية الى أنّ توفى في سـنة 873هـــ/ 1468م، وقد بلغ السـتين من عمره. الصـيرفي، أنباء الهصـر، ص82، ص83 ؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج6، ص808، ج10، ص184.

(5) الخازندار:هو المشـرف على خزانة السـلطان أو الأمير، تتكون من مقطعين أحدهما عربي وهو خزانة، والثاني فارسي وهو دار، ومعناها ممسك الخزانة، وحذفت الالف والهاء من الخزانة اسـتثقالاً فصـار خزندار، أي ممسـك الخزانة أو متولي أمورها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص463؛ العيني، عقد الجمان، ص142.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص73، ص74.

(7) الضوء اللامع، ج2، ص215.

(8) الأمير جرباش الكريمي: يلقب بالعاشق وهو مملوك السلطان الناصر فرج بن برقوق. السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص68؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص315، الصيرفي أنباء الهصر، ص133.

(9) أمير السلاح : من يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير. القلقشـندي، صبح الأعشى، ج4، ص18، ج5، ص456 ؛ العيني، السيف المهند، ص303. وهو من أمراء المتئين مملوك يعاونه جماعة من الموظفين عرفوا باسم السلاح دارية التي يعمل فيها جماعة

1453م، واقترن أيضاً بزوجة نائب الشـام [1]، وأقترن بعضـهم ببنات قضـاة[2] أو محتسبة[3] وعلماء وشيوخ[4].

وهذا يعني ببســاطة أنّ هدف هذه المصـــاهرات بالدرجة الأولى هو تدعيم مركز تجار الكارم الاجتماعي، ولاســيما في المجتمع المصـــري. وحافظوا على المصـــاهرات العائلية بين أفراد العائلة الواحدة وبين العائلات الكارمية وهذه سـمة لهم. فالتاجر الكارمي محمد بن عبد الرحمن القوصي تزوج من بيت التاجر الكارمي أبو زيد الدمغاني[5]، وزوّج التاجر الكارمي محمد بن مسـلم، ابنته الى التاجر الكارمي عمر بن الصلاح المصري الخروبي [6]، و أنّه صـاهر التاجر برهان الدين المحلي على ابنته[7]. ويروي المقريزي أيضـاً في خططه أنّ والدة التاجر الكارمي محمد بن مسـلم كانت ابنة التاجر الكارمي شـمس الدين بن محمد البالسـي[8]. وإنّ التاجر الكارمي بركوت المكيني زوج ابنته للتاجر الكارمي علي بن عمر المحلي. وتزوج التاجر الكارمي محمد بن بركوت من أخت التاجر الكارمي برهان الدين المحلي[9]،وتزوج التاجر الكارمي حســن ابن عليبة من ابنة عم التاجر الكارمي ناصر الدين بن حافظ الدين البرهان[10]، وان التاجر يعقوب بن اويس صاهر التاجر الكارمي أحمد حلواني على ابنته[11].

وجـديـر بـالـذكـر أنّ مـكـانـة بـعـض تـجـار الـكـارم بلغت منزلـة عـاليـة في المجتمع المصــري خصــوصـــاً في عصــر الســلطان برقوق، لدرجة وصــلت الى منحهم التشـــاريف الرســمية[12] تقديراً

من الصـــناع يختص كل منهم بنوع معين من أنواع الســلاح يعهد اليه بأمر صـــنعه وأصــلاحه ويطلق على كل واحد منهم اســم الزردكاش أي العاملون في الزرد خاناه، وهي بيت السلاح. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص11، ص12. وقد زاد نفوذه في عهد السـلطان الناصـر محمد، فاصـبح ينوب عن رأس النوبة في غيابه ويجلس على ميسرة السلطان. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص184-ص185، ثم أصبح يلي الاتابك في المرتبة ويلقبه الســلطان الأخ من باب التكريم والتعظيم. الخالدي، المقصد الرفيع المنشأ، ورقة 121أ.

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص278، ص286.

(2) ن.م، ج2، ص101 ؛ ج4، ص73، ص74 ؛ ج10، ص186، ص187، ص285، ص286.

(3) ن.م، ج2، ص101، ج9، ص209.

(4) الادفوي، الطالع السـعيد، ص496، ص635 ؛ السـخاوي، الذيل على رفع الآصـر، ص268- ص269.

(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص150.

(6) ن.م ، ج6، ص92 ؛ ج8،ص165 ؛ ج9،ص209.

(7) ن. م، ج1، ص130، ص131 ؛ ج9، ص83.

(8) الخطط، ج2، ص401.

(9) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص130، ص131 ؛ ج7، ص154.

(10) ن. م، ج2، ص323، ج3، ص90، ص91.

(11) ن. م، ج10، ص150، ص285.

(12) التشاريف الرسمية: جمع تشريف أي الخلعة، وهي رداء خاص ينعم به السلطان على الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة في مناسبات وأحتفالات خاصة، وهي تختلف من النوعية والشكل والملحقات بأختلاف مستويات من ستُمنح له، وتعتبر كهدية أو هبة أو ترقية لمنصب أعلى معناها ضمناً منح تشريف أو خلعة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص134؛ ج4، ص54، ص55 ؛ ماير. ل.أ، الملابس المملوكية : ترجمة صــالح الشـيتي، القاهرة – 1972، ص105 – ص110، لبيبة، أبرهيم مصـطفى محمد، الفتن

لفضلهم[1].وهذا أمر يندر وقوعه لغير المماليك[2].

وكان التاجر الكارمي كالملك بين حرســه وأعوانه ومماليكه وخدامه، والحق إنّ أماكن وآثار فنادق الكارم بمصــر تؤكد هذا المعنى، فمنهم من كان قادراً على أنّ يحيط نفسه بمظاهر العظمة حتى يصبح في هيئة السلطان تماماً[3]. وقد وصل الأمر الى أنّ الطبول كانت كانت تُقرع أمام قصــورهم، وهو امتياز كان محصــوراً بكبار رجالات الدولة[4]، فقد وصـــفهم المقريزي ((بأنّهم كانوا في عدة وافرة ولهم أموال عظيمة)) [5]. ونال بعضهم شرف حمل رايات الحرب في مقدمة الحملات الحربية[6]. بل وصـــل الأمر الى أنّ ابن رواحة تاجر الكارم الاســكندري، كان يحتفظ بعدد من حملة السلاح ويتطوع لحفظ النظام في المدينة نيابة عن السلطان[7].

ولهذا حظوا بمكانة كبيرة في المجتمع ونعموا باحترام الســـلاطين والأهالي الى حد أنّه إذا أراد أحدهم مدح أحد التجار قال إنّه (من بيت مال ووجاهة) [8]، وهذا يدلّ على المكانة الرفيعة التي نعموا بها.

وأتصــف بعض تجار الكارم ببعض الصــفات والخصــال الحميدة التي متنت مركزهم الاجتماعي. فمنهم من كان كريماً محسناً للناس على دين وخلق له معروف وبّر. واســـع البذل ذكياً وينفق في وجوه الخير[9]. ومنهم من كان معروفاً بالعقل والورع والتقوى والتواضـــع[10]. وعرف آخرون بـالمروءة، وكثرة الصــــداقات

والقلاقل الداخلية في دولة المماليك وأثارها الســياســية والاجتماعية والإقتصــادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة – كلية الآداب – 2000. ص64 حاشية رقم (3).

(1) فقد مُنح أحمد بن مســـلم الكارمي، وعلي بن عبد العزيز الخروبي والخواجا أبرهيم الطلحي الكارمي خُلع من الســـلطان تشـــريفاً لهم على خدمات قدمت له. المقريزي، الخطط، ج2، ص369 ؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص247؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج10، ص302.

(2) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص40 ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2، ص20، ص23.

(3) الأســدي، محمد بن محمد بن خليل، التيســير والأعتبار والتحرير والأختبار فيما يجب من حســـن التدبير، تحقيق: عبد القادر أحمد الطليمات، القاهرة – 1967، ص21، ص22.

(4) حطيط، قضايا في تاريخ المماليك، ص202.

(5) السلوك، ج2، ص103، ص104.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ص10، ص186، ص187.

(7) لابدوس، مدن أسلامية، ص200؛ بسرور، الإسكندرية ، ص12.

(8) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص14؛ عاشور، المجتمع المصري، ص35.

(9) الادفوي، الطالع الســـعيد، ص353، ص620؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص156؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤيــة، ج1، ص316، ص317، ج4، ص475؛ المقريزي، الســلوك، ج2، ص132، ص133، ص340 ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص368؛ ابن تغري حجر، الدرر الكامنــة، ج1، ص59، ج2، ص20، ص23، ج3، ص183، ج4، ص252 ؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج1، ص504 ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص197، ج3، ص38، ج10، ص238.

(10) ابن الفرات، تـاريخ ابن الفرات، ج9، ص379، ص458 ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص369؛ ابن حجر، الـدرر الكـامنـة، ج2، ص169، ص405، ج3، ص68، ص69، ص333، ص334؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص563؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص293، الســخاوي، الضــوء اللامع، ج1، ص289، ج2، ص215،

والعطايا، وكانوا ذا حشــمة وعصــبية وعفة، لهذا اشــتهر العديد منهم بالســيرة الــحــمــيــدة[1]، وكــثــرة الــتــعــبــد وحســــن الأخــلاق، ولــهــم أكــرام

وأحترام [2]. وعُرف من بعضـهم الآخر حسن المعاشرة وبُعد النظر وتدبير مع ورع واتباع للسـنة، وتحري الصـدق، ومنهم من كان متميزاً[3]، معظماً جواداً، محسـناً للفقراء، والأرامل، ومنهم من عُرف بحبه للفقراء[4].

وعلى نقيضـهم كان بعضـهم كثير اللهو أو منعزلاً[5]. فضـلاً عن أنّ بعضـهم كانوا على قدر من الصـفات السـيئة، كأن لايُعرف بعلم ولادين ولا مذهب ومنهم من كان داهية ماكراً وظالماً، ومنهم من كان عنيداً متكبّراً حتى مع السلاطين[6].

ج3، ص153، ص203، ص204 ؛ ج4، ص305، ص306، ص319، ج6، ص120، ص184، ج9، ص167، ج11، ص150.

(1) الخزرجي، العقود اللؤلؤيــة، ج2، ص175، ص253؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص369؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص536؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333، ص334، ج4، ص275 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص289 ؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج3، ص203، ص204، ج10، ص94، ج11، ص121.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص637، ص640، ص664، ص665؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص430 ؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج3، ص203، ص204.

(3) الســـخاوي، الضـــوء اللامع، ج2، ص215، ج9، ص49، 115، ص116، ج10، ص187، ص235، ص236، ج11، ص121.

(4) السـخاوي، الضـوء اللامع، ج1، ص41، ص197، ص289، ج2، ص43، ص105، ص106، ص257، ص258، ج3، ص127، ج4، ص298، ج5، ص148، ص149، ج6، ص182، ج8، ص121، ج9، ص90، ص91، ص276، ج11، ص261.

(5) ن.م، ج1، ص351، ص352، ج2، ص105، ج9، ص90.

(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص401؛ المقريزي، الســـلوك، ج3، ص426؛ ابن حجر، الدرر الكامنـة، ج4، ص257 ؛ ابن تغري بردي، الدليل الشـــافي، ج1، ص480، ص481؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص51؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص95.

اولاً. المنشآت التجارية (1)

ســاهمت المنشــآت التجارية التي كانت موجودة بمصــر والتي ازدهرت مع مرور الوقت، ولاسـيما بعد تحريرها في تنشـيط حركة التجارة الخارجية والداخلية على حد سواء(2)، ولاسيما فيما يخصّ السلع الكارمية. وكانت هذه السلع تُخزن في هذه المنشــآت كالوكالات والفنادق والقياســر، ومنها تطرح في أســواق الفســطاط والقاهرة والإســكندرية والمدن الأخرى أو يُعاد تصــديرها ثانية، وفيها عملياً كانت تتم عمليات البيع والشــراء لذا اهتم ســلاطين المماليك بهذه المنشــآت وعملوا على النهوض بها لتنشيط الأغراض الاقتصادية التي قامت من أجلها ويأتي في مقدمتها:

1. الأسواق

قامت الأسواق في مختلف المدن المصرية وتطورت شأنها شأن اية حاضرة أخرى . فقد ذكر المقريزي أنّه كان في القاهرة فقط وضـواهرها من الأسـواق العدد الكبير إذ يقول ((وكفاك دليلاً على كثرة عددها أنّ الذي خُرب من الأسـواق فيما بين أراضــي اللوق الى البحر بالمقس أثنان وخمســون ســوقاً وأدركناها عامرة فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتاً(3)))

وبحسب تخطيط المدن العربية الإسلامية، الذي تشير اليه مصادرنا القديمة كابن دقماق والمقريزي، كان يراعي أنّ يكون لكل ســوق عدة منافذ كي يســـهل الوصول اليه والخروج منه، فضلاً عن وجود مخازن خاصة به . ونشط فيها عمل الصيارفة الذين كانت مهمتهم الأساس استبدال العملات وتغييرها لرواد الأسواق، فقد ذكر المقريزي ((أنّ الصيارفة كانوا يجلسون في حوانيتهم طيلة النهار على باب الأسواق)) (4) .

عرفت مصــر شــأنها شــأن بقية الدول نوعين من الأســواق خدمت الحركة التجارية عامة والكارمية خاصة، أولها الأسواق الموسمية أو السنوية التي كانت تعقد في بلدان مختلفة كبلاد الشـــام وبلاد الحجاز وقت ورود الســفن والبضـــائع، ولاسيما التوابل من الهند والصين، وفي الوقت نفسه تصل السفن الأوربية لحملها في مواعيد ثابتة(5). إذ كانت تتم فيها صـــفقات البيع وتحديداً للتوابل التي رغب بها الأوربيون بقوة التي كانت ترد الى مصــر بكميات كبيرة في العصــر المملوكي ممّا شكّل سبباً مهماً في اتساع نطاق المعاملات التجارية.

---

(1) أنّ هذه المنشآت قد تُبنى أمّا من قبل الدولة وتخصص لتجار الكارم أو التجار الأجانب أو من قبل تجار الكارم أو التجار الأجانب أنفســـهم وعادة ما تكون أدارة المنشـــآت المخصصة للتجار الأجانب يُشرف عليها من قبل الدولة.

(2) عدوان، الوضع الاقتصادي، ص329؛ عوض الله، الشيخ الامين محمد، أسواق القاهرة منذ العصــر الفاطمي حتى نهاية عصــر المماليك، اطروحة دكتوراه غير منشــورة، جامعة عين شمس، كلية البنات- 1981، ص270.

(3) الخطط، ج2، ص93-ص100.

(4) الأنتصار، ج4، ص32؛ الخطط، ج2، ص94.

(5) زكي، طرق التجارة، ص283؛ العمري، آمال، أضواء على المنشآت التجارية في مصر المملوكية، مجلة كلية الاثار، جامعة القاهرة – 1978، ص169-ص170.

ويُعد ســوق خان الخليلي[1] من أهمّها. ومع أنّه لم يكن ســوقاً موســمياً أو سنوياً بل هو سوق دائمي، لكن المراجع اصطلحت على تصنيفه هكذا، لأنّ عمليات البيع والشراء فيه، ولاسيما للتوابل من قبل الأوربيين كانت تتم وقت مواسم وصول المراكب التي تتم في أوقات محددة. إذ كانت تتم فيه الصــفقات ولاســيما يومي الخميس والاثنين من كل أسبوع، منذ الصباح الباكر الى مابعد الظهر، ويقود عملية البيع شــخص يدعى الدلاّل نظير عمولة تُحصّــل من تجار الكارم، وكان الدلال مكلفاً بالإعلان عن السلع وإرشاد من يريد الى مكان البيع[2].

أمّا الأســواق الموســمية التي كانت تُعقد في مناســبات معينة، ففي مكة والحجاز وجدة كانت تُعقد في مواسم الحج إذ يصلها أعداد كبيرة من تجار الشرق والغرب الإسلامي، أثناء وصول بضائع الشرق، فيقبل على شرائها الحجاج والتجار من مصر وبلاد الشام وغيرهم، وقد كان هؤلاء حاملين بضائعهم ويعودون ومعهم بضــائع الكارم. هنا كانت مكة تشــكّل مركزاً مهماً لتجارة الكارم الواردة بحراً خصوصاً من الهند الى عدن ثم براً الى مكة والتي تصل أحياناً الى ثمانين ألف جمل في مواســم الحج[3]، ومنها الى دمشــق ثم تعود محملة بســلع بلاد الشــام والغرب الأوربي الى عدن لتنقل بدورها الى الهند، فقد روى المقريزي ((أنّ تجارة الفلفل كانت تنشط الى حد كبير في مكة في موسم الحج)) [4].

وحدد تجار أوربا مواســم ورودهم لشــرق البحر المتوســط بمواعيد هذه الأسواق في المناسبات الإسلامية. ولكن لمّا زاد الطلب عليها حددوا وقت ورودهم بنظام المدة[5]، لأنّ نظام الأسواق السنوية في الأعياد كان يختلف تبعاً لمدار السنة وهو ما لايتفق مع مواعيد رحيلهم ومواعيد أســواقهم في أوربا. وقد تطورت هذه الأسواق لتصبح نصف أو ربع سنوية تُعقد صفقات البيع والشراء والمبادلة بالنقد

(1) خان الخليلي: يقع في حي الزراكشة العتيق في القاهرة، وقد اقيم على التربة الموجودة فيها قبور الخلفاء الفاطميين. والتي عرفت بتربة الزعفران، انشــأه الأمير جهاركســي الخليلي (ت791هــ/ 1388م) أحد أمراء السلطان الظاهر برقوق؛ المقريزي، الخطط، ج4، ص94، ص105. وقد قام السلطان الغوري في سنة 917هــ/ 1511م بهدم هذا الخان وبنى مكانه حوانيت ورباع وبوابات لم يبق منها الا ثلاثة تحمل اســمه. السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص67. وأشتهر هذا السوق باسمه.

(2) زكي، طرق التجارة، ص284.

(3) المقريزي، السلوك، ج2، ص724.

(4) السلوك، ج2، ص725.

(5) نظام المدة: المقصــود بالمدة هنا الرحلة. فقد كان للاوربيين مدّتان أو رحلتان حُدَدت مواعيد وصولهما الى الموانئ المصرية مع وصول سفن المحيط الهندي الى موانئ البحر الأحمر في شهر شباط وايلول من كل سنة، والتي كانت تتوافق مع مواسم هبوب الرياح الموســمية في المحيط الهندي. وتتوجه الرحلة الأولى الى موانئ بلاد الشــام لتعود محملة بالبضــائع من طرابلس الشــام وبيروت وعكا ويافا فتتوجه غربا الى قبرص ومنها الى رودس وكريت ثم كورفو لتصــل بعدها الى البندقية، أمّا الرحلة الثانية فتتوجه الى الإسـكندرية لتعود محملة بالتوابل وتسـلك مدة الإسـكندرية طريقاً مباشراً الى كريت ليتحد مع الرحلة الأولى الى بلاد الشام عند مدينة كورفو ومنها الى البندقية. زكي، طرق التجارة، ص178- ص181؛ عبد النبي، مصــر والبندقية، ص124.

والمقايضـة والحسـاب الجاري والبيع المؤجل الدفع[1]، وتبعاً لذلك اشـتهرت من بين الأسواق السنوية أسواق كثيرة في الهند والصين[2].

أمّا عن الأسـواق الدائمة، فكانت داخلية محلية، واتخذت صـفة التخصـص ببيع أنواع معينة من السلع [3].فكان في الإسكندرية سوق يسمى التوابل وفيه درب يسـمى درب الفلفل . فقد جرت عادة بعض التجار الأوربيين، ولاسـيما البنادقة على البقاء في الإسـكندرية بعد انقضـاء الموسـم السـنوي لتجارة التوابل وذلك لشـراء المزيد منها إذ كانت تتروح ما بين 500-600 حمل[4]، يملؤون بها مخازنهم في انتظار عودة السفن من رحلاتها الى بلاد المغرب[5].

أمّا أسـواق الفسـطاط والقاهرة، فقد لفتت انتباه الرحالة طافور الذي زار مصر سنة 840هـ/ 1436 م، فقال ((إنّ أحسن وأبهى وأروع شيء يراه الإنسان في القاهرة والفسـطاط هو سـوقها الذي تُعرض فيه اكداس هائلة وكميات كبيرة من شتى البضائع الواردة من الهند)) [6].

كما اشـتهر في القاهرة سـوق العنبر الذي كان الكارمية يتجرون به وكان ((للناس بديار مصـر رغبة زائدة فيه، ولا يكاد يوجد بأرض مصـر امرأة، إلاّ ولها قلادة من عنبر، كما كان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها وتجار العنبر لهم أموال جزيلة ومنهم رؤوساء وأجلاء)) [7].

وللأهمية التي تمثلتها الأسـواق باعتبارها المكان الذي تعرض فيه وتباع مختلف المواد أو يعاد تصديرها لأماكن أخرى، لذلك وضع نظام دقيق للاسواق منعاً للتلاعب في الموازين أو الأسعار أو جباية الضرائب أو غش السلع وكذلك الاشراف على عمليات البيع والشراء[8].

2. الوكالات

(1) عبد الحكيم، محمد صبحي، مدينة الإسكندرية، القاهرة – 1958، ص102.

(2) زكي، طرق التجارة، ص286.

(3) لبيب، صبحي، تاريخ تجارة الإسكندرية في القرن الرابع عشر، مجلة الغرفة التجارية لمدينة الإسكندرية، ع174، 1951، ص17.

(4) الحمل: يسـاوي 225 كغم، وهو مقدار ما يحمله البعير من الفلفل. هنتس، المكاييل والاوزان، ص27.

(5) لبيب، تاريخ تجارة الإسكندرية، ص18، ص19.

(6) رحلة طافور، ص97. ولمزيد من المعلومات عن هذه الأسـواق. ينظر : المقريزي، الخطط، ج3، ص155، ص156، ص159، ص160،ص161، ص165، ص166.

(7) سوق العنبريين: يقع بين سوق الحرير وقيسارية العصفر في القاهرة، كان في عصر الدولة الفاطمية سجناً يعرف بسجن المعونة، الا أنّ السلطان المنصور قلاوون هدمه وبنى مكانه سوقاً في سنة 678هـ/ 1279م، وخصصه لبائعي العنبر ثم أوقفه مع ما يحتويه على جامع الناصري، الا أنّه بعد سنة 770هـ/ 1368م، كثرت الأنواع الرديئة من العنبر فقلت رغبة الناس به فتلاشت أهميته، وفي سنة 815هـ/ 1412م، استأجر السلطان قيسارية العصفر ونقل سوق العنبر اليها، ثم عاد أهل العنبر الى هذا السوق على عادتهم في سنة 818هـ/ 1415م. المقريزي، الخطط، ج2، ص102، ص103.

(8) المقريزي، الخطط، ج1، ص463، 464؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص12، ص13، ص59، ص93.

ضمّت الأسواق في مصر المملوكية عدة منشآت تجارية، منها الوكالات[1]، التي اهتم سـلاطين المماليك بتشـييدها لإقامة التجار وعرض بضـائعهم[2]. واسـم الوكالة في مصـر مرادفاً لكلمة قيسـارية أو فندق أو خان[3]، فهي تتشـابه من حيث الاستخدام والغرض ولا توجد فروق في عمارتها[4].

ويشير المقريزي الى أنّها لم تكن فقط أماكن لعمليات البيع والشراء، أو محل إقامة للواردين من التجار وحفظ أموالهم، بل إنها كانت تؤدي مهمة البيع بالجملة والتجزئة توزع ما يرد اليها الى الأسواق[5]. وقد انتشرت في كل انحاء مصر وعلى طول شواطيء البحر الأحمر[6].

ويبدو أنّ الوكالات كانت على نوعين الأول الذي ينزل فيه تجار الكارم من المسلمين فقط[7]، إذ تخصص لهم الحجرات الكبيرة[8] .وتلحق بالوكالات المخصصة للمسـلمين الربـاع[9] ومن أهمّهـا ربع برهـان الـدين المحلي المسـمى الربع الكريمي[10]، وربع محمد بن علي الخروبي، الذي انشـأه بشـارع دار النحاس في

(1) الوكالات: مفردها وكالة وهي مشـتقة من الكلمة العربية التوكيل، وأسـتخدمها المصـريون للدلالة على المحل الذي يبيت فيه التجار بأمتعتهم. ظهرت لاول مرة في العهد الفاطمي. المقريزي، الخطط، ج2، ص322. وتتكون من صحن أوسط مكشوف كـانـت تـعـقـد فـيـه الصـفـقـات الـتـجـاريـة، يـحـيـط بـه ممـر يـصـل الـى المخازن، يعلوها غرف للإقامة عليها قباب، وكانت الوكالة الواحدة تضـم 360 حجرة للنوم فوق المخازن، وتضم أيضاً أماكن مخصصة لدواب القوافل التجارية، ولها باب واحـد يـقـفـل لـيـلاً. الـمـقـريـزي، الـخـطـط، ج2، ص151، ص153؛ وليم لين، أدوارد، المصـريون المحدثون شـمائلهم وعاداتهم، ترجمة: عدلي نور، 1975، ص206، ص275، ص276؛ ماهر، سعاد، القاهرة القديمة واحياؤها، القاهرة – 1962، ص98، ص99. الرطيل، عماد عبد الرؤوف، القاهرة العثمانية، ووكالاتها التجارية WWW.albayan.com،جريدة البيان, 2003، ص2.

(2) مقالة من شـبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) بعنوان: الوكالات التجارية بالقاهرة ماض مجيد ومسـتقبل واعد، WWW.albayan.ca,ae، جريدة البيان، 19 /ايلول/ 2001، ص2.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص151.

(4) مقالة الوكالات التجارية بالقاهرة، ص2.

(5) الخطط، ج2، ص151، ص155.

(6) ضـيف، شـوقي، العلاقات التجارية بين مصـر والدول الافريقية في عصـر سـلاطين المماليك، القاهرة – 1975، ص145.

(7) المقريزي، الخطط، ج2، ص155.

(8) مقالة الوكالات التجارية بالقاهرة، ص3.

(9) الرباع: مفردها ربع، وهي مجموعة مساكن حول صحن الوكالة ويكون له في الغالب مدخل واحد وسـلم واحد ويصـل ارتفاع الربع من أربعة الى خمسـة طوابق، ويتم الوصـول الى المسـاكن عن طريق ممرات تدور حول الصـحن، وتوجد مجموعة من الحوانيت بالجهة المطلة على الشـارع في الطابق الارضـي، وتؤجر الرباع عادة الى العامة وباجور شـهرية زهيدة. المقريزي، الخطط، ج3، ص283؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص303.

(10) ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص5، ص39، ص40، ص82.

مصر على شاطئ النيل كما شيد ربعين اخرين مقابل المقياس[1] بجوار مدرسته[2]، كذلك ربع نور الدين الطبندي في بولاق[3].

أمّا النوع الثاني فكان مخصـص للتجار الأجانب الذي أصـبح تدريجياً كالحي الخاص بكل جماعة، فمثلاً كان للبنادقة حي في الإسكندرية يضـم وكالاتهم يخزنون فيها بضاعتهم ويدفعون ضرائباً للدولة ويمارسون عملهم بحرية أوسع[4].

3. الفنادق

إنّ قدوم التجار من مختلف البلاد وبقاءهم لمدة طويلة اســتدعى وجود عدد من الفنادق في مختلف مدن مصــر من أجل ايوائهم مع بضــائعهم[5] ويُعد الفندق بمثابة منشــأة تجارية لخدمتهم وهو مبنى مريح وكبير يتألف من اثنين أو ثلاثة طوابق فيه فناء داخلي واســع يســتخدم لعمليات الخزن وتفريغ البضــائع. يحتوي الدور الأول على المحلات ومخازن لبيع وشـراء السلع التي يعرضـها نزلاء الفندق لتجار أجانب ومصريين، وكان لكل تاجر مخزن يضع فيه بضائعه ويغلق عليها. أمّا الأدوار التي تعلوه فهي مخصــصـــة لمبيت التجار الى أنّ ينهوا عملياتهم التجارية ويغادروا البلاد، ولاســيما التجار الأجانب، التي أقيمت هذه المباني خصــيصــا لراحتهم[6].واشتملت الفنادق على قاعات تستعمل كديوان لعقد الصفقات والاتفاقيات بين تجار الكارم والتجار الأجانب وعُدت هذه الصفقات نافذة المفعول[7].

قامت الدولة بانشاء عدد من الفنادق للأجانب، ففي الإسكندرية ودمياط كانت هناك فنادق للتجار البنادقة والجنوية والبيازنة والفلورنسيين، وكان للتجار الافارقة فندقهم الخاص بهم وآخر للمغاربة [8]. ومنذ أيام الأيوبيين كان للبنادقة فندقين في الإسـكندرية، فقد سـمح لهم بذلك السـلطان العادل أبو بكر الأيوبي في اتفاقية سـنة 603هـــ/ 1207م، التي كانت أســاســاً لكل الاتفاقيات التالية حتى أيام ســلاطين

---

(1) المقياس: والمقصود به مقياس نهر النيل الذي هو عبارة عن عمود أبيض من الرخام مثمن الشكل يوضع في المكان الذي ينحسر فيه الماء عند انسيابه اليه، وهو مفصل على 22 ذراع مقسمة الى 24 قسم تعرف الأصابيع. ابن جبير، الرحلة، ص24. ويقع في الطرف الجنوبي من جزيرة الروضـــة باتجاه الفســطاط. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص108، ج8، ص156.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص369.

(3) الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص267.

(4) Poston,M. The Combridge Economic History of Europe, voI.3, Cambrideg -1963, T.2, P. 307.

(5) ابن القاضي، أحمد بن محمد، جذوة الأقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1، الرباط – 1973، ص43.

(6) عبد المنعم، نظم المماليك، ج1، ص124؛ لين بول، ســيرة القاهرة، ص223؛ جومار وصـف القاهرة، ص294. وقد الحقت بفنادق التجار الأجانب كنيسـة صـغيرة، ومخبز، وسـمح لهم بادخال الشـراب وأحتسـائه داخل الفندق، كما سـمح لهم بتربية الخنازير ويحيط بالفندق حديقة زرعت بها أشجار متنوعة مجلوبة من مناطق مختلفة. واذا مات أحدهم في الفندق دفن في مقبرة الكنيســة داخل الفندق. Fabri, F. Le Voyage en Egypte (1483) Trad.du Latin presente etannonte par J.masson, le caire-1975, P. 693؛ Heyd, Op. Cit., T.2, P. 430-433.

(7) زكي، طرق التجارة، ص291.

(8) النقاش، زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والأقتصــادية بين العرب والأفرنج، ط2، 1951، ص192؛ ماهر، القاهرة القديمة، ص96-ص99.

المماليك(1)، الذين اتبعوا نظاماً خاصــاً بادارة فنادق التجار الأجانب، فالدولة تملكها وتديرها وتشرف عليها وتصلحها من الأموال المتحصلة من الضرائب. وتحكمت في مواعيد فتح وإغلاق أبواب الفنادق، إذ كانت تغلق ليلاً(2) كاجراء امني. وكانت تغلق على النزلاء أيام الجمع لمدة ســاعتين أو أكثر لحين الانتهاء من الصــلاة، خوفاً أنّ يباغتهم الفرنج أثناء انشــغالهم بالصــلاة (3). أمّا ادارة الفندق الداخلية فكانت تناط لأحد أفراد الجالية تحت إشــراف الدولة ويطلق عليه فندكاريوس ولمزيد من الأمان ألحقت الدولة فرقة من الشرطة بالفنادق لحمايتها(4). ولابّد من الإشـارة هنا الى أنّه لم يكن للأجانب فنادق خاصــة بهم في القاهرة في عصــر ســلاطين المماليك، فقد اقتصـرت فنادق القاهرة على تجار الكارم فقط، ويرجع سـبب ذلك الى أنّ السـلاطين منعوهم من شراء سلع من أسواق القاهرة؛ لذا لم يكن هناك داعٍ لوجودهم(5).

أمّـا أهم الفنـادق التي قـامـت الـدولـة بـإنشــائهـا لخدمـة تجـار الكـارم في مصـر، فهو فندق الكارم(6) على شـاطئ النيل باتجاه الفسـطاط، إذ ترسـو مراكب الـكـارم الـمـحـمـلـة بـمـخـتـلـف الســلـع. وكـان قـد أوقـف عـلـى ســكـنـى تجار الكارم، إذ سـاعدهم في انتظام نشـاطهم التجاري بمصـر. بناه الأمير تقي الدين بـن عـمـر ابـن أخ الســلـطـان صـــلاح الـديـن الأيـوبـي الـمـعـروف بصاحب حماة، الذي تولى حكم مصر بالنيابة عن عمّه في سنة 579هــ/ 1183م،

(1) تضــمنت هذه الاتفاقية أنّ يعامل البنادقة في مصــر معاملة جالية تنتمي الى دولة صديقة، كما نصت على خفض الضرائب على سلعهم ومنحتهم حرية مطلقة في الاتجار بالاحجار الكريمة، وحرية بيع سلعهم في مصر أو حملها معهم لبيعها في أي بلد آخر، وكذلك تســهيلات الأبحار لســفنهم بمجرد دفع الضــرائب المقررة عليها، واهم ما جاء بالمعاهدة الســماح بان يكون لهم فندق ثاني بالإســكندرية الى جانب الفندق القديم الموجود بها لهم. Heyd ,Op. Cit., T.2. P.404, Depping , Op. Cit., T.2 , P.114- 115.

(2) عبد النبي، مصر والبندقية، ص176 ؛ Heyd , Op. Cit., T.2. P.404

(3) حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، بيروت - 1974، ج4، ص414؛ عبد النبي، مصر والبندقية، ص176.

(4) لبيب، صبحي، الفندق ظاهرة سياسية وأقتصادية وقانونية، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، ص287، ص305 ؛ عبد النبي، مصر والبندقية، ص176.

(5) ابن دقماق، الأنتصار،ج4، ص40؛ المقريزي، الخطط، ج3، ص152.

(6) فندق الكارم: هذا الفندق عبارة عن بناء مربع الشـكل مؤلف من أكثر من طابق يشـبه الحصـن، وبوسطه فناء متسـع لتخزين البضـائع ونقلها، والطابق الأرضـي عبارة عن محلات، أمّا العلوي فخصـص للسـكن والنوم ويحيط به حديقة يزرعها التجار باشـجار من وطنهم وفيه يتمتع التاجر بكامل حريته. ضوامط، الدولة المملوكية، ص207.

وقد ظلّ قائماً حتى نهاية العصـر المملوكي[1]. وعرف عن فندق بلال[2]، فضـلاً عن كونه فندقاً للإقامة فيه،إلا أنّ التجار وأرباب الأموال كانوا يودعون فيه أموالهم [3].

كما قام تجار الكارم ببناء فنادق على نفقتهم الخاصـة وتحت إدارتهم، وفيها كانت تتم صـفقات بيع التوابل والسـلع الأخرى لتجار أوربا. ولم تكن هذه الفنادق مقصـورة على القاهرة والإسـكندرية فقط، بل كان لتجار الكارم فنادقهم في دمياط وقوص وعيذاب ومكة وجدة وعدن وزبيد التي كان لها سـاحل يعرف بسـاحل غلافقة، شّـيد به تجار الكارم، فنادق كثيرة، أداروا منها شـؤونهم الاقتصـادية، إذ كانت فرضة تجارتهم إذا ما وصلوا من مصر وقد قصروا هذه الفنادق لسكناهم فقط من دون الأجانب، كما كان لتجار الكارم فنادقهم خارج المدن على الطرق التجارية عرفت باسم فنادق مبيت القوافل[4].

ولعلّ أهم هذه الفنادق فندق الطيبة الذي كان بالإسـكندرية، والطيبة تعني تجارة الطيب والعطور، وقد أطلق هذا الاسـم على قسـم من تجار الكارم الذين تخصصوا في جلب وبيع الطيب والعطور[5]. وفندق الدماميني بالإسكندرية الذي يقع في سوق الجواري في موضع يقال له المرجانيين، وسمي باسم مُنشئه تاج الدين عتيق الدماميني الكارمي[6]. ولم تمدنا المصـادرالقديمة بمعلومات عن فنادق للكارم في مدن أخرى غير مصـر ما عدا فنادق الكارم في الهند التي كانت تسـمى باسـم فنادق الكارم أو المكرم[7] .

4. الخانات

شكلت الخانات [8] واحدة من المنشآت التجارية المهمة التي استعمالها تجار الكارم على نطاق واسـع، وهو مبنى ضـخم يحتوي على مجموعة من الحوانيت

(1) أبو شـامة، الروضـتين في أخبار الدولتين، ج2، ص51؛ ابن دقماق، الأنتصـار، ج4، ص40، ص50.

(2) فندق بلال:أحد فنادق القاهرة، يقع بين حمام خشـبية وحارة العدوية، انشـأه الأمير الطواشي أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثي(ت672هـ/1274م)،أحد خدام الملك المغيث صـاحب الكرك. وقد تلاشـى أمر هذا الفندق عندما أخذ الأمير يلبغا السـالمي أموال اليتامى منه للصرف على واقعة تيمورلنك في سنة 803هـ/ 1400م. المقريزي، الخطط، ج2، ص92.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص92.

(4) لبيب، التجارة الكارمية، ص19.

(5) النويري، الإلمام بالإعلام والأمور المقضية، ج1، ورقة 83أ.

(6) المقريزي، السلوك، ج4، ص702؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص434، ص435.

(7) التجيبي، القاسم بن يوسف، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس- 1975، ص174.

(8) الخانات: مفردها خان، وهي كلمة فارسية الأصل مشتقة من خانة بمعنى دار أو منزل أو بيت أو حوش. شيرازي، مرتضى اية الله زادة، فرهنك اصطلاحات روز، تهران – 1994، ص22. ويطلق الفرس كلمة خان على المكان الذي ينزل به التجار. الوقاد، محاسـن، الطبقات الشـعبية في القاهرة المملوكية، القاهرة –1999، ص75. ويتكون من العديد من الحجرات يحيطها فناء مكشـوف، يضـم عادة طابقين، الأرضـي يحتوي على اصطبلات للدواب ومن الخارج حوانيت صـغيرة، أمّا الطابق العلوي فكان مقسـم الى مساكن. العمري، امال، المنشآت التجارية في العصر المملوكي، اطروحة دكتوراه

ومستودعات البضائع الخاصة بالتجار، كما يشتمل على مسجد صغير وخزانة كبيرة لحفظ أموال التجار وما يملكونه من ذهب وفضة ويشرف عليها أمين الخان بنفسه، وكأنها مصــرف[1]، وبذا يمكن تســميته بالحي الصــغير المزدحم بالناس، ولاســيما خلال موسم تجارة الكارم[2].

وكان لتجار الكارم خاناتهم الخاصة بهم من أجل إيوائهم مع سلعهم ودوابهم كالخان الملاصــق لجامع برقوق، وآخر على طريق الســويس ـ القاهرة ويوجد به مسجد، وأحواض ماء وسوق صغير، يجد فيه المسافر ما يحتاج اليه[3].

يعتبر خان مســرور [4]، الذي كان ينزله أعيان التجار الشــاميين بتجارتهم، من أجل الخانات وأعظمها[5]، وفيه يتم بيع العبيد السود القادمين من شرق أفريقيا وغربها الذين دخلوا ضــمن قائمة ســلع الكارم [6].لكن أشـــهر هذه الخانات على الإطلاق خان الخليلي الذي اشـــتمل على مكاتب للوكلاء المصــريين العاملين مع التجار الأجانب؛ لأنّ وجود التجار الأجانب كان مؤقتاً وذلك لقلة التصاريح الممنوحة للأجانب بالوصــول للقاهرة [7]. ويتاجر الكارميون فيه بالتوابل والأحجار الكريمة والأقمشة الهندية[8].

5. القياسر

من المنشآت التي خدمت تجارة الكارم القياسر[9]، وكانت تتكون من طابقين، الطابق السفلي به حوانيت ومصانع يدوية يعرض فيها الصناع انتاجهم، وبالطابق

غير منشـــورة، جامعة القاهرة، كلية الاثار – 1974، ص 146. ولم تكن كلمة خان مستعملة في مصر وبلاد الشام قبل العصر المملوكي. الزيات، حسن، خانات دمشق، بيروت – 1946، ص255.

(1) ابن المجاور، تاريخ ابن المجاور، ج2، ص192.

(2) زكي، طرق التجارة، ص294.

(3) ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص40.

(4) خان مسرور: نسبة الى مسرور خادم القصر أيام الدولة الفاطمية، وبعد زوالهم التحق بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي ثم ابتعد عن الحياة العامة وانصرف الى العبادة واستقر بداره ثم بنى هذا الخان، وهو يتكون من مبنيين أحدهما كبير ويقع بالقرب من باب الزهومة في سوق الحريريين في القاهرة، والاخر اصغر حجماً ويقع بالقرب من الجامع الازهر، وكان قبل بنائه مســاحة يباع فيها الرقيق، وصـــارت تودع فيه أموال اليتامى والمعوزين. المقريزي، الخطط، ج3، ص49. وأشـــتمل هذا الخان على مائة بيت مع مسجد وتقام فيه شعائر صلاة الجمعة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص43، ج11، ص364؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج2، ص24.

(5) المقريزي، الخطط، ج2، ص92.

(6) زكي، طرق التجارة، ص295.

(7) كـان توغل التـاجر الأجنبي داخل البلاد وجنوب القـاهرة من المحظورات، وذلك لأنّ المماليك ارادوا المحافظة على ســـر هذه الطرق التي تؤدي الى الهند، كما أنهم كانوا يخشـــون من أي تحالف بين مســيحيي الحبشـــة ومســيحيي الغرب، فلم يســمح لهم بمواصلة السفر الى القاهرة الا بتصريح من واليها،، لذلك ظل البحر الأحمر بحراً مغلقاً بالنسبة للتجار الأجانب. عبد النبي، مصر والبندقية، ص178.

(8) فييت، المواصلات في مصر، ص46.

(9) القياسر : جمع قيسارية وهي تحريف قيصرية Caesarea نسبة الى يوليوس قيصر، ويذكر أنّ الموظفين كان لهم في داخل المدن حوانيت وكثيراً ما كان الاهالي ينهبونه لذا رأى الاباطرة، أنّ ينشـــئوا في كل مدينة قيســـارية يجتمع فيها التجار ويحفظون

العلوي مســاكن لمبيت هؤلاء الصـنـاع[1]،وكانت تضـم عدداً من الحوانيت للتجارة، وتختص ببيع نوع معين من البضـــائع[2]، وفيها تعرض السـلـع للبيع بـالجملـة. وظهرت القياسر في بلاد الشام اولاً قبل مصر[3]، وأشهر القياسر التي خدمت تجار الكارم قيســارية العنبر[4] وقيســارية العصـفر[5] وقيســارية ابن ميسـر الكبرى[6] وقيســـارية المحلي[7] التي كان ينولها التجار لأجراء عمليات البيع والشـــراء[8]، وقيســـارية الطنبدي[9]. ومن الجدير بالذكر أنّ أمراء المماليك وكبار التجار كانوا يتبارون في بناء الوكالات والخانات والقياسر لحسابهم الخاص ويؤجرونها بأسعار عالية[10].

ثانيا. المنشآت الكارمية الأخرى

1. السقائف

فضلاً عمّا مرّ، كانت هناك أماكن للكارمية يلتقون بها لحل مشاكلهم وتصفية عقودهم التجارية في مختلف المدن التجارية في مصر، وهي السقائف. مثل سقيفة

سلعهم فيها. الفاسي، الحسن بن الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد صبحي ومحمود خضر، الرباط -1980، ج1، ص194.

(1) سـالم، حلمي، حرف وصناعات أوصناعات الأطعمة والأشربة في العصر المملوكي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب – 1970، ص9.

(2) العمري، المنشآت التجارية، ص153.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص88، ص89.

(4) ن. م، ج2، ص89.

(5) قيسـارية العصـفر: عرفت بهذا الاسـم، لأنّ العصـفر كان يدق بها، أنشـأها الأمير علم الدين سـنجر المسروري المعروف بالخياط والي القاهرة ووقفها في سنة 692هـــ/ 1292م، وفي أيام المؤيد شيخ سنة 816هـــ/ 1413م، نقل اليها العنبريين فصارت قيســارية عنبر ثم انتقل منها تجار العنبر الى سـوقهم في سـنـة 818هـــ/ 1415م. المقريزي، الخطط، ج2، ص89، ج3، ص145.

(6) قيسـارية ابن ميسـر: تقع في سـوق وردان في القاهرة وهي عامرة يباع فيها القماش والطرح ويمضـــي التجار اليها في يومي الاحد والاربعاء، ولها خمســـة أبواب وقد عرضـــت للبيع عدة مرات فلم يســتطع أحد شـــرائهـا لغلاء وثمنهـا، ومنـذ سنة 806هـ/ 1043م، تعطلت هذه القيسارية ثم هدمت في سنة 816هـ/ 1413م. ابن دقماق، الأنتصار، ج4،ص38.

(7) قيسارية المحلي: كانت وقف للمارستان المنصوري. المقريزي، الخطط، ج2، ص86. نزلها باعة الصوف، وهي تقع بين سوق المغربلين والعطارين في القاهرة، ولها ستة أبواب، وليس بها حانوت خال. ابن دقماق، الأنتصار، ج4،= =ص17،ص26، ص37، ص41،ص44، ص85. ولم تذكر المصـــادر اســم بانيها بالكامل سـوى لقب المحلي وربما المقصـــود به رئيس تجار الكارم ابراهيم بن عمر برهان الدين المحلي، الذي نسـب اليه المقريزي مدرسـة المحلي بقوله ((أنشـأها رئيس التجار، ابراهيم بن عمر برهان الدين المحلي)). الخطط، ج2، ص368، ص369.

(8) ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص44.

(9) قيسارية الطنبدي: نسبة الى نور الدين علي بن جلال الطنبدي الكارمي، تقع في بولاق بالقرب من جامع الواسـطي وله قيســارية أخرى بالقرب من ميدان الغلة في القاهرة، الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص267.

(10) فييت، المواصلات في مصر، ص44، ص46.

دار ابن العجمان السمسـار في الكارم[1]،وكانوا يجتمعون في سقيفة لشـهاب الدين الغاوي الكارمي[2]. وأحيانا أخر في سقيفة دار الجوهر لمجد الدين الكارمي[3].

2. الرحاب

وكانوا يتجمعون أحياناً فيما يسـمى بالرحاب [4]. منها رحبة الخروبي التي كانت مخصصـة لبيعه والتي تسمى أيضـاً رحبة دار الملك[5]، وله رحبة أخرى تقع مقابل فندق تقي الدين المعروف بسكن الكارم[6] .

3. مطابخ السكر

وهناك منشـآت أخرى ظهرت في القاهرة ولكنها تبدو أقرب الى المنشـآت الصـناعية منها للتجارية ونعني بها مطابخ السكر[7]. أشـار ابن دقماق الى بعضـها والتي كانت مخصصة لتجار الكارم بما يقدم دليلاً مادياً، على اشتغالهم بطبخ السكر فضلاً عن تصديره واستيراده الى جانب سلع الكارم. ومن أهم المطابخ مطبخ الأمير سـيف الدين الكريمي[8] ومطبخ مجد الدين معالي الكارمي ومطبخ سـراج الدين الخروبي ومطبخ نور الدين الخروبي[9].

---

(1) تطل هذه السـقيفة على نهر النيل، على الطريق المؤدي الى السـوق الكبير بأتجاه ربع الكريمي وفي أعلاها دار ابن العجان. ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص50.

(2) وتسمى سقيفة زقاق شهاب الدين وتقابل سقيفة الخواجا الشـامي، وفي اعلاها ربع لنفس التاجر الكارمي. ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص47.

(3) كانت هذه السقيفة وقفاً لرباط مجد الدين الجزري الكارمي. ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص48.

(4) الرحاب: جمع رحبة وهي المكان الواسـع. وكان في القاهرة العديد من الرحاب التي تقف فيها العسـاكر والفرسـان في أيام الأعياد والمواكب ينتظرون خروج الخليفة أو السـلطان. المقريزي، الخطط، ج3، ص75. ولاحقاً أسـتخدمت لأغراض اقتصـادية إذ اصبح الباعة يعرضون بضائعهم فيها ويكون البيع مباشر. وهي تشبه ساحات البيع المباشر الآن. البيومي، النظم المالية، ص43.

(5) تقع الرحبة الخروبية أمام المدرسة المعزية التي بناها عز الدين الخروبي الكارمي في القاهرة. ابن دقماق، الأنتصار، ج3، ص35.

(6) ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص35.

(7) يرجع اهتمام المماليك بزراعة قصب السكر في أراضي دولتهم ومن ثم إقامة المعاصر لها الى أنّه كان المصدر الوحيد للسكر، وقد فرضت الضرائب على الأراضي التي يُزرع فيها القصب في مصر وبلاد الشام كما فرضت ضرائب أخرى على المعاصر والدواليب التي تقوم بعصر القصب. المقريزي، السلوك، ج1، ص634. وقد أشار ابن دقماق الى وجود مطابخ عديدة للسـكر في مصـر منها ما كان ملكاً للدولة والاخر ملكاً للعامة، وصـل عددها الى 56 معصـراً وكان على كل واحدة منها ضـريبة. الأنتصـار، ج4، ص41، ص46.

(8) يقع هذا المطبخ على يمين قيسـارية المحلي من بابها البحريفي القاهرة، وكان يُسـبك به السـكر الى أنّ توفي الأمير فصـار يُسـبك به القنود، وهو عسـل القصـب إذا جمد. النويري، نهاية الارب، ج8، ص271. ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص41.

(9) ابن دقماق، الأنتصـار، ج4، ص46. وكانت هذه المطابخ في بعض الأحيان تتخذ كمساكن للتجار، فقد أتخذ القاضي زكي الدين الخروبي المطبخ الكبير الذي عمره الذي لا يفصـل بينه وبين المطبخ الصـغير الا زقاقاً غير نافذ سـكناً له، والمعتقد أنّه أتخذ الطابق العلوي منه. ابن دقماق، الأنتصار، ج4، ص42.

4. الأسبلة [1]

أمّا الأسـبلة، فهي منشـآت خيرية لتزويد الناس بالماء، وغالباً ما كانت تقام فوقها الكتاتيب. أنشـأها وأوقف عليها أوقافاً عدة أمراء وأثرياء وتجار كبار لصـالح عامة الناس. [2] وعادة ما تكون بجانب ســوق أو مدرســـة أو جامع أو حمام. وقد أسـهم تجار الكارم بإنشـاء العديد منها، كسـبيل تاج الدين الخروبي الذي أنشـأه الى جوار مدرسته التي تقع على شاطئ النيل[3]، وسبيل المحلي المجاور لمدرسته التي تقع على نهر النيل أيضـاً[4]، وشـيد التاجر الكارمي حسـن بن القاسـم الطاهر سـبيلاً في داره في مكة[5].

5. الحمّامات

من المنشـــآت الأخرى التي بناها الكارمية، الحمامات[6]، وذلك منذ العصـــر الفـاطمي والأيوبي ثم في زمن الممـاليك، وتتمحور أهميتهـا في قدرة العـامـة على اســـتخدامها، لأنّ مســـاكنهم تخلو منها إمّا لافتقادهم المصـــدر الدائم للمياه[7] وهو الغالب، أو لعدم قدرتهم على إنشـــائها[8]،بعد أنّ كانت مقتصـــرة على بيوت الحكام وعلية القوم والاغنياء[9]. وكان ينظر الى إقامة الحمامات على أنّها من أعمال البرّ والثواب والتقرّب الى الله تعالى؛ لذا فقد خصـــصـــت هذه الحمامات أحياناً للغرباء

(1) الأسبلة: مفردها سـبيل، المقصـود به مكان التزود بالماء، ويكون تقديم الماء فيها في سـبيل الله لغرض الثواب. والسـبيل عبارة عن صـهريج واسـع تحت الارض ينقل اليه الماء من فرع لنيل الأكثر قرباً، في قرب للماء تحمل على ظهور الجمال، ويخرج منه الماء بواسـطة عدد من الأنابيب الموصـولة بالصـهريج وتُربط بصـنابير على سـطح الأرض يستطيع المارة من خلالها أرواء ضمئهم. جومار، وصف القاهرة، ص208 – ص212. وعادة ما يعلو السـبيل طابق يوجد به كتّاب ولذلك صـار يطلق على هذه الكتاتيب مكاتب السبيل . عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية، ص200. ومع مرور الوقت خصـصـت الأسـبلة لخدمة الطبقات الشـعبية لحاجتها الى الماء في منازلهم.زكي، عبد الرحمن، الأسـبلة الأثرية في مدينة القاهرة، مجلة كلية الاثار، جامعة القاهرة، ع2، 1977، ص57، ص58؛ عاشور، المجتمع المصري، ص90، ص91.

(2) جومار، وصف القاهرة، ص85، ص212.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص369.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص127.

(5) المقريزي، الخطط، ج2، ص328، ص 369؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص29.

(6) الحمّام : عنصر أساسي في المدينة الإسلامية التقليدية، الى جانب المسجد والسوق ودار الامارة، فهو ضـرورة للحياة الإسـلامية لانه مرتبط بالطهارة اللازمة للمسـلم لممارسـة حياته اليومية. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص266؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص79-ص80. والحمّام يتكون من ثلاث أقسام وهي المسلخ ثم بيت أول ثم بيت الحرارة، فضـلاً عن المنافع والمرافق والمطهرة، والخلاوي والاحواض والمسـاطب وغير ذلك. الحداد، السلطان المنصور قلاوون، ص83، ص84. وكانت هناك حمامات مخصصة للأثرياء فقط. جومار، وصف القاهرة، ص217. وأخرى مخصصة للرجال وثالثة للنساء. الحداد، السلطان المنصور قلاوون، ص161. وهي تقدم خدماتها ليلاً ونهاراً باسعار زهيدة.الجعيدي,طبقة العامة,ص161.

(7) ابن الحاج، المدخل، ج2، ص170.

(8) عثمان، محمد عبد السـتار، المدينة الإسـلامية، سـلسـلة عالم المعرفة 128، 1988، ص46.

(9) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص21.

وطلبة العلم والمتعبدين دون أجر يدفعونه.[1] وأشــهر الحمامات التي أنشــأها تجار الــكــارم حــمـــام ابـــن الــكــويــك الــذي وجــد فـــي القاهرة منذ العصر الفاطمي[2]، وحمام شهاب الدين الغاوي الكارمي[3].

6. القصور والقناطر

أمّا القصور، فقد عرف عن الكارمية تشييدهم لعدد كبير منها لا تقل فخامتها عن قصور الأمراء. فالنويري يشير الى أنّ قصور تجار الكارم كانت تقع على شاطئ النيل أو على البحر[4]، التي تميزت بالحصـــانة فلم يســتطع الغزاة اقتحامها كالذي حدث عندما غزا القبارصة الإسكندرية سنة 767هـــ/ 1365م، إذ سلمت من أعمال النهب [5].

تروي المصادر أنّ ((برهان الدين المحلي بنى بظاهر مصر على شاطئ النيل بالقاهرة، قصــراً يعرف بدار المحلي، فكان في غاية الحســن ويشــتمل على ثلاث قاعات مصــطفة وعدة طوابق وأروقة، الجميع مفروش بالرخام الملون والزخرفة الهائلة والاتقان، وكان أعجوبة الدهر في إتقان البناء وكثرة الرخام والزخرفة، وقيل إنّ ما أنفقه في بناء هذا القصر قد بلغ خمسين ألف مثقال ذهباً، إذ إنّ قاعاته زينت بالرخام المثمن وزخرفته كانت بمختلف النقوش والزخارف))[6].

وشــيد التاجر محمد بن ســلام الاســكندري داراً جليلة في بركة الفيل[7]، وأضاف اليها مباني عظيمة فأتقنها، ثم صارت دار مملكة أقام بها السلطان المؤيد الشيخ، ثم عادت الى صاحبها الكارمي [8]. ولصلاح الدين الخروبي بيتاً كبيراً على شــاطئ النيل كان معروفاً بحســن البناء والتجهيز[9].وكانت لعرام بن ابراهيم داراً

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص10، ص19.
(2) السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص68.
(3) ويقع هذا الحمّام في داره الذي هو وقف على الحرم النبوي الشــريف. ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص107.
(4) الالمام بالاعلام والأمور المقضية، ورقة 123 أ.
(5) ن.م، ورقة 281 أ.
(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص79، ص368، ص 369؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص290. وهو المبلغ ذاته الذي أوردته المصــادر عن تكاليف بناء مســجد الســلطان المؤيد شــيخ، وهذا يعني أنّ الكارمي كان يملك من الأموال ما يملكه الســلاطين. ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص290.
(7) بركة الفيل: أطلق عليها في زمن الدولة الطولونية اســم مناظر الكبش، ولما وصــل جوهر الصــقلي الى مصــر عســكر بجنوده حولها، ثم بنى القاهرة الى الشــمال منها فصــارت بركة الفيل واقعة بين باب زويلة والفســطاط. ابن دقماق، الانتصــار، ج5،، ص45. وهي ليســت بركة ماء بالمعنى المفهوم الآن، لكنها كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها ماء نهر النيل ســنوياً وقت الفيضــان وبعد نزول الماء تزرع أصــنافاً شتوية، وكانت مسجلة على أراضي الخراج وبقيت كذلك حتى تحولت الى مساكن منذ ســنة 600هــــ/ 1203م. المقريزي، الخطط،ج2، ص160-ص161؛ العيني، عقد الجمان، ص288.
(8) السخاوي، الضوء اللامع، ج9،ص83.
(9) المقريزي، الخطط، ج2، ص369.

كبيرة على شاطئ النيل سكنها أحد الشيوخ[1] . واهتم بعضهم بتشييد القناطر التي كانت أشهرها القنطرة المعروفة بقنطرة الخروبي[2].

7. وأخيراً، نرى أنّه كانت لبعضهم مشاركة في مجال التبرع للإصلاح والترميم فقد تبرع التاجر الكارمي عمر بن مزلق بحوالي 5000 دينار للسلطان ططر لإصلاح عين ماء في المدينة[3].وتبرع بـ5000 دينار أخرى التاجر الكارمي حسن بن مزلق لإصلاح عين ماء في عرفة في مكة[4]، وكذلك عمرَ التاجر الكارمي جابر بن الحراشي فرضة جدة وقلعة ينبع وسور مدينتها[5]. كما تبرع التاجر الكارمي محمد بن علي بن مزلق لإصلاح عدد من طرقات الشام وعدة خانات عليها، وأوصى بماله من بعد وفاته لإعمار المدينة[6].

ثالثا. الطرق التجارية [7]

من المهم معرفة الطرق التي استعملها تجار الكارم، ولاسيما تلك التي كانت تربط بين مصر وبلاد الشام ودول المحيط الهندي من ناحية ودول غرب وشرق أفريقيا من ناحية أخرى حيثُ مناطق إنتاج سلع الكارم. ويصبح من الضروري التعرف على المراكز التجارية لها، حتى أسواق الإسكندرية ومدن بلاد الشام، إذ كانت تحمل من هناك بحراً الى الأسواق الأوربية، وغني عن القول أنّ هذه الطرق ما أنّ تصل الى مركز أو موانئ حتى تتفرع الى طرق برية متعددة.

1. الطرق الخارجية البحرية

وتتمثل في ثلاث طرق هي:

الطريق الأول : طريق الصين ـ الهند ـ الخليج العربي[8]. ثم تبدأ فروعه النهرية والبرية من البصرة الى بغداد، إذ يتفرع فرعين، يتجه الأول شمالاً الى ديار بكر ويتجه الثاني غرباً الى دمشق، ومنها تخرج فروعه الى موانئ ساحل البحر المتوسط، ثم جنوباً الى مصر بحذاء الساحل الى غزة، ثم عبر الصحراء الى القاهرة . وقد فقد هذا الطريق اتصاله بالطرق القادمة من أواسط آسيا خلال غزوات المغول في القرن 7هـ/ 13م، ثم عاد الاتصال بعد ذلك عندما سيطر العثمانيون على آسيا

---

(1) الادفوي، الطالع السعيد، ص192،ص193.

(2) لم يذكر المقريزي تاريخ أنشائها لكنه قال عنها يسلك اليها من باب الفتوح ويُعبر منها الى أرض الطبالة (الفجالة) حالياً، وعندما رسم الفرنسيون خريطة مصر المعروفة بخريطة نابليون، وضع اسم هذه القنطرة باسم الخروبي عند جامع العدوي بالسور الشمالية للقاهرة . الخطط، ج1، ص381، ص467؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج3،ص4؛ محمد، اسماء ومسميات، ص92، ص99.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص120.

(4) ن.م، ج3، ص146 .

(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص71.

(6) ن. م، ج8، ص73.

(7) لابد من التنويه هنا الى أنّ أيا من هذه الطرق لم يكن حكراً على تجار الكارم، بل استخدمها جميع التجار والمسافرين أيام كان غرضهم، لكن المنهجية البحثية تقتضي التطرق لهذا الموضوع، لكون الاطروحة تختص بتجارة الكارم.

(8) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص153، ص154.

الصغرى في القرن 9هــ/ 15م، وأمنّوا الطرق المارة بها، حتى أصبح يمثل الطريق الاحتياطي لتجارة الكارم كلما تعطلت الطرق الأخرى أو أصـابتها هجمات القراصنة وقطاع الطرق، ثم فقد هذا الطريق اتصاله مرة أخرى في سنة 914هـــ/ 1508م، بسـبب الحرب التي نشـبت بين الصـفويين والعثمانيين في آسـيا الصـغرى والتي تسـببت في منع التجار من الوصـول الى بغداد والبصـرة، فامتنعت بالتالي السـفن الواردة من الصين والهند من دخول الخليج العربي وهرمز والبصرة[1]. هذا فضلاً عن زيادة انتشـــار قطاع الطرق فأحجم التجار عن ارتياده وفقدت مدنه وموانئه أهميتها . حتى بطل استعماله منذ دخول البرتغاليين بأسطوالهم الى الخليج العربي وسيطرتهم على تجارته إمعاناً في تحطيم الدولة المملوكية وتجارة الكارم [2].

الطريق الثاني : طريق بحري آخر يبدأ من الصـــين والهند الى البحر الأحمر وله فرعان، يتجه أحدهما شـمالاً بعد أنّ يترك البحر الأحمر عبر سـيناء الى دمشـق ثم موانئ ساحل البحر المتوسط، ويتجه الآخر عبر الصحراء الى النيل فالقاهرة ومنها بالنيل أيضاً الى الإسكندرية فأوربا[3].

إلاّ أنّ هذا الطريق كانت تعترضـــه صـــعوبات أولهما: التيارات البحرية في معظم الســـنة وثانيهما: كثرة الشـــعاب المرجانية التي تعترض الملاحة في البحر الأحمر، وقد ذللت الصعوبة الأولى بعد وصول سفن الكارم الى المحيط الهندي في وقت نضـــجت فيه المعلومات الجغرافية عن الملاحة في المحيط الهادي إذ لاءم البحارة أوقاتهم مع مواعيد هبوب الرياح الموسمية [4]. أمّا الصعوبة الثانية فقد تم تذليلها أيضـــاً بالإبحار بالبحر الأحمر بعيداً عن الشـــعاب المرجانية والتيارات المتعارضة، ولاسيما بعد بناء سفن ضخمة تتحمل الإبحار وسط هذا البحر[5]. وبعد غزو المغول لغرب آسيا في القرن 7هـــــ/ 13م، تعطل الطريق التجاري البري في وسط آسيا، وأصبح طريق البحر الأحمر من أكثر الطرق التجارية أهمية بين الشرق والغرب. فهو بعيد عن ميادين الحرب بين المغول والممـاليـك، وفيمـا بعـد بين العثمانيين والأوربيين، ثم بينهم وبين التركمان، وبينهم وبين المماليك ثم الصفويين في أواخر القرن 9هـ/ 15م[6].

(1) زكي، طرق التجارة، ص2124 ؛ ابراهيم، عبد الفتاح، على طريق الهند، دمشـــق – 1991، ص22.
(2) زكي، طرق التجارة، ص124.
(3) ن. م، ص124، ص125 ؛ ابراهيم، على طريق الهند، ص22.
(4) حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص220، ص221.
(5) عثمان، شـــوقي عبد القوي، الطرق التجارية بين الشـــرق والغرب قبل الكشـــوف الجغرافية، جامعة القاهرة، كلية الاثار، الندوة العلمية، القاهرة – 1990، ص358.
(6) زيادة، نقولا، الطرق التجارية في العصـــور الوســطى، مجلة المؤرخ العربي، بيروت، ع171، 1984، ص38- ص40 ؛ عاشـــور، ســـعيد عبد الفتاح، الحرير وتجارته في العصـــور الوســـطى، جامعة القاهرة، كلية الاثار، الندوة العلمية، القاهرة – 1990، ص36 – ص40.

الطريق الثالث : ويبدأ من الصـــين بحراً الى الهند منها يتحد مع الطريق الأول الى الخليج العربي والطريق الثاني الى البحر الأحمر[1]، وقد ســـيطر عليه من طرفيه دولتان عظيمتان، الصين في طرفه الشرقي، ودولة المماليك بمصر وبلاد الشام في طرفه الغربي، ازدادت أهميته منذ أنّ هددت الحروب الطريق البحري من شـــرق ووسط آسيا والهند الى آسيا الصغرى.

نشــطت العلاقات التجارية بين شــرق وغرب آســيا التي يقوم بها الطرفان، ووصلت بعثات الصين التجارية الى الساحل الجنوبي لبلاد العرب والساحل الشرقي لافريقيا حتى مقاديشو، وأنّ سفنهم مرت في هذا الطريق بالخليج العربي وإن كانت معظمها تتوجه أساساً الى البحر الأحمر ومصر وبلاد الشام[2].

أمّا تجار الكارم فقد توجهت ســفنهم للمياه الصــينية وســيطروا على التجارة فيها وارتبطت مراكزهم مباشرة بموانئ الصين. على أنّ هذا الطريق لم يكن معظمه آمناً، فليست صعوبة المواصلات في بعض أجزائه هي العقبة الوحيدة، انما انتشرت القرصنة في مناطق أخرى منه عند البحرين، والخليج العربي، وكذلك في مياه الهند . لذا كان على الســفن التي تصــل الصــين على هذا الطريق البحري أنّ تتزود بما تحتاج اليه من مياه ومؤن وحرس وعُدد ثم تمخر المحيط مباشـــرة لتتفادى خطر القراصـــنة. ومن هذه العقبات أيضـــاً اختلاف هبوب الرياح في المحيط الهندي من فصـــل لآخر . لكّن الملاحين بخبراتهم المتراكمة اســتطاعوا تذليل هذه الصــعوبة، ووقتوا مواعيد رحيلهم وعودتهم مع دفع الرياح الى جهة مقصدهم[3].

على هذه الطرق شقت السفن التجارية طريقها قروناً حتى نهاية القرن 9هـ/ 15م، إذ انقطعت زعامة تجار الكارم بدخول البرتغاليين مياه المحيط الهندي في سنة 904هـــ/ 1498م. ولم يستطع المسلمون إبعادهم عن المياه الهندية وبدءوا يتوسـعون حتى سيطروا على الطريق المذكور من ملقا الى الخليج العربي، ثم امتد نفوذهم ليشـمل المنطقة من الصـومال الى كانتون بالصـين، وفي سـنة 923هـــــ/ 1517م، كانت تجارة هذا الخط في جزئه الغربي بالخليج العربي والبحر الأحمر قد انهارت تماماً[4].

2. الطرق المحلية / البرية والنهرية داخل مصر

أ. الطرق البرية

وهي التي تنطلق من الموانئ ســـواء كانت تطل على المحيط الهندي أو البحر الأحمر أو الخليج العربي، ولعلّ اشــهرها طريق عيذاب ـ قوص ومنها الى

---

(1) ويســمى الطريق البحري من منطقة البحر الاحمر والخليج العربي الى جنوب الصــين طريق البخور. محمد ، خالد سـالم ، ربابنة الخليج العربي ومصـنفاتهم الملاحية، ط1، الكويت – 1982 ، ص52.

(2) زكي، طرق التجارة، ص161، ص162 ؛ لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة : عادل زعيتر، القاهرة – 1948، ص239.

(3) حوراني، الملاحة في المحيط الهندي، ص208، ص220، ص221.

(4) زكي، طرق التجارة، ص178؛ ديل، البندقية، ص146؛ طرخان، مصـــر في عصـــر الجراكسة، ص293.

فـنـدق الـكـارم بـالـفسـطـاط[1]. أمّـا الـطـريـق الآخـر فـهـو طـريـق القَصّـير [2]، الواقع شـمال عيذاب الذي كانت تصـل اليه بعض المراكب لقربه من قوص، وبُعد عيذاب منها، وكانت تحمل البضـائع الى قوص ثم الى فندق الكارم بالفسطاط ثم في النيل الى موانئ البحر المتوسط كالإسكندرية ورشيد ودمياط[3].

وطريق الطور، وهي في سـاحل جانب الرأس الداخل في البحر الأحمر بين أيلة وبين مصـر، إذ رغب به بعض رؤسـاء مراكب الكارم لقربه من برّ الحجاز، وكان لا يسـافر فيه إلاّ نهاراً لكثرة الشـعاب المرجانية[4]. وقد أخذت قوافل الكارم البحرية من عدن الى الطور أو السويس أو من جدة على سفن صغيرة الى طور[5].

وأخيراً طريق السـويس باتجاه القاهرة والفسـطاط[6]. يعد طريق عيذاب ـ قوص، أهم هذه الطرق فالمقريزي يقول عنه إنّ ((تجار الهند واليمن والحبشـة يردون في البحر الى عيذاب، ثم يسـلكون هذه الصـحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصـر(القاهرة) ، فكانت هذه الصـحراء لا تزال عامرة آهلة بما يصـدر وما يرد من قوافل التجار حتى أنّ أحمال الفلفل والقرفة كانت توجد ملقاة بها، والقوافل صـاعدة وهابطة لا يعترض لها أحد الى أنّ يأخذها صـاحبها .. واسـتمرت بضـائع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك الطريق بعد سـنة 760هـ/ 1358م)) [7] ويضيف ((إنّ تجار الكارم كانوا يعبرون هذه الصحراء من عيذاب الى قوص على ظهور الإبل، ثم يركبون النيل من قوص الى الفسطاط)). [8]

إلاّ أنّ هذا الطريق بدأ يفقد شـهرته بسـبب زيادة الفسـاد الذي كانت تعيثه القبائل السـاكنة هناك. فكان لابد لتاجر الكارم من اللجوء الى إدلاء القوافل الذين يعرفونه جيداً من دون غيرهم، كما أنهم يعرفون موارد الماء فيه[9] وهناك عامل آخر سـاعدعلى ضـعف هذا الطريق، وهو تحول الحجاج الى الطريق الشـمالي عبر صـحراء سيناء منذ سلطنة الظاهر بيبرس الذي وضـع يده على بلاد الحجاز وعلى محطات الطريق التجاري عبر البحر الأحمر، خاصـة وان الحروب الصـليبية التي كانت عاملاً من عوامل نجاح طريق عيذاب ـ قوص كانت قد خفّت حدّتها فانتعش الطريق الشـمالي عبر صـحراء سـيناء ثم الى بلاد الحجاز ثانية وسـاد الأمن فيه أبتداء من سنة 666هـ/ 1268م[10].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص468؛ عاشور، أبو العباس القلشندي، ص53.
(2) القصـير: يلفظ تصـغير قصـر، موضـع قرب عيذاب، بينه وبين قوص قصـبة الصـعيد خمسـة أيام وبينه وبين عيذاب ثمانية أيام وهو مرفأ سـفن اليمن. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص367؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج5، ص301.
(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص469.
(4) ن. م، ج3، ص469.
(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص357.
(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 465.
(7) الخطط، ج1، ص327.
(8) المقريزي ، الخطط، ج1، ص327.
(9) فييت، المواصلات في مصر، ص24.
(10) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص194.

كان الوصول من عيذاب الى النيل إمّا بطريق قوص أو بطريق أسوان . ومن قوص طريقان هما طريق العبدين وهو أقصر مسافة، والآخر طريق قنا، وكان على الطريق آبار لإرواء القوافل. أمّا الطريق من أسوان فكان يسمى الوضح لخلوه من سلاسل الجبال الكثيرة الموجودة في طريق قوص[1]. وقد نتج عن تخريب عيذاب أنّ تحول طريق التجارة من عيذاب الى القصـــير، ثم الى الطور بعد ذلك، ومن هناك كانت تنقل قوافل الكارم البرية عبر ســـيناء والشـــرقية الى القاهرة ومنها الى الإسكندرية[2].

أمّا فيما يتعلق بالاتصــال ببلاد الشــام ومصـر، فكان يتم عن طريق بري يبدأ من دمشق حتى غزة[3]، وبلبيس ومنها يتفرع فرع الى دمياط[4].

ب. الطرق النهرية : فهي أساساً طريق نهر النيل، الذي يشق مصر ابتداءاً من اواسط أفريقيا، وفيه نقلت المتاجر من جنوب البلاد وشمالها، وإنّ كثرة الترع التي شُـقت فيه ســاعدت على تنشـيط التجارة الداخلية بوجه عام، والكارم بوجه خاص. وهذا يبدو واضـــحا فيما كانت عليه حركة النقل المائي من نشـــاط. فقد ســـاعدت الطبيعة على تســهيل الانتقال على سـطح النيل، فالذي يتجه الى الشـمال يســاعده التيار والمتجه نحو الجنوب تساعده ريح الشمال[5].

ومن المعروف أنّ الجزء الذي كان يصــلح للملاحة في النيل دون عائق كان ينتهي عند انتهاء حدود مصر جنوباً، وهذا من حسن حظ مصر، وكان تجار النوبة هم الذين ياتون في النيل بالجنادل عندما تقف مراكبهم ومراكب الســـودان. ويتحول من فيها بتجارتهم الى ظهور الجمال حتى يصلوا الى أسوان[6].

كانت بضـائع الكارم التي تأتي عن طريق البحر الأحمر الى عيذاب تنقل على ظهور الإبل الى قوص ومنها بالنيل الى القاهرة، ومن القاهرة تواصل سيرها بالنيل خلال فرع رشـيد وخليج الإسكندرية (ترعة المحمودية) [7] في ميناء تلك المدينة، إذ كانت تصدر منها الى أوربا. أمّا التجارة التي ترد من أوربا فكانت تأتي عن طريق دمياط ورشــــيد والإســـكندرية ومنها تنقل بالنيل الى القاهرة ثم قوص وبعدها تنقل على ظهور الإبل الى عيذاب على البحر الأحمر[8].

---

(1) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص85 ؛ القلشندي، صبح الأعشى، ج5، ص17 ؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص316.
(2) القلشندي، صبح الأعشى، ج3، ص465.
(3) فييت، المواصلات في مصر، ص43.
(4) ابن رســـتة، أبو علي أحمد بن عمر، الاعلاق النفســـية، القاهرة – 1891، ص43؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص373، ص376.
(5) مبارك، علي، نخبة الفكر في تدبير نيل مصر، القاهرة– 1297هـ، ص95.
(6) المسعودي، مرج الذهب، ج3، ص41.
(7) ترعة المحمودية : حفرها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 710هــ / 1310 م. القلقشـــندي، صـــبح الأعشـــى، ج3، ص300. وكانت المتاجر قبل حفرها تُحمل على ظهور الأبل. سرور، السلطان المنصور قلاوون، ص334، ص335.
(8) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص423؛ قاسم، عبدة، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة- 1978، ص85.

3. طرق الإتصال مع أفريقيا

أ. الطرق التجارية مع شمال أفريقيا

عززت مصر علاقاتها التجارية مع شمال أفريقيا خاصة بعد القرن 4هـ/ 10م [1]وتنقل التجار، سواء من الأهالي أو من مختلف الأمصار [2]على طرقه، وقد يكون بين هؤلاء عدداً من تجار الكارم.

اعتاد التجار أنّ يسلكوا في طريقهم الى المغرب الأقصى[3] الطريق البحري الذي يخرج من الاسكندرية على البحر المتوسط ليمرّ في طريقه علـى

موانئ المغربين الأدنى[4] والأوسط [5]، حتى يصل الى أقصى الغرب[6].

وفي طريق عودتها تخرج من ميناء أصـيلا[7] بالمغرب الأقصـى باتجاه مصـر[8] إذ يرسـم لنا مؤرخونا طريقاً بحرياً يسـير بمحاذاة سـواحل المغرب ليمر

(1) لمزيد من المعلومات حول النشـاط التجاري المصـري مع المغرب الاقصـى، ينظر: البياتي، بان علي محمد، النشاط التجاري في المغرب الاقصى خلال القرن3-5هـ/ 9-11م، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة ، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات -2004، ص30.

(2) ابن حوقل، صورة الأرض، ص66.

(3) المغرب الأقصـى: يبدأ من حدود مصـر الغربية حتى برقة شـرقاً وتنتهي عند سـواحل المحيط الأطلسـي غرباً أمّا من الشـمال فهي تمتد من مياه البحر المتوسـط الى رماء الصحراء. اليعقوبي، البلدان ، ص10؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ص122. وقد استخدم المؤرخون كلمة الأقصـى أشـارة الى القسـم الأخير من أرض المغرب الذي يقع على ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) الزهري، الجغرافية ، ص113 ؛ السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر محمد ناصـر، ج1، الدار البيضـاء – 1954 ، ص71. ويعرف اليوم باسـم المملكة المغربية أو المغرب . العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، بيروت- 1978 ، ص11.

(4) المغرب الأدنى: يبدأ من برقة الى حدود بجاية أو مليانة. ابن سـعيد، الجغرافية ، ص146. ويسمى ايضاً أفريقية وكانت عاصمتها مدينة القيروان. العبادي، في تاريخ المغرب ، ص10.

(5) المغرب الأوسـط: يبدأ من مدينة بجاية و مليانة الى وادي ملوية في المغرب الأقصـى. ابن سـعيد، الجغرافية ، ص126، ص142. وهي مدينة الجزائر الحالية. العبادي، في تاريخ المغرب ، ص10 .

(6) البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، الجزائر – 1857، ص86.

(7) أصـيلا: أول مدن الجانب الغربي، وهي أرض مسـتوية تحيط بها التلال والمحيط الأطلسي يقع في غربها وأصيلا مرسى محمي من الأمواج العالية من خلال استدارته من جهة الجنوب الذي هو جسـر من الحجارة تلجأ اليه السـفن عند هيجان المحيط الأطلسي. البكري، المغرب، ص86؛ الزهري، الجغرافية، ص115؛ الأدريسي، وصف أفريقيا الشـمالية والصـحراوية، تصـحيح ونشـر: هنري بيريس، الجزائر- 1957، ص49.

(8) البكري، الغرب، ص86.

بعدة مدن ساحلية حتى يصل الى الاسكندرية بعد أنّ يكون قد قطع مائة ميل ليصل الى نهر النيل ومنه الى مدينة الفسطاط[1] ومنها الى القصير أو عيذاب على البحر الأحمر وهو طريق الحج[2]، ويخرج منه خط آخر من الاسكندرية ويمرّ بعدة مدن ساحلية ومنها الى غزة وعسقلان[3] واللاذقية وأخيراً الى أنطاكية[4] .

حتى القرن 4هـــ/10م، لم يسلك تجار الكارم طريقاً الى غرب أفريقيا غير الطريق الصحراوي الذي يبدأ من مصر متجهاً جنوباً الى صحراء فزان المركز التجاري الصحراوي ويتفرع الى فرعين الأول يسير نحو السودان ومنه الى الكانم، [5] والآخر يسير من طرابلس الى غدامس[6] ومنها الى تادمكة[7] ثم الى غانة[8] في السودان الغربي [9]. ولكن هذا الطريق بطل استخدامه ويوضح ابن حوقل أسباب بطلانه بالظروف الصعبة المتمثلة بالعواصف الرملية الشديدة والمستمرة، وقطاع الطرق الذين كانوا يسرقون القوافل وما تحمله من بضائع غالية الثمن تمثل رؤوس أموال التجار، ويبدو أنّ تكرر مثل هذه الحوادث أجبرت القوافل التجارية على ترك استخدام هذا الطريق نهائياً[10].

(1) اليعقوبي، البلدان، ص100- ص101؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص84،ص86؛ ابن قدامة، جعفر أبو الفرج، الخراج وصنعة الكتابة، ليدن- 1889، ص220؛ البكري، الغرب، ص86؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، نشر : سعد زغلول عبد الحميد ، مصر-1958، ص109، ص175.
(2) حسن، انتشار الإسلام ، ص3.
(3) عسقلان: مدينة على البحر المتوسط قرب مدينة غزة وكانت موضعاً عسكرياً أيام الحروب الصليبية خربها المماليك سنة 654هـــ/ 1247م. وتسمى عروس الشام. الحموي، البلدان، ج2، ص122؛ البغدادي، عبد اللطيف علي محسن عيسى مال الله، الأفادة والأعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، بغداد- 1987، ص77.
(4) البكري، المغرب، ص86، ص174، ص175.
(5) البكري، المغرب ، ص10؛ طرخان ، البرنو، ص17.
(6) غدامس: تقع على حافات الصحراء الشمالية وهي مركز تجاري صحراوي كثيرة النخيل والمياه وأهلها بربر مسلمون . البكري ، المغرب ، ص182.
(7) تادمكة: مدينة لكثرة شبهها بمكة سميت تادمكة لتعني مكة، تقع على حافات الصحراء الجنوبية وهي مركز تجاري سوداني، وأهلها بربر مسلمون. البكري ، المغرب ، ص181.
(8) غانة: مدينة كبيرة تقع في جنوب بلاد المغرب في أرض السودان الغربي وهي حاضرة دولة غانة ، وأول مدينة عرفت الإسلام بشكل رسمي ودعت اليه، ومركزاً تجارياً كبيراً، ويقول القزويني(عنها أنها مدينة كبيرة متصلة ببلاد التبر يجتمع فيها التجار ومنها يدخلون بلاد التبر، وهي أكثر البلاد ذهباً) . آثار البلاد، ص57؛ نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا، ص293.
(9) البكري ، المغرب ، ص182-ص183.
(10) وصف الارض ، ص61

وبدأت طرق القوافل تسلك الطريق الذي يبدأ من جنوب مصر الى ورقلان[1] والى سجلماسة[2] فقد تحدثت وثائق الجنيزة في المدة بين 527- 543هـــ/ 1132-1148م ، عن تجار كارم أصلهم من سجلماسة قاموا برحلات عديدة الى الهند وظلت لهم روابط موطنهم الاصلي المغرب[3] ومنها الى أغمات[4] التي كانت ملتقى القوافل القادمة من مختلف الأصقاع، وخاصة تلك التي تحمل الأفاوية وغيرها لتبادلها بمواد تلك البلاد[5]. وقد تنزل القوافل الى تفازة ومنها الى أودغشـــت ثم الى غانة[6]. وهذا يدل على أنّ تجار الكارم وجهوا جزءاً من نشــاطهم التجاري نحو المغرب الأقصــى، وقد ســاعدت الظروف التي مر بها الطريق الصــحراوي الى إنعاش الطريق مع بلاد المغرب الأقصى.

وبما أنّ تجار الكارم قد وصــلوا الى بلاد المغرب الأقصــى فكان من الطبيعي أنّ يمروا بالمغربين الأوسط والأدنى وأن تكون لهم علاقات تجارية معهما. فلم تذكر لنا المصــــادر معلومات تفصــــيلية عن هذه الطرق. إلاّ أنّه من خلال وثائق الجنيزة نســتطيع أنّ نســتكشــف أنهم ســلكوا الطرق، أمّا البحرية أو البرية نفســها التي مر ذكرها الى بلاد المغرب الأقصـــى، فقد ذكرت هذه الوثائق أنّ هناك تجار كارم عملوا بين تونس والفسـطاط وخاصــة في تجارة النحاس الأصــفر الذي كان ينقل من الهند ومنها الى مصر ثم ينقله تجار الكارم الى تونس[7].

وأشــارت الوثائق الى تجار كارم كان أصــلهم من تونس لهم نشــاط تجاري كبير في البحر المتوسط وتجارة الهند . وتسهب الوثائق في معلوماتها عن الرحلات التجارية البحرية من تونس الى مصــر[8]. لكن هذه الرحلات كانت تصــادف أحياناً ما يعيق وصولها كالظروف الجوية أو الحروب، فلا يسمح لهذه السفن بالمرور ما عدا

(1) ورقلان: تقع ممّا يلي افريقية (تونس) وهي بلد خصــب كثير النخيل والبســاتين وفيه سبع مدن مسورة قريبة بعضها من البعض، مؤلف مجهول، الاستبصار، ص224.

(2) ســجلماســة: مدينة تقع في جنوب المغرب الأقصــى . القزويني ، أثار البلاد، ص42. واليها يحمل التجار القادمين من مختلف الاتجاهات البضائع ومنها ينطلقون ببضائعهم وسلعهم الى بلاد السودان الغربي عبر طريق القوافل الصحراوي الذي يربط سجلماسه بغانه. الحموي ، معجم البلدان، ج2، ص12،ص99.

(3) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص261.

(4) أغمات: مدينة في أقصى المغرب الأقصى والمسافة بينها وبين سجلماسه 264 ميلاً. ابن حوقل، صــــورة الأرض، ص91. وبينها وبين مراكش 9 أميال. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص129. وبينها وبين بلاد السوس 198 ميل. الأدريسي، وصف أفريقيا، ص40 .

(5) وكان أهم المواد التي يحملها التجار من المغرب الاقصــى الى مصــر المرجان والعنبر المغربي. الأدريسي، وصف أفريقيا، ص42.

(6) كانت هذه القوافل تقطع المسافة بين سجلماسه وغانة في شهرين في الصحراء وبين غانـة وأودغشـــت في عشــرين يومـاً. البكري، المغرب، ص149؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص201، ص216.

(7) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص260 .

(8) ن .م ، ص244.

سفن السلطان. وكان بعض تجار الكارم يحصلون على أذن خاص بارسال بضائعهم على ظهر هذه السفن الخاصة بالسلطان[1].

وترد في وثائق الجنيزة أسماء عوائل وأشخاص عملوا في الكارم من مدينة طرابلس الليبية[2]، ووجدت خطابات مرسلة من تجار الكارم في دهلك أقصى جنوب البحر الأحمر الى طرابلس الليبية ونشاطهم التجاري فيها[3].ولقرب بلاد المغرب من أسبانيا، فقد كان هناك خط تجاري تسلكه السفن الأسبانية للوصول الى مصر الذي أشــار إليه الزهري، ويبدأ من أســبانيا الى طنجة ومنه الى المغرب الأقصــى ثم الى الاسكندرية ليصل الى بلاد الشام [4]. وتحدثنا وثائق الجنيزة عن تجار أسبان عملوا في تجارة الكارم كما كان لبعضهم أنشطة تجارية بين الهند ومصر واليمن والمغرب وأسبانيا[5]، فضلاً عن مشاركة تجار عرب من شتى الانحاء من الأندلس في تجارة الكارم[6].

ب. الطرق التجارية مع غرب أفريقيا

اســتخدم التجار، ومنهم الكارمية للوصــول الى مناطق أفريقيا من مصــر ما كان يسمى بطريق درب الأربعين[7]. ويبدأ هذا الطريق من أسيوط في صعيد مصر، ويمرّ جنوباً بســلســلة من الواحات الصــغيرة والقرى والآبار حتى دارفور[8] ومن خلاله قام تجار الكارم برحلاتهم الى بلاد السودان الغربي للحصول على منتجاتها[9]. وتنتشــر على هذه الطريق الآبار في الصــحراء الغربية وربط هذا الطريق مصــر بطرق الســودان الأوســط التي تصــل دارفور في الغرب بمدينة ســواكن على البحر الأحمر في الشرق[10].

(1) ن. م ، ص244.
(2) ن. م ،ص259.
(3) ن. م ،ص256.
(4) الجغرافية ، ص128.
(5) جويتن ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص261.
(6) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص147.
(7) درب الأربعين : طريق قديمة سلكتها القوافل منذ أيام الفراعنة. فخري، أحمد، الواحات المصــرية في التاريخ، المجلة التاريخية المصــرية، م4، ع1، 1951، ص15. وكان يطلق عليه الطريق الليبي أو طريق غرب النيل أو الطريق المصــري. لكن الأربعين اشــارة الى المدة التي كانت تســتغرقها القوافل في الســفر من أســيوط الى دارفور. رياض، زاهر، مظاهر العلاقات بين المسـلمين والمسـيحيين في الحبشــة في العصـور الوسطى، القاهرة – 1950، ص51.
(8) دارفور : تقع في جمهورية الســودان الحالية، التي تضــم أقليمي دارفور وكادفان، بصيلي، تاريخ وحضارات السودان، ص21.
(9) حسن، ابراهيم حسن، أنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، القاهرة – 1957، ص3 ؛ Shaw , W.B. K., Darb El Arbain Sudan Notes and Records , VoI , 3, 1929 , P. 65-67.
(10) العمري، مسالك الابصار، ج2، ورقة 507 أ.

وأنّ هذا الطريق أوجد علاقات تجارية بين تجار الكارم في مصـــر وغرب الحبشـــة [1]، وله أثر مهمّ في حركة الاتصـــال بين مصـــر وبلاد غرب أفريقيا عبر الصـــحراء الغربية[2]، وكانت تتخلله ســلســـلة من الواحات التي تبعد عن بعضـــها حوالي 200 كم، والتي شـــكلت محطات للقوافل تســـتريح فيها، وكان معبرا للثقافة والحضارة بين وادي النيل وغرب أفريقيا على يد تجار الكارم[3]. وسّهل هذا الطريق لتجار الكارم الاتصـــال ببلاد الكانم وبحيرة تشـاد[4]، وهو الطريق نفســه الذي ســلكه التجار في بلاد التكرور[5].

وهناك طريق آخر يبدأ من مراكش أقصـــى الغرب الى القيروان فبنغازي ثم الإسكندرية، فالقاهرة، ومنها الى السويس أو القَيصّر وعيذاب على البحر الأحمر، وهو طريق الحج[6].

كذلك كان يوجد طريق وسـط يربط مصـر بغرب القارة من وادي[7] غرباً الى فزان[8] ففوص ثم صـحراء مصـر الشرقية وصـولاً الى عيذاب على البحر الأحمر ثم عبوره الى الحجاز[9].

---

(1) طرخان، ابراهيم علي، دولة مالي الإسلامية، القاهرة – 1973، ص80.

(2) محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية، القاهرة – 1963، ج1، ص260.

(3) العمري، مسالك الابصار، ج2، ورقة 508 ب.

(4) بحيرة تشـاد:تقع شرق دول الهوسـافي بلاد السـودان وهي من المناطق الخصبة التي أجتذبت اليها الكثير من القبائل وخا صـــة حولها,وتضـــم حوالي خمســـةعشـــر لغـةمتبـاينـــة.نوري,تـاريخ الإســــلام في افريقيـا,ص286,محمـود,الإســـلام والثقافة,ج1,ص260 .

(5) رياض، مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، ص63.

(6) حسن، أنتشار الإسلام، ص3.

(7) وادي: تقع في غرب دارفورفي الســودان ، وتحدها من الغرب والجنوب الغربي الكانم والباقرمة ومن الجنوب الشــرقي داررنقة، وقد اكتســبت بفضــل موقعها على الطريق التجاري مركزا ممتازاً جعل منها سلطنة مستقلة أو تابعة لسيطرة كانم، وهذه السلطنة واحدة من ســلســـلة الولايات والممالك التي امتدت من الشــرق الى الغرب على طول طريق السـفانا، وتضـم واداي أربع قبائل وهي مدبا زملنقا وأبو سـنون وهلالا. نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا، ص302.

(8) فزان: تقع في الســودان الأوســط جنوبي طرابلس. نوري، تاريخ الإســلام في أفريقيا، ص137.

(9) الادريسي، نزهة المشتاق، ص30-ص38.

وآخر هذه الطرق، الطريق الجنوبي الذي يبدأ من بلاد التكرور أقصى غرب القارة، ثم يتبعه شرقاً الى أودغشت[1] ثم تمبكتو[2] ثم يتابع الرحلة شرقاً أو شمالاً الى مصر عن طريق درب الأربعين[3].

ج. الطرق التجارية مع شرق أفريقيا

أمّا مع شرق أفريقيا، فقد ارتبطت مصر بعلاقات تجارية قديمة مع الساحل[4] عن طريق البحر الأحمر، ثم المحيط الهندي فكانت مراكب تجار الكارم تصل الى مختلف مناطق الساحل الشرقي الافريقي كمقاديشو ومالندي وباتا وزنجبار[5]. فضلاً عن ارتباط مصر مع الساحل الأفريقي الشرقي بشبكة من طرق المواصلات البرية التي في مقدمتها الطريق البري الذي ربط بين مصر الذي يسير بمحاذاة البحر الأحمر ثم النوبة فالحبشة حتى أقصى الساحل الأفريقي الشرقي[6]. وهناك طريق آخر عبر إقليم حوض النيل الأزرق [7]، الذي تفرعت منه طرق عدة وصلت الى مناطق داخلية مختلفة سكنها الكثير من العرب المسلمين [8].

وكان لتجار الكارم دور كبير في تنشيط التجارة في هذه المنطقة فقد أنشأوا الوكالات التجارية في الموانئ والمدن التي كانت ملتقى الطرق التجارية، وكانت لهم علاقات تجارية واسعة وشبكة مواصلات ضخمة، سارت بها قوافلهم من الساحل الأفريقي الشرقي حتى أواسط وغرب أفريقيا[9] .

رابعا. مراكز تجارة الكارم [10]

(1) أودغشت: وتلفظ بالسين أيضاً، مدينة تقع غرب غانا على مسافة 7-11 يوم وعلى مسيرة شهرين من سجلماسة وهي مركز تجاري مهم إذ تخترقها القوافل القادمة من سلجماسة الى بلاد السودان الغربي، وقد كان حكامها من البربر البيض وقد حلت محلها مدينة تجداوست وتقع ضمن جمهورية موريتانيا الإسلامية. نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا، ص280.

(2) تمبكتو: تأسست سنة 600 هـ/ 1203م، وهي من مدن السودان الغربي ومحطة للقوافل التجارية ، وبفضل الإسلام والتجارة توسعت ونمت وأصبحت بمثابة مركزاً اعلامياً في ميدان الثقافة والعمران. نوري ، تاريخ الإسلام في أفريقيا ، ص284.

(3) الادريسي، نزهة المشتاق، ص38 ؛ خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص284.

(4) الطويل،عبد الرحمن عثمان، الصومال تاريخ وحضارة، أبو ظبي – 1988، ص14، ص15.

(5) تعتبر مقاديشو ومالندي وباتا وزنجبار من أشهر موانئ الساحل الافريقي الشرقي فمقاديشو تقع في دولة الصومال الحالية أمّا مالندي وباتا فتقع في كينيا وزنجبار التي تقع في تنزانيا الحالية. عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص303.

(6) الزهري، الجغرافيا، ص122 ؛ الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص102.

(7) حوض النيل الأزرق : تشمل المنطقة الواقعة بين النيل الأبيض وبحيرة تانا في الحبشة. بصيلي، تاريخ الحضارات السودان، ص229.

(8) بصيلي، تاريخ وحضارات السودان، ص243.

(9) ن.م، ص396؛ الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص103، ص104.

(10) كانت المراكز التجارية كثيرة لكننا سنكتفي بايراد من ذكرت المصادر القديمة تجارة الكارم فيه.

تعدّ المراكز التجارية رئة الحياة لأي دولة، فهي النافذة التي تطل منها على العالم، وقد تكون الواجهة التي يراها الزائر ولا يرى غيرها، لذلك فهي واسطة الاتصال والاحتكاك بين الحضارات، وهي ميزان الاقتصاد والثراء المعبر عن مدى النشاط التجاري، ويمكننا اعتبارها أحد اضلاع مربع النشاط التجاري الذي بدونه يختل هذا النشاط[1].

ينطبق هذا القول بصورة واضحة على مراكز تجارة الكارم التي كان ازدهارها في العصر المملوكي راجعاً الى ثراء تلك المراكز ولاحتياجات الغرب للكثير من سلع الكارم. فعبر هذه المراكز انتعشت تجارة الكارم، وهذا الأمر الذي تؤكده كثرة السفن فيها وضخامة حمولتها التي جاوزت ثلاثة أضعاف مثيلاتها الأوربية ومهارة ربابنتها وملاحيها. وعلى الرغم من أنّ الملاحة بين أقصى موانئ المحيط الهندي في الشرق وأقصاها في الغرب كانت تتم في أزمنة معينة من السنة بحسب مواسم هبوب الرياح الموسمية، فإنّ الحركة التجارية بين تلك المراكز استمرت طوال العام [2]. وتجدر الإشارة هنا الى أنّ بعض المراكز لم تكن نهرية أو بحرية ولكنها كانت برية، مع ذلك فقد ساهمت في تجارة الكارم، وسوف نتبع ذكر هذه المراكز في شيء من الإيجاز مع التركيز على المراكز الخاصة بموضوع البحث وأولها:

1. مراكز المحيط الهندي

أ. الصين

يعتبر ميناء خانقو[3] أهم موانئ الصين بالنسبة لتجار الكارم فهو مجمع التجارات، ومن عادات أهل الصين في خانقو أنّ يسبك التاجر ما عنده من الذهب والفضة قطعا، ومن كان له خمسة عشرة قطعة أي قنطار سموه الستي وهو بمعنى الكارمي[4]،وكان ميناء الزيتون مركزاً لنشاط تجار الكارم [5].

ب. الهند

أسهمت موانئ الهند في حركة تجارة الكارم، وإن كانت قد قامت أساساً بدور المنتج للسلع التي تحتاج اليها أسواق العالم [6] أهم موانئها :

---

(1) أرتكزت تجارة الكارم على أربعة محاور هي : وسائل النقل، ومدى ملاءمتها، المراكز ومدى صلاحيتها للملاحة، السلع ومدى قابليتها للتداول وأسلوب التعامل مع التجار، عثمان تجارة المحيط الهندي، ص163.

(2) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص164، ص165.

(3) خانقو: هي مدينة كانتون الحالية في الصين. الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، ص130 ؛ الالوسي، عادل محي الدين ،تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن 7هـ/ أواخر القرن 13م، بغداد -1984، ص254.

(4) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص421، ص248، ص251.

(5) بولو، ماركو، رحلة ماركوبولو، ترجمة : عبد العزيز جاويد، القاهرة -1977، ص265.

(6) العمري، مسالك الابصار، ج5، ورقة 3 أ.

1. كمباي [1]

من أشـــهر موانئ الهند، ولكثرة التجار بها كان لهم رئيس يطلق عليه ملك التجار [2]. وكانت ســفن تجار الكارم تحمل إليه الســلع المختلفة لتعود محملة بالتوابل ومواد أخرى [3].

2. ديو [4]

ميناء زاخر بالســلع الواردة من مختلف دول المحيط الهندي، ويعمل معظم سكانه بتجارة التوابل، ويصلها أكثر من ألفي تاجر سنويا[5].

3. الديبل [6]

تفد اليه سفن الكارم بكثرة، فضلاً عن استقرار بعضهم فيها [7].

4. إقليم الملبار

ويعتبر مركز الانتـاج الرئيس للتوابـل، وســمي ببلاد الفلفل، وأهم موانئـه قاليقوط [8]، التي كانت مقصــد تجار الكارم[9] وكانت في مراكزهم في قاليوط دور مجصصـة متسعة لعدد متوسط من التجار تكفي لجلوسـهم ووضـع أموالهم، فضلاً عن وجود فنـادق خـاصـــة بـهم لا ينـزل فـيـهـا الـتـجـار الـعـاديـين [10] وكولام[11] التي كان تجارها يشـترون المراكب بما فيها من سـلع[12]، وينسـب الى

---

(1) كمباي: تقع في شمال بومبي الحالية. الالوسي تجارة العراق، ص 254. واطلق عليها ابن بطوطـة كنبايـة أو كنـابيت. تحفـة النظـار، ص367؛ أبو الفـدا، تقويم البلـدان، ص381.

(2) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص367.

(3) زكي، طرق التجارة، ص171؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص187.

(4) ديو: الميناء الذي حدثت فيه الموقعة الشهيرة سنة 915 هـــ/ 1509م، بين المماليك والبرتغاليين والتي حســمت الأمر لصــالح البرتغاليين في الهند. الشــيخ، زين الدين، تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، لشبونة، 1898، ص40-ص41.

(5) Barbosa ,D. A Description of the coasts of the East Africa and Malbar in the beginning of the 16th century, U.S.A-1970, P. 59-61.

(6) الديبل :تقع جنوب مدينة كراتشــي الحالية في باكســتان. الســأمر، فيصــل، الأصــول التاريخية للحضــارة الإســلامية العربية في الشــرق الاقصــى، ط1، بغداد – 1977، ص147.

(7) الســاداتي، أحمد محمد، تاريخ المســلمين في شـبه القارة الهندية، القاهرة – 1957، ج1، ص256.

(8) قاليقوط : كلكتا الحالية. زكي، طرق التجارة، ص 174.

(9) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص378؛ المعبري، تحفة المجاهدين، ص115.

(10) التجيبي ، مستفاد الرحلة، ص174.

(11) كولام: وتسمى أيضاً كولم Clam أو كايلون Quilon وتقع الى الجنوب من قاليقوط. مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص177 ؛ عبد العليم، انور، الملاحة في علوم البحار، الكويت – 1986، ص96.

(12) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص379.

هذه المدينة التاجر الكارمي عبد العزيز منصور الكولمي بسب كثرة تردده عليها[1].

ج. مراكز جنوب شرق آسيا

أ. جزر ذيبة المهل (المالديف)

تقع هذه الجزر التي كان يرســـو بها تجار الكارم، على الطريق من الهند والصين ذهابا واياباً[2].

ب. جزيرة سومطرة [3]

وهي مقصد تجار الكارم ومحطة مهمة في تجارتهم[4] ومنها تنساب سفنهم الى مضـــيق ملقـا[5] المحصـــورة بين جزيرة ســـومطرة وأرخبيل الملايو[6]، ولاسيما منذ القرن 8هـــ/ 14م، حينما اغلقت الصين جميع موانئها أمّا التجار الأجانب عندها قام أهل سومطرة وملقا بالمتاجرة بسلع الكارم[7].

ج. جزيرة جاوة

(1) القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج5، ص73، ص74، ص75. يذكر المقريزي، أنّه تاجر في الصين أيضاً في سنة 703هـ/ 1303م. السلوك،ج2، ص132، ص133.

(2) ينظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص383، ص388 ؛ شـــيخ الربوة، عجائب البر والبحر، ص160.

(3) سومطرة: جزيرة في اندونيسيا ومن تسمياتها القديمة الرامني أو الرامي أو لامبري. الالوسـي، تجارة العراق، ص252 ؛ الظالمي، وجدان محمد حسـن، الحياة الاجتماعية في مجتمعات جنوب شـرق آسـيا الإسـلامية، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات – 2000، ص13.

(4) شيخ الربوة، عجائب البر والبحر، ص153.

(5) ملقا: أو ملاكة تقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الملايو وهي سنغافوره الان. الالوســي تجارة العراق، ص254؛ الظالمي، الحياة الاجتماعية، ص13؛ وتتحكم في الجزء الموصـــل بينها وبين بحر الصـــين والمحيط الهندي. جيان وثائق تاريخية وجغرافية، ص441.

(6) ارخبيل الملايو: أو الملايا يراد بها مجموعة الجزر التي يتألف منها الارخبيل وتشـــمل الآن اندونيسيا وماليزيا والفلبين وكمبوديا وتايلند وسريلانكا وسنغافورة، التي تعرف بدول جنوب شـرق آسـيا. القيسـي، غنية ياسـر، أثر الإسـلام على النهضـة الفكرية في جنوب شـرق آسـيا في العصـور الإسـلامية المتأخرة، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات – 2003، ص9 – ص11.

(7) جيان، وثائق تاريخية، ص44.

وهي من الجزر التي كانت ترســو بها ســفن الكارم وتفد عليه مختلف أنواع متـاجرهم[1]، وكثرت فيها أعدادهم مع عوائلهم إذ كـانوايســـتقرون فيمـا يســـمى بالفنادق[2] لمتابعة أعمالهم[3] .

د. الساحل الافريقي الشرقي

1. مالندي

كثر فيها تواجد تجار الكارم، لأنها كانت مركزاً تجارياً لسلع داخل القارة التي ترد اليها لتتولى هي القيام ببيعها إليهم[4] .

2. مومباسا

تقع بالقرب من ماليندي، وفيها ميناء ضخم ترسو فيه السفن، وهي رئيسة، مصدرة للحديد والنحاس والفضة[5] .

3. كلوة

المركز الرئيس لتجارة الذهب[6]،وهي تعد الوســـيط التجاري بين منتجات داخل القارة وبين تجار الكارم الوافدين اليها[7].

2. مراكز جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي

أ. عُمان

لموانئها دور مهم في تجارة الكارم، لأنّ موقعها على مدخل الخليج العربي، يتوسط التجارة القادمة من الشرق والغرب . فهو أول مرفأ يقابل الداخل الى الخليج أو الخارج منه، إذ تزوّد بالموئن للرحلة الطويلة التي كانت تستغرق بضعة أشهر[8].

---

(1) القزويني، آثار البلاد، ص29 ؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص409.

(2) الفنادق : المقصــود بها هنا المدارس الدينية الإســلامية كما هي تســميتها في ماليزيا ويقدر عددها بــــ500 مدرسة. الندوي، عبد الرزاق بن وان، اللغة العربية في ماليزيا بعد الاستقلال، القاهرة – 1990، ص5، ص60، ص64. وكان الغرض من انشائها هو دراسة كل ما يتعلق بالأسلام وأحكامه وتشريعاته وعلوم العربية وادابها. الانصـاري، صدر الدين عامر، المعاهد الإسلامية في الهند، مجلة ثقافة الهند، ج22، ع1، الهند – 1971، ص37. ينظر : القيسي، أثر الإسلام، ص72، ص142.

(3) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج2، ص 192.

(4) المغيري، ســـعيد علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق : عبد المنعم محمد، ص86.

(5) الادريسي، نزهة المشتاق، ص32.

(6) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص156؛ العقاد، صـــلاح وجمال زكريا، زنجبار، القاهرة، ص33، ص34.

(7) المقريزي، الالمام، ص23.

(8) العليان، عبد الله بن علي، التاريخ البحري العماني، ، WWW.nizwa.com، مجلة نزوى ,ع22, 1999، ص3 ؛ العريمي محمد بن مبارك، مدينة صــور العمانية الدلالة اللغوية والبعد الزمني، ، www.nizawa.com , مجلة نزوى ,ع1998، 18، ص4.

كان لتحول التجارة عبر البحر الأحمر بعد سقوط بغداد 656هـ/ 1258م، أثر في بزوغ ظفار[1] كميناء مهم، وكلّما زاد حجم تجارتها زادت أهميتها وثراؤها، فقد بلغت الضرائب التي دفعت من قبل سفينة واحدة احتوت حريراً ومسكاً وأحجاراً كريمة وخزف صيني أحضرها أحد تجار الكارم من الصين سنة 703هـ/ 1303م، ثلاثمائة ألف درهم[2].

ب. عدن

هي مهمة جداً بسبب موقعها على مدخل خليج عدن الذي يعتبر الحد الفاصل بين سير سفن المحيط الضخمة المحملة بالتوابل وغيرها من سلع الكارم[3] وسفن البحر الأحمر الاصغر حجماً التي كانت تحمل البضائع المصرية والأوربية مثل النحاس والمنسوجات الصوفية وغيرها لتلتقيا في عدن لتبادل السلع. فهي مجمع تجارات عالمي المحيط الهندي والبحر المتوسط[4] ومرتكزاً أساسياً لتجار الكارم، ومصدر ربح متزايد لحكامها الذين اشتطوا في فرض الضرائب على تجارة الكارم، ممّا حدا بالسلطة المملوكية الى تحذير الكارمية من النزول بها وذلك منذ العام 828هـ/ 1425م[5]، والتحول الى جدة ومذاك قلت أهميتها[6].

ج. زبيد

فرضة اليمن[7] ومجمع تجار الحبشة والحجاز والعراق ومرفأ تجار الكارم الواصلين من مصر، وكان بها فنادق وأسواق للكارم أيضاً[8].

3. مراكز البحر الأحمر

أ. جدة

---

(1) ظفار : من أعمال الشحر بحضرموت في اليمن ، وتشتهر جبالها باللبان. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص60.

(2) Guset , R., Zufar in the Middle Ages,vol.9(Islamic Culture) , 1936, vol.4, P. 407.

(3) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص56، ص57.

(4) العمري، مسالك الابصار، ج5، ورقة 98أ.

(5) زكي، طرق التجارة، ص133-138.

(6) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص176.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص9، ص10؛ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد،، تحقيق : عبد الله الحبشي، اليمن – 1979، ص3.

(8) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج2، ص192 ؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص19.

من أشــــهر الموانئ الحجازية على البحر الأحمر وأهم مراكز تجارة الكارم وأعتبرت ميناءاً لمكة[1]. ولموقعها المتوسـط من موانئ الحجاز، ولقربها من عدن ومكة أثر كبير في تجارتها الواسعة مع مختلف الموانئ الشرقية، فازدهرت جداً في عصر سلاطين المماليك [2].

ب. ينبع

فرضــــة المدينة[3]، ومنفذها على البحر الأحمر، ويتبع حاكمها ســـلطان مصــر[4]. بدأ هذا الميناء ينشـط حتى صــار من موانئ الحجاز الرئيســة منذ ســنة 621هـ/ 1224م، وشكلت محطة على الطريق البري لتجار الكارم الذي كان يبدأ من القاهرة الى السويس ومنها الى العقبة ثم ينزلون الى البر فيمرون بينبع في طريقهم الى المدينة ومكة، وظل هذا الطريق مستخدماً في مجال تجارة الكارم زمن سلاطين المماليك[5]. واسـتقر بها أعداد من الأسـر المصـرية الكارمية التي انتقلت اليها من صعيد مصر للتجارة[6].

ج. أيلة

خصصت السلطات المملوكية ميناء أيلة[7]، لمرور سلع الكارم القاصدة بلاد الشام بعد سقوط القسطنطينية في سنة 857هــــ/ 1453م[8]، ورغم صغرها إلاّ أنّ القلقشندي يذكر أنّها((خدمت تجارة الكارم حتى نهاية العصر المملوكي))[9].

د. جزيرة دهلك

من موانئ الكـارميـة المهمـة المعروفـة بين المحيط الهنـدي ومصـــر، وقد اختص ميناؤها بنقل تجارة الحبشة التي تصلها بحراً [10].

ن. عيذاب

تقع في أقصى الساحل الجنوبي لمصر المطل على البحر الأحمر على مقربة من الحدود المصـــرية الســـودانية[11]. عرفت منذ العصـــر الفاطمي كميناء مزدهر لتجارة الكارم [12]، وهناك عوامل ســـاعدت على تفوقها على غيرها من الموانئ المطلة على البحر الأحمر، فقد كان تفريغ سلع الكارم في ميناء عيذاب يجنب السفن

(1) ابن المجاور، تاريخ المســتبصــر، ج2، ص52 ؛ القلقشــندي، صــبح الأعشــى، ج4، ص258
(2) السليماني، النشاط التجاري، ص24.
(3) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص16.
(4) ابن اياس، نشق الأزهار، ورقة 86أ.
(5) الجاسر، حمد، بلاد ينبع، الرياض - 1965، ص49.
(6) السليماني، النشاط التجاري، ص93.
(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص206، حاشية (8).
(8) سالم، تاريخ البحرية المصرية، ص191.
(9) صبح الأعشى، ج3، ص392.
(10) Depping , Op., Cit., T.2 , P. 52.
(11) اليعقوبي، البلدان، ص335 ؛ ابن دقماق، الأنتصار، ج2، ص35.
(12) دراج، عيذاب، ص55,حســن,يوســف فضـل,المعالم الرئيسـية في الهجرة العربية الى السودان,المجلة التاريخية المصرية,م4 , 1945,ص78.

المزيد من المخاطر في بحر مليء بالشــعاب المرجانية التي تزداد في البحر الأحمر باتجاه الشمال[1] .

اجتذبت اليها تجار الكارم[2] وواصلت ازدهارها طوال العصر الأيوبي بسبب غلبة القوى الصــليبية على المنطقة الجنوبية من بلاد الشـــام إذ أصــبحت الميناء الرئيس للحط والإقلاع لتجارة الكارم[3]. واستمرت اهميتها في العصر المملوكي، إذ طور المماليك جهاز ها الإداري الذي كانت مهمته ر عاية مصـــالح تجار الكارم [4].ومنح واليها ســلطة الفصــل في الخصــومات بين تجار الكارم في بعض الأحيان [5].وفي سنة 720هـــ/ 1320م، صار يتولى عيذاب والي هو من أمراء العشرة من قبل الســلطان لرعاية الوافدين من تجار الكارم عليها [6]، فضــلاً عن وظيفة متولي شهادة الكارم الذي يشرف على ما يرد من تجارة الكارم[7].

عمل أهلها بنقل تجار وســـلع الكارم الواردة الى عيذاب على ظهور الأبل[8] وقد بلغت من الازدهار في عصــر ســلاطين المماليك الأمر الذي دفع القلقشــندي الى القول بأنه لايوجد ميناء كعيذاب في كثرة مافيه من ســلع الكارم[9]. وبســبب جشــع المماليك في الحصــول على أكبر قدر من المال ومبالغتهم في فرض الضــرائب على تجار الكارم، ورغبة هؤلاء أنّ يسلكوا الطريق الأسلم الذي يكفل لهم الأمان مع أقل تكاليف[10].تحولت التجارة من عيذاب الى القصـــير أولاً، ثم الى الطور بعد ســـنة 780هــ/ 1378م، الذي بدأت الحركة التجارية تنشط فيه بشكل كبير. في وقت بدأت أهمية عيذاب تضمحل[11].

هـ. القصير

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص464.

(2) Wiet ,G. Marchand d’epices sous les sultans mamlouks cahiers d histoire Egytienne, cairo-1955, P. 80-140.

(3) الشامي، صلاح الدين، الموانئ السودانية، القاهرة - 1961، ص106.

(4) بشير، ابراهيم، عيذاب حياتها الدينية والادبية، مجلة نهضة أفريقيا – 1959، ص66.

(5) لم تكن ســلطة والي عيذاب مقصــورة عليها فقط، بل أنّه كان مكلفاً بادارة الصــعيد كله وكان يتنقل ما بين قوص وأســوان وفقا لما تتطلبه الظروف. الادفوي، الطالع الســعيد، ص409، ص410.

(6) المقريزي، السلوك، ج2، ص194.

(7) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص173، ص174.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص126.

(9) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص460

(10) أحمد، عبد الرزاق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة – 1979، ص35-ص39.

(11) الفاسي، وصف أفريقيا، ص558، ص559.

الى الشـــمال من عيذاب يقع ميناء القصـــير القديم[1] وتكمن أهميتها كدرب تسـلكه قوافل الكارم، وكمركز للتجارة مع الهند واليمن وشـرق أفريقيا، وقد كانت فرضـة لقوص خلال القرنين 7-8هـــ/ 13-14م، وظلت مركزاً مهماً لتجارة الكارم حتى نهاية القرن 9هـــ/ 15م[2]. ونسـتدل ممّا أورده القلقشـندي على أنّ القَصّـير أســـهمت في تجارة الكارم إذ كانت بعض المراكب تفضـــلها على عيذاب باعتبارها أقرب الى قوص من عيذاب[3].

و. الطور [4]

تقع شـــمال القصـــير وهب من الموانئ الكارمية المهمة حلت تدريجياً محل عيذاب[5] في استقبال سفن الكارم القادمة من جدة[6] ، لكن استيلاء البرتغاليين في سنة 892هـ/ 1506م، على جزيرة سقطرى[7]دفع تجار الكارم للتخلي عن استخدام طريق البحر الأحمر ممّا أدى الى تدهور الطور وهجرت ثم تحولت بعد ذلك الى مجرد قرية[8].

ي. السويس [9]

وهي من مراكز الكارم المهمة [10]، إذ كانت تستقبل سفنهم على مدار السنة، لذا أقام بها العديد من وكلاء تجار الكارم من القاهرة والإســـكندرية، أو وكلاء عن تجار الهند واليمن والحجاز والســـودان[11]. على أنّها لم تلبث أنّ تحولت الى ميناء حربي وبينت بها ترسانات السفن لمحاربة البرتغاليين في المحيط الهندي في أواخر

---

(1) وهي تبعد حوالي ثمانية كيلو مترات شمال القيصر الحديث. Donold ,J, and H. Johnsin , Quseir , Qadim – 1978, P.40.
(2) Heyd , Op. Cit., T.2, P.444.
(3) صبح الأعشى، ج3، ص465.
(4) الطور: من البلاد المصرية القديمة وتشمل عدة قرى بأرض مصر الشرقية بالقرب من جبل فاران في شـبه جزيرة سـيناء، وهي اليوم قرية صـغيرة على الشـاطيء الغربي لشـبه جزيرة سـيناء بينها وبين السـويس 240 كم. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص221 حاشية (5)، ج8، ص154.
(5) المقريزي، الخطط، ص357.
(6) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج1، ص138؛ المقريزي، السلوك، ج4، ص107.
(7) جزيرة ســـقطرى: من أكبر الجزر العربية في خليج عدن وبحر العرب وهي أقرب الى اليمن من الصومال وتبعد حوالي 150 ميل من شمال شرق الصومال. دائرة المعارف الإسلامية، م12، ص6. ولمزيد من المعلومات عنها. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ص26؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص227 ؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج1، ص266، ص267.
(8) طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص291.
(9) السـويس : بلدة قديمة على سـاحل البحر الأحمر وهي ميناء أهل مصر ومكة والمدينة وبينـها وبين الفســـطاط 7 أيام في البر. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص286. وهي أكبر ميناء على البحر الأحمر وترســـو فيها الســـفن الذاهبة من مصـــر الى أوربا. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص151، ص152، حاشية (1).
(10) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص151.
(11) Heyd , Op. Cit, T.2, P. 440-442.

القرن9هـــ/15م، واسـتقرار رأي السـلطات المملوكية، على أنّ يحل محلها الطور والقَيصّر فلم تعد تصلها مراكب الكارم[1].

4. مراكز البحر المتوسط

أ. الإسكندرية

على الجانب الآخر، تعددت مراكز تجارة الكارم على البحر المتوســـط، يأتي في مقدمتها الإسكندرية التي تمتعت بمرسى ممتاز يؤكده ابن بطوطة بقوله ((لم أر في مراســي الدنيا مثله)) [2].وبها اسـتقر القناصــل الأجانب، ويُرد اليها التجار براً وبحراً مع مختلف البضــائع، حتى أصـبحت زمن سـلاطين المماليك، هي التي تحدد أسـعار السلع للعالم[3]. وبحكم موقعها، كانت تتصل بأوربا مباشرة، إذ كانت تزدحم طوال العام بالاجانب الوافدين اليها للتجارة. ولدول أوربا فيها الى جانب القناصـــل الســـفراء والوكالات وأحياء كاملة وفنادق يمارســون فيها حياتهم العادية[4]. وكان يوجد فيها حي كامل متخصــص ببيع مختلف أنواع التوابل التي يجلبها تجار الكارم وذلك منذ ســنة 766هــــ/ 1365م[5]، بل لقد بلغ الأمر أنّ أحد أبواب الإسـكندرية المعروف بباب سدرة، أطلق عليها في العهدين الأيوبي والمملوكي اسم باب البهار، لأنّ بهار الهند والشرق الواصل الى القاهرة كان يُسّوق الى الإسكندرية حيث يفرّغ عند هذا الباب[6].

وقد ظلت الإســـكندرية ولعدة قرون مرفأ تجارة التوابل التي تنقل اليها من البحر الأحمر ثم الى البر حتى نهر النيل لتتولى القوارب الصــغيرة مهمة توصــيلها الى حيث ينبغي[7] .

ب. بيروت

اتســـم هذا الميناء بكثرة الســـفن التي تصـــله معظم الســـنة، وكذلك التجار الأجانب الذين استقر بعضهم فيها بصفة دائمة كان لهم بها فنادق وقياسر ووكالات وقناصل ووكلاء مصرفيون [8]. ومنذ سيطرة المماليك على قبرص في سنة 829هـ/ 1429م وسـقوط القسـطنطينية عام 857هــــ/ 1435م ازدحمت بيروت بالجاليات

---

(1) أباظة، أثر تحول التجارة العالمية، ص16.
(2) تحفة النظار، ص12.
(3) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص41.
(4) Lettes,M. , The Pilgrimage of Arnold van Harff ,1496 -1499 , P. 93 –95.
(5) عطية، العلاقات بين الشـــرق والغرب، ص173 ؛ ســـالم، تاريخ البحرية المصـــرية، ص511.
(6) أســـكندر، بحوث في التاريخ الاقتصـــادي، ص8، ص93 ؛ ديل، البندقية، ص35 ؛ الشيال، مدينة الإسكندرية، ص216.
(7) مقا ل من شـــبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) بعنوان: الباحثون عن التوابل، www.yallah.org، 2004/11/26، ص1.
(8) Depping , Op.,Cit. , T.2 , P. 79-99.

الاجنبية[1]،وقامت الجاليات الاجنبية بتنظيم خطوط ملاحية الى بيروت وخاصـــة البندقية [2].

ج. طرابس

وتأتي في الأهمية بعد بيروت، وتُعد بمثابة مخرج لتجارة حلب، وتنتشـــر مخازن وحوانيت التجار الممتلئة بسلع الكارم على طول شوارع مينائها ويستقر بها قناصـل الدولة الاجنبية ووكلاء مصـرفيون فضـلاً عن الفنادق والقياسـر. ازدادت أهميتها بعد سقوط القسطنطينية في سنة 857هــ/ 1453م، وسد الطرق البرية الشمالية، إذ أصبحت منفذاً لتصدير سلع الكارم الواردة من البحر الأحمر عن طريق أيلة ثم حلب ومنها الى طرابلس على البحر المتوسط[3].

د. دمشق

ليس بالضـــرورة أنّ تكون المراكز موانئ، لكن هناك مراكز برية مرتبطة أصلاً بعمل هذه الموانئ ومنها دمشق، أهم مراكز تجارة الكارم في بلاد الشام، وهي تحتل المرتبة الثانية بعد القاهرة والثالثة بعد الإسكندرية [4]. فضلاً عن كونها مركز بلاد الشام الاقتصادي ومستودع تجارة وسط آسيا، وكان يصلها في موسم تجارة الكارم حوالي 15 ألف جمل محملة بسلع الكارم، وهي أيضاً مستقر لعدد من قناصل الدول الاجنبية وبها الكثير من الفنادق لسكنى التجار الأجانب[5].

هـ. حلب

تعتبر من أهم مراكز تجارة الكارم في شمال بلاد الشام إذ كان يصلها سنوياً 6000-8000 جمل [6]. ازدهرت بعد سقوط القسطنطينة في سنة 857هـ/ 1453م، إذ كانت تغص بالتجار الأجانب والوكلاء وتجار الكارم. الى أنّ بدأ الصــراع بين العثمانيين من جهة والتركمان والصفويين من جهة أخرى، فأغلقت الطرق الشمالية من آسيا الصغرى ووسط آسيا اليها . ثم اقتصر وصول المتاجر اليها براً من أيلة على البحر الأحمر بالصحراء عندما بدأت مناوشات بين العثمانيين والمماليك. [7]

5. مراكز نهر النيل

أ. أسوان

تقع جنوب مصـــر وتعتبر أهم مدخل لتجارة النوبة والســـودانيين الأوســط والغربي إذ تصـــل منتجاتها على يد تجار الكارم[8]. وهي مركز هام لتجارة مصـــر

---

(1) الحويري، الأوضاع الحضارية، ص129.
(2) Heyd , Op. Cit., T.2, P. 460-461.
(3) سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية – 1966، ص383- ص385.
(4) الحويري، الأوضاع الحضارية، ص131.
(5) كرد، خطط الشام، ج4، ص261.
(6) .Depping , Op., Cit., T.2 , P. 103
(7) كرد، خطط الشام، ج4، ص267، ص268.
(8) الحويري، أسوان، ص28.

الخارجية في العصــــور الوســـطى[1]، ولما كانت طرق القوافل بين عيذاب والنيل تنتهي عند ثلاث نهايات هي أســـوان وإدفو[2] وقوص، فكانت أســـوان أقدمها[3]. ورغم صعوبة الطريق بين أسوان وعيذاب وشدة الحرارة وقلة الماء، إلا أنّه تميز بقصره، فكانت تقطعه القوافل في خمســة عشر يوماً[4].فضـلاً عن توفر الامان[5]. فكان تجار الكارم يفضـلون السـفر الى عيذاب من أسـوان بدلاً من قوص. [6] إلا أنّ تغير طريق الحج من أسوان الى شمال مصر منذ سنة 666هـــ/ 1268م، زاد من مكانة قوص التجارية على حسابها[7].

ب. قوص

الى الشمال من أسوان، نجد قوص التي اتخذها تجار الكارم مركزاً لنشاطهم، فغدت ســـوقاً تجارياً مهماً لســـلع الكارم الواردة من وســـط أفريقيا واليمن والهند والحبشــــة[8]. كانت محطة مرور لتجار الكارم الواردة من عيذاب، لتحمل بالمراكب النيلية الى الفسـطاط ثم الى موانئ مصـر على البحر المتوسـط[9]، وقد اسـتقر بها جماعة من تجار الكارم ولهم فنادقهم الخاصة بهم[10].

ج. القاهرة

لا تقع القاهرة على نهر النيل مباشــرة [11] بل ضـــاحيتها بولاق[12] شـــمالاً والفســـطاط جنوباً اللتين شـــكلتا ميناءها ومنهما كانت المتاجر المختلفة تُحمل

---

(1) الحويري، أسوان، ص182.
(2) أدفو: من المدن المصرية القديمة، تقع في الصعيد الأعلى على الشاطئ الغربي لنهر النيل وهي بلدة معروفة بمعبدها الأثري الفخم. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص212.
(3) عاشور، العصر المماليكي، ص284- ص285.
(4) خسرو، سفرنامة، ص72.
(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص215.
(6) الحويري، أسوان، ص105.
(7) عاشور، العصر المماليكي، ص291.
(8) الحجاجي، محمد عبدة، قوص في التاريخ الإسلامي، القاهرة – 1982، ص137.
(9) ابن ممـــاتي، قوانين الـدواوين، ص325؛ ابن الفرات، تـاريخ ابن الفرات، ج7، ص45،ص46.
(10) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص382.
(11) تبعد القاهرة عن الضـــفة اليمنى لنهر النيل حوالي 800 متر أي الفان وأربعمائة قدم وهذا القياس مأخوذ من النقطة الاكثر قرباً للمدينة من النهر. جومار، وصف القاهرة، ص74.
(12) بولاق: الاسـم الصـحيح لها بيلاق وهي الأرض المرتفعة المطلة على النهر، أصـبحت آهلة بالسـكان أيام الدولة الفاطمية، لكن عندما أنحســر ماء النيل عن القاهرة امتلأت المنطقة بالرمال وأصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة إلا في أيام الفيضان عرفت منذ ذلك الوقت باســم بولاق، وكان الناصـــر محمد بن قلاوون هو الذي أتخذ أول خطوة لتعمير بولاق في سـنة 713هــــ/1313م، فسـكنها الأمراء والجُند والكتّاب والتجار والطبقـات الشــعبيـة. المقريزي، الخطط، ج2، ص130، ص131، ج3، ص212، ص213؛ المقريزي، الســلوك،ج2، ص14، ص150؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ،ج9، ص24، ص118، ص183؛ جومار، وصف القاهرة، ص74.

اليها[1]، فقد وصفت الفسطاط بأنها ((أكثر أرزاقاً وأرخص أسعاراً من القاهرة))[2]
.

أمّا بولاق فيقول عنها ابن شــاهين ((أنّه رغم ما كان يصــل الفســطاط من المتاجر، فإنّ الوارد الى ساحل بولاق كان أكثر بكثير)) [3] بينما يذكر المقريزي أنّ ((مايرد على الفسـطاط يفوق الوصـف وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة))[4]. هذه الحالة لم تقلل من مكانة القاهرة، فقد ظهرت بها أحياء مخصـصـة لتجار التوابل والعطور، وباقي سـلع الكارم والسـلع الغربية، ويوجد بها مخازن ومتاجر وقياسـر ووكالات وفنادق وأماكن خاصـــة لدواب التجار[5]، ويؤكد ذلك ما قاله الأجانب الذين زاروا مصر أواخر القرن 9هـ/ 15م، فقد أكدوا مدى الازدهار الذي عاشته[6].

د. دمياط

كذلك كانت دمياط مركزاً لتجارة الكارم فقد كانت تخرج منها تجارة مصر الى بلاد الشــام واســيا الصــغرى وقبرص ورودس وكريت والســاحل الشــرقي للبحر المتوسط[7].

6. مراكز غرب وشرق أفريقيا

كان لكل مراكز التجارة في غرب أفريقيا علاقات تجارية وطيدة مع تجار الكارم، الذين حظوا بالاحترام عند ملوكهم وعامة الناس على الســـواء لعلّ في مقدمتها :

أ. تمبكتو

كانت مركزاً لتجارة الكارم في غرب القارة، وتقع على طريق التجارة بين شــمال أفريقيا والســودان الغربي[8]، وســرعان ما أصــبحت أهم أســواق الســودان الغربي[9].

ب. بلاد التكرور

(1) ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق : حسين نصار، القاهرة – 1970، ص108؛ ابن دقمـاق، الأنتصـــار، ج4، ص108؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص367.
(2) المقريزي، الخطط، ج1، ص367؛ زكي، عبد الرحمن، الفسـطاط وضـاحيتها العسـكر والقطائع، القاهرة – 1966، ص39-ص55.
(3) زبدة كشف المماليك، ص43.
(4) الخطط، ج2، ص149.
(5) فييت، المواصلات في مصر، ص26.
(6) Lettes , The Pilgrimage, P. 109-114.
(7) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص135.
(8) زكي، تاريخ الدول الإسلامية، ص107، ص108.
(9) وايدنر، دونالد، تاريخ أفريقيا، القاهرة – 1976، ج1، ص33.

أهم مدن غرب أفريقيا، التي كان تجار الكارم يســـافرون اليها مع وكلائهم للتجارة، وجنوا منها أرباحاً كبيرة [1].

ج. بلاد الكانم

وهي طريق الفلفل القديم الذي ســـلكه تجار الكارم[2]، وبالمقابل كان هناك تجار من أهل الكانم يقيمون بمصر ويعملون في تجارة التوابل[3].

د. مملكة البرنو

وصــل التجار الكارميون اليها وتاجروا معها خصـوصـاً بعدما بسـطت برنو سيادتها على طرق القوافل المؤدية الى وادي النيل[4].

هـ. أمّا مراكز شــرق أفريقيا كمقاديشــو ومالندي ومومباســا وباتا وزنجبار فقد وصـل اليها تجار الكارم عن طريق البحر الأحمر ثم المحيط الهندي لتصـل منها الى مراكز شرق أفريقيا [5].

خامساً . مراكب تجار الكارم

عمل تجـار الكـارم على أســطول بحري ونـهري خـاص [6]في الوقـت الـذي اختلفت فيه مراكب الكارم بعضها عن بعض في المحيط الهندي والبحر الأحمر ونـهر النيل والبحر المتوسط في تسمياتها وأشكالها وأحجامها وطريقة صناعتها. بحسب طبيعة البحار التي تبحر فيها، فقد استعملوا المراكب الصغيرة للملاحة الساحلية في حين اســتعملوا المراكب الكبيرة لعرض البحـار والمحيطـات . ولمـا كـانـت طبيعة المحيط الهندي تشبه الى حد كبير البحر الأحمر، لذا كانت السفن السائدة فيهما هي الكبيرة[7] ذات الدفة الواحدة والشراع الواحد التي ليس لها سطح ولكن مجرد غطاء يُنشر فوق الحمولة بعد شحنها[8]، يطلق عليها السفن المخيطة، أمّا السفن السائدة في البحر المتوسط فتستخدم الحديد، فقد ذكر الادريسي وأبن جبير وأبن بطوطة، أنّ الهياكل المخيطة تصبح مرنة إذا اصطدمت بالشـعاب المرجانية سـواء في المحيط الهندي أم في البحر الأحمر[9]، فكانت أقل تعرضاً للكسر من المراكب المسمرة، كما أنّـــــــــــــــــــــــــــــهــــــــــــــــــــــــــــــا تســـتطيع الرســـو علـى الشـــواطيء الرمليـة أو الصـــخريـة، مثـل

---

(1) العيني، عقد الجمان، ج23، ورقة 429 أ.

(2) Ferrend,Intructions nautiques , P. 763.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص32.

(4) طرخان، أمبراطورية البرنو، ص165.

(5) الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص102.

(6) ابن خلدون، العبر، ج7، ص451 ؛ القلقشـنـدي، صـبح الأعشـى، ج3،ص525، ج4، ص32.

(7) يذكر أنّ السـفينة الواحدة المخصـصـة لنقل التوابل يمكنها أنّ تنقل حمولة تفوق ثلاث مرات حمولة نقل ثلاث سفن أيطالية وأوربية انذاك، وهذه دلالة على حجمها وسعتها، بسرور، الإسكندرية، ص206.

(8) اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر، ص88.

(9) نزهة المشتاق، ص64؛ الرحلة، ص70 ؛ تحفة النظار، ص377.

بعض شواطئ الهند[1]، فكانت مصر تصنّع كلا النوعين[2].

لم يقتصر دور تجار الكارم على نقل البضائع، بل كان لهم نشاط مختلف الجوانب في المجال التجاري البحري، فبعضهم كان يدير السفن ويبحر فيها، وبعضهم كان يؤجرها[3]، وبعضهم الآخر يملكها[4]، ويقومون بنقل المتاجر بين البلدان من دون الإعتماد على عناصر أخرى[5]، وأحياناً كانت السفن ملكاً مشتركاً لأكثر من تاجر[6]. وقد حملت السفن أسماء أصحابها[7] وأحياناً أسماء ربابنتها، فكان لكلّ مركب رئيس يعمل وكيلاً لصاحبها. أمّا مراكب السلطان فكان يعين عليها من يراقب الركاب وبضائعهم. وقد جرت العادة أنّ توزع البضائع على سفن عدة حتى إذا غرق بعضها وجد التجار عوضاً عن خسارتهم، فيما يصل سالماً من تلك السفن، ثم أنّ السفينة الواحدة كانت تحمل بضائع لعدد من التجار توزيعاً للمكسب وتقليلاً للخسائر. وقد حققت هذه الطريقة ما ارتبط بها من مال وتجارة أرباحاً كبيرة لأصحابها الذين نجحوا في الوصول الى مصادر المواد الأولية الثمينة سواء كانت في الصين أو الهند أو أفريقيا[8].

1. مراكب المحيط الهندي والبحر الأحمر [9]

---

(1) هناك اختلاف في وجهات النظر حول استخدام الخيط في صناعة السفن بدل من المسامير في البحر الأحمر، وذلك أستنادا الى قول المسعودي أنّ ماء البحر يذيب الحديد فترق المسامير في البحر فتضعف، فأتخذ اهلها الخياطة بالليف. مروج الذهب، ج2، ص365. أنّ هذا الكلام وان بدا منطقياً الا أنّه من الناحية العملية غير سليم لأنّ درجة ملوحة البحرين الأحمر والمتوسط لا تختلف الا بنسبة قليلة. سالم، البحرية الإسلامية، ص257؛ ماهر، سعاد، البحرية الإسلامية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة – 1967، ص196. بينما يذكر حوراني أنّ السبب هو غلاء الحديد النسبي لبناء السفن. العرب والملاحة، ص255.

(2) ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص76، ص77.

(3) بلغ عدد السفن المملوكة لغير تجار الكارم حوالي 200 سفينة كانت تنقل البضائع من والى الهند وكان الكارم يعملون عليها. Goitein , Newlight , P.181.

(4) فقد كان لعلي بن عبد الرحمن النضاري احد تجار الكارم اليمنيين، عدة سفن تجري في المحيط الهندي وتأتيه بأصناف البضائع الهندية. النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد، البرق اليماني في الفتح العثماني، ط1، الرياض – 1967، ص131. كما كان للناخوذة مثقال الشهير الكارمي مراكب متعددة وتجارة رائجة بين الهند والصين واليمن وفارس. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص167، ص242.

(5) العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، عمان في العصور الإسلامية الأولى، بغداد – 1977، ص141.

(6) العسكري، سليمان ابراهيم، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، القاهرة – 1972، ص120.

(7) Fishcal, The Spice Trade,P. 163.

(1) العسكري,التجارة والملاحة,ص121.

(2) غني عن القول أنّ ما سيرد ذكره من أنواع واسماء مراكب لم تكن حكراً على الكارمية فقط، بل استخدمها غيرهم من التجار، لذا لابد من الأشارة اليها سريعا.

عـمـل تـجـار الـكـارم عـلـى الـعـديـد مـن الـمـراكـب الـتـي كـانـت مســتخـدمـة في المـحـيط الـهـنـدي والـبحـر الأحمر ومنـهـا السـنـابـك[1] وهـي الـمـفضـلـة لـدى كـبـار تـجـار الـكـارم[2] والجلبان[3] والعشاري [4] .

2. مراكب البحر المتوسط

أمّا عن مراكب الكارم في البحر المتوسط . فبداية ينبغي معرفة أنّ نقل سلع الكارم في البحر المتوسط الى الموانئ الأوربية، كان من شأن المراكب التجارية الأوربية المرسلة بانتظام الى موانيه محملة ببضائع الغرب وتعود بسلع الكارم وعلى الأخص التوابل، هذا الى جانب بعض المراكب التي يملكها بعض تجار الكارم بين موانئ مصر وبلادالشام. ولما كانت طبيعة البحر المتوسط تختلف عن طبيعة المحيط الهندي والبحر الأحمر، لذا أختلفت السفن التي تمخر عبابه[5].

(3) السنابك:مفردها سنبوك أو سنبوق وهي مأخوذة من كلمة سنبك تصغير سنب ومعناها طرف الحافر، إذ كانت تصنع على هيئة الحافر أو الرجل أو النعل فسميت بها. الزبيدي، مرتضى الحسين الواسطي، تاج العروس، ج6، مصر -1306هـ، ص385. وأصله من سفن قدماء المصريين. عامر، عبد المنعم، عمان في أمجادها البحرية، عمان – 1980، ص97. وهي مكشوفة ليس لها ظهر مدببة المقدمة عريضة المؤخرة ولها شراع مربع طوله 60 قدماً وحمولته 15-60 طن والنوع الكبير منه يسمى اليماني الذي يستعمل في الشحن والاسفار البعيدة والصغير منه يستعمل في مناطق الغوص. ماهر، البحرية الإسلامية، ص348-ص349؛ عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص151؛ عامر، عمان في أمجادها، ص97؛ النشمي، عيسى أحمد ، الملاحة في الخليج العربي ، ط1 ، الكويت -1969، ص128؛ محمد، ربابنة الخليج العربي ، ص171. وقد أستعمل في الخليج العربي وعمان للرحلات التجارية البعيدة . عامر ، عمان في أمجادها ، ص97 . جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر . ماهر ، البحرية الإسلامية ، ص349؛ محمد، ربابنة الخليج العربي ، ص171

(2) ماهر، البحرية الإسلامية، ص218.

(3) الجلبان: مفردها جلبة، وسميت كذلك لأنها تجلب البضائع والناس، عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص82. وهي نوع من السفن المخيطة. ابن جبير، الرحلة، ص37. وظلت تجوب مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر طويلاً ولم تنقرض إلا منذ زمن قريب جداً، شهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، بيروت – 1981، ص340.

(4) العشاري: وهذا النوع معروف في مصر منذ العصر الفاطمي. محمد ، ربابنة الخليج العربي، ص174؛ الحنفي، جلال، معجم الالفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة، بغداد- 1964، ص61-ص62. ويستخدم أيضاً في البحر المتوسط لنقل البضائع والناس. عبادي، سفن الاسطول الإسلامي، ص7. وقد أستخدمت في عصر المماليك لاغراض حربية وعرفت باسم الحراقة ووظيفتها أحراق سفن العدو بالنفط وكان يجذف فيها ما يقارب مائة مجذاف. ماجد، نظم المماليك، ج1، ص192؛ البيومي، النظم المالية، ص393.

(5) سالم، تاريخ البحرية، ص192،ص 193، ص512، ص566 ؛ عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية، ص159.

ومن هذه المراكب البركوس[1] والبسطة[2] والقرقور أو القرقورة[3] والنقيرة [4] والزوارق[5] .

ولما كانت مراكب تجار الكارم تتعرض الى اعتداءات القراصنة المتكررة في عرض المحيط أو البحر أو في الموانئ المصرية، لذا حرص تجار الكارم والسلاطين المماليك على أنّ تخرج المراكب الحربية لحراستها أو تزويدها بأساليب الدفاع عن نفسها ضد أي اعتداء [6].فكانت تشتمل احتياطي من العُدد والآلات وقطع الغيار التي تحتاج اليها المركب، وأعداد احتياطيه من المجاذيف والحبال والبكرات والقلوع والصواري [7]. حتى إذا أتلف شيء من ذلك تم تعويضه[8]،وألواح من الخشب والزفت، وذلك لإصلاح أي ثقب يطرأ على المركب وهي في عرض البحر بعيداً عن أي مرسى، وكل هذا أستلزم وجود عدد من الفنيين والغواصين على ظهر كل سفينة[9].

وكان لإبحار مراكب تجار الكارم مراسيم معينة،[10] فيجب أنّ يكون جميع الركاب عليها قبل رحيلها بيوم، وتسمى الليلة التي تسبق الرحيل، ليلة الوداع، وكانت تقضى في الصلاة، وحين تكون الريح شديدة يقضي الركاب ليالي عديدة على ظهر المركب قبل الرحيل في انتظار سكونها. ولما كانت مراكب تجار الكارم تبدأ رحلاتها في مجموعات وفي مواسم معينة، إلاّ أنّه كان هناك من التجار من يخاطر بالخروج بمفرده متاجراً لحسابه الخاص والملاحظ عموماً أنّ قوافل مركب الكارم

(1) البركوس: يحصل حوالي خمسة عشر رجلاً، ويستعمل في نقل المتاجر. الأصبهاني، العماد، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق : محمد محمود، القاهرة – 1965، ص461.

(2) البسطة: سفينة كبيرة الحجم لها أربعين شراع وهي ذات استخدام مزدوج للتجارة والحرب. الحموي، محمد ياسين، تاريخ الاسطول العربي، دمشق – 1945، ص40.

(3) القرقور: مراكب تجارية متعددة الصواري والشرع مستديرة الشكل ولها نتوءات كثيرة على جانبيها تحميها من الأحتكاك بارصفة الموانئ. النخيلي، السفن الإسلامية، ص120، ص125؛ ماهر، البحرية الإسلامية، ص363.

(4) النقيرة: نوع من المراكب الصغيرة التي تنقل المسافرين والمتاجرين والمواني. ويذكر النويري ((انها من مراكب البحر الرومي التي يسافر في بعضها الفرنج والمسلمون ببضائعهم الى سواحل بلاد الشام)) الإلمام بالإعلام بالامور المقضية، ج1، ورقة 124أ.

(5) الزوارق: تستخدم في حمل البضائع كما انها تستخدم لأغراض حربية أيضاً. المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص78.

(6) زكي، طرق التجارة، ص234.

(7) ابن منكلي، الاحكام المملوكية، ص10.

(8) عبد الله، بن الحسن، أثار الأول من تدابير الدول، القاهرة – 1295، ص195.

(9) النويري، الالمام بالاعلام والأمور المقضية، ج1، ورقة 387، 388 ب.

(10) كان سائداً بين العالمين في البحار سواء كانوا تجار الكارم أو غيرهم مجموعة من الاعراف والتقاليد والاخلاقيات يتقيدون بها ويعملون بموجبها هذه الاعراف كانت شفهية غير مكتوبة يتوارثونها من بعضهم البعض. ابن ماجد، ثلاث ازهار، ص79.

كانت تبدأ رحلتها معاً وتسير في مجموعات متقاربة من بعضها تجنباً لأي نوع من المخاطر الذي قد يتسبب في تحطيم السفن وفقدان البضائع وأصحابها[1].

أخيراً يمكن القول إنّ مراكب تجار الكارم ظلّت تواصل رحلاتها الى الصين والهند وجنوب شرق آسيا وأفريقيا، ولم يحل الخوف من مخاطر الرحلة دون الرغبة في تحقيق المكاسب الهائلة من ورائها .

3. مراكب نهر النيل

وهي كثيرة وحاملة لمختلف أنواع البضائع من شماله حتى جنوبه وبالعكس. فقد ذكر ابن بطوطة ((أنّ بنيل مصر من المراكب ستة وثلاثون ألف تمر صاعدة الى الصعيد ومنحدرة الى الإسكندرية ودمياط)) [2] .وقد أيده كل من ابن سعيد المغربي الذي زار مصر في القرن 7هـ/ 13م [3]. والظاهري [4]. لكن من المسلم به أنّ ما ذكره مؤرخونا بشأن إعداد السفن هذه لم تكن كلها تعمل في تجارة الكارم. إذ اتخذت وسيلة لنقل المسافرين بين مختلف المدن المصرية، فضلاً عن استخدام بعض المراكب للنزهة. وقد اختلفت مراكب نهر النيل عن مراكب البحرين الأحمر والمتوسط في أسمائها وأشكالها وأحجامها .

ومن بين المراكب النيلية التي عملت في تجارة الكارم الكار[5] والتايا[6] والجروم[7] والقوارب[8] والقطائع[9] .

4. المهارات والمعارف الواجب توفرها في تاجر المكارم

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص67.
(2) تحفة النظار، ص26، ص69، ص136.
(3) الجغرافية، تحقيق: اسماعيل العربي، بيروت -1970،ص113.
(4) زبدة كشف الممالك، ص27، ص28.
(5) الكار : سفن منحدرة يوضع فيها المؤن والزاد في موضع واحد. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص496. وربما تكون مأخوذة من كلمة Carrir بمعنى الحمل، وهي تشبه البارجة التي هي أحدى مراكب الهند التي تسمى بيرة. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، في تحقيق مااللهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذولة، الهند – 1958، ص148.
(6) التايا: سفينة شراعية كبيرة الحجم، تستعمل لنقل البضائع. النخيلي درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، القاهرة – 1979، ص19.
(7) الجروم: تصنع هذه المراكب في اليمن، وهي طويلة ومكشوفة، ومخصصة لتفريغ شحنات السفن وتخليصها إذا جنحت بعيداً عن الشواطيء الرملية. النخيلي، السفن الإسلامية، ص22. وأشار المقريزي الى استعمالها في نقل البضائع من المراكب الكبار في سنة 659هـ/ 1260م، الخطط، ج1، ص223.
(8) القوارب: تسير عادة بصحبة المراكب الكبيرة وتقوم بمهمة الأتصال بين السفينة والميناء من أجل الشحن والتفريغ. ابن منكلي، القز محمد، الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر لأبن منكلي، تحقيق : عبد العزيز عبد الدايم، القاهرة – 1974، ص31.
(9) القطائع : نوع من المراكب تستخدم في السفريات الخطرة وهو من سفن القوافل التجارية الموسمية خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م. دياب، صابر محمد، دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م24، 1977، ص76. فكانت تبحر بين الإسكندرية والقاهرة وتسير باتجاه مضاد لنهر النيل لتصل الى قوص، أقتصر عملها على حمل ما خف وزنه وغلا ثمنه كالاقمشة الفاخرة والتوابل. أسكندر، نظام المقايضة، ص39، ص40.

فهي كثيرة منها اتقانه للقتال ورد الاعتداء عند مواجهة الأخطار في البحار، ويحتاج الى قدر كبير من التحلي بالأدب واللباقة في الحديث والمعاملة، وأن يكون حذراً في أعماله التجارية ولا يشـتري أية بضـاعة قبل فحصـها ومعرفة صـفاتها وحالتها وأنواعها، وعليه أنّ يبتعد عن الشـرب والانغماس في حياة اللهو والتبذير أو الاشتباك في مشاجرة أو ممارسة الالعاب، لأنّ ذلك قد يضّر بتجارته ويسيء الى سـمعته. ومن المهم جداً له تعلّم اللغات للتفاهم مع أهالي البلاد التي يذهب اليها، وأن يعرف جيداً طبيعة القوانين السـائدة هناك وملاحظة الضـرائب وما يطرأ عليها من تغيرات[1]، وأن يلّم بعلوم الحسـاب والفلك والنجوم والأنواء لحاجته اليها في تجارته البحرية[2] .

ومن المرغوب فيه أنّ يبيع بسرعة وبسعر معقول لكي يعود وبسرعة، لأنّ ذلك يشجع على التجارة والربح ويساعد على اختصار الوقت فيما يعود عليه بالنفع. وفي حالة أمتلاك التاجر السـفينة كان ينبغي عليه انّ يفحصـها للتأكد من سـلامتها ويطلبها في كل خريف للمحافظة عليها من التلف وعليه أنّ يحرص على أنّ يكون صادقاً في القول مع ضبط الموعد والأمانة وعدم الغش[3].

سادسا. مواسم تجارة الكارم

فرضـت الطبيعة نفسـها في تحديد مواسـم تجارة الكارم بين الشـرق والغرب فالتجارة في البحر المتوسط لا تنشط إلاّ في مدة معينة من أواسط نيسـان الى نهاية أيار ومن أواسط تشرين الثاني الى أواسط كانون الاول[4].ولفيضان النيل في شهر أيلول من كل عام أثره في دفع السـفن من القاهرة الى الإسـكندرية[5]. وكذلك الحال بالنسبة للمحيط الهندي الذي كان يخضع لظاهرة الرياح الموسمية.

لذلك كـان لهذه الظروف أثرها على تجـارة الكـارم، من مراكز انتـاجهـا في مختلف مناطق المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر ثم البحر المتوسـط حتى مراكز تصديرها . وبما أنّ الملاحة في المحيط الهندي تتبع أساساً نظام الرياح الموسـمية الشـتوية الشـمالية الشـرقية وتسـتمر في هبوبها في ثبات ملحوظ حتى

---

(1) Molmenti , P. , Venice its Individual Growth from the Earliest Begining to the fall of Republic, London – 1906. T. 1, P. 155.

(2) ابن مـاجد، ثلاث ازهـار، ص102، ص179، ص185، ص182 ؛ ابن مـاجد، كتـاب الفوائد في اصـول علم البحر والقواعد، تحقيق : ابراهيم خوري، دمشـق – 1971، ص189.

(3) ينظر: شـهاب، حسـن صـالح، فن الملاحة عند العرب، بيروت – 1982، ص11، ص30، ص177؛ شـهاب، حسـن صـالح، علوم العرب البحرية من ابن ماجد الى القطـامي، الكويـت – 1984، ص66 ؛ Molmenti, Venice it Idividual Growth ,T.1.p.156.

(4) ابن جبير، الرحلـة، ص208، ص259 ؛ ابن ممـاتي، قوانين الـدواوين، ص247، ص248

(5) صبرة، علاقة البندقية بمصر والشام، ص17.

نهاية شــهر شـباط ومن شــهر نيســان حتى أيلول إذ ينعكس اتجاهها بهبوب الرياح الموسـمية الصـيفية الجنوبية والجنوبية الغربية [1].وهكذا كانت الرياح الموسـمية الشتوية تساعد على وصول السفن من موانئ المحيط الهندي القصية من الصين والهند وغيرها الى عدن والخليج العربي والبحر الأحمر طوال فصل الشتاء في حين تصلها السفن من سواحل شرق أفريقيا طوال فصل الصيف[2].

فكانت عدن الميناء الرئيس الذي تنتهي فيه الســفن العاملة في المحيط الهندي رحلاتها الموسمية صيفاً وشتاءاً، إذ تفرغ شحناتها، وتعود راجعة بمنتجات الشرق وأوربا، أمّا بضائع الكارم فتنقل على سفن أخرى في البحر الأحمر[3]في بدء فصل الصيف. والملاحظ أنّ للملاحة في البحر الأحمر نظام خاص، فهي تخضع في جزئه الجنوبي لنظام الريح الموســمية الشــتوية، وفي قســمه الشــمالي للرياح المنتظمة الشــمالية المســتمرة معظم أيام الســنة، هذه الأحوال الجوية كانت تعيق السـفن عند التقدم صـعوداً في البحر الأحمر، ولذا كانت السـفن الواصـلة من الهند شــتاء تفرغ حمولتها في عدن لتحمل مرة أخرى على سـفن أقل حجماً لتدخل البحر الأحمر في بدء فصل الصيف وتسير بالمجاذيف بالقرب من السـواحل حتى يمكنها الرسو في حالة هبوب رياح شـديدة[4].وتبدأ هذه السـفن رحلتها في أواخر الخريف إذ تدخل البحر الأحمر مباشرة لتنهي رحلاتها الموسمية في جدة في فصل الشتاء مستفيدة من خبرة الملاحين العرب[5]. وعند وصول السفن المحملة ببضائع الكارم من جدة الى الطور كانت تأخذ طريق القوافل البري الى الفسـطاط ثم تسـلك الطريق النهري الى الإسكندرية في موسم فيضان النيل[6].

أمّا الدول الأوربية فكانت تنظم رحلات ســفنها الى موانئ البحر المتوســط وفق هذه المواســم التجارية، وقد اصــطلح على تسـمية هذه الرحلات الموســمية بالمدة، وخلال المدة يصـل أسـطول أو قافلة من المراكب تسـير معاً لتأمين الحماية المتبادلة بمواكبة أو عدم مواكبة الســفن الحربية[7] . فتعبير (مراكب مدة اذار) لاتعني دائما المراكب أو القوافل التي تبحر في هذا الشــهر بقدر ما تعني عادة المراكب التي كانت تعمل في الشــرق في هذه المدة[8].فقد كانت ســلطات مدينة البندقية الايطالية تتشــدد في وجوب التقيد بمواعيد المدة بالاتفاق مع الســلطات

(1) بروي، أدوار، تاريخ الحضارات، ترجمة: يوسف أسعد واعز، بيروت، ج3، ص242، ص243؛ هولنيجيزورث، ل. و، الاســيويون في شــرق أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن صالح، القاهرة – 1961، ص17.

(2) زيادة، الرحالة العرب، ص183.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص365.

(4) صبرة، علاقة البندقية بمصر والشام، ص116.

(5) متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص368.

(6) الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية، ص87، ص132، ص134.

(7) زيتون، عادل سـليمان، النشـاط التجاري للمدن الايطالية في الحوض الشـرقي للبحر المتوســط في القرنين الثالث عشــر والرابع عشــر الميلاديين، القاهرة - 1978، ص267.

(8) صبرة، علاقة البندقية بمصر والشام، ص116.

المملوكية ولاتسمح بتمديد إقامة المراكب في الموانئ المملوكية عامة والإسكندرية خاصــة، إلاّ عند ســوء الاحوال الجوية مثلاً التي كانت تمنع المراكب من الإبحار في اليوم المحدد وفي هذه الحالة كان يحظر على قبطان المراكب تحميل أية بضـــائع إضافية[1].

ويهمنا هنا الاعتبارات التي كانت تتحكم بتواريخ المدة في ميناء الإسكندرية، لكن الإعتبار الأهم كان موعد وصـــول التوابل من القاهرة الى الإســـكندرية الذي يصـــادف مع وفاء نهر النيل [2]. عندما تنقل بضـــائع الكارم خاصـــة الفلفل الى الإسكندرية، لتأتي بعدها السفن الايطالية الى الإسكندرية لتحميل التوابل الواصلة[3].

وتوخت هذه المدن أيضـــاً من تحديد وتنظيم قوافلها وحماية مراكبها عن طريق مغادرة المراكب ميناء الإسكندرية قبل حلول فصل الخريف عائدة الى موانئها لتجنب الســفر في طقس ســيء وبذلك كانت المدة خير وســيلة لاســتخدام المراكب بصـــورة عملية من دون اضـــاعة الوقت في الموانئ بانتظار تحميل البضـــائع على اعتبار أنّ عملية التفريغ والتحميل لا تتعدى الثمانية أيام إذا كانت الحمولة جاهزة للتحميل[4].

وإنّ المدة كانت تتيح للمدن الايطالية، ولاســيما البندقية إظهار نفوذ البندقية بسبب تجميع البضائع فيها. ممّا يجعل منها سوقاً عالمية تتواجد فيها مختلف سلع الكارم، ولما كان عيد الميلاد بمثابة موسم كبير لعرض البضائع المختلفة، فقد رسم مجلس الشــيوخ البندقي أنّ تنتهي مدة مراكب بيروت والإســكندرية على الأكثر في نهاية شهر تشرين الأول ليتسنى لها العودة الى البندقية قبل موسم الأعياد إذ إعتاد التجار القدوم لشراء التوابل [5] ، بالمقابل كانت تنشط الحركة التجارية طيلة وجود المراكب، وحتى اليوم الأخير في المدة من موانئ البحر المتوســط، فضــلاً عن ذلك كانت المدة تنظم وصول البضائع الى الأسواق الشرقية وأسواق البندقية الإيطالية وبالكميات المطلوبة، وكانت تتيح التحكم الى حدّ ما بســـوق العرض والطلب فتجعل الحاجات مؤمنة ومقدرة بشكل منتظم تقريباً[6] .

---

(1) Heyd , Op., Cit., T.2, P. 453.

(2) وفاء نهر النيل : نظرا لاهمية نهر النيل في حياة المصـــريين فقد ترقبوا مســـتوى الفيضـــان الســنوى له، مع بدء موســم الفيضـــان، كان متولوا مقياس النيل يراقبون الزيادة يومياً في الصــعيد فاذا اوفى النيل هناك 16 ذراعاً، خرج بشــير من قوص الى القاهرة ليزف البشرى فيها، فيتهيأ المصريون لانتظار بلوغ الوفاء بالقاهرة بعد ثلاثة أيام. المقريزي، الخطط، ج1، ص476؛ المناوي، محمد حمدي، نهر النيل في المكتبة العربية، القاهرة – 1966، ص158؛ البيومي، النظم المالية، ص192. ففي تلك المدة كانوا يقيمون احتفالاً بوفاء النيل. ابن اياس، بدائع الزهور، ج1، ص363.

(3) سـلطان، سـامي سـعد، أسـس العلاقات الاقتصـادية بين الشـرق الادنى والجمهوريات الايطالية، القاهرة – 1958،ص104.

(4) Sanuto, Diarli Marino Sanuto, P. 136, 149, 267, 331, 464.

(5) علي، علي السيد، القدس في العصر المملوكي، القاهرة – 1986، ص174.

(6) .Heyd, Op. Cit, , T.2, P. 136

واذا كانت العوامل الطبيعية المتمثلة بالرياح الموســمية تعد بمثابة العامل المباشــر في تحديد مواســم تجارة الكارم، إلاّ أنّه لا بدّ من الإشــارة الى أثر العامل الديني الذي تمثل في موسم الحج الذي أسهم بدوره في تحديد مواسم تجارة الكارم، فموسم الحج كان يعدّ فرصة كبيرة لتكتل متاجر الكارم في جدة ومكة، إذ كانت تصل أفواج الحجاج من بلاد الإســلام المختلفة. فتعقد الصــفقات التجارية الكبيرة، وخير دليل على ذلك قيام الســلطان الأشــرف شــعبان بإبطال الضــرائب المفروضــة على المتاجر التي يحملها الحجاج الى مكة وإن كان قد اســتثنى من ذلك ((تجار الكارم والهند والعراق)) [1].

ولا ننســى ارتباط تجارة الفلفل الوثيق بموســم الحج، فتجارة الفلفل كانت تتركز الى حد كبير في مكة في هذا الموســم. إذ كان تجار الفلفل يعودون بصــحبة الحجاج ومعهم كميات كبيرة منه . يؤكد المقريزي ذلك بقوله ((إنّ الفلفل قد عز وجوده بمصر في سنة 748هـــ/1347م، حتى بلغ الرطل ستة واربعين درهماً .. فابتيع عند قدوم الحجاج الرطل بخمسة دراهم)) [2].

سابعاً . المواد التي تاجر بها الكارمية. [3]

شهدت سواحل المحيط الهندي انتشاراً عربياً إسلامياً دعمته جاليات كثيرة استقرت في العديد من موانئه ومدنه، في حين لا توجد في المقابل جاليات إسلامية على الســاحل الأوربي للبحر المتوســط، إذ قام البنادقة وغيرهم بأغلب النشــاط التجاري منذ أواخر القرن 7هـ/13م، ولمّا كانت مصر هي حلقة الاتصال بين الشرق والغرب، لذا أصــبحت مركز تجمع للســلع المتبادلة بين التاجر الكارمي والأجنبي فكلاهما يشــتري احتياجاته منها، ولاسـيما إذا ما عرفنا أنّ المعاهدات منعت التاجر الأجنبي من الوصـول للقاهرة جنوباً، وقد أدى ذلك الى أنّ سـلع الكارم كانت تصـب في القاهرة والإســكندرية وبلاد الشــام لينقلها التاجر الأجنبي الى أوربا. فالتاجر الكارمي لم يقم بالعملية التجارية كاملة من مناطق الانتاج الى مناطق الاســتهلاك، وقد ادى ذلك الى زيادة عدد الوســطاء من تجار الكارم، الامر الذي أدى بدوره الى رفع سعر السلع مع الأخذ بالأعتبار أيضاً تحكم تجار أوربا في الأسعار[4].

وكانت هناك ثلاث مناطق تعامل معها تجار الكارم، أولها: هي دول المحيط الهندي التي كانت تقوم بتصــدير التوابل والعقاقير الطبية والعطور والبخور مواد الصــباغة والأحجار الكريمة، فضــلاً عن المنســوجات والخشــب والعاج والحديد والنحاس وغيرها. أمّا الثانية فهي مصــر التي تقوم بتصــدير ســلعاً عدة لعلّ أهمّها المنسوجات والسكر، أمّا الثالثة فهي مناطق أوربا التي تصدر الأسلحة والمنسوجات

(1) الفاســي ، محمد بن أحمد ، شـفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، نشـر: فسـتنفلد، ج1 ، ليبزج -1895 ، ص258؛ الخالدي ، الدرر الفرايد ، ص309.

(2) السلوك، ج2 ، ص725.

(3) لابد من الإشــارة هنا أنّ معظم هذه المواد يشــترك في المتاجرة بها التاجر الكارمي أو غير الكارمي، لكن طبيعة الموضوع تقتضي منهجياً الأشارة الى هذه المواد التي تاجر بها الكارمية.

(4) زكي، طرق التجارة، ص189،ص272.

الصوفية فضلاً عن مواد أخرى.[1] وتعد مصر الموزع الرئيس لسلع تلك المناطق عن طريق القاهرة والإسـكندرية فكان تجار الكارم يخرجون من مصـر حاملين منتجاتها والمنتجات الأوربية التي تحتاج اليها دول المحيط الهندي ويبتاعون ما تحتاج اليه الأسـواق المصـرية والأوربية من مختلف موانئ المحيط الهندي، وبطبيعة الحال لا يمكن الإشارة الى كلّ سلعة على حدة، لأنّ السلع التي دخلت في مجال التبادل التجاري، بلغت المئات الأمر الذي يحتم علينا أنّ ندمج كل مجموعة متشابهة بعضها مع البعض، وإنّنا سوف نقتصر في حديثنا على سلع الشرق فقط، وذلك لأنّه اصطلح تسمية التاجر الكارمي بأنه تاجر الشـرق بوجه عام والتوابل خاصة بمصر،[2] وكان هذا التاجر يقوم بدور الوسيط لنقل هذه السلع بين الشرق والغرب، ويأتي على رأس هذه السلع التي كانت تلقى رواجاً في كل مكان، ولاسيما في أوربا في العصور الوسطى ما يأتي:

1. التوابل والافاوية [3]

وهي البهارات، وتتألف التوابل الواردة من الشـرق من مواد مختلفة منها الفلفل بأنواعه[4] والدار صيني[5] والقرنفل[6] والزنجبيل[7] وحب الهال[8] وجوز

(1) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص207، ص208.

(2) القلقشـندي، ضوء الصبح، ص253؛ القلقشـندي، صبح الأعشى، ج3، ص468، ص469، ج4، ص32، ج5، ص280، ص281؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص899.

(3) الافاوية :أطلق البعض اسم الأفاوية على التوابل ولا يوجد عند العرب معنى لها، ويقال أنّ بو تعني الرائحة بالفارسية، عربت الى فو بقلب الباء الى فاء عند التعريب وجمعت على أفاوية.عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص215.

(4) الفلفل: شـجر طويل عند نموه يشـبه نبات اللوبياء، ومنه الأسـود والابيض والاخير يدخل في صناعة الأدوية ولا يدخل في الأغذية، ينظر: الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي، الاشـارة الى محاسـن التجارة، تحقيق : البشـري الشـوربجي، ط1، القاهرة – 1977، ص41.

(5) الدار صيني: ويسمى أيضاً القرفة، وهي شجرة تشبه شجرة الصفصاف واجود ما فيها لحاؤها واغصانها، ويستخرج من ثمرها زيت يستعمل مرهماً للجروح والحروق ويفيد حالات الحمى، ومتى جردت الثمرة من لحائها أستعمل وقوداً. ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، القاهرة- 1291، ص84، ص104.

(6) القرنفل : براعم شـجرة ذات رائحة زكية جداً، ولونه القاني دليل على نقاوته، أمّا اوراقه ففيها عطر يشبه العطر الموجود في قرون القرنفل، ابن بطوطة، تحفة النظار، ص155. ويستخدم في حفظ الاطعمة وتتبيل اللحوم ولاغراض طبية. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، ج12، القاهرة، ص45- 46 ؛ زكي، طرق التجارة، ص203.

(7) الزنجبيل :نوع من التوابل، واجود أنواعه ما كان طرياً خالياً من السـوس والعفونة، ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة – 1898، ص220. ويطرح في الأسواق في صورتين أمّا اخضر أو مخلوط مع السكر، ويدخل في صناعة العقاقير الطبية والطهي وتحضير الخمور. ابن البيطار الجامع لمفردات الأدوية، ج2،ص367.

(8) حب الهال : يطلق عليه بالسـنسـكريتية الهندية القديمة أيل وبالفارسـية هيل. السـيد محمد يوسف، علاقات العرب التجارية بالهند منذ اقدم العصور الى القرن 4 هـ، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، م15، ج1، 1953، ص28.

الطيب[1] والخولنجان[2] وغيرها.

وعلى الرغم من تعدّدها فإنّ الفلفل والزنجبيل ركّز عليها النشـــاط التجاري وحظيا باهتمام اســـتثنائي في العقود التجارية.[3] وهكذا كانت التجارة بالتوابل من العوامل المهمة في ازدهار اقتصاد مصر، إذ درت أرباحاً هائلة بوصفها سلعاً يشتد طلب الناس عليها[4].ولأهمية التوابل صــارت لها خزانة خاصــة في مصــر تســمّى بـخـزانــة الـتـوابـل[5] وخصـــص لـهـا نـاظـر يـنـظـر بـأمـر صـــادرهـا ووارردها[6]. كان انقطاع أو ندرة وصول هذه التوابل يسبب ضائقة اقتصادية شديدة وركوداً تجارياً لمصر والمتاجر الأوربية على حد سواء[7].

2. النباتات والاعشاب الطبية

أمتلك العرب معرفة ممتازة بالنباتات والاعشـــاب الطبية، فجلبوا الكثير منها من مواطنهـا الأصـــلـيــة ولاســـيمـا الواردة من الشـــرق فكـانـت لهـا ســـوق رائـجــة فـي شـــتـى الانـحـاء ومـنـهـا مصـــر، ويسـتـخـدم بـعض مـنـهـا لـلاســـتـهـلاك الـمـحـلـي والآخـر لـلـتصـــديـر تـحـديـداً الـى أوربـا [8]. ومـن

(1) جوز الطيب : ثمرة لها قرون مثل قرون القرنفل، ويشبه زهر النارينج والقرنفل يسمى أيضاً جوز بوا ويعرف في البلاد العربية باسم جوز الطيب أمّا الزهر المتكون منها فهو البسباسة. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص155.

(2) الخولنجان: عروق متشـعبة ذات عقد لونها بين الأسـود والأزرق تشـبه أصـول النوع الكبير من السعد وفيها مادة عطرية. بسرور، الإسكندرية، ص270.

(3) بسرور، الإسكندرية، ص207، ص211.

(4) بـانيكـار، ك.م. آســـيـا والســـيطرة الغربيـة، ترجمـة: عبد العزيز جـاويد، القـاهرة – 1962،ص21. والجدير بالذكر أنّ التوابل أوالبهارات، مرادفة للثروات وخدمت غالباً كقيمة تبادلية، ففي الوقت الذي كان كيلو البهارات يســـاوي في مدة ما غرامين من الفضــة في الهند كان يســاوي ما بين عشــرين الى ثلاثين غراماً من الفضــة بالنســبة للمستهلكين الاغنياء في أوربا. مقال الباحثون عن التوابل، ص2.

(5) خزانة التوابل: تحتوي على أنواع مختلفة من التوابل والشـــمع والحلويات والزيوت وكان ينفق على تلك الأشياء 50 ألف دينار سنوياً، وكانت توزع على القصور ورجال الدولة طبقاً لمقررات معينة. الشـــوربجي، أمينة أحمد أمام، رؤية الرحالة المســـلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، القاهرة – 1994، ص433.

(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص422.

(7) المقريزي، السلوك، ج2، ص725.

(8) زكي، طرق التجارة، ص201.

أهمّها الكافور[1] والأهليلج [2] والراوند[3] والمن[4] والتوتيا[5] فضلاً عن البلسم[6] والعفص[7] والزعفران[8] وخيار شنبر[9].

3. العطور والبخور [10]

(1) الكافور: يستخرج من شجرة سفحية بحرية، بعد أحداث شق في الشجرة، فيسيل السائل في أواني موضوعة تحت الشجر وأحياناً يحصلون علية من قلب الشجرة. الجزري، تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 1433، ورقة 413، 414ب. ويستخدم في تحنيط الجثث وتعطير المعابد كما يستخدمون للاغراض الطبية. النويري، نهاية الأرب، ج12، ص262، ص294.

(2) الاهليلج:ثمرة ذات نواة من نوع فاكهة الخوخ، وأحسن أنواعه الشديدة الصفرة الضاربة الى الخضرة، وهو كثير الاستخدام في الطب، الجزري، تحفة العجائب، ورقة 417أ.

(3) الرواند: ويكون على أنواع منها الروسي والتركي والصيني والخراساني ويستخدم للاغراض الطبية. الجزري، تحفة العجائب، ورقة 462أ.

(4) المن: وأجود أنواعه المكي، الذي يسقط على الحجر، ويستخدم لأغراض طبية عديدة وكان أطباء الغرب في حاجة اليه. Heyd, Op. Cit., T.2, P. 63.

(5) والتوتيا: حجر له عدة ألوان منها الأخضر والأصفر والأبيض، وتستخدم بعد تنقيتها لعلاج أمراض العيون والقروح، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج1، ص143.، ص145.

(6) البلسم : مادة يحصل عليها عندما تمتليء غصون شجيرات البلسم بعصارة النبات، فيعمل حزات في القشرة، دون مساس الخشب، أو يقطعون بعض الاوراق أو الفسائل، فينضح البلسم من الجراح التي اصابت النبات ويجمع بطرق مختلفة، ثم يسكب في اوني ويترك العصير في الشمس ثم ترسب منه الشوائب، فيطفو الزيت النقي، بعدها يصفى ويوضع فوق النار فيتخذ لوناً احمر نبيذي، وكان السلاطين في مصر يرسلونه الى الامراء المسيحيين وهم يبلغون سفراءهم برغبتهم في الحصول عليه لاستخدامه في الكنائس بأعتباره عنصر من عناصر التعميد والزيت المقدس، كما أنّه استعمل كعلاج للجروح وفي حفظ الجثث. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص74، ص79. كما أنّه كان غالي الثمن فلا يستطيع الحصول عليه الا الاثرياء. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص78.

(7) العفص : تستورد من أوربا، وقد كان معروفاً أنّ حشرة العفص تنتج لذعتها نتوءات على غصون أشجار البلوط، وهذه النتوءات تحتوي على دباغ له خصائص قابضة مفيدة في الطب، كما يستعمل في الصباغة. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص149.

(8) الزعفران: يطلق على مباسم زهرة تسمى الكروكس المجففة اسم زعفران وهو ينتشر في آسيا واوربا، ويستعمل كدواء وفي الطهي والرسم كلون، وفي كتابة الرسائل الذهبية ويستعمل كروائح عطرية. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص176-178.

(9) خيار شنبر : هي أشجار غريبة يتدلى منها أنواع من العصي أو السيقان سميكة شديدة السواد لا تصدر صوتاً عنما ترج، وهو حلو المذاق ومسهلاً خفيفاً. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص104 ؛ زكي، طرق التجارة، ص216، ص218.

(10) البخور : المقصود به الدخان أو الرائحة الناتجة من أحتراق مادة عطرية ويحصل على مادة البخور من أحداث شقوق في لحاء أنواع معينة من الأشجار، فيسيل منها العصير، وتقدر جودته بدرجة نقائه. زكي، طرق التجارة، ص213. ويستخدم كنوع من العقاقير الطبية أيضاً. الرامهرمزي، عجائب الهند، ص170.

اشـــتملت تجارة الكارم كذلك على العطور والبخور، في مقدمة هذه العطور الند[1] والمســـك والعنبر[2] والعود[3] أمّا البخور الذي كان يعتقد أنّه يطرد الأرواح

الشريرة فقد كثر استخدامه آنذاك[4] .

4. مواد الصباغة

كما جلب تجار الكارم سـلعاً اسـتخدمت لأغراض صـناعية ومواد صـباغية ولعلّ أشهرها النيلة[5] والفوة[6] والبقم[7] والشب[8] والصموغ[9].

(1) الند: خشـــب شـــجر طيب الرائحة وهو معروف بالتجارة والطب والصـــيدلة، وتعرف جودته بشدة رائحته. شيخ الربوة، عجائب البر والبحر، ص38. ويستخدم للحرق في المعابد كما أنّه يقدم كهدايا. هاو، في طلب التوابل، ص15.

(2) العنبر: مادة صـلبة شـهباء اللون تشـبه الشـمع إذا سـخنت خرجت منها رائحة طيبة، يرى البعض إنها مادة بحرية تســـتخرج من الحيتان أو مادة نباتية. شـــيخ الربوة، عجائب البر والبحر، ص37. فضـــلاً عن كون العنبر مادة عطرية، فانه يســـتخدم للاغراض الطبية. ابن البيطـار، الجامع لمفردات الأدويـة والأغذيـة، ج3، ص134. وتصـنع منه العقود والمسـابح والأزرار والتماثيل ويطعم به الخشـب المحفور. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص72، ص73. كما أنّه يدخل في صناعة الحرير والنسيج الفاخر الرقيق وتصـنع منه الوسـائد والكلل. طرخان، دولة المماليك الجراكسـة، ص273، حاشية (1).

(3) العود : يشبه شجر البلوط وأوراقه كأوراقها ولا ثمرة له وقشرته رقيقة ، أمّا عيدانه وورقه غير عطري. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص155. ويســـتخدم= =للأغراض الطبية لأمراض الصـــدر. الجزري، تحفة العجائب، ورقة 384أ. أو كعقار مســـهل والأنواع الاقل جودة منه، تسـتخدم في بعض فروع الصـناعة كالتذهيب. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص62.

(4) زكي، طرق التجارة، ص213. كما أنّه كان يقدم كهدايا للملوك، فقد اهدى السـلطان قايتباي اللبان الجاوي وهو نوع من البخور يجلب من الهند، الى دوق باريجو في سنة 881هـ/ 1476م، وكاترين ملكة قبرص في سنة 896هـ/ 1490م. هايد، تاريخ التجارة ، ج4، ص65.

(5) النيلة : أو النيلج نبات له ســاق طويلة، ولونه يميل الى الغبرة والزرقة وله منافع كثيرة . المظفر، يوســف بن عمر بن علي، المُعتمد في الأدوية المفردة، تصـــحيح: مصطفى السقا، ط3، بيروت – 1975، ص531 – ص532. كما أنّه يستخدم أيضاً في الصناعات الحرفية. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص130.

(6) الفوة : هي عروق نباتات لونها أحمر، تعرف بفوة الصباغين، طعمها مر، تستعمل في صباغة الأقمشة ولها استعمالات عديدة أخرى، المظفر، المعتمد في الأدوية المفردة، ص371، ص372 ؛ هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص122.

(7) البقم: شـجر عظيم ورقته مثل ورق اللوز الأخضـر وسـاقه واقنانه حمر. يسـتخدم للأغراض الطبية. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، ج1، ص103. كما أنّه يدخل في صناعة الأثاث. زكي، طرق التجارة، ص239.

(8) الشـب: كتل متماسـكة كالثلج، صـلبة ولماعة بلون أبيض أو ضـارب الى الحمرة أو الخضـرة الباهتة. هايد، تاريخ التجارة، ج4، ص67. وهو ضـروري في تثبيت الألوان على الاقمشـــة. ابن مماتي، قوانين الدمامين، ص328. ويســـتعملـه الصـــباغون والمزخرفون والرســامون والمذهبون فضــلاً عن اســتعماله في دباغة الجلود . هايد تاريخ التجارة، ج4 ، ص68 . وكان كل قنطار منه يباع ما بين أربعة دنانير الى ستة. ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص257، ص328 ص334؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص455 – ص456؛ المقريزي الخطط، ج1، ص109.

(9) الصموغ: مادة لزجة تدخل في الصناعات وتوجد الصموغ تحت قشور بعض الأشجار التي تنمو في المناخ الحار الرطب، ويســتخدم في تحضــير الأدوية والتحنيط أيضــاً. مونرو، الزابيث، الجزيرة العربية بين البخور والبترول، ترجمة : محمد محود، مجلة الدارة، ع1، الســـنة 2، 1976 ص33. وفي أعداد بعض الطيوب= =ومواد التجميل.

5. مواد أخرى متنوعة

أشـــارت عدد من المصـــادر الى مواد أخرى دخلت ضـــمن قائمة الســـلع التي تاجر بها الكارمية ومنها الأحجار الكريمة[1] التي اقتناها الســـلاطين لعظم ثمنها وخفة محملها والمباهاة بها كالياقوت[2]. والعقيق[3] واللؤلؤ[4] . كما تاجروا في المعـادن ومنهـا الـذهـب الـذي كـانـت تقيم بـه الســـلع[5]، وخـاصــــة مع غرب أفريقيا، فقد اشتروا من خزائن ملك التكرور في سنة 761هـــ/ 1359م، حجر من الذهب زنته عشـرون قنطار من غير سـك [6].وتاجروا بالفضــة[7] والنحاس اللذان أستخدما في ضرب العملات[8] وكذلك الحديد [9].

وحمل تجار الكارم المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية المطرزة بخيوط الذهب والفضــة وكذلك المنسـوجات الصـوفية[10]، ومن السـلع الأخرى التي حملها تجار الكارم الأخشـاب التي اسـتخدمت في صـناعة السـفن والأثاث والبناء، وأفضـل

ناجي، سلطان، مظاهر الحضارة اليمنية، مجلة افاق عربية، السنة 4، 1978، ص88. والمجلوب من الســـودان الغربي الى مصـــر هو أنقى الأنواع. زكي، طرق التجارة، ص34.

(1) وكان يعتقد أنّ الاحجار الكريمة تطرد الارواح الشـــريرة وتضـــفي على الفرد ســـلامة الجسـم والعقل، ويقال عظيمة فضـائل التوابل ولكن أعظم منها الأحجار الكريمة. هاو. في طلب التوابل، ص16، ص17.

(2) الياقوت : يكون داخل أحجار بيضـــاء، يقوم الصـــناع بحكها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص396.

(3) العقيق : يكون لونه أحمر وأحجامه مختلفة ويشـكله الصـناع حسـب الطلب ترصـع به الســـيوف والخناجر والعقود. الجاحظ، عمرو بن بحر، التبصـــر بالتجارة، القاهرة – 1935، ص12؛ زكي، طرق التجارة، ص251، ص252

(4) اللؤلؤ: يسمى الصغير منه لؤلؤ. شيخ الربوة، عجائب البر والبحر، ص78. وأذا بلغت الحبة نصـف مثقال سـميت درّة. الجاحظ، التبصـر بالتجارة، ص12. وهو على ألوان عدة منه الأصـــفر والأحمر والأخضـــر والأزرق وهذه الألوان ناتجة من ملاصـــقتها لاعضاء الحيوان. شيخ الربوة، عجائب البر والبحر، ص78؛ الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص119.

(5) فضــلاً عن اســتخدامه كعملة رئيســة ســادت في العالم كله، فقد أســتخدم في العروش للتيجان وكحلي. زكي، طرق التجارة، ص52.

(6) زكي، عبد الرحمن، تاريخ الدول الإســـلامية بأفريقيا، القاهرة – 1961، ص124؛ طرخان، ابراهيم علي، أمبراطورية غانة الإسلامية، القاهرة – 1970، ص370.

(7) لومبارد، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإســـلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة : عبد الرحمن حميدة، دمشق – 1979، ص147.

(8) كما أســـتخدمت الفضـــة كحُلي، أمّا النحاس فقد كان يدخل في صـــناعة الأوعية والمصنوعات النحاسية. عاشور، مصر في عصر سلاطين المماليك، ص205؛ زكي، طرق التجارة، ص254. ورد اســم النحاس عند ابن المجاور باســم الصــفر وهو مادة معدنية تسـتعمل في صـناعة الأواني المنزلية. ابراهيم، محمد كريم، عدن، دراسـة في احوالها الســياســية والاقتصــادية، مركز دراســات الخليج العربي، جامعة البصــرة – 1985، ص320. فقد ورد في نص ابن المجاور الذي تحدث فيه عن الوســـائل التي أستخدمتها الدولة الأيوبية في جمع الأموال وكان الصفر من المواد التي اشتراها احد الأمراء الأيوبيين من تجار الكارم. تاريخ المستبصر، ج1، ص147، ص148.

(9) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص49، ص50.

(10) Heyd , Op. Cit., T.2, P.684.

أنواع الأخشـــاب التي تـاجر بهـا الكـارميـة خشـــب السـاج[1] والابنوس[2] والصندل[3]،وتاجروا في العاج[4] والخزف الصيني[5]. أمّا العبيد، فلا يصح تسميتهم سـلعة، إلاّ أنّ العبيد السـود كان يصـل الى مصـر من أفريقيا، على يد بعض تجار الكارم[6].

(1) الساج: شجرة كبيرة لا ثمرة لها. القيسي، زهير، الزراعة والنبات في التراث العربي، بغداد – 1986، ض26، ص139. وخشب هذه الشجرة متين فلا ينشق ولا يتغير شكله ويزيد الحديد متانة وأشهر مناطق وجوده في غابات الهند. حوراني، العرب والملاحة، ص244-ص247؛ زكي، طرق التجارة، ص249؛ الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص128.

(2) الأبنوس: خشب أسود صلب أملس شديد التداخل لدرجة أنّه يرسب في الماء دوناً عن بقية أنواع الأخشـاب وخشـبه يشـبه الحجر في صـلابته واذا أحترق تفوح منه رائحة طيبة وقد اتسـم بجودته الفائقة وقيمته العالية. الجاحظ، رسـائل الجاحظ، تحقيق: عبد الأمير مهنا، رسالة فخر السودان على البيضان، بيروت – 1988، ص148؛ الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص127، ص128.

(3) الصــــندل: نوع من الأخشـــاب القيمة والمطلوبة، وهو لب شـــجرة تلقي حواشـــيها. النويري، نهاية الارب، ج1، ص237. وهو نوعان الأحمر الذي يكون خشبه صلب أمّا الأبيض فخشـــبه رخو. القيســـي، الزراعة والنبات، ص36. ويتميز برائحة الطيبة. الصــابي، أبو الحســن هلال بن الحسـن، رسـوم دار الخلافة. تحقيق : ميخائيل عواد، بغداد، - 1964، ص101؛ الشاوي، التجارة العربية الإسلامية، ص129.

(4) لودفيغ، اميل، النيل، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة – 1951، ص241.

(5) عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص234؛ زكي، طرق التجارة، ص243.

(6) لابدوس، مدن أسلامية، ص194؛ الحويري، أسـوان، ص9؛ دافدسـون، بازل، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال أحمد، بيروت، ص17.

نظم التعامل المالي والتجاري لتجار الكارم

من المعروف أنّ الحركة التجارية شـهدت في العصـور الإسـلامية الوسـيطة والمتأخرة ازدهاراً كبيراً بالرغم من الانتكاســات وحالات الضـعف السـياســي التي مرت بها الدولة العربية الإســلامية وفي معظم أنحائها. هذا الازدهار تطلب أنظمة مالية تسايره لذا شهدت هذه المدة تطوير أنظمة مالية قديمة أو ابتكار غيرها. وكان للكارمية نصـيب كبير في الاسـتفادة منها في تعاملاتهم المالية والتجارية الواسـعة والمتنوعة التي شـملت مناطق عديدة من العالم المعروف آنذاك. وسـنشـير الآن بتركيز إلى أهم هذه النظم:

1. أثر سعر الصرف على النظم المالية :

اشـــتد الطلب في أوربا على ســلع الكارم، وكثر تردد التجار الأجانب إلى الموانئ المصـرية وبلاد الشـام، وصـار ضـرورياً أنّ ينص في المعاهدات التجارية على أسس لتنظيم التعامل المالي. ومع أنّ الذهب كان قاعدة هذا التعامل في القرنين 7-8هـــ/13-14م، إلا أنّ العملة الذهبية تعرضــت للتلاعب في عيارها ووزنها وحجمها، ممّا جعلها لا تحوز على ثقة المتعاملين بها[1]. الذي يهمنا منها الآن العملة المملوكية التي تعامل بها تجار الكارم ودورها في التعامل التجاري وأســعار صـرفها ومنافسـة بعض العملات الأوربية لها، ولاسـيما الأفرنتي في مصـر وبلاد الشام واليمن والحجاز وغيرها من مراكز تجارة الكارم[2].

وهنا لابدّ من الإشـارة أولاً إلى دور الأفرنتي كعملة أجنبية متداولة في مصر إلى جانب العملة المملوكية. وهي عملة ذهبية كان التجار البنادقة يحملونها معهم بكميات كبيرة للمتاجرة مع مصـر وبلاد الشـام[3] ؛ولأنّ البندقية كانت تشـتري من منتجات الشــرق أكثر ممّا تبيع فكانت تدفع بعملتها الذهبية التي أمســت تدريجياً معروفة في مصر[4]. وإنّ عملية البيع والشراء هذه كانت تخضع طبيعياً إلى تحديد سعر صرفها. فكان سعر صرف الأفرنتي في سنة 790هـ/ 1388م، يصل إلى حوالي 17 درهماً [5]. ثم شاع استعماله فضلاً عن مصر في الحجاز واليمن منذ حوالي سنة 800هـ/ 1397م، وذلك لعدة أسباب يأتي في مقدمتها جودة عياره وسهولة التعامل بها بالعدد بدلاً من الدنانير المصـرية التي كان المتعاملون بها يضـطرون إلى وزنها وإضـــافة قطع ذهبية أخرى لاســتكمال الوفاء عند الدفع[6]، حتى أنّ القلقشــندى

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص441.
(2) لبيب، التجارة الكارمية، ص28.
(3) النبراوي، رأفت محمد، السكة الإسلامية في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة – 1993، ص231.
(4) بلوك، مشكلة الذهب، ص35، ص36.
(5) القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص442 .
(6) المقريزي، السلوك، ج3، ص371.

وصفها بأنها ((أفضل دنانير الفرنجة، يقال له دوكات[1]نسبة إلى الدوك الذي ملكهم)) [2]. ونتيجة الخلل الذي اعترى النقد المملوكي من الذهب والفضة، انتشر التعامل بالافرنتي في مصر وذلك نظراً لخلوصه وثباته استقراره فحاز على ثقة المتعاملين به في الأسواق[3].

ويبدو أنّ الدولة المملوكية بدأت تعاني مشـــكلة نقص مادة الذهب لديها، ومرجع ذلك أســباب عدة لعل في مقدمتها قلة ورود الذهب من الســودان الغربي[4] بسبب وصول البرتغاليين إلى سواحل غانة في سنة 904هـ/ 1498م، الذين عمدوا إلى مقايضة بضائعهم مع ذهب المنطقة الذي تحول طبيعياً إلى لشبونة على المحيط الأطلسي[5]، وتسربه إلى أوربا مقابل شراء مصر الأسلحة والحديد والأخشاب التي كانت مصـــر تفتقر إليها،[6] فضـــلاً عن مغالاة الســلاطين المماليك في حياة الترف والبذخ، ثم حاجة دار الضـــرب لســد النقص الحاصـــل في الذهب. ولعب الحصـــار الاقتصادي الذي فرضته أوربا على مصر أثره القوي في قلة تدفق الأموال، ولاسيما الذهب إلى مصـــر وأدى أيضـــاً إلى انقطاع ورود الفضـــة من بلاد الفرنج لمصـــر أيضـــاً[7]. إزاء هذه الحالة الخطيرة، حاول الســـلاطين حلها، ولكنها لم تكن حلولاً مناسـبة، فعمدوا إلى التلاعب بالعملة، فأصـبحت مبهرجة وخفيفة وغير مقبولة في التعامل، كما فرضـــوا على التجار الأجانب شـــراء أحمال أكثر من التوابل بهدف الحصول على المزيد من الأفرنتي لسد حاجتهم من الذهب[8].

(1) دوكات: مفردها دوكة وهي العملة الذهبية للبندقية، أطلق عليها هذا الاســم نســبة إلى الدوك أو الدوق حاكم البندقية وهذه العملة كان لها وزن ثابت، مرســـوم على أحد وجهيها صــورة الحاكم الذي ضــربت في عهده، وعلى الوجه الآخر صــور للقديســين . ينظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص437؛ يوسف، جوزيف نسيم، علاقات مصر بالمماليك التجارية الإيطالية في ضــوء وثائق صــبح الأعشــى، الإســكندرية -1971، ص168؛ عبد النبي، مصر والبندقية، ص155.

(2) صبح الأعشى،ج5، ص405.

(3) زكي، طرق التجارة، ص259.

(4) كان التجار يحملون المواد المختلفة إلى غانة مقابل الذهب، القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف ، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ ، بيروت ، ص467 .

(5) اسـكندر، بحوث في التاريخ الاقتصـــادي، ص86. لايعني هذا اختفاء معدن الذهب الذي ظل يأتي من بلاد النوبة بعد سيطرة السلطان الظاهر بيبرس عليها في سنة 674هـــ/ 1275م، فرضـــه على نصـــارى النوبة جزية قدرها دينار على كلّ فرد. المقريزي، الخطط، ج1،ص202. كما كانت تصـــل كميات من ذهب الســـودان الغربي مع التجار القادمين في طريقهم إلى الحج ومعهم كميات كبيرة منه . المقريزي، الســـلوك، ج2، ص255.

(6) اسكندر، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص86.

(7) القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص463.

(8) اسكندر، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص86.

أمّــا العملــة المملوكيــة فقــد كــانــت علــى ثلاثــة أنــواع: الــدنــانيــر الــذهــبيــة والــدراهــم الــفضــــيــة والــفــلــوس[1] الــنــحــاســـــيــة، وكــانــت عــمــلــيــات الــبــيــع والشــــراء تــقــدر بــالــعــمــلــة الــذهــبيــة أســــاســـا ثم الفضية[2].

تراوح سعر صرف الدينار طوال العصر المملوكي الأول مابين عشرين إلى ثلاثة وعشــــرين درهماً ماعدا بعض الســــنين الذي كان ينزل عن هذا الحد[3].أمّا الدراهم التي ســــادت في العصــــر المملوكي فهي الدراهم النقرة [4] أو الكاملية التي ضــربت في ســنة 622هـــــ/ 1225م، على أيام السلطان الكامل بن العادل الأيوبي (604هـــ/1270م)، وظلت متداولة حتى تولي السلطان الظاهر بيبرس السلطنة، فضــربت الدراهم الظاهرية[5] وجعل نســبة الفضـــة فيها 70٪ والباقي نحاس، ومع ذلك ظلت الدراهم الكاملية[6] إلى جانب الظاهرية شائعة الاستعمال في أواخر القرن

---

(1) الفلوس: مفردها فلس، لفظة يونانية معربة وقد أخذه اليونان من اللفظ اللاتيني Follis، ومعناه كيس النقود، ولما كانت هناك مبيعات تقل قيمتها عن درهم، أحتاج الناس إلى نقد غير الذهب والفضة يكون أقل قيمة، فضربت قطع صغيرة مـــن= = النحـــــــــاس سميت فلوس أيام السلطان الكامل الأيوبي. المقريزي، إغاثة الأمة، ص66،ص67. وفي القاهرة كانت الفلوس على نوعين أحدهما المطبوع بالسكة والأخر غير مطبوع، وهو قطع مكسرة من النحاس الأحمر أو الأصفر ويسمى العتق. القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص443،ص444؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ،العصر المماليكي في مصــر والشــام ، ط4 ، القاهرة -1994، ص438. وهناك نوع آخر يســمى الخروبة وهي قطعة نحاسية صغيرة قيمتها عشـرة دراهم. المقريزي، السلوك، ج1، ص899 حاشـــية (1)؛ البيومي، النظم المالية، ص225. فكانت الخروبة أرقى وأغلى قيمة من الفلوس النحاسية التي كانت القطعة الواحدة منها تســاوي 1 /4 درهم في مصــر ســنة 759هــ/ 1375م. الشافعي، حسن محمود، العملة وتاريخها، القاهرة – 1980، ص23، ص24.

(2) المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود، نشـر: أنستاس الكرملي، القاهرة – 1987، ص49.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص190؛ العيني، عقد الجمان، ج23، ورقة 429أ.

(4) الدراهم النقرة: التي يكون ثلثاها من فضة والثلث من نحاس وتضرب في دور الضرب السلطانية. القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص439، ص463.

(5) الدراهم الظاهرية: يطلق على الدرهم الذي ضــــربه الســــلطان الظاهر بيبرس، وكان متداولاً في مصر بأوائل عصر دولة المماليك الجراكسة . ويتم التعامل به بالعدد وليس بالوزن . النبراوي، السكة الإسلامية، ص342. وتميزاً لهذه الدراهم عن دراهم أخرى كانت تسمى الظاهرية ضـربت في سـنة 843هــــ/ 1440م. نسـبة إلى= =السـلطان الظاهر جقمق وتم تداوله بالعدد أيضــاً وليس بالوزن، وقد ضــرب منه نصــف الدرهم وربعه. المقريزي، السلوك، ج4، ص190.

(6) الدراهم الكاملية : نسبة إلى الملك الكامل بن العادل أبو بكر بن أيوب المتوفى في سنة 635هــ/ 1231م، وقد أمر بضرب هذه الدراهم في سنة 622هــ/ 1277م، ويتكون من ثلثي فضة وثلث نحاس. المقريزي، شذور العقود، ص60، ص261.

8هـ/ 14م [1]،وبطبيعة الحال فإنّ زيادة سعر معدن الذهب كانت تؤدي إلى اضطراب المعاملات المالية وأحوال السوق كالذي حدث في سنة 740هـ/ 1339م، بما ينعكس سلبياً على أحوال تجار الكارم. فقد استدان السلطان الناصر محمد بن قلاوون من تجار الكارم ألف ألف دينار وأمر برفع سعر صرف الدينار إلى خمسة وعشرين درهماً بعدما كان بعشرين وسدد ما كان عليه لتجار الكارم[2].وفي الوقت نفسه أيضاً عدمت الفضة من الأسواق، فأخرج السلطان من الخزانة ألف درهم فضة فرقت على الصيارفة فأخذ ما يعادلها ذهباً.[3] وفي سنة 741هـ/ 1340م، أمر السلطان المنصور أبو بكر بن الناصر محمد (741هـ/ 1340م) بعدم تحديد سعر للصرف بين الذهب والفضة وتركه حراً بحسب طبيعة العرض والطلب[4].وعموماً يمكن الملاحظة أنّ النظام المالي النقدي في العصر المملوكي الأول لم يكن مستقراً بل سادهُ الاضطراب بين الحين والآخر. وفي كلّ مرة كان السلاطين يتدخلون لإصلاحه، لكن جهودهم هذه كانت وقتية وليست جذرية، لذا كان الحال يتفاقم، فمثلاً قامت الدولة المملوكية الأولى (784-648هـ/1250-1382م) بضرب دنانير ذهبية لم تكن ثابتة العيار والوزن، وحددت سعر صرفها بالدراهم الفضية، ثم بالفلوس النحاسية[5]، في عصر الدولة المملوكية الثانية. فقد ضرب الأمير يلبغا الناصري [6] الاستادار في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق دنانير في سنة 803هـ/ 1400م، عرفت بالناصرية [7]، وكثر ضربها وسادت في التعامل [8]. ويبدو أنّ الغرض من سك الدينار الناصري هو تقوية العملة المحلية والقضاء على منافسة

---

(1) العمري، مسالك الإبصار، ص68؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص441.
(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص488.
(3) ن.م، ج2، ص492.
(4) ن . م، ج2، ص551،ص552.
(5) حصل سلاطين المماليك على هذا الذهب نتيجة المصادرات أومن حصيلة الضرائب على تجار الكارم وكذلك ممّا يأتي به التجار الأجانب. البيومي، اسماعيل، المصادرات في عصر السلاطين، القاهرة – 1995، ص417، ص421.
(6) الأمير يلبغا الناصري: هو يلبغا بن طابطا الساقي اليحياوي الناصري، ألحق أبوه بالخدمة عند الملك الناصر محمد، أمّا هو فقد تقدم وحظي بمركز مرموق عند السلطان الناصر فرج، فكان السلطان يرسل له الخيول بسروجها المزركشة، ولما مرض السلطان الناصر كان يلبغا يقوم بتمريضه، وقد تولى نيابة حماة ثم حلب ثم دمشق، وقتل في سنة 748هـ/ 1341م، وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم ، شديد العطف على الفقراء. ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج4 ، ص436، ص437 .
(7) الدنانير الناصرية : نسبة إلى السلطان الناصر فرج الذي أمر بضرب هذا الدينار في سنة 803هـ/ 1400م، وضُرب مرة أخرى في سنة 811هـ/ 1408م، كمحاولة ثانية من اجل مواجهة النقود الذهبية الإيطالية وإحلال النقود الذهبية المملوكية محلها، وقد ضرب على نفس وزن الأفرنتي وتم التعامل به بالعدد وليس بالوزن وكان التعامل به مع الأفرنتي معاً على قدم المساواة، ويكتب على الوجه الأول لا اله إلا الله محمد رسول الله وفي الوجه الآخر اسم السلطان. النبراوي، السكة الإسلامية، ص345.
(8) القلقشندى، صبح الأعشى، ج3،ص441؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص776.

الأفرنتي في الأسـواق المصـرية ولكنها جاءت ناقصـة العيار والوزن [1]، فلم تقوَ على منافسته، ولم يقبل الصيارفة صرفها من دون تحديد وزنها[2]. وشهدت أسعار الذهب ارتفاعاً بسبب مضاعفة سعره في سنة 806هـ/ 1403م فقد تلاعب السلطان فرج بالعملة عن طريق إبطال التعامل بالذهب المصري والأجنبي، ثم أباحه بعد رفع سـعره[3] لكن السـلطان المؤيد شـيخ أبطل التعامل بالذهب قدر الإمكان ، وألغى الدنانير الناصرية وضربها هرجة [4] في سنة 818هـ/ 1415م لكنها لم تلق الرواج ولم تؤد المهمة المتوقعة منها[5].وفي محاولة ثانية قام السـلطان المؤيد شـيخ بتخفيض سـعر الذهب والهرجة في سـنة 821هـ/ 1418م، ثم ربط سـعر الذهب بدراهمه الفضـية التي أراد أنّ تكون النقد المتعامل به فقط من دون الدينار الذهبي الإسلامي[6]، كما أعطى أوامره بعدم التعامل بالدينار الأفرنتي إذا كان ناقصاً [7].

وإنّ سيادة النقص الأجنبي في مصر وارتفاع سعر صرفه أقلقت السلطان أشرف برسباي، لذا عقد في سنة 829هـ/ 1425م، مجلساً ضم كثيراً من تجار الكارم الذين صوّبوا رأيه بضرورة الاقتصار في التعامل على الدنانير الأشرفية[8]

---

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص110.

(2) الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص164.

(3) المقريزي، السـلوك، ج3،ص274؛ ابن حجر أنباء الغمر، ج1، ص774؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص272.

(4) الدنانير الهرجة: هي دنانير من الذهب الخالص، مسـتدير الشـكل على أحد وجهيه شـهادة لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان وتاريخ ضـربه واسم المدينة التي ضـرب فيها، وهي أمّا القاهرة أو دمشـق أو الاسـكندرية، ووزنه سبعة مثاقيل، واعتقد البعض أنّ المقصود بها هو الدينار المبهرج أي الرديء المخلوط، ولكن هذا غير صحيح. القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص437؛ النبراوي، السكة الإسلامية، ص345.

(5) المقريزي، السـلوك، ج3، ص297، ص301، ص321؛ ابن حجر، أنباء الغمر, ج2، ص18، ص182، ص231، ص232؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص356.

(6) المقريزي، السلوك، ج3، ص349؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص537.

(7) ابن حجر أنباء الغمر، ج2، ص231. قد يكون النقص الحاصـل في الدينار الأفرنتي نتيجة القص أو البرد وقد يحدث داخل الأراضي المملوكية أو قد يكون وصل إلى مصر على حاله هكذا ناقصـاً بعد أنّ تناقلته أيدي الصـيارفة العديدين. عبد النبي، مصـر والبندقية، ص155، ص156.

(8) الدنانير الأشـرفية: ضـرب السـلطان الاشـرف برسـباي وسـمي باسـمه. المقريزي، السـلوك،ج4،ص819. وهو على نفس وزن الدينار الأفرنتي أي ما يعادل 3.45غرام، كمحاولة من ضمن عدة محاولات قام بها من سبقه من سلاطين الجراكسة بمصر للحد من سيطرة النقود الذهبية الإيطالية على الأسواق المصرية، وإحلال النقود الإسلامية محلها، وقد نجح في ذلك. كما أطلق أيضـاً لفظ الأشـر في على النقود الذهبية التي أمر بضـربها كلّ من السـلطان أشـرف قايتباي، والسـلطان الاشـرف قانصـوي الغوري. النبراوي، السـكة الإسـلامية، ص39. اللذان ضـربا دنانيرهما على وزن الافرنتي، لمنافسته. الشافعي، العملة وتاريخها، ص109.

التي أمر بسكها.وفي سنة 829هـ/ 1426م، منع التعامل بالنقد الأجنبي اياً كان فبطلت ولم تعد تظهر في الأسواق. يؤكد هذا ما ذكره ابن حجر من أنّ الأفرنتي لم يكن موجوداً في عام 831هـ/ 1427م[1]، وأيده الصيرفي في ذكره لأحداث سنة 834هـ/ 1430م، لكثرة ما يسك في دور الضرب من دنانير أشرفية [2]. لكنّ الملاحظ أنّ السلاطين المماليك المتأخرين واصلوا ضرب العملات الذهبية[3]، ولكنها في كلّ مرة كانت تنقص في وزنها وعيارها، ممّا أدى إلى إفسادها[4].

أمّا الدراهم الفضية، فقد انكمشت ولم تعد قادرة على سد حاجات التجار بما فيهم الكارمية، فانفسح المجال أمام العملات الفضية الأجنبية في السوق المصرية[5]. وبسبب ذلك سحب الفرنج الفضة وتهريبها وكذلك استخدام الناس لها في عمل السروج والآنية مع انقطاع ورودها من أوربا[6].

تصدى السلطان برسباي لإصلاح العملة الفضية إزاء منافسة العملات الفضية الأجنبية وتعامل التجار بها. ففي سنة 832هـ / 1428م، نودي بمنع التعامل بالدراهم الأجنبية كي يعاد ضربها كدراهم أشرفية أسوة بما فعل في تمصير العملة الذهبية. وجمع السلطان الصيارفة وتجار الكارم وأشهد عليهم بذلك[7].

إنّ أعمال السلطان برسباي شكلت محاولة حقيقية لإصلاح النقد المصري بما يحقق استقراره وتدعيم قيمته في التعامل التجاري، غير أنّ هذه المحاولات لم تفلح بسبب استمرار النقص في ورود معدن الفضة لمصر، فضلاً عن تعامل التجار به خارج مصر[8]،أدّى هذا إلى تناقص في رصيد مصر من الفضة، إذ لم تعد دور الضرب قادرة على سك ما يكفي من الدراهم الفضية، فهبطت نسبة الفضة في الدراهم النقرة[9] وزادات نسبة النحاس فيها، بل إنّه ضرب في بلاد الشام دراهم وزن الفضة فيها أقل من الثلث والباقي من النحاس الأحمر[10] ولم تفلح سياسة سلاطين المماليك في إصلاح الحالة ، فقد كثرت الدراهم المؤيدية والأشرفية والحجازية والتكرورية فأصدرت الدولة قراراً باستعمال الدراهم المضروبة بالديار

(1) أنباء الغمر ، ج2 ، ص454.
(2) نزهة النفوس، ج2، ص281.
(3) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة والمعلومات متناثر في صفحاتها.
(4) النبرواي، السكة الإسلامية، ص262.
(5) فهمي عبد الرحمن، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة –1964، ص46.
(6) االقلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص467؛ المقريزي الخطط، ج2، ص97-ص99.
(7) ن.م، ج3، ص467، ؛ ن . م ، ج3 ،ص390 ، ص393 ،.م، ج3، ص390، ص393؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص260، ص261، 280، ص281 .
(8) النبراوي، السكة اللإسلامية، ص231.
(9) القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص439، ص463.
(10) ن.م، ج3، ص463.

المصرية والشامية والتكرورية ويبطل ما سوى ذلك[1]. ومع ندرة الفضة بطل سك الدراهم، واســتعاض ســلاطين المماليك عنها بالنحاس الذي كان انتاجه قد زاد في أوربا[2]. وأصبحت الفلوس النحاسية هي القاعدة السعرية[3] في البلاد واستمرت هي النقود التي يتعامل بها ، ومع ذلك لم تســلم هي الأخرى من عمليات الغش والتزييف بل والتهريب إلى خارج مصر[4].

2. نظام المقايضة

نتيجة لاضطراب وقصور العملة المملوكية عن الوفاء بأثمان السلع، وعدم استقرارها في الوزن والعيار، وضـربها لتحقيق مكاسـب السـلاطين على حسـاب الآخرين الذين تحملوا كلّ الخســارة نتيجة لسـوء الأحوال الاقتصــادية بسـبب خلو خزانة الدولة نتيجة للحروب المستمرة التي قامت بها مصر داخلياً وخارجياً. فضلاً عن الأوبئة الفتاكة التي قضت على أعداد كبيرة من السكان، والضرائب المفروضة لسد نفقات الدولة[5]، هذا إلى جانب سياسة الاحتكار التي اتبعها سلاطين المماليك التي كانت أهم أسباب تدهور الاقتصـاد الذي توضـح في استعمال العملة النحاسية حتى نهاية دولة المماليك الثانية، والحالة السـيئة التي وصـلت اليها الأسـواق في ركود عمليات البيع والشراء وارتفاع الأسعار[6]، لهذه الأسباب مجتمعة فضل بعض التجار العودة إلى نظام التجارة بالمقايضة في كثير من تعاملاتهم[7].

عرف نظام المقايضــة منذ العصــور القديمة وظل مســتعملاً في العصــور اللاحقة على الرغم من ظهور أنظمة جديدة في التعامل الاقتصــادي الذي يهمنا هنا، أنّ هذا الأسلوب عاد ليحتل مركز الصدارة في الحياة الاقتصادية والتعامل التجاري في مصــر وبينها وبين التجار الأجانب وبالتحديد البنادقة الذين كانوا يلجأون إلى مقايضـة السـلع التي يجلبوها إلى مصر بما يستوردوه[8]. وهناك أسـباب دعت كلا

(1) قد يرجع سـبب سـماح السـلطان برسـباي بالتعامل بالدراهم التكرورية إلى العلاقات الحسنة التي كانت تربط مصر ببلاد التكرور التي كانت تجلب لمصر بعض كميات من الذهب التي تحتاج إليها دور سك العملة . عبد النبي، مصر والبندقية، ص157.

(2) عبد النبي,مصر والبندقية,ص158.

(3) المقريزي ، السلوك,ج4، ص941-ص944 .

(4) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج3 ، ص440 .

(5) عبدة، قاسم دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك, القاهرة- 1979، ص56، ص67.

(6) سالم، حلمي محمد، اقتصاد مصر الداخلي وأنظمته في العهد المملوكي، الإسكندرية- 1977، ص227.

(7) عبد النبي، مصر والبندقية، ص159.

(8) زكي، طرق التجارة، ص262؛عبد النبي، مصـــر والبندقية، ص154، 155. فقد وعد البنادقة سلاطين مصر بإرسال شحنة من النحاس مقابل التوابل التي اشتروها منهم. اسـكندر، توفيق ، نظام المقايضــة في التجارة الخارجية في العهد الوسـيط ، المجلة التاريخية المصـرية ، م6 ، 1975، ص45. كما كانت هناك بعض دول الشـرق ترفض الذهب مقابل السلع التي تبيعها، لأنّ الذهب كان بالنسبة لها من المعادن العادية آنذاك،

الطرفين إلى اللجوء إلى نظام المقايضــة فقد شـهد القرنين 8 و9 هـــ/ 14 و 15م، زيادة في عدد سـفن البنادقة وانتظام مواسـم وصـولها، واسـتمرار نقل السـلع على مدار السـنة وبذلك انتظم السـوق وزاد حجم السـلع المتبادلة من دون زيادة تقابلها في المعادن النفيســة وخاصــة الذهب[1].ويبدو أنّ البندقية حاولت سـد هذا النقص باسـتخدام الفضــة بدلاً من الذهب ولكنها لم تنجح، خاصــة بعد رفضـت بلاد الشـام التعامل بالعملة الفضــية وفضــلت التعامل بالعملة الذهبية فقط، وبذلك تكون قلة الذهب وعجزه عن تلبية كافة طلبات الدفع فوراً. ورفض العملة الفضــية أدت إلى انتعاش نظام المقايضــة، فضــلاً عن اعتبارات أخرى عملية أو إدارية، فقد كان البنادقة يخضـعون لقيود شـديدة فرضـتها عليهم حكومتهم فحرمت عليهم الاستدانة والاقتراض والشراء والبيع بالأجل والمشاركة ممّا اضطرهم إلى الالتجاء للمقايضة [2].

أمّا بالنسبة لمصر فهي الأخرى لجأت إلى طريقة المقايضة. فكما هو معروف أنّ تجارتها الخارجية كانت أهم مورد للذهب في مصـر في العصـر الوسـيط بعد أنّ نضبت مناجم الذهب في مصر، أو كادت، ولم يعوضها ذهب السودان الغربي، وبما أنّ الذهب ظلّ أسـاسـاً للتبادل التجاري حتى أواخر القرن 8هـــ/ 14م على وجه التقريب، إلا أنّ استخدام المقايضة قلل من تدفق الذهب على مصر، وأدى أيضاً إلى اضـطراب كبير في العملة الذهبية التي لم تسـتقر. فلجأ السـلاطين لعلاج النقص في الذهب والفضــة إلى فرض قدر معين من التوابل السـلطانية على التجار الأجانب يشـترونه بالذهب[3]، وفرض قدر معين من الفضــة على التجار الأجانب يوردونه لدار السـكة كلّ سـنة[4].أمّا السـلع المستخدمة في المقايضـة التي قامت مقام العملة

وفضــلت أنّ يكون التعامل عن طريق التبادل أو المقايضــة. هاو، في طلب التوابل، ص149.

(1) اسكندر، نظام المقايضة، ص40 .

(2) اسكندر، نظام المقايضـة، ص40. كان الذهب والفضـة ضـمن قائمة واردات مصر من البندقية ولم يكن بالضـرورة من مناجم أوربا بل كان التجار الإيطاليون ينقلون كميات هائلة من الذهب من موانئ شـمال أفريقيا، وقد وردت لها بالقوافل من بلاد التكرور. القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص461؛ عبدة ، دراسات ، ص68.

(3) أنّ أجراء فرض البضـائع كان أمرا مألوفاً بالنسبة لتجار الكارم، لكنه كان امراً تعسفيا بالنسـبة للتجار الأجانب، مع أنّ الدولة حددت قيمة التوابل السـلطانية المفروضـة على التجار الأجانب فيما بعد وهو عشـرة أحمال من التوابل في السـنة وبسـعر 80 افرنتي للحمل الواحد . أدى هذا الأجراء إلى قيام نوع من الحسـاب الجاري بين الخزينة السـلطانية وهيئة التجار البنادقة التي كانت مدينة لهم باسـتمرار ولعدة سـنوات. وظل هذا الأجراء متبع، لكن البندقية سـاومت أكثر من مرة على سـعر الصـفقات الإجبارية التي سـبق تسـعير أثمانها خاصـة بعد اكتشـاف رأس الرجاء الصـالح . اسكندر، نظام المقايضة، ص44 ؛ اسكندر، بحوث في التاريخ الاقتصادي، ص45.

(4) اسـكندر، نظام المقايضــة، ص44، ص45؛ اسـكندر بحوث في التاريخ الاقتصــادي، ص84، ص86.

فهي التوابل أســاســاً مقابل المعادن غير النفيســة، وقايضــت أيضــاً بزيت الزيتون والعسل والصابون والبندق واللوز، وتمت مقايضة الفلفل بالفضة وقوالب النحاس وسبائك القصدير والرصاص والشمع[1].

وقد ذكرت بنود تنظيم عملية المقايضـــة في المعاهدات على اعتبارها نظم لعمليات الدفع في التجارة التي كانت قبلاً تصــدر على شــكل أوامر ســلطانية[2].فقد نصت إحدى بنود المعاهدات على أنّه إذا اتفق المتعاقدان على المقايضة فإنّه لايجوز بعد ذلك ردّ البضـاعة والمطالبة بالدفع نقداً [3]. ونص بند آخر إذا حدث الاتفاق على تبادل البضـائع أي المقايضـة ورفض التاجر الكارمي تسـليمها فإنها توزن وتوضـع لحسابه خارج ديوان القبان وخارج المخازن حتى يتسلمها[4].والملاحظ هنا أنّ أول سيئات نظام المقايضة أنّ تجار الكارم كانوا يرجعون في صفقاتهم إذا ما ارتفع سعر التوابل أو قل ســعر الســلع المتبادلة،[5] فســعر ســلع المقايضــة يزيد على ســعرها النقدي، فمثلاً ثمن التوابل بالمقايضة يزيد على ضعفي سعرها النقدي، أي أنّه يؤدي إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعاً مصطنعاً[6].

3. نظام نصف المقايضة [7]

إلى جانب المقايضــة، وجد نظام نصــف المقايضــة، وفيه تدفع نصــف ثمن السلع نقداً والنصف الآخر سلعاً، واستخدم البنادقة الأفرنتي للدفع أمّا الفلورنسيون فقد استخدموا الفلورين[8].

4. النظام المصرفي والاقتراض

كان لازدهار العمل التجاري الكارمي، وتوســعه في مناطق شــتى من العالم آنذاك، فضــلاً عن رؤوس الأموال الضــخمة التي ضُــخت فيه [9]، أنّ دفعت التجار عموماً والكارمية خاصـة للاعتماد على أنظمة ووسـائل الائتمان المالي والمصرفي

---

(1) اسكندر، نظام المقايضة، ص42؛ زكي، طرق التجارة، ص364.
(2) اسكندر، نظام المقايضة، ص40.
(3) زكي، طرق التجارة، ص431؛ Heyd , Op. Cit., T.2, P. 361.
(4) زكي، طرق التجارة، ص447، 448 .
(5) اسكندر ، نظام المقايضة، ص41 .
(6) ن.م، ص43 .

(7) لا يوجد ذكر له في الوثائق الرســمية أو غيرها وأنما جاء ذكره في خطاب موجه من أحد التجار البنادقة إلى ابن له ينصحه باستخدامه. اسكندر، نظام المقايضة، ص41، ص42.
(8) الفلورين : العملة التي ضربتها فلورنسا في سنة 650هـ/ 1252م، وأطلق عليها اسم فلورين وعرفت في الأســواق الشــرقية باســم أفلوري، ولم يكن لها رواج الأفرنتي. فهمي، النقود العربية، ص86؛ النبراوي، السكة الإسلامية، ص34.
(9) لبيب، التجار الكارمية، ص28 .

التي كان بعضــها معروفاً بشــكل بســيط عند العرب قبل الإســلام، ثم طورت وابتكر غيرها منذ القرن 4هـ/ 10م، كالسفتجة والصيرفة والصكوك وغيرها. لذلك بدأ عدد من تجار الكارم بتشــكيل مصــارف فيما بينهم، لحاجتهم الماســة إلى هذا النوع من النظم التجارية، واســتجابة لمســتلزمات ومتطلبات عملياتهم المالية والتجارية[1].

وقاموا بالعمليات المصــرفية بأنفســهم[2]، وكان من وظائفهم إيداع الأموال وتحويلها أو صــرفها لأغراض التجارة. فســعر التحويل لم يكن يعتمد على النقود وحدها بل على حالة السوق وسعر الذهب والفضــة[3]،وكانت تقوم بإقراض التجار بفوائد تقدر من 4-5٪[4]، وهي صــورة من صــور الشــراكات، وكان يحرر لها عقد مدته رحلة واحدة تنتهي بإعادة المبلغ[5].

وقد نشــأ بين تجار الكارم والبنادقة مثل هذا النوع من الشــركات لأســتثمار الأموال من ناحية، والحفاظ عليها من مصادرات الدولة من ناحية أخرى [6]، خاصة وإن ذلك العصر تميز بخلو خزنتها من الأموال[7]. ولهذا السبب كان الناس في مصر يودعون أموالهم لــدى كبــار التجــار للمتــاجرة فيهــا، وهؤلاء يقومون بــالعمليــات المصــرفية[8]، ولهم سجلات تقيد بها الحســابات وهذه السجلات تعتبر حججاً على أصحابها من تجار وصيارفة وسماسرة،[9] وكانت المصــارف تقوم بضمان عقود الشــراكات بين تجار الكارم والتجار الأجانب[10]، فالتاجر يدفع ماله للصــيرفي[11] الذي يعطيه صكاً[12] بالمبلغ المدفوع، وكلما اشــترى التاجر شــيئاً سدد ثمنه بهذه

---

(1) ظاظا، حسن والسيد محمد عاشور، اليهود ليسوا تجارا بالمنشآة، القاهرة – 1975، ص140.

(2) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2،ص132.

(3) لبيب، التجارة الكارمية، ص28.

(4) عبد النبي، مصر والبندقية، ص160 .

(5) زكي، طرق التجارة، ص348.

(6) سالم، اقتصاد مصر، ص242؛ عبد النبي ، مصر والبندقية، ص154.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج8، ص46 ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص29، ج4، ص25-ص77.

(8) زكي، طرق التجارة، ص343.

(9) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص132؛ ابن بســـام، محمد بن أحمد المحتســـب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسام الدين السامرائي، بغداد- 1968، ص72.

(10) المقريزي ، السلوك ، ج2 ، ص103 ، ص104.

(11) الصيرفي : الشخص الذي يتولى تحصيل الأموال وصرفها. القلقشندى، صبح الأعشى، ج5، ص466؛ البيومي، النظم المالية، ص399. وهو خبير المال والتجارة معا ومن يكتب الصــكوك ويتعاطى عمولة بمعدل درهم لكل دينار. الكبيســي، حمدان عبد المجيد وعواد مجيد الاعظمي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي، بغداد – 1988، ص 163 .

(12) الصــك: أحد الوســائل لدفع الأموال، وهو أمر خطي يدفع بواســطته مقدار معين من النقود إلى الشــخص المســمى فيه ويجري تحرير الصــكوك بدقة، ويدرج فيه اســم = =صاحبه ومقدار المبلغ الواجب الدفع رقماً وكتابة وموعد الاستيفاء وقد يؤرخ ويختم

الصـكوك المحولة إلى الصـراف[1]، كما كانوا يقومون بالتوسـط بين الناس ودور الضــرب مقابل حصــولهم على نســبة معينة[2].وقد عملوا جاهدين على تطوير العمليات المصــرفية التي كانت ســائدة التي ســاعدتهم في تســهيل التعامل المالي والتجاري، كما أنهم أســهموا في تفعيل وازدهار كلّ وســائل الائتمان المالي والمصرفي[3].

وكـان من المتعـارف عليـه أنّ تقوم مصــــارف تجـار الكـارم بمنح قروض للســلاطين والأمراء. تجلى ذلك عندما قاموا بإقراض الدولة لتمكينها من الاسـتعداد للحروب والقيام بالمشــاريع الداخلية، أو لســد حاجات الدواوين أو لســد حاجات شخصية.

وهذا ما حدث سنة 687هـ/ 1288م، عندما قدم التاجر الكارمي أبو بكر بن عتيق قرضـاً إلى السـلطان الأشـراف خليل بن قلاوون من جملة اسـتعدادات الدولة لملاقاة الصـليبيين[4].وتحدثنا المصـادر أنّه في سـنة 753هــ/ 1325م، اقترض السلطان صالح بن الناصر محمد (700-752هـ/ 1351-1354م)، من تجار الكارم مالاً ليستعين به على تجهيز حملة لتأديب نائب حلب[5].وفي سنة 791هـ/ 1389م، قدمَ إلى الســلطان برقوق أثناء اعتقاله بقلعة الكرك، أحد تجار الكارم ومعه قرض بمبلغ 100.000 دينار، ووضـع نفسـه وماله وأولاده في خدمته لتمكينه من التغلب على أعدائه، وقد سـاعد هذا القرض السلطان برقوق على اسـتعادة عرشـه[6]. وفي سـنة 796هــ/ 1393، تم أكبر قرض بين تجار الكارم والدولة عندما أقرض ثلاثة من تجار الكارم السلطان برقوق كلّ واحد منهم ألف ألف درهم فضة، وقد ضمن هذا القرض أستادار السلطان وفاء الدين، كما تسلم التجار الثلاثة من بيت المال صكوك

بختم خاص ويصدق عليه. والصكوك أمّا أنّ تصرف عند الصيارفة أو في بيت المال، وعندما تعطى إلى شـخص ما كانت تثبت في سـجلات خاصــة باعتبارها من النفقات، وصـرف الصـك من قبل الصـيرفي كان يقضـي أخذ عمولة . فهي تسـهل قضـايا البيع والشــراء بدون الحاجة إلى وجود المال نقداً من جهة ولكونها وثيقة ائتمان مضــمون لتقرير الديون واسـتيفائها، وقد تطور اسـتعمالها في أقاليم الدولة العربية ومنذ القرن 3هــــ/ 9م، وحلت محل التعامل النقدي في كثير من الأحيان . الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد، ص163، ص164.

(1) فهمي، النقود العربية، ص83؛ زكي، طرق التجارة، ص342 .

(2) . Postan, Op.Cit., P. 282

(3) لبيب، التجارة الكارمية، ص28.

(4) الادفوي، الطالع السعيد، ص192؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص418.

(5) المقريزي، الســلوك، ج3، ص49؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص131، 471.

(6) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص140. لم يذكر ابن الفرات اســم هذا التاجر ولكن بالبحث تبين أنّ ثلاثة من تجار الكارم قدموا قرضـــاً إلى الســلطان برقوق، ولم يذهب منهم إلى الشـــام ســوى التاجر ابراهيم بن عمر المحلي. وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بان هذا التاجر هو الذي قدم هذا القرض ووضـــع نفســه في خدمة الســلطان برقوق .

ضمان بهذا المبلغ على خزينة الدولة كتبها السلطان بخطه[1]، وقد جاء هذا القرض كجزء من استعدادات الدولة لملاقاة التتار[2]، ممّا دفع السلطان برقوق إلى أنّ يخلع على هؤلاء الثلاثة الخُلع الرفيعة تشريفاً لهم وتقديراً لفضلهم[3]. وفي سنة 803هـ/ 1400م، أقترض السـلطان فرج بن برقوق من التاجر الكارمي علي بن عبد العزيز الخروبي للغرض نفسه أيضاً[4].

وفي سنة 844هـ/ 1440م، أقرض التاجر الكارمي عوض بن موسى البزاز السلطان جقمق مبلغ 30.000 دينار بسبب استعداده لغزو جزيرة رودس[5].وطلب السلطان قايتباي في سنة 892هـ---/ 1487م، من تجار الكارم إقراضه أربعين ألف دينار لإعداد حملة ضد العثمانيين [6]، وكان هذا يعني أنّه إذا لاح خطر أو حاجة أو احتاج السلاطين إلى الأموال لأعداد الجيوش، لم يكن أمامهم سوى اقتراض الأموال من تجار الكارم[7].

وتروي المصـادر حالات أخرى للإقراض غير حربية، كما حدث في سـنة 737هـ/ 1336م، عندما أقترض السلطان الناصر محمد من تجار الكارم مبلغ ألف ألف درهم لحاجة الدواوين إلى المال[8]. فضـلاً عن هذه القروض التي يمكن اعتبارها قروض رسمية للدولة، قدم تجار الكارم قروض أخرى شخصية لسلاطين المماليك في مصـر. فيروي المقريزي أنّه في سـنة 703هـ/ 1303م، اقترض السلطان الناصر محمد من تجار الكارم بالإسكندرية مبلغاً لسد بعض حوائجه[9]. كذلك سدد بعض تجار الكارم أموالاً اقترضها بعض السلاطين من تجار الفرنج، على أنّ يتم تحصيلها منهم فيما بعد. ففي سنة 711هـ/ 1311م، سدد تجار الكارم مبلغ 16.000 دينار عن السـلطان الناصـر محمد للتجار الفرنج، وكان هذا القرض ثمن أشياء ابتاعها السلطان منهم[10].واقترض السلطان الناصر محمد في سنة 740هـ-/

(1) ابن حجر، أنبـاء الغمر، ج1، ص365، ص366؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص277، ص286؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص443.

(2) كان الغرض منه تجهيز العساكر المتوجه إلى الشـام. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص366.

(3) المقريزي، السـلوك، ج3، ص240؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص350؛ الصـيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص386؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص302.

(4) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص540؛ ابن تغري بردي، الدليل الشـافي على المنهل الصـافي، ج1 ، تحقيق : محمد فهمي شـلتوت، السـعودية – جامعة أم القرى – 1375هـ، ص460 ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص240.

(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص365.

(6) وقد تذمر تجار الكارم من طلبه وأظهروا عجزهم عن سـداد المبلغ، وفي النهاية لم يدفعوا له إلا ألف دينار. ابن إياس، بدائع الزهور، ص302، ص367، ج2،ص245.

(7) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص365؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص290.

(8) المقريزي، السلوك، ج1، ص955، ج2، ص419.

(9) السـلوك، ج1، ص955؛ سـالم، السـيد عبد العزيز، تاريخ الإسـكندرية وحضـارتها ، مصر -1963 ، ص296، ص297.

(10) المقريزي، السلوك، ج1، ص899؛ ج2، ص103، ص104.

1339م، أيضـــاً مبلغا من المال من تجار الكارم بالقاهرة لتوفير بعض احتياجاته الشخصية[1].

إلا أنّ بعض السـلاطين والأمراء كانوا يتقاعسـون عن سـداد تلك القروض، بما يؤدي إلى اسـتياء تجار الكارم بسـبب ضـياع أموالهم[2]. وهذا ماحدث في سـنة 737هـ/ 1336م، عندما تغاضى السلطان الناصر محمد عن دينه لتجار الكارم البالغ ألف ألف درهم. وبعد ثلاث سنوات أي في سنة 740هـــ/ 1339م، طالبوا السلطان بوفاء دينه لهم، لكنه عجز بدايةً عن السـداد حتى نصـحه ناظر الخاص بأيفاء جزء منها وإهمال الجزء الآخر، مع رفع قيمة الدينار من أجل تقليل المبالغ المدفوعة، وبذلك لا يتكلف السلطان نفسه المبلغ الذي اقترضه[3].

بمـا أنّ النـاس على دين ملوكهم، فلم تعد عمليـة الاقتراض من الكـارميـة مقتصـرة على السـلاطين، بل تعدتها إلى ولاة المماليك في مصـر، فقد أقترض والي القاهرة في عهد السـلطان لاجين (696 ـ 698هــــ/ 1296-1299م)، من تجار الكارمية اموالاً كثيرة[4] .

لم يقتصر اقتراض الحكام من الكارمية على سلاطين المماليك بمصر بل فعل حكام التكرور واليمن وبلاد الحجاز الشـيء نفسـه. فعندما حضـر منسـا موسـى ملك بلاد التكرور إلى مصر سـنة 725هـــ/ 1325م، ونفذ ما معه من ذهب استدان هو ومن معه من التاجر الكارمي سـراج الدين بن الكويك لموصـلة رحلته للحج ثم استرجعه ابنه محمد بن سراج الدين وعاد إلى مصر بأموال أبيه[5].

أمّا سلطان اليمن فكان يلجأ إلى تجار الكارم إذا ما دعته الحاجة إلى المال[6]. ففي سنة 752هـ/ 1351م، وقع أسيراً بيد سلطان مصر الناصر حسن أبو المحاسن بن الناصر محمد (755-752هـــ/ 1351-1354م) الذي طلب فديته أربعمائة ألف دينار، فسـعت والدته لاقتراض المبلغ من تجار الكارم بعد أنّ قدمت لهم الضـمانات اللازمة، وبعد أنّ أطلق سـراحه أوفى تجار الكارم أموالهم[7]. ولأسـباب عدة، عمد أمراء الحجاز إلى سياسة الاقتراض من تجار الكارم، فقد اقترض أمير مكة في سنة 756هــــ/ 1351م، من تجار الكارم مالاً ليشـتري به المماليك وليجهزهم بالخيل والسلاح[8].واقترض أحد أمرائها مالاً في سنة 789هـــ/ 1387م، من تجار الكارم

(1) المقريزي، السلوك، ج2، ص488؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص131 .
(2) الحجي، حياة ناصر، أحوال العامة في حكم المماليك، الكويت – 1984، ص263.
(3) المقريزي،السلوك، ج2، ص488؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9،ص131
(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص431، ج2، ص204.
(5) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص431،ص432؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2،ص405.
(6) المقريزي، السـلوك، ج2، ص93، ص915؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص49، ص50؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص89، ص117؛ ج10، ص229، ص230.
(7) المقريزي، السلوك، ج2، ص831، ص832؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص118، ص119؛ لابدوس ، مدن إسلامية، ص192.
(8) المقريزي، السلوك، ج2، ص852؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص265.

لتجهيز حملة لإنهاء تمرد في جدة[1]. ويذكر لنا السخاوي أنّ التاجر الكارمي حسن بن محمد المعروف بالطاهر اقرض الكثير من أمراء بلاد الحجاز[2].وتروي المصادر أيضاً أنّه في سنة 823هـ/ 1420م، أقترض شريف مكة من تجار الكارم مبلغا لخدمة الحجيج[3]. ولا ندري هل أوفى هؤلاء الأمراء بقروضهم أم لا، إذ لم نعثر في المصادر على ما يفيد تسديدها[4].

ومن الجميل الإشارة هنا إلى أنّ تجار الكارم قدموا قروضا لتجار آخرين. ففي سنة 687هـ/ 1287م، أقرض التجار الكارمية تجار بلاد الشام وذلك عندما حجز السلطان الناصر محمد على بعض تجار دمشق في القاهرة وألزمهم بدفع غرامة كبيرة ورفض إطلاق سراحهم إلاّ بعد الدفع، ولما كانوا لا يملكون المال المطلوب، قدم لهم تجار الكارم، بموافقة السلطان قروض ضمان بالمبلغ على أنّ يردوه بعد عودتهم لبلادهم موثقة من قبل القاضي بمصر خوفاً من أنّ لايؤدوا ما أخذوه بعد عودتهم [5].

من ناحية أخرى، نجد لهم إسهامات جيدة فيما يتعلق بالقضايا والأمور العسكرية، فمنهم من هيأ أعداداً من الجنود وقدمها للدولة، أو قدموا الأموال والسلاح لرفد ميزانية الجيش وتوفير مستلزماته في جهاده ضد الصليبيين والتتار. ومن هنا كان لهم مشاركة طيبة في تحمل التكاليف الحروب، ولاسيما بعد أنّ جنوا ثمار سياسة مصر التجارية لحمايتهم، طوال عصر المماليك[6]. فرحالتنا ابن بطوطة يروي أنّ التاجر الكارمي ابن رواحة، كانت له قاعات مملوءة بالسلاح بالإسكندرية، تمكنه من تجهيز المئات من الرجال وقت الحاجة، وإنّه يوجد بالمدينة ((قاعات على هذه الصورة لكثير من تجار الكارم)) [7]،وأنفق التاجر الكارمي، ابراهيم بن عمر المحلي من ماله لأعداد قوة بالإسكندرية لمطاردة القراصنة الذين يهددون السواحل في سنة 805هـ/ 1402م[8].

على العموم يبدو أنّ سلاطين المماليك كانوا لايترددون في الاقتراض من تجار الكارم كلما دعت الحاجة إلى ذلك. هذا من جهته ومن جهة أخرى فقد اعتبر تجار الكارم أنفسهم مسؤولين إلى حد كبير عن حماية الدولة وبقائها والمحافظة

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص7؛ الفاسي، العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد السيد ، مصر -1324، ص326؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص249 .
(2) الضوء اللامع،ج3، ص127.
(3) الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص525؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص309.
(4) لابدوس، مدن إسلامية، ص193.
(5) المقريزي، السلوك، ج2، ص739.
(6) لبيب، التجارة الكارمية، ص28؛ Atyia, The Crusades , P. 40,41, 115, 175.
(7) تحفة النظار، ص13، ص45، ص46؛ لابدوس، مدن إسلامية، ص200.
(8) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص608، ص641.

على اســـتقرار أمنها، فكانوا يقدمون المال والســـلاح للدفاع عن البلاد وهدفهم من ذلك ليس درأ الخطر عن بلادهم فقط وإنما حماية مصالحهم وازدهار تجارتهم.

5. نظام مصارف الودائع والتسليف

عرف تجار الكارم نظام المصـــارف والودائع والتســـليف على ودائع عينية، وكانوا يلجأون إليه إذا احتاجوا إلى أموال إضـــافية لتجارتهم[1].وقد اتخذت هذه المصـــارف من الفنادق مراكز لنشـــاطها المالي، والمقريزي يؤكد ذلك في معرض حديثه عن فندق بلال بقوله ((مابرح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال ولقد كنت إذا أدخل فيه، فإذا بدائرة صناديق مصطفة، مابين صغير وكبير ولا يفصـل عنها من الفندق غير مســاحة صـغيرة بوســطه، وتشــتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه)) [2]. وذكر في موضع آخر ((أنّ فندق بلال كان مصـرفاً للودائع)) [3] فضـلاً عن اسـتخدامه للسـكن فانه كان يؤدي وظائف مصرفية.

6. السندات المالية المحوّلة للغير

وهي من الأنظمة المالية التي ازدهرت بزيادة النشاط التجاري. كانت تتم عن طريق التحويل بالمســتندات المالية المؤجلة الدفع لآجال طويلة أو قصــيرة[4]، وقد تكون مقسطة، وردها على أقساط يتطلب اسـتخدام الصـكوك المصـرفية المعروفة باسم السفتجة أو الحوالة[5]. هذه الطريقة المالية فضلاً عن صفتها المصرفية كانت تُعدّ من الطرق المأمونة لحفظ المال من الضـياع أو المصـــادرة[6]، وقد اســتخدمها

(1) Fishcel , Jews in the Economic Life , P. 21-26.

(2) الخطط، ج2، ص92.

(3) ن.م، ج2، ص150، ص151.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص332.

(5) السفتجة أو الحوالة: إحدى وسائل الائتمان المالي والمصرفي التي سادت إلى جانب التعامل بالعملة النقدية. وهي تعني أنّ تعطي مالا لتاجر له مال في بلد يريد أنّ يســـافر إليـه، فيـأخـذ منـه خطـاً أي ســـفتجـة لمن عنـده المـال في ذلـك البلـد، وبموجبها يعطي الأخير، مال بنفس قيمة المبلغ المكتوب في السفتجة وهو الذي سبق وأن دفعه قبل الســـفر. وقد ظهر هذا النظام لأول مرة في العراق، والحجاز، وخلال القرن 3هــــــ/ 9م، أصــبح التعامل في الأســـواق أو دفع الديون ليس بالنقود وأنما بالســفتجة. كان الهدف من اســتعمالها هو نقل النقود من مكان لأخر بدون تعرضـــها لمخاطر الطريق، كما أتاح نظام الســـفتجة تحويل الدين من شـــخص لآخر وتصـــفية الحساب بينهما. وأصبح من الممكن تصفية الحساب بين مدن وأقاليم مختلفة من دون الحاجة إلى نقل النقود والبضائع. وكان بإمكان التاجر أنّ يقترض سفاتج من بيت المال ليشـتري بها بضـائع من مكان ما ثم يدفع ما أقترضـه إلى بيت مال آخر. أمّا موعد دفع السـفتجة فيكون بحسـب الاتفاق بين الأطراف، فمن الممكن صرفها في الموعد المحدد على دفعة واحدة أو على شـــكل دفعات. ووصـــل نظام التعامل بالســـفاتج إلى أفاق اقتصـــادية ومالية بدخوله إلى ميدان الاحتكار والمنافســـة. والتأثير على التعامل في أسواق النقد. الكبيسي، دراسات في تاريخ الاقتصاد، ص164-166.

(6) ظاظا، اليهود، ص13.

تجار الكارم في معاملاتهم المالية والتجارية في مختلف البلاد كمصـــر واليمن وبلاد التكرور[1]. ويبدو أنّ تجار الكارم لجأوا إلى هذه العمليات بكثرة، لإمكانية اســـتثمار جزء كبير من رؤوس أموالهم في التجارة، وذلك بتحويل التاجر ما عليه من دين تجاري إلى شـــخص آخر، فيقوم هذا الأخير بدفعه نيابة عنه[2].لذا ســـاد التعامل بالسـندات المالية باعتبارها أفضـل الوسـائل لحماية أموالهم من المصـادرات التي انتشرت في مصر المملوكية بسبب حاجة سلاطين المماليك إلى الأموال[3].

7. شركات التوصية

فضـــل تجار الكارم اتباع نظام الشـــراكة[4] في التجارة،كنوع من الحماية وتفادي الأخطار ممّا يزيد فرصـة المتاجرة والربح لذا اشـترك التجار معاً في تمويل التجارة برؤوس أموالهم، واشـتركوا في الإدارة والسـفر والإقامة بحيث يتحمل كلّ شريك نصيبه في الخسـارة كباقي الشركاء[5].ويتلخص هذا النظام في أنّ يقوم أحد أصـحاب رؤوس الأموال بإمداد التاجر الذي يسـافر في رحلة تجارية طويلة باهضـة التكاليف بمبلغ من المال يتفق عليه فضلاً عن رأس ماله الأصلي، على أنّ تكون له حصة نسبية في الأرباح يتفق عليها، بعد خصم الأجور ومصاريف التشغيل[6]. كان نصـــيبه في البداية ربع المكســـب[7]، ثم وصـــل إلى الثلث ثم أصـــبح مناصـــفة بين الطرفين[8]. ويعتبر رأس المال هنا أمانة لدى التاجر الذي هو في الوقت نفسه وكيل صـاحب رأس المال[9].وعقد الوكالة بينهما غير ملزم يسـتطيع أحدهما أنّ ينسـحب من الشـراكة بعد حصـوله على حقوقه، وأحياناً ينص العقد على أنّ يكون الربح أو الخســـارة كلها لصـــاحب رأس المال، والشـــريك هنا ليس ســـوى أجير بالراتب أو

---

(1) ابن حجر، الـدرر الكـامنـة، ج4، ص405؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص271، ص272.
(2) سالم، اقتصاد مصر، ص132.
(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص132.
(4) الشــراكة: عقد بين أثنين أو أكثر للقيام بعمل مشــترك والشــريك المشــارك غيره في التجارة ونحوها. مدكور، ابراهيم، المعجم الوجيز، القاهرة – 1993، 342.
(5) انتشـر نظام شـراكات التوصـية في مدن شـرق البحر المتوسـط. كولتون، ج.ج، عالم العصـور الوسـطى في النظم والحضـارة، ترجمة: جوزيف نسيم، الإسكندرية- 1967، ص298-ص299؛ فيثر هربرت، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، القاهرة – 1945، ص125.
(6) عبد النبي، مصر والبندقية، ص154 .
(7) Postan,Op. Cit., P. 49-50.
(8) Ibid. , P.53.
(9) كان صغار التجار تغريهم مكاسب تجارة الكارم فيسهمون فيها بمبالغ بسيطة ويوكلون عنهم من يسـافر ويتاجر لحسـابهم متقاسـمين معه الربح والخسـارة. جويتن، دراسـات في التاريخ الإسلامي، ص258.

العمولة [1]، أمّا في حالة تعرض التجارة للخسارة، لأي سبب كغرقها في البحر أو هجوم القراصنة، هنا توزع الخسارة بنسبة الثلث على التاجر المسافر ويتحمل صاحب رأس المال الثلثين، وقد استمر تجار الكارم في استخدام هذا النوع من النظم حتى انهيارهم[2].لم تكن العمليات التجارية بالشراكات والعقود مقصورة على تجار الكارم فيما بينهم، بل شملت كذلك تجار الكارم والأجانب، وكان تجار الكارم أنفسهم أحيانا وكلاء لشراكات ووكلاء بالعمولة، والمشاركة في الأرباح. ومن أمثلة هذا عقد شراكة بين تاجر كارمي وتاجر أجنبي نُص على أنّ يكون ثلاثة أرباع الربح للتاجر الكارمي والربع للأجنبي. ونستشف أمر هذه الشراكة ممّا رواه المقريزي وأبن حجر عن شراكة مقارضة أو مقايضة، بين تاجر كارمي وتاجر أجنبي بلغ رأس المال الذي قدمه الكارمي حوالي عشرين ألف دينار أمّا تشغيل المبلغ فيقوم به التاجر الأجنبي. وكان رأس مال تلك الشراكة قد استخدم في عملية مقايضة تمت بين التاجر الكارمي والأجنبي والسلطان الذي كان مديناً بمبلغ ستة عشر ألف دينار لذلك الأجنبي الذي كان بدوره مديناً للتاجر الكارمي بمبلغ عشرين ألف دينار، فدفع الأجنبي أربعة آلاف دينار، وأحيل الكارمي على السلطان ليسترد باقي رأس ماله فيما بعد وهو ستة عشر ألف دينار[3].

عرَفَ تجار الكارم نوعاً آخر للشركات، يضم أعضاء الأسرة الواحدة الراغبين في الاشتراك برؤوس أموالهم في التجارة، كما ضمت في أحيان أخر من لهم علاقة ما بالأسرة عن طريق المصاهرة أو حتى أغرابا. ويشارك قسم منهم برؤوس الأموال والقسم الآخر بالجهد، فيكون الربح ثلاثة أرباع لصاحب رأس المال والربع لمن شارك بجهده، وبمرور الزمن كان الشريك الذي يدخل بجهده في العملية التجارية لايسحب نصيبه من الربح فيصير مبلغاً ضخماً ممّا يتيح له الاشتراك برأس مال أكبر. ويستطيع أصحاب رؤوس الأموال من تجار الكارم أنّ يشتركوا في عدة شراكات برؤوس أموال مختلفة، لأنهم يعتقدون أنّ وضع رأس المال كله في صفقة واحدة يعد مخاطرة، لذا نرى التاجر الكارمي يوزع رأس ماله على عدة شراكات لضمان عدم ضياعها كلها. من ناحية أخرى نجد تجار الكارم يحرصون على إرسال سفنهم في أسطول واحد وتحت حراسة واحدة ليسهل الدفاع عنه ضد القراصنة[4].

ويعود الفضل إلى تجار الكارم في مثل هذه الأعمال المالية والمصرفية التي كانت تقوم بينهم مع السلاطين المماليك والتجار الأجانب في مناطق كالبحر الأحمر

---

(1) الجزيري، عبد القادر بن محمد الأنصاري، تاريخ الفقه في المذاهب الأربعة، ج1، القاهرة – 1935، ص43.

(2) Postan,Op., Cit., P.53

(3) لمزيد من الاطلاع حول تفاصيل هذه الشراكة، يُنظر: السلوك، ج1، ص103، ص104؛ الدرر الكامنة، ج1، ص430، ج2، ص104 .

(4) أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص130.

والبحر المتوســـط وبلاد الحجاز واليمن وبلاد الشــــام وغيرها[1]. هذه العمليات التجارية ساهمت كثيراً في تطور تجارة الكارم وشاهداً على مدى الثقة والأمانة في العمل ســـواء فيما بينهم أو مع التجار الأجانب[2]، فهم أرباب المال والأعمال المصرفية في الشرق في العصور الوسطى[3].

8. الزكاة على أموال ومتاجر الكارم

إلى جانب الضـــرائب التي كانت تؤخذ من تجار الكارم، كان هؤلاء يقومون بدفع الزكاة على أموالهم ومتاجرهم إذا حال عليهم الحول، الواردة إلى مصـــر أو الصادرة منها[4].

وزكاة عروض التجارة هي ربع العشــر، بشــرط أنّ تبلغ قيمتها نصـــاباً من الذهب والفضـــة، وأن يحول عليها الحول[5]، وتحدث القلقشـــندي عن زكاة الذهب والفضـــة التي تفرض على تجار الكارم بقوله ((إنّه كان يؤخذ على كلّ مائتي درهم خمســة دراهم، ثم إذا اشــترى التاجر بهذا المبلغ شـيئاً به ، نظير هذا المبلغ لايؤخذ منه شيء عليه حتى يجاوز سنة)) [6].

أمّا زكاة البهار التي يجلبها هؤلاء ويحول عليها الحول، فيذكر القلقشـــندي ((أنّه إذا كان بالبلد متجر لأحد من تجار الكارم من بهار وغيره وحال عليه الحول بالبلد أخذوا عليه الزكاة أيضاً ويجري ذلك جميعه مجرى سائر متحصل الإسكندرية في المباشرة وغيرها)) [7]. وبما أنّ قوانين الدولة تقضي أنّ يدفع تجار الكارم زكاة سـنوية في كلّ موضـع يتاجرون فيه على جميع ما معهم، فقد عينت صـاحب الزكاة الذي مهمته جمع الزكاة من تجار الكارم [8].

أمّا عن طريقة جمعها((فكان أعوان متولي الزكاة يخرجون إلى مذية أبي خصـيب وأخميم[9] وقوص لكشـف أحوال المسـافرين من التجار وغيرهم فيبحثون

(1) لبيب، التجارة الكارمية، ص28؛ يعقوب ،جورج، أثر الشـــرق والغرب، ترجمة: فواد حسين علي، القاهرة – 1946، ص52.
(2) جويتن، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص290.
(3) المقريزي، السلوك، ج2، ص837، حاشية(3)
(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص457؛ ابن الحاج، المدخل، ج4، ص67.
(5) العروض: جمع عرض وهو ماليس بذهب ولا فضـــة. حســـن، ابراهيم حســـن، النظم المالية، ط1، مصر – 1939، ص278، ص279.
(6) صبح الأعشى، ج7، ص457.
(7) باستثناء الفاطميين الذين كانوا يحصلونها كلّ عشرة شهور، صبح الأعشى، ج3، ص457.
(8) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص172؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص20، ج5، ص457.
(9) أخميم : مدينة بصعيد مصر على الشاطئ الشرقي للنيل باتجاه سوهاج .الحموي ، معجم البلدان,ج1,ص123,البغدادي ,الإفادة ولاعتبار,ص177. وكانت منذ أيام الفراعنة قاعدة مدينة خمينو وفي عهد الرومان كانت تسمى باقوس وفي عهد العرب أصبحت قاعدة كورة الاخميمية واستمرت كذلك حتى آخر حكم دولتي المماليك، وفي

عن جميع ما معهم وما عندهم وتقوم طائفة من هؤلاء الأعوان وبأيديهم الأعمدة الطوال ذوات الأنصلة فيصعدون إلى المراكب ويجسّون بها على جميع ما فيها من الأحمال مخافة أنّ يكون فيها شــيء من بضــاعة أو مال، فيبالغون في البحث والاستقصاء بحيث يقبح فعلهم)) [1].

وحرص سـلاطين المماليك على تحصـيل الزكاة من تجار الكارم، ففي سـنة 657هـــ/ 1259م، اخذ السلطان قطز ثلث زكاة الكارم معجلاً لحاجته للمال بسبب حربه ضد التتار[2].

وفي سنة 665هـ/ 1266م، استخرج السلطان بيبرس الزكاة من تجار الكارم بسواكن[3]. وفي سنة 666هـــ/ 1267م، ورد من المدينة المنورة من تجار الكارم مبلغ عشـرة آلاف درهم زكاة على مائة وثمانون حملاً إلاّ أنّ السـلطان بيبرس ردها لأنها قليلة، وبعث معهم شادين لاستخراج ذلك[4].

وقد كان تجار الكارم يقومون بدفع زكاة أموالهم ومتاجرهم عن رضـــى تام في مقابل ما كانت الدولة تقدمه لهم من خدمات، على عكس الضــرائب التي كانوا يدفعونها في الموانئ المصـرية، فهم يدفعونها من دون مقابل بقصـد تغطية النفقات العامة[5].

9. الموازين

تعددت وتنوعت الأوزان العربية الإســلامية وكان للكثير منها مجالات معينة قد لا تستخدم في غيرها من المواد، وفيما يخص موضوعنا تُبرِّز مصادرنا القديمة أوزاناً محددة استخدمت في مصر أو غيرها من المناطق التي عمل بها وتاجر معها الكارمية. يأتي في مقدمتها القنطار[6]. والمستخدم منه في مصر هو القنطار الفلفلي

العهد العثماني أصــبحت أخميم إحدى مناطق مركز ســوهاج في الصــعيد. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص330.

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص175 .

(2) اليويني، موســى بن محمد بن أحمد، ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد – 1961، ج1،ص373، ص374؛ ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص213؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص96، ص97.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص558.

(4) المقريزي, ن.م، ج1، ص564.

(5) محمد ، قطب ابراهيم، النظم المالية في الإسلام، القاهرة – 1980، ص31 .

(6) القنطار : وحدة وزن ويســاوي 100 رطل وإذا أطلق القنطار على الذهب يســاوي 42.33 كغم ذهب، ويســتعمل في بلدان العالم الإســلامي بأوزان مختلفة، للقنطار فكان في مصر خمسة أنواع من القناطير. هنتس، المكاييل والأوزان، ص40.

للبهارات والتوابل وما شاكلها[1]. كما استخدم الرطل الفلفلي[2] لوزن الفلفل، وهناك رطل لوزن الحرير وآخر للعنبر، فكانت كلّ بيعة حريرٍ أو عنبرٍ تساوي عشرة أرطال مصـرية[3].وقد اختلفت قيمة الرطل من مكان إلى آخر، حيث قال ابن الأخوة ((أنني لم أسمع أنّ بلدة وافق رطلها لبلدة أخرى إلا نادرا)) [4].

أمّا في حالة المواد الخام فكان يجري التعامل بالكوريا [5]، ويســتخدم القبان في وزن السلع الثقيلة [6]. أمّا المعادن فكان يتم التعامل بالفارزولد[7]، وكان يشترط في ميزان الذهب والفضـــة وان تكون كفتها خفيفة ومســـاميرها من الفولاذ[8]. أمّا عيارات الوزن فكانت تتخذ من الحديد وأحياناً من الحجارة على أنّ تكســـى بالجلد لحمايتها من التآكل ثم تختم في دار العيار[9]. وحذرت بعض كتب الحسـبة من اتخاذ هذه العيارات من بعض أنواع الخضـــروات والخشـــب[10]. وكان الإشـــراف على الموازين من اختصاص المحتسبة، وتصنع في دار العيار الذي أنشئت منذ العصر الفاطمي وظلت كذلك طوال العصــر الأيوبي والمملوكي[11]. أمّا وحدة القياس فكان الذراع، الذي يتعامل بها في التجارة ومن المهم جداً الإشارة هنا، إلى أنّ سلع الكارم كانت توزن بدقة فصـيارفة قاليقوط مثلاً كانوا يسـتخدمون موازين في غاية الصـغر حتى أنّ وزن الصندوق الذي توضـع فيه هذه الموازين مع الموازين نفسـها لا يزيد

---

(1) وقد كان يسـتعمل بصـورة رئيسـة في الإسـكندرية ويسـاوي 100 رطل أي ما يعادل 45كغم . هنتس، المكاييل والأوزان، ص40.

(2) الرطل الفلفلي: الرطل العادي يســـاوي 37.2076غم . هنتس، المكاييل والأوزان، ص31. أمّا الرطل الفلفلي كوحدة وزن يختلف من مكان إلى آخر، فقد كان في مصــــر يساوي 449,28 غم . هنتس ، المكاييل والأوزان، ص32 .

(3) . Ashtor,. Spice Price, P. 30.

(4) ابن الأخوة، معالم القربة، ص79 .

(5) الكوريا : مشــتقة من كلمة Kauri الســـنســـكريتية وتعني عشـــرين وكان يطبق اســـتخداماتها على بالات البضـــائع التي تتبادل بالقطعة التي تحتوي على هذا العدد . عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص251.

(6) ابن الأخوة، معالم القربة، ص86.

(7) الفارزولد: وحدة وزن تساوي 28 رطلاً . عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص251.

(8) ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص28.

(9) دار العيار : الدار التي تحوي على الموازين والمكاييل وهي دار خاصــة ، والمحتسـب فيها يطلب جميع الباعة الى هذه الدار في اوقات معينـة يحملون معهم موازينهم ومكاييلهم ليتأكد بنفسه من ضبط عيارها، فان وجد فيها خلل صادرها والزم صاحبها باصلاحها أو شراء غيرها ، بقيت هذه الدار في مصر طوال عهد الفاطميين والايوبيين والمماليك . المقريزي ، الخطط ، ج1، ص464 .

(10) ابن الحاج، المدخل، ج3، ص84؛ ابن بســام نهاية الرتبة في طلب الحسـبة ، ص29، ص30.

(11) المقريزي، الخطط، ج2، ص343.

على نصف أوقية[1] ، وهي من الدقة بحيث أنّ شعرة واحدة من شعر الإنسان كانت تحرك الميزان. يعتقد أنّ هذه الموازين كانت تســتخدم في حالات الذهب والفضــة والجواهر. أمّا في حالة التوابل[2] فكان يتم التعامل بالبهار الذي اكتسب أهمية كبيرة في التجـارة العـالميـة للتوابـل وفي البلـدان المحيطـة بـالخليج العربي والمحيط الهندي[3].

10. النظم الضريبية المستعملة في مراكز تجارة الكارم [4]

كان لكل ميناء نظامه في تعامله مع التجار والسفن الواردة إليه، وكانت هذه النظم تتأثر سـلباً وإيجاباً بمدى تشـجيع الحكام للتجارة والتجار، فقد قامت الموانئ بدور الأسـواق إلى جانب كونها أماكن تصـدير واسـتيراد. وقبل الخوض في الحديث عن أهمها والإجراءات الضـريبية التي كانت مطبقة بها، لابدّ من الإشـارة إلى نقطة مهمة عن الضــرائب التي كانت تفرض على ســلع الكارم ســواء في الأراضــي المصرية، أو المناطق الخاضعة للإدارة المصرية، وهي أنّ كثيراً من هذه الضرائب لم تفرض في عصر سلاطين المماليك ولم تكن من صنعهم، بل كان بعضها موروثاً من العصـور السـابقة وبعضـها اسـتحدث في عصـر المماليك، وهذه الأخيرة لم تتبع نظام ثابت في تقدير هذه الضرائب[5]. بل كانت تزيد أو تنخفض بحسب حالة السوق والوضـع السـياسـي أو تشـجيعاً للتجارة [6]. مع العلم أنّه إذا صـادف دخول التجار ببضائعهم إلى الموانئ مع دخول الأمراء فإنّهم يعفون منها[7].

(1) الأوقية: وحدة وزن تســاوي 12 درهماً وهو ما يعادل 37.5 غم . هنتس، المكاييل والأوزان، ص19 .

(2) ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، ج1 ، ص147، ص148.

(3) هنتس، المكاييل والأوزان، ص21 .

(4) من المهم الإشــارة هنا إلى أنّ نصــوص مصــادرنا القديمة لاتشــير إلى فرض هذه الضــرائب على تجار الكارم تحديداً، بل هي تفرض على كلّ التجار. وبما أنّ التجار الكارمية كانوا يتاجرون مع مختلف المناطق وهم من أشــهر التجار وأغناهم، لذا فمن المؤكد أنهم خضعوا لدفع هذه الضرائب شأنهم شأن بقية التجار .

(5) أحمد، الحضارة الإسلامية، ص150 .

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص459-ص460؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص121، ص123، 124.

(7) ابن طولون، شمس الدين محمد الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى زيادة،م1، القاهرة – 1964، ص268.

ففي العصـــر الفاطمي، كان هناك ضـــريبة تعرف بالمكس[1] فرضـــت على متاجرهم الواصـــلة إلى الموانئ التي كانت تتراوح ما بين 10-25٪ من قيمة المادة أو أكثر في كلّ مينـاء[2].وســـوف نتعرض هنـا إلى أهم هـذه المراكز والإجراءات الضرائبية التي كانت متبعة على سلع الكارم منذ استيرادها من موطن انتاجها والى تصـــديرها إلى أوربـا. ويـأتي في مقدمتها موانئ الســـاحل الأفريقي الشـــرقي كمومباسـا[3] التي كان سـلطانها يتقاضـى في أواخر القرن 9هـــ/ 15م, مثقالاً من الذهب على كلّ ألف قطعة من القماش كضــريبة دخول[4]. وفي كلوة[5] كان على أي تاجر يريد المتاجرة في المدينة أنّ يدفع ضريبة استيراد مقدارها مثقال[6] من الذهب على كلّ 500 طول من القطن المســتورد، ويأخذ ســلطان كلوة ثلثي الســلع المســـتوردة، على حين يبقى للتجار الثلث الباقي، وأذا مضـــى التاجر مبحرا إلى سفالة[7] لكي يشتري مايريده من الذهب والعاج، يتعين عليه أنّ يدفع لوكلاء سلطان كلوة طولاً من القماش عن كلّ ســبعة أطوال يبيعها، وإذا عاد مرة أخرى كان عليه أنّ يدفع إلى سلطان كلوة 50 مثقالاً من الذهب عن المواد التي اشتراها، وإذا حاول التهرب من الدفع هذه المرة بعدم المرور بكلوة وذلك بالتوقف في مومباسـا، قبل أنّ

(1) المكس: وجمعها مكوس، وهي نوع من الضــرائب فرضــت على التجار في الجاهلية، والكلمة مشــتقة من اللفظ الســرياني ماكســو. جرو همان، أدولف أوراق البردي العربية، ترجمة: حســن ابراهيم وآخرون ، القاهرة – 1934 سـفر3، ص3. والماكس هو العشار ويقال له صاحب المكس. المقريزي، الخطط، ج3، ص197. وألغاها الكثير من الأمراء في العديد من المناســبات كان معظمها بمناســبة اعتلائهم العرش ولكنها أعيدت فيما بعد وهي حقيقة تشـير اليها كتابات مؤلفي الحوليات الذين يذكرون إلغائها عدة مرات، وقد قللت هذه الضـرائب إلى حد كبير أرباح صـغار التجار والصـناع وجلب إلغائها الخلاص المؤقت لهم. أشــتور، الحياة الاقتصــادية، ص279. وكانت تؤخذ من الثغور البحريـة والبريـة على التجـارة على حـد ســواء . المقريزي، الخطط، ج1، ص103، ص110،؛ ج2، ص121، ص124؛ القلقشـــندي، صـــبح الأعشـــى، ج3، ص418، ص471.

(2) فييت، المواصلات في مصر، ص30؛ حسن، ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، القاهرة – 1939، ص423.

(3) مومباسـا: مركز قديم مهم للسـفن المارة إلى سـفالة، والعائدة منها والقادمة من غرب الهند وماليندي والذاهبة إلى جزيرة زنجبار والى بلاد العرب. جيان، وثائق تاريخية وجغرافية، ص319. وتقع مومباســا في دولة كينيا الحالية وهي ذات ميناء رئيس ضخم والمنفذ الوحيد لمتاجر أوغندا حالياً . عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص304.

(4) Davidson , B. , The African Past, U.S.A - 1946, P. 137.

(5) كلوة : تقع داخل حدود تنزانيا الحالية وجنوب مومباســا. عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص168. وكانت مهنة أهلها الرئيسـة التجارة وصـيد السـمك، Freeman, G., The Medieval History of the Coast of Tanganyika, Berlin – 1962, P. 196.

(6) يزن المثقال في موزنبيق 4.41غم، وفي ســفالة 4.83غم في القرن 10هـــــ/ 16م. هنتس، المكاييل والأوزان، ص18.

(7) سفالة : هي دولة موزمبيق الحالية. عثمان، تجارة المحيط الهندي، ص169، ص301 .

يبحر عائداً إلى الهند، يتعين عليه دفع ضـريبة أخرى إلى سـلطان مومباسـا، أمّا إذا كان معه ما يفيد بدفع تلك الضرائب في كلوة فإنّه يعفى من دفعها في مومباسا [1].

وفي مراكز الهند وجنوب شـرق أسـيا كقاليقوط مثلاً، كان مراقبو السـلطان يصـعدون إلى السـفن ويسـجلون ما فيها من بضـائع، وكان من مسـؤولية موظفي الميناء حماية البضائع، وإذا تمت عملية البيع يحصل المراقبون ربع الكمية المباعة للسلطان[2].

وفي خانقو بالصين، كان مفتش الضرائب يقوم بفحص حمولة السفن وتقدير الضرائب عليها التي كانت تصل إلى 10٪ من اللؤلؤ والكافور وسائر الأشياء القيمة وعادة ما تؤخذ عيناً، أمّا الأخشاب العطرية والعاج والصمغ فكان يؤخذ عليها بنسبة 30٪ وعموماً فقد تراوحت هذه الضرائب ما بين 10٪ إلى 40٪ [3].

أمّـا في جنوب الجزيرة العربيـة فـاعتبرت مدينـة عدن أكبر محطـات التبـادل التجاري بين عوالم البحر الأحمر والمتوسـط والمحيط الهندي وبقيت حتى سـنة 829هــ/ 1425م[4]،آخر المطاف لسفن الهند والصين وأفريقيا. وكان لتجار الكارم في هذا الميناء مكانة مرموقة بين تجار الدول الأخرى[5].

اتبعت سلطات ميناء عدن نظاماً معيناً في التعامل مع السفن الواصلة، يصعد اليها أشـخاص يسـمون المباشـرون فيسـلمون على النـاخوذة، ويسـألونـه عن الجهة التي قدم منها ثم تكتب باسـماء مَن على المركب والمواد التي يحملها، لترفع بعدها إلى حاكم المدينة، ومن ثم يخضـع الرجال والنسـاء إلى تفتيش ذاتي دقيق، وكان عمال المرفأ يعمدون إلى نزع قلاع ودفة السـفن حتى يتم دفع الضـرائب المفروضـة على السفينة[6]. ولكي تمنع السلطات أي تاجر من الفرار بدين عليه كانت تمنعه من

---

(1) Davidson , B. , The growth of African civilization, London- 1967, P. 113; Davidson, The African Past, P. 138. ولم تذكر المصادر شيئاً عن فرض الضرائب في واحدة من أهم موانئ شرق أفريقيا وهي مقاديشـو التي تقع في دولة الصومال الحالية، التي تعد من أهم مناطق تجارة الكارم.

(2) صالح، تجارة البحر الأحمر، ص159.

(3) Choo, Ju, - Kua and Hirth, A New Source of Medieval Geography (Journal of The Royal Asiatic Society). London – 1969, P. 22, 27. ؛ يان ، تشـانغ زون ، الأتصـالات الودية المتبادلة بين الصـين وعمـان عبر التـاريخ، عمـان ، 1983، ص8-ص16؛ خـالد، ربـابنـة الخليج العربي، ص52.

(4) في هذه السـنة تحولت تجارة الكارم من عدن إلى جدة. أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص59، ص67.

(5) ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، نشـق الأزهار، مخطوط بدار الكتب المصـرية برقم 439 جغرافيا، ورقة 134أ.

(6) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص59، ص67؛ ابن المجاور، تاريخ المسـتبصـر، ج1، ص128، ص129.

العودة إلى بلاده، قبل أنّ يطوف أحد المنادين ليعلن أنّ هذا التاجر ســـوف يغادر الميناء، فمن له دين عليه فليطالبه به، فإذا لم يظهر له دائن سمح له بالرحيل[1].

وكانت القاعدة في تحصيل الضرائب هي أخذ العشر من البضائع التي يأتي بها التجار من عدن إلى الموانئ المصـــرية[2]. وكانت الضـــرائب على الفلفل تبلغ حوالي ثلث ثمنها[3]، وعادة ما تبقى هذه الضـــرائب كما هي طالما بقيت العلاقة بين مصر وحكام اليمن يسودها الوئام.

حرصــت مصــر على تنمية العلاقات الطيبة مع اليمن من أجل تســهيل عبور التجارة في البحر الأحمر[4].غير أنّ تلك الصلات لم تستمر خصوصاً بعد أنّ أعلنت عدن منع السفن المارة من التوجه إلى جدة[5]، بل وإساءة معاملة التجار في ميناء عدن، إذ كانوا يأخذون منهم أكثر أموالهم[6]،ومنعوهم بالقوة من الإبحار بســـلعهم إلى موانئ مصـــر[7]. كلّ هذا أدى إلى تهرب التجار منها وتحاشـــي الرســـو بها[8]. الأمر الذي ادى إلى الإضرار بمصلحة مصر التجارية، ونظراً لأهمية البحر الأحمر لتجارة الشرق والغرب بصفة عامة، أجبر السلطان برسباي حكام اليمن على التعهد بعدم التعرض للسفن الهندية وترك حرية الرسو لها في الموانئ التي تختارها[9]. بل وصل الأمر إلى أنّه فرض حصاراً اقتصادياً على ميناء عدن حتى يقضي عليه تماماً، وتمثل هذا الحصار في المرسوم الذي أصدره برسباي 838هـــ/ 1435م، الذي يقضي بمضاعفة الضرائب على السلع الواردة من عدن مع التجار المصريين أو الشاميين ومصادرتها إذا كانت مع تجار يمنيين[10].

أمّا مراكز البحر الأحمر، فأشـــهرها ميناء عيذاب، التي كانت مركز تجمع تجار الحبشة واليمن[11].ومنذ العصر الفاطمي بلغت نسبة الضرائب المفروضة على البضائع الواصلة إلى عيذاب ما بين 10-25٪ [12]. أمّا في العصر المملوكي فقد كان

---

(1) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص59، ص67.
(2) السليماني، العلاقات الحجازية، ص212.
(3) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج1، ص138، ص139.
(4) عبد النبي، مصر والبندقية، ص116.
(5) يعود سبب تدهور العلاقات إلى تحدي حكام اليمن السلطة المملوكية وذلك باعتراضهم السفارات الواصلة إلى عدن في طريقها إلى مصر ونهبهم الهدايا وقتل الرسل وقيامهم بتحريض أشراف مكة التي كانت تحت حكم المماليك على الخروج على طاعة سلاطين المماليك. أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص454.
(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص338.
(7) Heyd ,Op. it., T.2, P. 445.
(8) فييت، المواصلات في مصر، ص39 .
(9) المقريزي، السلوك، ج4، ص929.
(10) أحمد، بنو رسول وبنو طاهر، ص459.
(11) Depping , Op. Cit., T. 1, P. 52-54; Heyd, Op. Cit., T.2, P. 443 – 444.
(12) فييت، المواصلات في مصر، ص30 .

يتولى ميناء عيذاب والي معين من قبل سلاطين المماليك في مصر، ينظر في شؤون تحصيل الضرائب على تجار الكارم ويساعده في ذلك ناظر معين من قبل السلاطين أيضاً في سبيل أنّ يكون لهم نصيب في الإشراف على هذا الميناء لأهميته التجارية، وقد قسمت حصيلة الميناء السنوية بين السلطان وحاكمها بنسبة الثلث والثلثين على التوالي[1].

أمّا جدة فكانت ميناء مكة على البحر الأحمر. وهي أقصى ما تصل إليه سفن الصين والهند في البحر الأحمر[2]، إذ تقوم السفن المصرية بنقل السلع منها إلى الموانئ المصرية[3]. وقد حلت محل عدن كمركز تجاري بعد الإجراءات التي قامت بها عدن ضد السفن والسفارات الواصلة إلى مصر ومنع السفن التوجه إلى جدة[4]، عندها رحب سلاطين مصر بالتجار في ميناء جدة بعد أنّ تصدوا بنجاح لمحاولات حكام اليمن من بني رسول في عرقلة توجه السفن إلى جدة[5] .

لذلك استحدث السلطان برسباي نظارة جدة في سنة 828هـ/ 1424م ، وكان على متوليها جمع الضرائب على سلع الكارم وأهمها ضريبة الوارد البالغة 10٪ [6] وكانت تصل أحيانا إلى 15٪ في مجموعها، تدفع الـــ5٪ الإضافية، كأجور للناظر ومعاونيه من الشاد وشهود القبان والصيرفي[7]. وأحياناً أخرى كان يجري اتفاق بين السلطان وحاكم جدة كالذي حدث في سنة 829هـــ/ 1426م، على أنّ تكون ضرائب البضائع الواردة من الهند أو غيرها لحاكم جدة، نظير أنّ يدفع الأخير 100 ألف دينار سنوياً أو يقوم السلطان بمقاسمته[8].

جنى المماليك من تلك الضرائب مكاسب طائلة، فقد بلغ متحصل الضرائب المفروضة على المراكب الواردة إلى جدة بعد سنة 829هـــ/ 1426م، مائتي ألف دينار في السنة [9]. ولمّا تعارضت مصالح السلطتين المملوكية وحكام جدة في أحقية كلّ منهما في هذا المورد المالي[10]، الأمر الذي دفع أغلب التجار للعودة الى عدن في سنة 837هـــ/ 1344م، لذا اضطر السلطان برسباي الى التخفيف عنهم فأمر في سنة 838هـ/ 1434م، بالاكتفاء بتحصيل العشر فقط، وتشجيعاً للتجار عاد السلطان جقمق فأصدر في سنة 842هـ/ 1439م، مرسوماً آخر يقضي بعدم تحصيل

---

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص340.
(2) زكي ، طرق التجارة ، ص169، هاو ، في طلب التوابل ، ص134- ص145.
(3) Kemmerer . A., La Navigation des Arabs dams La Me range, Le Cairo-. 1929 , P.67,68
(4) أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ،ص454.
(5) المقريزي ، السلوك ، ج4 ، ص329.
(6) المقريزي ، السلوك ، ج3 ، ص365 ، ص371؛ الخالدي، الدرر الفرايد ، ص290 .
(7) المقريزي، السلوك، ج3، ص421؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص303.
(8) المقريزي، السلوك، ج3، ص365، ص371؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص14؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص611.
(9) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص14.
(10) المقريزي، السلوك، ج3، ص365، ص371.

أكثر من العشــر ((على أنّ يؤخذ صــنفاً لا مالاً من كلّ عشــرة واحد وبطلان ما كان يؤخذ سوى ذلك من رسوم المباشرين وغيرهم)) [1].

والملاحظ أنّه منذ بداية العصـــر المملوكي، عمل الســـلاطين المماليك على حماية تجار الكارم من الضـرائب غير الشـرعية التي تفرض عليهم في بلاد الحجاز التي أدت الى تقليص تجارتهم معها مع هذا كانت هذه الضرائب تعاد أو تلغى بحسب إرادة السلاطين الجدد أو طبيعة المستجدات [2].

وفرض سـلاطين المماليك الضـرائب على سـلع الكارم المارة في بدر وحنين وبويب وآيلة وجســـر الحســـاء؛ وذلك لتبعيتها للحجاز إذ كانت التجارة القادمة من الحجاز تدفع الضرائب قبل دخولها الى الموانئ المصرية[3].

أمّا في مصر فقد أنشئت عدة مراكز لتحصيل الضرائب في الطور والسويس والقصـير وبولاق والإسـكندرية ورشـيد والبرلس ودمياط ولكل واحدة منـها الأهمية نفسها[4]، فبعد اضمحلال دور عيذاب في المدة بين 760-780هـ/ 1358- 1378م، ويذكر مؤرخونا[5]، بدأ مينائي الطور والســـويس يحلان محلها، لذلك أقيم بالطور مركز لتحصيل الضـرائب لتجارة الكارم، وكان يصل الى الميناء في كلّ سنة حوالي 100 مركب بلغ مقدار تحصيلها حوالي 20 ألف دينار وذلك في أواخر القرن 9هـــ/ 15م،[6] وكذلك كانت السويس التي وجد فيها مقر للضرائب مهم عرف باسم رسوم عشـــور أصـــناف البهار والتوابل وكانت الضـــرائب المتحصـــلة منه تثري الخزانة المملوكية الى جانب ضرائب الإسكندرية ورشيد ودمياط والبرلس[7].وكانت القَصّير فرضـــة قوص، وكان ينزلها تجار الكارم وتفرض عليهم الضـــرائب التي يحصـــلها والي قوص وتعود بأكملها للسلطان[8].

---

(1) المقريزي، السـلوك، ج3، ص421، 480؛ الصـيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص303. المقصــود هنا برســوم المباشــرين الـــــ5٪ الإضــافية للناظر ومعاونيه، على أنّ هذا المرسوم كان فيه الكثير من الاحتيال فقد أبطل الـــ5٪ الإضافية التي تؤخذ مع العشر، لكنه عاد ليأخذها صـــنفاً وذلك بعد طرح مادتي النحاس والمرجان اثماناً لبضـــائعهم والزم التجار بالشـــراء، كما أنّه أمر القضـــاة بكتابة فتوى لجواز هذه الضـــرائب لكي يضــفي على تحصــيله لها الصــبغة الشــرعية. المقريزي، الســلوك،ج3، ص425، ص478؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص110، الصـيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص378 .

(2) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضـوع، ينظر: المقريزي، السـلوك، ج1,ص,581، ج2،ص888.

(3) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص108 .

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص466،ص469، ص471.

(5) المقريزي، الخطط، ج1، ص357؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص465.

(6) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص13، ص14، ص17.

(7) أباظة، أثر تحول التجارة العالمية، ص19.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص404.

وفي المراكز النيلية كبولاق في القاهرة، فإنّ النظام السـائد يقضـي بصـعود موظفي الميناء للمركب الواصل لتفتيشه مع ركابه[1]، وكانت الضرائب المفروضة على البضائع، محددة بــــ10-25٪ من قيمتها. فمثلاً كانت نسبة الضريبة تصل الى 4000 دينار عن ثمن بضاعة بــــ200 ألف دينار، والبضائع التي ثمنها 300 ألف دينار كانت ضــريبتها تبلغ 5000 دينار، هذا غير الهدايا التي كانت تدفع لرجال السلطان لإخراج البضـاعة وحمايتها [2].وفي الفسطاط أيضـاً استحصلت ضـريبة العشر على البضائع الواصلة اليها[3].

أمّا عن المراكز البرية، فعدّت قطيا مركزاً برياً مهماً لتحصـــيل الضــــرائب لتجارة الكارم، بعد أنّ حلّت محل الفرما، وصـار لها جهاز إداري يضـم والياً وناظراً وقاضياً وشـهوداً ومباشرين ودواوين في سنة 703هـــ/ 1304م، فأصبحت قطيا منطقة ضريبية للداخل الى مصر عن طريق بلاد الشـام والخارج منها، ونظمت لها السـلطة المملوكية إدارة مهمتها تحصـيل نسـبة من الضـرائب من تجار الكارم، ثم تقوم بتفتيش أمتعتهم ويفهم من القلقشـــندي أنّ تلك النســبة كانت تقدر بعشــر ما يحملونه[4] من أموال[5] وشكلت مبالغ الضرائب المتحصلة من مركز قطيا جزءاً من ميزانية السلطة المملوكية وخصصت جزءاً آخر منها للصرف على صيانة الجسور والخانات التي يستريح بها تجار الكارم[6].

أمّا عن مراكز البحر المتوســط، فقد اختصــت بالتعامل مع الســلع الواردة لأوربا والمصدرة منها[7]. وتأتي الإسكندرية في مقدمتها للتعامل المباشر بين تجار الكارم والأجانب. وقد زودت منذ سنة 767هـــ/ 1365م، بجهاز إداري يرأسه ناظر الإسـكندرية الذي يكون مسـؤولاً عن جباية الضـرائب على البضـائع الواردة، فضـلاً عن عدة موظفين رسميين من كشافين وقبانين وتراجمة وسماسرة، وذلك لتسهيل عمليات الشـحن والتفريغ واسـتحصـال الضـرائب وتخزين السـلع أو الإشـراف على

(1) المقريزي، الخطط، ج1، ص108، ص109؛ زكي، طرق التجارة، ص129.
(2) زكي، طرق التجارة، ص127.
(3) سعد، مصطفى محمد، الحسن بن محمد الوزان(ليو الإفريقي) أضواء على رحلته في بلاد السودان ومصر، مجلة جامعة القاهرة، ع1، 1970، ص41-ص65.
(4) صبح الأعشى، ج3، ص466 .
(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص925؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص39؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص516.
(6) عبد الحافظ، عادل، قطيا جمرك مصر الشرقي في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م37، 1990، ص55-ص70؛ الشـامي، عبد العال، مدن مصـر وقراها عند ياقوت الحموي، الكويت- 1981، ص58.
(7) Cahen, Clande , Douanse et Comerce Dans Les Portsmiditeraneen de L'Egypte Medievel 'dapres Le Minhaj d'al Malhzimi ,(The Journal of Economic and Social History of the Orient) , Leiden- 1964 , p. 217-414.

عمليات البيع والشراء، وزودت أيضاً بمجموعة من الحمالين والجمالين والمكاريين والمراكبية لخدمة تجار الكارم[1].

وكـان من جملـة الإجراءات المفروضـــة على الســـفن الواردة اليهـا نزع أشـرعتها ودفتها، حتى لاتتمكن من الرحيل إلاّ بعد دفع جميع الضـرائب على السـلع الواردة والصـادرة وإعطائها الإذن بذلك، ثم يسمح للتجار بالنزول حيث يتم تسـجيل اسمائهم وما يحملونه في ديوان القبان ليصير لهم حق المتاجرة في البلاد[2].

وكانت هناك عملية إشـــراف على المراكبية والحمالين أثناء نقل الســـلع والمحافظة عليها ضد السـرقات وهذا التزام نصت عليه المعاهدات[3] ويدفع التجار الأجانب العديد من الضـرائب أولها ضـرائب نظير دخول السـفن الميناء، ثم ضـريبة السماح لدخول المدينة وقدرها دوكة لكل تاجر، ثم ضريبة العبور وهي دوكتين على الشـــخص الواحد، ثم يدفع كلّ تاجر 2٪ على ما يحمله من مال وبضـــائع[4].وكانوا يدفعون ضـرائب الوارد بما يسـاوي 10٪ ويصـل أحياناً الى 25٪ من قيمة السـلع الواردة، وتنخفض الى 2٪ بالنسبة لسبائك الذهب الواردة، إذا أعطاها الإفرنج لدار السـكة لتضـرب فيها دنانير مملوكية[5]،وكان هناك إعفاء من ضـرائب الوارد على الجواهر والأحجار الثمينة والمعادن النقدية المباعة لدور الضرب[6].

إنّ دفع ضـرائب الوارد لم يكن يتم إلاّ بعد بيع البضـاعة الواردة الذي كان قد تم تسجيلها وقيمتها باسم صاحبها في دفاتر ديوان القبان، ومن ثم تكون المحـاسبة في آخر الموسم قبل رحيل السفن وتصدر بذلك المخالصة الضرائبية التي هي بمثابة التصـريح بالخروج من مصـر[7]، وكان ناظر الإسـكندرية هو المسـؤول عن جباية ضريبة الوارد[8].

أمّا ضـريبة الصـادر، فالتجار الأجانب يدفعونها بنسـبة 5٪ كقاعدة عامة[9]. فعليه أنّ يدفع عن كلّ خمســين حملاً خمســة أفرنتيات كرسـم إضـــافي على التوابل

---

(1) الشـيال، تاريخ مدينة الإسـكندرية، ص140؛ مؤنس، حسـين، أثر ظهور الإسـلام في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البحر المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، م4، ع11، 1951 ، ص51.

(2) زكي، طرق التجارة، ملحق رقم (18)، ص457؛ مكي، معاهدة تجارية، ص91.

(3) صالح، التنظيمات الحكومية، ص295.

(4) طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص281.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص464.

(6) اسكندر، نظام المقايضة، ص38 .

(7) زكي، طرق التجارة، ص445.

(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص416 .

(9) المقريزي، الخطط ج1، ص103 –ص111؛ ج2، ص121-ص124؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص409، ص410، ص468-ص471.

الصــــادرة من أي ميناء ولا يدفع هذا الرســـم إذا قلت الحمولة عن ذلك[1]، ويتولى جباية رسم الصادر ناظر الصادر[2].

وخلاف هذه الضـرائب على الوارد والصــادر، كانت هناك ضـرائب إضــافية أخرى تمثلت في ضريبة القبان التي لم يرد نص بمقدارها والسمسرة وقدرها 10٪ على الأعمال التجارية التي كانت تتم نقداً بين تجار الكارم والتجار الأجانب وتضعف عند التعامل بالمقايضة[3].وحق الترجمان الذي كان يدفع بعد شراء التوابل وهو 4٪ على الأعمال التجارية التي تتم بين تجار الكارم والتجار الأجانب[4].وحق القنصـــل ومقداره 4٪ من جملة البضـائع المتحصـلة على البضـائع الواردة والصـادرة لتجار دولته نظير قيامه بمرافقة تجارة مواطنيه[5].

ومع كلّ هذه الضـرائب وصـل المبلغ المتحصـل من إيرادات الضـرائب في الإســكندرية إلى ألف دينار يومياً، ممّا يعني أنّه كان يشـــكل مورداً مهماً لخزينة الدولة[6]. لكن مع سياسة الاحتكار التي اتبعها السلطان برسباي في سنة 832هـــ/ 1428م، هجر التجار الاسكندرية، فقد صـار حمل الفلفل فيها يباع بثلاثة أمثال ثمنه في القاهرة بســـبب الضـــرائب المفروضـــة عليها في الموانئ التي على الطريق، ويرتفع ثمنها أكثر من الضـــعف في مصـــر قبل إعادة تصـــديرها الى الموانئ الأوربية[7].

أمّا فيما يتعلق بكل من مدن رشــيد والبرلس ودمياط، فقد ســمح الســلطان الغوري في سنة 913هـ/ 1507م، للأجانب بالتردد عليها والمتاجرة فيها بعدما كان الأمر يقتصر على الإسكندرية. وكان نظام استحصال الضرائب في دمياط يشبه نظام الاســكندرية، أمّا ميناءي رشـــيد والبرلس فكانا يدخلان في اختصـــاص نائب الإسكندرية الذي كان يقوم بتعيين مندوبين من قبله لتحصيل الضرائب المقررة. [8]

أمّا مركز تحصـيل الضـرائب في بلاد الشــام ففي مقدمتها بيروت التي كانت تعد من أكثر مراكز بلاد الشـام تحصـيلاً للضـرائب، وتمرّ بها السـلع التي تصـل الى دمشـــق من البحر المتوســـط أو التي تخرج منها الى أوربا[9].وكان يتم تحصـــيل الضرائب في كلّ من صور وصيدا وعكا وطرابلس الشام، وجدير بالذكر أنّ تحصيل هذه الضرائب كان يتم لصالح نواب الشام وليس لسلطان مصر[10].

---

(1) زكي، طرق التجارة، ص445.
(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص416؛ الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة 142أ.
(3) زكي، طرق التجارة، ص406.
(4) زكي ،الطرق التجارية ص406؛ البيومي، النظم المالية، ص188-ص189.
(5) Depping , Op. Cit., T.2, P.55.
(6) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص41.
(7) اليوزبكي، تجارة مصر البحرية، ص119؛ فييت، المواصلات في مصر، ص39.
(8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص466، ص470؛ الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة 136أ، 146أ.
(9) علي ، خطط الشام، ج2، ص268.
(10) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص469، ص471.

وهذا يعني أنّ التجار الأجانب كانوا أحســن حالاً من تجار الكارم. لأنّ التجار الأجانب كانوا يدفعون الضــرائب مرة واحدة ثم يحملون بضــائعهم الى بلادهم أمّا تجار الكارم لزاماً عليهم دفع هذه الضـرائب مرة ثانية في كلّ ميناء مملوكي ينزلون به في الطريق الى بلادهم[1]، الى جانب الضــرائب على الســبائك الذهبية التي يجلبونـها الى دور الضــرب في مصــر، التي كان مقدارها يتراوح من 2-5٪ لقيمة الذهب المسكوك[2].

وهنا لابدّ من الإشارة إلى نتيجة مهمة وخطيرة بذات الوقت. فهذه الإجراءات الضرائبية المرتفعة الوتيرة شكلت دافعاً أساسياً وراء محاولة اكتشاف طريق آخر للتجارة هو طريق رأس الرجاء الصــالح، فأخذ الأجانب يســلكونه رغم مخاطره للاستغناء عن وساطة مصر بسبب ارتفاع أسعار سلع الكارم نتيجة زيادة الضرائب وســوء معاملة الســلطات المملوكية. إلاّ أنّ بعض المؤرخين يرى أنّه حتى نهاية العصور الوسطى لم يسمع عن موانئ مصر والشام ما يشين العاملين فيها، وظلّت مثالاً لدقة العمل وحسن الرعاية التي كان الأجانب يتلقونها[3].

بدأت ضـرائب مصــر المســتحصــلة من موانئها بالتناقص منذ أواخر القرن 9هـ/ 15م، ولعل سببها يكمن في أنّ سفن الغزاة البرتغاليين بدأت تتوغل في البحر الأحمر، وكانت تطارد الســفن القادمة من الصــين والهند المحملة بســلاح الكارم وتصادر ما تستولي عليه منها[4]، فضلاً عن ما نسب للعمال في الموانئ من التشدد في جمع الضرائب وبذاءة طريقة التفتيش[5].

فكان تجار الكارم يدفعون ضـرائب غير التي كانوا يدفعونها في المراكز التي يمرون بها لكنها لم تكن دائمية بل كانت تفرض لمواجهة خطر طارئ كهجوم خارجي، أو بسبب فيضان النيل أو تهدم بعض الجسور وضرورة إعادة بنائها، كما حدث في سنة 649هـ/ 1251م، عندما فرض السلطان المعز أيبك على تجار الكارم ضـرائب بسـبب حاجة البلاد الى الأموال [6]. وحدث مرة أخرى في سنة 658هـــ/ 1259م، عندما فرض الســلطان قطز ضــرائب اســتثنائية على تجار الكارم بعيذاب حتى يتمكن من إعداد العدة والتجهيز للتصدي للتتار[7].

(1) وقد وصـلت الضـرائب المفروضـة على ثلاث سـفن أو أربعة للتجار الأجانب الى ثمن حمولة سفينة كارمية واحدة. Depping, Op. Cit., T.1, P.103. ;
(2) اسكندر، نظام المقايضة، ص36، ص37؛ البيومي، النظم المالية، ص190 .
(3) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص36، ص349؛ القلقشــندي، صــبح الأعشــى، ج3، ص464.
(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص105.
(5) Poston, Op. Cit., T.2, P. 334.
(6) المقريزي، الســلوك، ج1، ص383، ص384؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص145؛ الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة 66أ.
(7) المقريزي، السلوك، ج1، ص437.

أولاً. جهود تجار الكارم في نشر الإسلام واللغة العربية

انتشـــر الإســـلام بقوته الذاتية في شـــتى المناطق التي وصـــلها في القارة الآسـيوية كالهند والصـين وبلاد المغول وجنوب شـرق آسـيا وفي القارة الافريقية شـمالها وغربها وشـرقها التي لم تدخل ضـم الحدود السـياسـية والجغرافية للدولة العربية الإسلامية في شتى عصورها. وكان أحد أهم الرواد في التعريف به ونشره ومظاهر حضارته هم التجار[1]، والذين يعنينا منهم هنا هم التجار الكارمية.

بداية لابدّ من القول، أنّ المعلومات التي قدمتها لنا مصـــادرنا القديمة عن جهود تجار الكارم في نشـــر الإســـلام ومظاهر حضـــارته في شـــتى مناطق العالم الإسلامي آنذاك التي اهتممنا بمتابعتها في هذه الدراسة كانت جداً قليلة ومتناثرة في ثنايا عدد كبير جداً من مصادرنا القديمة وتم استخلاصها بجهد كبير. ومنها توصلنا الى أنّ تجار الكارم حملوا، شأنهم شأن بقية الدعاة العرب والمسلمين، على عاتقهم هذه المهمة الذاتية التطوعية الصـــعبة ألاّ وهي الدعوة الى الإســـلام في مختلف المناطق التي تاجروا معها، واســـتطاعوا فعلاً جذب الناس بالمثل الطيب والقدوة الحســـنة[2]، العلاقة الودودة مع الاهلين، فضـــلاً عن قدرتهم على لفت الأنظار اليهم إذا ما دخلوا قرية وثنية، بوضوئهم وانتظامهم في أداء صلاتهم[3].

وسـاهم تجار الكارم بطريق غير مباشـر في انتشـار الإسـلام عندما خرجت جماعات الصـوفية في ركب قوافل الكارم المارة بديارهم داعية الناس للإسـلام على امتداد طرق القوافل، وقد نجحوا في أداء مهمتهم في جميع المناطق التي وصـــلوا اليها[4].

1. الصين

كانت الصـلات التجارية بين بلاد العرب والصـين قديمة وتوطدت عبر قرون طويلة قبل الميلاد واســـتمرت الى ما بعده. ســـواء عبر الطريق التجاري البرّي المعروف باسم طريق الحرير[5].أو عبر الطريق البحري الذي يخترق عباب المحيط الهندي وموانئه المهمة كسـرنديب ومناطق جنوب شـرق آسـيا[6].وبما أنّ التجارة شكلت الوسيلة الفضلى لانتشار الإسلام سلمياً في العديد من المناطق وصلها بدون

(1) العدوي، ابراهيم أحمد ، تاريخ العالم الإسلامي، القاهرة – 1982، ج1، ص333.

(2) العراقي، ســر الختم ســيد، ملامح الحضـــارة الإســـلامية في بلاد الســـودان الأوســـط والغربي، القاهرة، ص601.

(3) حسن، انتشار الإسلام والعروبة، ص33-ص55.

(4) أرنولد، توماس، الدعوة الى الإسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، القاهرة – 1970، ص385.

(5) طريق الحرير: يبلغ طول الطريق 8325كم تقريباً، ويبدأ من ســور الصــين من مدينة تشـانج أنّ ثم الى كانتون مخترقاً آسـيا الوسـطى مروراً بالهند وكابل وروسـيا وأيران حتى يصل الى بغداد وحلب ودمشق ثم الى انطاكية و أوربا ويرجع السبب في ظهوره الى رغبة الصـــينيين في دفع غارات القبائل المتبربرة القاطنة في الأقاليم الشـــمالية الشرقية من القارة الآسيوية التي كانت تقيم بكثرة على هذه الجهات طمعاً في أي كسب مادي. Tittle,A. The Far East , Oxford – 1905, P. 184.

(6) قمر، محمود، الإســلام والمســلمون في جنوب شــرق اســيا، ط1، القاهرة – 2003، ص13.

حركة جهاد فعلية، فكان التجار الدعاة المشـتغلون بالتجارة، والذين كان أكثرهم من ذوي الثقافة من العلماء والفقهاء نشـروا العقيدة الإسـلامية. فضـلاً عن عملهم في التجارة[1] فحملوا الإســلام وفكره ومظاهر حضــارته الى مختلف المناطق التي تاجروا معها، ومنها الصين التي بدأت تتعرف على مبادئ الإسلام منذ بواكير القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ولاسيما مدينة خانقو[2] أهم ميناء صيني جنوبي على المحيط الهندي. رافق هذه الحركة نشاط سياسي دبلوماسي طبقته قيادة الدولة العربية الإسـلامية في العصـور الراشـدية والاموية والعباسـية التي اهتمت بتمتين العلاقة مع الصـين فتعاقب وصـول الوفود والسـفارات اليها في الازمنة اللاحقة[3].

ومن المؤكد أنّ الإسـلام وصـل الصـين بحراً بما يفسـر كثرة الجاليات المسـلمة في موانئ الصـين وتحديداً في خانقو[4] وبقية الموانئ الجنوبية[5] واتخذوا من التجارة وسـيلة فعالة لنشـر الإسـلام هناك وبالمعاملة الحسـنة والسـلوك الذي لم يعتاده الصـينيين رأوا فيهم أناسـاً لم يألفوهم فاعتنق بعضـهم الإسـلام حباً في هؤلاء التجار[6]، وتأسيساً على هذا، فقد اهتم التجار الصينيين المسلمين بالتجار المسلمين القادمين لبلادهم، يفرحون بهم ويحتضنونهم، ويعاملونهم كبقيتهم[7] .

وقد كان للطرق البرية أثر بالغ في نشـر الإسـلام في الصـين وخاصـة طريق الحرير الذي سـلكه منذ حقب التاريخ القديمة كلّ الغزاة والفاتحون والتجار وعليه عبر الدعاة والمبشـرين حاملين دعوتهم الى تلك المناطق[8].وإن كان الطريق البحري قد تفوق عليه بالأهمية والسـرعة الذي منه اسـتقرت الجاليات الإسـلامية عرباً ومسلمين في هذه البلاد[9].

والى جانب الدعاة المسلمين من التجار الذين حملوا على كأهلهم الدعوة الى الإسـلام، كان هناك دعاة آخرين كالرحالة وطلاب العلم الذين تنقلوا من مكان لاخر تحقيقاً لاهدافهم، التي كان من بينها نشـر الإسـلام، من هنا كان انتشـار الإسـلام يتماشى مع خط سير الدعاة، ويختلف بحسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق أفكارهم[10]، وقدرتهم على الإقناع بالحجة الدامغة وتفنيد حجج المقابل بالمنطق والأدلة المحسـوسـة وسـاهمت العلاقات الاجتماعية التي

---

(1) حسـن، أمال محمد، دور الاباضـية في نشـر الإسـلام في بلاد المغرب، مجلة المؤرخ العربي، ع52، بغداد، 1995، ص101،ص103.

(2) أرنولد، الدعوة الى الإسـلام، ص331-ص332؛ مقال من شـبكة المعلومات الدولية الانـترنـيـت بـعـنـوان: صــوت الاذان يصــدح مـن ســمــاء غـرنـاطـة، www.muslimworldleaguc.org، مجلة ديلي تلغراف، ع1802، 2003/7/21، ص4.

(3) ستودارد، لوثرب، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: شكيب أرسلان، بيروت – 1973، ج2، ص288.

(4) أبو العلا، محمود، جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، الكويت –1991، ص76.

(5) قمر، الإسلام والمسلمون، ص34.

(6) شاكر محمود، تركستان الصينية الشرقية، بيروت - 1976، ص15.

(7) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص155.

(8) قمر، الإسلام والمسلمون، ص35.

(9) لومبارد، الجغرافيا التاريخية، ص68.

(10) شاكر، تركستان، ص52.

أقامها المســلمون مع الصــينيين الى انتشــار الإســلام بين أهالي الصــين. فقد أقبل التجار على التزوج من النسـاء الصـينيات إمّا لغرض الاسـتقرار الدائمي أو المؤقت رغبة منهم في نشر الإسلام[1]، أو الأمرين معاً وهذا ما حصل.

فالتاجر الكارمي إذا قدم الى الصــين فإنّه يعامل بحفاوة واحترام فكان يُخير في النزول في أحد بيوت التجار أو في مكان آخر، وهذا دليل على رعاية وعناية الصـينيين بتجار الكارم، فكان التاجر أمناً على حياته وبضـاعته[2]، بل وصـل الأمر الى أنّ التاجر الذي يسـافر الى الصـين يعود غنياً، وذلك لأنّ الناس يدفعون له زكاة أموالهم[3]. وقد حاولوا التشبه بالكارمية لأعجابهم بأخلاقهم فصاروا يطلقون عليهم ألقاباً لتعني الكارمي في لغة أهل الصــين [4]. فكان من المنطقي أنّ وصــول التجار الكارمية الى بلاد الخطا[5] أو الخنسـا إذ وجدت أسـرة سـراج الدين الكارمي الذي اسـتقر مع أبنائه فيها[6] أنّ يحاول هؤلاء التجار من خلال معاملاتهم لتجارية نشـر تعاليم الإسلام خصوصاً وان معظم تجار الكارم كانوا من الفقهاء والعلماء .

2. الهند

تعود معرفة العرب بالهند الى ما قبل الميلاد، وقويت هذه الصـــلة أكثر بعد ظهور الإسـلام، فتعرف الهنود على الدين الجديد من خلال عوامل عدة منها التجارة لأنها تعد من أقدم مظاهر الصــلات. ونظراً لما عرف به التاجر المسـلم من اخلاق حميدة ومصـداقية في التعامل؛ لذا أصـبح عملياً داعية للإسـلام فضـلاً عن عمله التجاري بقدر ما يهمه عمله كان يهمه ايضـا حسـن المعاملة والعلاقة الودية مع الأهالي التي مكنته من التغلغل في الوسط الاجتماعي الجديد[7]. وقد أفادت الصلات التجارية بين التجار المسلمين والهنود في تعرفهم على ملامح الدين الجديد وأركانه ومبادئه[8].

من ناحية أخرى قامت علاقات طيبة بين التجار العرب المسـلمين وبين الحكام والأمراء الهنود الذين منحوهم الحماية والرعاية، وأضفوا عليهم الامتيازات بسـبب ما ناله هؤلاء الحكام من فوائد اقتصـادية ترتبت على هذه التجارة النشـطة التي ساهمت في زيادة انعاش خزائنهم، وكان لاستقرار هؤلاء التجار دورُه في نشر العقيدة الإسلامية في الهند[9]، ولاشك أنّ لسياسة التسامح الديني والمعاملة الحسنة التي أتبعها العرب المسلمون في الهند من تطبيقهم لمباديء الإسلام وشعائره جعلت

(1) ن . م، ص56.
(2) الصيني، العلاقات بين الصين والعرب، ص239،ص240.
(3) ن.م، ص21.
(4) ن.م، ص421، ص248.
(5) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص350؛ المقريزي، السلوك، ج2،ص132،ص133.
(6) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص227.
(7) الطحطوح، حسين علي، مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في الهند، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل – كلية الآداب – 1979، ص41.
(8) المشهداني، العلاقات المصرية الهندية، ص11.
(9) السامر، الاصول التاريخية، ص44.

الهنود يتأثرون بتعاليم هذا الدين ويسارعون الى الدخول فيه [1]، فمنذ قرون الإسلام الأولى كثر وجود التجار المسـلمين في الهند[2] وخاصـة في سـواحلها الغربية في ميناءي كولام وكمباي. ومع اسـتمرار العلاقات التجارية بين مصـر والهند في العصور العربية الإسلامية اللاحقة استمر تدفق المسلمين وانتشار الإسلام، إلاّ أنّه يمكن اعتبار أنّ أول اتصـال سـياسـي مهم بينهما قد جرى في العصـر الفاطمي، فالدعوة الفاطمية كانت تنشـر في أنحاء شـتى من البلاد الإسـلامية ولاسـيما الهند، وشـكلت الملّتان[3] قاعدة للدعاة الفاطميين[4] الذين اعتمدوا من جهة أخرى على نشـاط تجار الكارم في نشـر دعوتهم، ممّا أدى الى نشـر المذهب الاسـماعيلي بواسطتهم. فقد قام هؤلاء بجهود حثيثة لنشر هذا المذهب هناك حتى أنّ أهالي تلك البلاد لم يكونوا يفرقون بين الدعاة الاسماعيلية وبين تجار الكارم المصريين، وكان أهل البلاد يطلقون على الاسماعيلي اسم بهرا أو بوهرا وهي تعني تاجر البهار في لغتهم[5] .ولا يزال يعيش في لاداخ شـمالي كشـمير والتبت مسـلمين يؤكدون أنّهم أحفاد تجار الكارم من أمهات لادخيات وتبتيات تزوجن من هؤلاء التجار واعتنقن الإسـلام[6]. ومن الملاحظ أنّ بعض تجار الكارم عملوا في خدمة أمراء الهند كابن بكاش[7] وتولى محمود بن محمد الجيلاني في سنة 884هـ/ 1488م، أدارة إحدى مدن الهند وسياسة أمورها،[8] ولكثرة ترددهم على موانئ الهند صار يطلق على بعضهم اسماء تلك الموانئ التي وصلوا اليها مثل التاجر عبد العزيز بن منصور الكولمي [9] ،وأنّ وصـول هؤلاء التجار الى هذه المراكز جعلهم في احتكاك مباشـر مع الأمراء والحكام وهذا ممّا يسـاعد على نشـر الإسـلام بينهم، وأنّ أدارة أمور المدن يعني تطبيق تعاليم الدين الإسلامي والشريعة والقضاء في تلك المدينة وهذا ما قام به تجار الكارم.

قام هؤلاء التجار، والعلماء منهم خاصـة، مع بقية العلماء الذين وصـلوا البلاد، بنشر علومهم ومعارفهم القيمة الذي رافقه انتشار مئات المساجد والمدارس

(1) الطحطوح، مظاهر الثقافة العربية، ص38.

(2) Coupland, L., East Africa and Its Invaders, Oxford – 1956, P. 16-26؛ مقالة من شـبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) بعنوان سـريلانكا دمعة عين الهند www.altareekh.com، مجلة الكوثر، ع54، نيسان –2004، ص3.

(3) الملتان: مدينة كبيرة في السـند كانت قاعدة الفاتحين العرب والمسـلمين وكان في معابدها ذهب كثير فسـميت بفرج بيت الذهب وهي مركز تجاري هام . الاصـطخري، المسـالك والممالك ، ص102،ص103 ، ؛ المقدسـي، احسـن التقاسـيم، ص485؛ العسكري ، التجارة والملاحة ، ص150.

(4) ابن خلدون، العبر، ج4، ص31.

(5) أشـتور، التاريخ الاقتصـادي، ص247؛ القوصـي، أضـواء على تجار الكارم، ص24؛ Lewis, The Fatimides and the Route, P.53.

(6) قيصـر، مخول أديب، الإسـلام في الشـرق الاوسـط، ترجمة: نبيل صـبحي: بيروت – 1966، ص53.

(7) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص127.

(8) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص44، ص45.

(9) القلقشندي، صبح الاعشى ، ج5 ، ص73، ص74، ص75.

ودور العلم والمكتبات وغيرها[1]. فقد وجد العلماء من تجار الكارم في بلاد الهند بيئة ملائمة لممارســـة نشـــاطهم الفقهي والعلمي للتدريس في مســـاجد الهند ومدارسـها، ومنهم الشـيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني، الذي اسـتقر في كوجرات الذي تربطه بســـلطانها علاقة ودية، وأخذ عنه الهنود كثيراً من علومه وعّظموه، ثم رحل الى الدكن وواصل عطاءه في سبيل نشـر الإسلام وتعاليمه حتى توفي فيها سنة 828هـ/ 1424م[2].

ومع أنّ طبيعة الأديان الوضـــعية التي انتشـــرت في المجتمع الهندي قديماً عرفت نوعاً من الانقطاع عن ملذات الحياة ورغدها. لكنّنا ســـنرى أنّه كان للدعاة العرب والمسـلمين بما فيهم التجار الكارمية دور في نشـر التصـوف[3]، فكثر الزهاد والمنقطعين وأوجدوا لهم طرائق دينية متعددة[4]، خاصـــة مع وصـــول مصـــنفات العلماء من مصـــر وخاصـــة القشـــيري وأبي بكر الدماميني فأصـبحت منهجاً دائماً للصـــوفية ممّا زاد ذلك من تقبل الهنود للإســـلام، ثم أصـبحت الصـــوفية عامل من عوامل ازالة الفوارق بين المجتمعين الإســـلامي والهندي فقربتهما من بعضـــها[5]، على اعتبار أنّ مبادئ الإســـلام القائمة على الإخاء والمســـاواة بين الناس هي على نقيض الفكر الديني الهندوســـي، القديم القائم على أســـاس نظام الطبقات الديني[6] الاجتماعي البغيض[7]. وكان الحكام الهنود يطلبون من سلاطين مصر أنّ يبعثوا لهم من يعلمهم شـرائع الإسـلام، وكانت السـفارات التي تذهب تضـم بينها تجار الكارم لتعلمهم ذلك[8].

3. بلاد المغول (القفجاق) [9]

---

(1) الندوي، محمد اسماعيل، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، بيروت، ص178.
(2) النمر، عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند، ط1، القاهرة – 1959، ص153.
(3) التصـــوف: الاعتكاف والانقطاع الى عبادة الله تعالى، والإعراض عن ملذات الدنيا وزينتها والزهد والخلوة والعبادة. الحسـني، فخر الدين عبد الحي، الثقافة الإســلامية في الهند، دمشق – 1958، ص157 – 176.
(4) الندوي ، تاريخ الصلات، ص198، ص199.
(5) السامر، الأصول التاريخية، ص62.
(6) نظام الطبقات الديني: نظام ذو قاعدة اجتماعية معقدة يجعل أبناء المجتمع الواحد غير متساوون في الحقوق والقيمة والمكانة الانسانية. أبو زهرة، محمد، الديانات القديمة، القاهرة – 1965، ص46. فقد كان الناس ينقسمون في ظل الديانة الهندوسية الى عدة طبقات أولها طبقة البراهمة وهم رجال الدين ثم الكشـــترية الطبقة العســـكرية وطبقة الفيشـــية وهم التجار والمزارعون والحرفيون وأخيراً الشـــودرية أو المنبوذين، وهم عامة الشـــعب وأكثرهم عددا وأدناهم مكانة وهم محرومين تماماً من أدنى الحقوق الانسانية. ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص71؛ البيروني، تحقيق ماللهند، ص75 ؛الظالمي، الحياة الاجتماعية، ص54-ص60؛ القيسـي، أثر الإسـلام، ص101، ص102.
(7) القيسي، أثر الإسلام، ص102.
(8) المقريزي، السلوك، ج2، ص645.
(9) القفجاق: ويســـمون الحفشـــاج . أبو الفدا ، تقويم البلدان، ج4 ، ص26. ويســـمون بالقبحاق أو البحناك أو البشاق أو البوشنق. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص457. هي البلاد التي سـكنتها عناصـر تركية الاصـل رعوية في منطقة بحر قزوين ، امتدت حول نـهر الفولغا في روسـيا لتشـمل جميع الدول الواقعة جنوب روسـيا وغرب آسـيا وسـيبريا، وقد حلوا محل سـكان الخزر الذين أفناهم الروس المجاورون لهم. ممّا مهد

كان لتجار الكارم دور في نشــر الإســلام بين المغول. فشــأنهم هنا أيضــاً استطاعوا إقامة علاقات طيبة مع الناس والحكام على حد سـواء، إذ تداخلوا بلطف مع الناس، ومتنوا علاقاتهم بالحكام فارتبطوا بمصــالح ثنائية مشـتركة، فهم رفدوا خزائنهم بكثير من العوائد المالية، وبالوقت نفســه حصــلوا منهم على الامتيازات التي نشــطت من عملهم أولاً ورفعت من مكانتهم أجتماعياً وحتى سـياســياً. وتأثر البلاد المغولي بهؤلاء ممّا مكنهم من التعرّف على الإســلام وعتناقه ثم انتشــاره بينهم[1].

عموماً ضــرب ســلاطين المغول مثلاً أعلى بإســلامهم لرعاياهم مثل تغلق تيمورخان (765-748هــ/ 1347-1363م) ملك كاشـغر في الصـين الذي اعتنق الإســلام على يد فقيه بخارى ومعه مجموعة من تجار الكارم[2]. ولم يكتف المغول بذلك، بل أقبلوا على المساهمة في بناء المدن والمساجد وشجعوا تجار الكارم على بناء الربط[3] والخانقاهات[4]،وأصبح للمسلمين ممثلين في بلاط المغول، واكتسبوا محبتهم، فاعفى رجال الدين المسلمين والتجار من دفع الضرائب[5].

4. جنوب شرق آسيا

شـكل الإسـلام ومظاهر حضــارته واحداً من تيارات حضــارية متعددة هندية وصينية وصلت للمنطقة وأثرت على تشكيل حضـارتها من جرّاء تغلغلها التدريجي

لســكنى القفجاق وهي أيضــاً البلاد التي تكونت فيها دولة مغولية أثناء حركة الغزو المغولي نحو الغرب عرفت باســم القبيلة الذهبية. ابن خلدون ، العبر، ج5، ص132؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص306. وقد ورد ذكرهم لأول مرة سنة 514هــ/ 1121م، كحلفاء لجورجيا وقد تأثروا بالإســلام والمســيحية. الدوادار، زبدة الفكرة، ج9، ص177.

(1) مخول، الإسلام في الشرق الأوسط، ص53؛ العريني، المغول، ص51.

(2) عن إسلام هذا الخان ورعيته، ينظر: أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص266-ص269.

(3) الربط: من المباني العسكرية التي خصصت لمرابطة المجاهدين في سبيل الله بالثغور، وهي بناء مستطيل الشكل له صحن اوسط تحيط به الابراج في أركانه، وفيه مصلى وحجرات للمرابطين فيه، ثم زالت عنه بعد أستتباب الأمن في الدولة العربية الإسلامية صـفته الحربية، واتخذ بيتاً للعبادة والتقشـف يسـكنه الصـوفية. رزق، عاصـم محمد، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط1، القاهرة- 1997، ج1،ص98،ص99، الرمادي، جلال الدين، الإسلام في المشارق والمغارب، القاهرة – 1960، ص80.

(4) الخانقاهات: أو الخوانك، مفردها خانكاه أو خانقاه وهي كلمة فارســية تعني البيت أو المائدة. مبارك، الخطط، ج6، ص48. وقيل أصـلها خونقاه أي الموضـع الذي يأكل فيه الملك. المقريزي، الخطط، ج2، ص413. ثم صــار يطلق على الأماكن التي قام الســلاطين والخلفاء والأمراء والراغبون في المثوبة بأنشــائها لأغراض منها أيواء الغرباء من المســلمين الوافدين الى ديارهم والقيام بمعيشــتهم وتثقيفهم. حمزة، عبد اللطيف، الحركة الفكرية في مصـر في العصـرين الأيوبي والمملوكي، ط2، القاهرة – 1999 ، ص105. أي أنها أصــبحت من دور العلم والعبادة معاً فقامت بأدوار دينية واجتماعية وثقافية هامة في حياة المجتمع الإسلامي، وقد عرفت مصر الخانقاهات في وقت متأخر نسبياً منذ النصف الثاني من القرن 6هــ/ 12م، أول من أقامها في مصر صلاح الدين الأيوبي . القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص368؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص433؛ ابن تـغري بـردي، الـنـجوم الزاهرة، ج8، ص148، ج4، ص50 حاشية(4)؛ رزق، خانقاوات الصوفية في مصر ، ج1، ص23، ص25.

(5) قمر، الإســلام والمســلمون، ص23؛ حســن، تاريخ المماليك البحرية، ص168 – ص169.

في المنطقة[1]. فعلاقة مصر مع منطقة جنوب شـرق آسـيا تعود الى عصـور ماقبل الميلاد، فقد ترك المصـــريون آثارهم على ثقافة المنطقة ودياناتها[2].وبقيام الدولة العربية الإسـلامية تطورت هذه العلاقات أكثر[3]، وخاصـة مع ازدهار حركة التجارة العربية الإسلامية، فأخذت سفن العرب المسلمين التجارية تجوب كلّ البحار وتتاجر مع أبعد البلاد[4]. رافق النشـاط التجاري اسـتقرار لبعض التجار العرب المسـلمين بصورة مؤقتة أو دائمة في المناطق التي شهدت نشاطاً عربياً إسلامياً ممّا أدّى الى نشـوء صـلات قوية ووثيقة مع السـكان، الذين كانوا يكنون للعرب والمسـلمين كلّ احترام وتقدير وأعتمدوا عليهم في شؤونهم المختلفة[5].وحصل التجار العرب بعدها عـــــــــــــــــــلى

كثير من الامتيازات من الحكام المحليين، وذلك بسـبب ماجناه هؤلاء الحكام من فوائد اقتصادية ترتبت على التجارة العربية الإسلامية النشطة التي أنعشت خزائنهم وحققت لهم الرخاء[6]. وازدادت قدرة العرب المسـلمين في أنشـأء محطات ومراكز تجارية على طول سـواحل جنوب شـرق آسـيا، وتبعاً لذلك ازداد الاسـتقرار العربي الإسلامي فيها[7]. ثم أخذ الإسلام بعد ذلك يتوغل من دون عقبة أو صعوبة[8] ،وذلك بفضـل الصـداقة والمعاملة الحسـنة والمصـاهرة والمعايشـة الحياتية الطويلة التي كثيراً ما كانت تنتهي بالاسـتقرار[9]. وقد أقام تجار الكارم وبأعداد كبيرة منهم أول أمرهم مع عوائلهم، فيما يسمى بالفنادق التي هي مدارس دينية إسلامية في جنوب شرق آسيا[10].

فيذكر أنّ عالماً يدعى زكي الدين وصـل الى إحدى الجزر في جنوب شـرق آسيا فأنشأ مدرسة لتعليم الفقه والشريعة، تعلم فيها العشرات من أبناء المسلمين، وعندما اسـتدعاه ملك الجزيرة وبعد محادثة معه اسـتطاع أنّ يقنعه بالإسـلام فزكى الملك ماله وأنفقه على إرسـال بعثة للحج[11]. وفي سـومطرة وتحديداً في مدينة أتشيه في شمالها الغربي كانت هناك دعوة الى الإسلام تنسب الى شيخ عربي يدعى عبد الله عارف الذي وصلها في منتصف القرن 6هـ/ 12م، وأخذ أحد تلاميذه ويدعى برهان الدين على عاتقه نشـر الديانة الإسـلامية في السـاحل الغربي من هذه

(1) بوزورث، تراث الإسلام،ج1، ق1، ص313.
(2) السنباطي، محمد أحمد ، حضارتنا في اندونيسيا، ط1، الكويت – 1982، ص68.
(3) الظالمي، الحياة الاجتماعية، ص21.
(4) متز، الحضارة الإسلامية، ج1، ص312.
(5) البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، ط2، مصر – 1956، ج1، ص74.
(6) السامر، الأصول التاريخية، ص44.
(7) حسن، تاريخ الإسلام، ج4، ص401.
(8) العدوي، تاريخ العالم الإسلامي، ص6.
(9) الالوسـي، تجارة العراق البحرية، ص144؛ زيتون، المسـلمون في الشـرق الاقصـى، ص121.
(10) ابن المجاور، تاريخ المستبصر،ج2،ص192.
(11) مؤنس، حسـين، الإسـلام الفاتح،1987، ص48، ص49. فقد يكون هذا العالم زكي الدين الخروبي التاجر الكارمي.

الجزيرة[1]. وهذا ما أكدّه أحد الرحالة الذي زار سومطرة في القرن 6هـ/ 12م، من أنّ التجار استطاعوا أنّ يقنعوا السكان بالإسلام[2]، ويذكر أنّ أول حاكم مسلم حكم أتشيه، لم يكن من سكان البلاد الأصليين وإنما تزوج منهم فقبلوه ملكاً عليهم[3].

وفي بيرلاك التي تقع في الطرف الشمالي الشرقي من سومطرة، اعتنق سكانها الإسلام على يد التجار العرب الذين كانوا يترددون عليها[4].

أمّا في جاوة فكانت أول محاولة لانتشار الإسلام فيها تعود الى القرن 6هـ/ 12م، عن طريق أهلها وهو ابن الملك الذي كان يزاول التجارة فذهب الى الهند ولقي بعض التجار من العرب، فاعتنق الإسلام على أيديهم وعاد الى وطنه يبشر بالإسلام[5].

استمرت الدعوة للإسلام في مختلف مدن وجزر جنوب شرق آسيا، وكانت مع مرور الوقت تزدهر وتزداد تفاعلاً مع الناس وذلك منذ منتصف القرن 8هـ/ 14م، ففي مدينة جرسيك الواقعة على ساحل جزيرة جاوة الشمالي الشرقي نشطت حركة الدعوة للإسلام على يد داعٍ عربي هو مولانا ملك ابراهيم الذي هو من ذرية الأمام الحسين بن علي (عليهما السلام) . كان تاجراً واستقر مع تجار مسلمين آخرين في هذه المدينة، وبدأ يدعو للإسلام بين الأهالي وأحرز نجاحاً متزايداً الى أنّ توفى هناك سنة 822هـ/ 1419م، ودفن فيها، ولايزال المسلمون يعظمون قبره ويعدّونه أول رسل الإسلام اليهم [6].ولكثرة تردد تجار الكارم على جاوة اعتنق كثير منهم الإسلام على أيديهم[7].

أمّا ملقا، فقد كانت لها صلات تجارية مع العرب قبل الإسلام، وجاليات عربية مستقرة بينهم امتلكت معرفة ودراية بالمدن المهمة الواقعة على سواحل هذه الجزيرة وزاد عدد التجار المسافرين اليها في صدر الإسلام[8]، بعدها زاد عدد الذين اعتنقوا الإسلام فيها[9]، ومن ثم وضع الإسلام أقدامه في المدن التجارية[10]. ومع زيادة استقرارهم في موانئها ومدنها، ازدادت عمليات الاختلاط والامتزاج بينهما التي قامت على أسس متينة من الصداقة والمودّة مع السكان الأصليين بما مهّد

(1) قد يكون برهان الدين هذا هو برهان الدين المحلي التاجر الكارمي. أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص404؛ مؤنس، الإسلام الفاتح، ص43.

(2) بولو، رحلة ماركو بولو، ص284.

(3) شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، ط2، بيروت – 1997، ج20، ص367-368.

(4) بولو، رحلة ماركو بولو، ص284؛ بن روسني، سامح، ملامح تاثير الثقافية الإسلامية في بلاد الملايو، www.uqu.edu.sa/majalat/shariaramag، 2004/10/23، ص6.

(5) أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص416، ص417.

(6) الحسيني، على بن طاهر، المدخل الى تاريخ الإسلام بالشرق الاقصى، القاهرة – 1971، ص190.

(7) زكي، عبد الرحمن، المسلمون في العالم اليوم، القاهرة – 1959، ص51.

(8) أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص401- ص402.

(9) شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط2، القاهرة- 1990، ج8، ص455.

(10) الحسيني، المدخل الى تاريخ الإسلام، ص27.

لحالات الزواج بالنسـاء المحليات والأثر البليغ اللواتي أحدثنهُ في التعريف بالإسـلام ونشره بين أهاليهن ومحيط عوائلهن.

وتبرز هنا نقطة أخرى مهمة وهي أنّ هؤلاء التجار كانوا يتخذون عبيداً من أهل البلاد، يسـاعدونهم في أعمالهم، ولملازمة هؤلاء الطويلة لأسـيادهم ولحسـن معاملتهم لهم، كانوا يتعرفون تدريجياً وجيداً على مبادئ الإسـلام، فيسـلمون ثم يُعتقون ممّا كان له أثر طيب في اعتناق آخرين للإسلام.

والملاحظة المهمة الأخرى بهذا الصـدد، أنّه كان لهؤلاء التجار علاقات ممتازة بالحكام وعلية القوم، عرفوا لغتهم واحترموا عاداتهم ممّا زاد من نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية، هذه المنزلة التي وصل اليها التجار العرب المسلمون جعلتهم يستطيعون معها التأثير على السكان وجذبهم الى الإسلام[1]. فحاكم ملقا مثلاً ـ التي كانت سوقاً مهمة لتجار الكارم أشهر إسلامه في سنة 676هـ/ 1276م، على يد تاجر أصله من جدة تذكره المصادر اسمه مجرداً عبد العزيز[2] ممّا يدفع للاعتقاد أنّه التاجر الكارمي عبد العزيز بن منصور الكولمي.

وكان لتجار الكارم الفضـل في تحويل جزر البهار أو الملوكس الواقعة الى الشمال الشرقي من ملقا منذ القرن 8هـ/ 15م، فقد كانت تقع على طريق التجارة المتجهة شرقاً الى الصين[3]. كذلك انتشر الإسلام في جزيرة ترنات المجاورة الى ملوكس في عهد سلطانها زين العابدين (907-891هـ/ 1486-1500م) الذي يعد أول حاكم مسلم لهذه الجزيرة، بتأثير تجار الكارم[4]، فعلوا الشيء نفسه في جزيرة سيليبس، إذ اعتنق جميع سكان جزئها الجنوبي الغربي الإسلام[5].

أخذ الإسلام يدخل الى جزيرة بورنيو مع التجار العرب المسلمين الذين كانوا يرتادون تلك البلاد، عن طريق بعض الدعاة الذين قامت على عاتقهم مهمة نشـر الإسـلام في تلك المناطق مستعملين الوسـائل السلمية والحجة والإقناع في نشر الإسلام، وقد تلقى سلطانها تعاليمه الإسلامية على يد أحد تجار الكارم[6].

أمّا الفلبين[7] التي عرفها العرب قبل الإسـلام وتاجروا معها بمختلف أنواع البضـائع التي تعود عليه بالربح والكسـب الوفير. فقد بدأ التجار بعد الإسـلام الى

(1) شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص296، ص297.

(2) Arnold, T.W., The Malay Chronicle Entitled Sulatat of Salatin , London – 1936 , P. 221,222.

(3) أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص426.

(4) مخول، الإسلام في الشرق الاوسط، ص53.

(5) سـيليبس: أو سـيلاب إحدى جزر أندونيسـيا تبلغ مسـاحتها حوالي 3228كم2 تقريباً. أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص432-437.

(6) أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص427.

(7) الفلبين : تقع في الجزء الجنوبي الشـرقي من قارة اسـيا، يحدها من الجنوب بورينو إحدى الجزر الاندونيسـية، ومن الغرب الصـين ومن الشـرق المحيط الهادي وكانت تسمى قبل غزو الأسبان لها في سنة 928هـ/ 1521م، باسم جزر مانيولاس، وبعد غزو الأسبان لها أطلقوا عليها اسم الفلبين نسبة الى فيليب الثاني ملك أسبانيا. شاكر، محمود، المسلمون في الفلبين ودولة مورو، ط2، بيروت – 1985، ص17.

جانب تجارتهم الدعوة الى الإسلام، وقد توافد على الفلبين في القرن 8هـــ/ 14م، عدد من تجار الكارم وعلماء الصوفية ليبلغوا أهلها الدعوة الى الإسلام ومبادئه[1].

وكذلك بروناي[2] التي وصـلها الإسـلام عن طريق التجار العرب المسـلمين منذ القرن 1هـــ/ 7م، ثم تتابعت الرحلات التجارية والدعاة بعد ذلك يدعون الناس هناك الى الإسلام، فاعتنق ملكها الإسلام على يد الشريف علي بن بركات الذي هو من نسل الأمام جعفر الصادق(ع)[3]، كان تاجراً من الطائف قدم بمركبه الى الجزيرة في القرن 9هـ/15م[4]، وتزوج من ابنة شقيق الملك، ولما لم يكن للملك ذرية، عهد الملك من بعده الى الشريف علي[5]،ممّا جعل الجزيرة كلها تتحول الى الإسلام.

يمكن القول أنّ الإسلام انتشر في مناطق جنوب شرق آسيا، من خلال الدعوة الحسنة الى الإسلام، وانتقل بهدوء عن طريق التجارة الهادفة والدعوة التي قام بها الدعاة الذين لايملكون إلاّ إيمانهم العميق بدينهم، مع العلم أنّ تلك المنطقة كانت تحتوي أجناساً وعقائد ومواريث حضارية مختلفة، نجح الإسلام فيها بشكل باهر.

5. أفريقيا

شـــق الإســـلام طريقه في مختلف مناطق أفريقيا، أمّا بالجهاد في جهاتها الشمالية وبعض مناطق جنوب الصحراء، أو عن طريق الدعوة السلمية للعديد من الدعاة الذين كان التجار من بينهم، إذ انتشـرت قوافلهم متابعة عملهم القديم في كلّ أنحاء أفريقيا، ولاسيما بعد أنّ أضحى المسلمون يسيطرون على طرق التجارة، فكانت ســفنهم تجوب المحيط الهندي والبحر الأحمر لتحمل البضـــائع الى المراكز التجارية التي أنشـأها التجار والمهاجرون العرب المسـلمون على امتداد ســواحل المحيط الهندي لتوزيعها على أسواق العالم، فكان العرب سادة التجارة والملاحة في المحيط الهندي حتى القرن الســادس عشـــر الميلادي وتقوم التجارة العالمية على وساطتهم[6].

ففي شـــرق أفريقيا، دفع الإســلام بتلك الحركة التجارية دفعة قويةً، إذ حمل التاجر المســلم مع ســلعه إســلامه وأخلاقه وبإقامتهم واختلاطهم مع الســكان الأصـليين[7]، بدأ الإسـلام ينشـر هناك، وتغلغل بمقدار تغلغلهم ويسـتقر بمقدار ما يســتقرون[8]. ولما كانوا ســادة الحركة التجارية في المحيط الهندي وموانئه فقد أصبحت جميع الموانئ تقريباً في أيديهم وتحت سلطانهم، بل سيطروا على الطرق

(1) شاكر، المسلمون في الفلبين، ص44.
(2) بروناي: هي إحدى جزر أرخبيل الملايو، تقع في جنوب شـرق آسـيا الى الشـمال من جزيرة بورنيو، ويحدها من الشــمال الغربي بحر الصــين، تبلغ مســاحتها حوالي 5765كم2. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج20، ص467.
(3) الحسيني، المدخل الى التاريخ الإسلامي، ص53 –ص55.
(4) ن.م، ص47، ص48، ص53.
(5) شاكر، التاريخ الإسلامي، ج2، ص455.
(6) متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص272- ص275.
(7) أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص386، ص391،ص467.
(8) النقيرة، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ص64.

البرية الرئيســة التي تربط الداخل بالســاحل[1]، ومن هؤلاء التجار الذين قاموا بدور بارز في التجارة ونشــر الإســلام التجار الكارمية ومنذ العصــر الفاطمي[2]. فقد امتزجوا بالقبائل الأفريقية وتزوجوا منهم وعملوا جادين على نشر الإسلام وثقافته بينهم[3]. وقاموا ببناء كثيرٍ من المســاجد التي كانت المنبر الأســاســي للدعوة والتثقيف ونشر الإسلام وتعميقه في نفوس الداخلين فيه، فأنشأت هذه المساجد في كلّ مدن الساحل الأفريقي الشرقي، هذا الإنتشار للمساجد يبين مدى انتشار الإسلام هناك الذي كان للتجار النصيب الأوفر فيه[4].

ففي الوقت الذي كان فيه الأفارقة يأتون من داخل أفريقيا للتجارة مع المســلمين على الســواحل، وبالعكس رحل بعض المهاجرين والتجار للداخل ســعياً وراء الرزق أو الحصول على مواد التجارة، واستقر بعضهم بين الأفارقة في الداخل واشتغلوا بالزراعة والرعي والتجارة، وكان لاحتكاكهم أثر كبير لتحول الافارقة الى الإسلام، فأنشأوا مراكز استقرار لهم في الداخل وقد زاد من هذا التقارب المصاهرات مع الأفارقة التي ادت الى زيادة التفاهم والتعمق في فهم الإسلام[5].

خدم تجار الكارم الإســلام من خلال نشــاطهم المالي والتجاري، فقد كانوا يبذلون من مالهم في سبيل نشر الثقافة العربية الإسلامية في شرق أفريقيا، كان كثيرٌ منهم علماء وفقهاء ومحدثين شــجعوا طلاب العلم الأفارقة للرحلة الى الحواضر العربية الإسلامية لطلب العلم[6] كالجامع الأزهر[7]في القاهرة أو دمشق أو بلاد الحجاز لدراســة العلوم الإســلامية[8]. وبعد عودتهم قاموا بدور الداعية والقاضي والفقيه والرئيس أيضاً فضلاً عن تأسيسهم للمساجد والكتاتيب لتعليم الأهالي وأبنائهم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة،فساهموا في إيجاد نهضة علمية وثقافية ساعدت على نشر الإسلام في شرقي أفريقيا[9].

---

(1) متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص272-ص275.
(2) النقيرة، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ص70.
(3) ن.م، ص70.
(4) مؤمن، مصطفى، قسمات العالم الإسلامي المعاصر، بيروت – 1974، ص422.
(5) لبيب، التجارة الكارمية، ص19.
(6) لبيب، التجارة الكارمية، ص39- ص41؛ محمود، الإســلام والثقافة العربية، ص55-ص56.
(7) الجامع الأزهر: شيده وزير الخليفة الفاطمي جوهر الصقلي بعد وضع خطط القاهرة بنحو تسعة أشهر سنة 359هــ/ 970م، وانتهى من بنائه سنة 361هــ/972م. المقريزي، الخطط، ج2، ص273. ويشتمل على مقصورات للصلاة ومنارات وميضأة، وتســع محاريب ومنبر. وأهم خصــائص الأزهر فضــلاً عن كونه جامع، فكان جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده مختلف العلوم والفنون، وقد زاد في بناء هذا الجامع كثير من الخلفاء والأمراء والســلاطين. المقريزي، الخطط، ج2، ص273، ص275؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص535 - ص537..
(8) محمدين، محمد محمود، علاقة الجزيرة العربية بشــرق أفريقيا، مجلة الدارة، ع2، السنة الثانية، 1976، ص125.
(9) رياض، تاريخ أثيوبيا، ص151.

فضلاً عن الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في شرق أفريقيا، فهؤلاء كانوا يســـيرون مع ركب قوافل الكارم، إذ لاقت رواجاً في تلك البيئات والمجتمعات البســـيطة، إذ وجد الأهالي في شـــيخ الطريقة إماماً مزوداً بقوى علوية ينفرد بالكرامات ومعرفة الأســـرار وهو ما يتفق مع اعتقادهم[1] وقد بدأت هذه الطرق في الانتشار منذ القرن 8هـــ/ 14م، فأصبح لها أتباع ومريدون[2]، وكانت لهم مدارس وزوايا[3] ومنها خرج كثيرٌ ممّن يريد التعمق في الإســـلام الى مصـــر ودمشـــق والقيروان، وقاموا بجهود كبيرة في نشـــر الإســـلام بعد عودتهم[4]، فكانت الطرق الصـــوفية ترســـل الدعاة الى جميع الجهات لنشـــر الإســـلام ومبادئ الطريقة وتعاليمها[5].

وكان الحج إحدى الوســـائل التي أدتّ الى قيام علاقات فكرية ودبلوماســـية وتجارية بين شـــعوب أفريقيا وبلاد الحجاز ومصـــر التي كانت معبراً للحجاج، فكان موســـم الحج فرصـــة لتكتل التجار الكارمية بمتاجرهم ولقاء الحجاج القادمين من أفريقيا فالى جانب مراســـيم الحج كانت تعقد الصـــفقات بين تجار الكارم والأفارقة فيكون هناك تبادل تجاري وفكري أيضاً[6].

أمّا في الحبشـــة، فقد تدفق الإســـلام اليها مع التجار المســـلمين الذين كانوا يحملون صنوف المتاجر وخصوصاً الذهب والعاج والتوابل حتى قال اليعقوبي ((لم تزل العرب تأتي اليها (الحبشـــة) للتجارات)) [7] وكان من بينهم أعداد من الكارمية الذين استقروا هناك وأصبح لهم دور مهم منذ القرن 6هـــ/ 11م[8]،حينما توغلوا داخل الحبشـــة لنشـــر الإســـلام[9] ولقوا الترحيب من الحكام والأهالي على حد

(1) ديشـــان، هوبير، الديانات في أفريقيا الســـوداء، ترجمة: أحمد صـــادق حمدي، 1956، ص135، ص146.
(2) النقيرة، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ص157.
(3) الزوايا: الزاوية من البيت ركنه ، وكانت الزاوية تتخذ كدور للعبادة وأداء الصـــلاة، ويرتب فيه الدروس للطلاب ، وتلحق بها المكتبات وتوقف عليها الأوقاف، وكان بها أيضاً مساكن للصوفية. المقريزي، السلوك،ج1، ص182حاشية(4)؛ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط1، بيروت-1986، ص1667.
(4) حسن، انتشار الإسلام والعروبة، ص16، ص17.
(5) النقيرة، انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ص158.
(6) الفاسي، شفاء الغرام، ج1، ص258.
(7) تـاريخ اليعقوبي، مراجعة: محمد صـــادق بحر العلوم، ط4 ، ج3، العراق -1974 ، ص218.
(8) الحيمي، الحســـن بن أحمد ، ســـيرة الحبشـــة، تحقيق: مراد كامل، القاهرة – 1972، ص52.
(9) المقريزي، الإلمام ، ص5.

سـواء[1]. حتى أسـلم على أيديهم كثير من أهل الحبشـة خاصـة الطبقات الفقيرة من الأحباش التي كانت مثقلة بالضرائب[2].

وقد أشـــار العمري الى وصـــول التجار الكارمية الى بلاد الحبشـــة ومعهم تجارتهم وبضـــائعهم الثمينة وهم آمنين عليها وجعلوا من التجار الأحباش نواباً لهم في حفظ أموالهم ومتابعة تجارتهم[3]، واســـتقر العديد من وكلاء تجار الكارم في الحبشـــة كوكلاء التاجر الكارمي محمد بن مسـلم، وعن طريق تجارتهم اسـتطاعوا إيصـــال تعاليم الدين الإســـلامي الى الســـكان المحليين[4] وفي ظل هذا الأمان والاسـتقرار اسـتطاعوا أنّ يقوموا بدور الوسـيط التجاري فنقلوا منتجات الحبشـــة والمناطق الأخرى الى الأســـواق العالمية[5]. ولم تمضِ مدة حتى نجد أنّ العديد من رؤسـاء أو شيوخ القبائل المحلية اعتنقوا الإسـلام، فضـلاً عن أنّ العديد منهم كانوا على درجة كبيرة من التسـامح والعدل وأظهروا محبة للتجار المسـلمين ممّا أعطاهم الرغبة في الاستمرار ومن ثم نشر الإسلام[6] ولم يسهم هؤلاء في نشر الإسلام فقط وانما مظاهر العروبة أيضـاً، بدليل أنّه أضـحت في الحبشـة كيانات عربية إسـلامية وصلت مرحلة راقية من التقدم[7].لكن مع أواخر القرن 9هـ/ 15م، بدأت بوادر نشاط التجار الأوربيين تظهر في مياه وأراضـــي الحبشـــة ليســـتغلوا موقعها التجاري وخيراتها لصالح مطامعهم الاستعمارية[8]، ومحاربة عملية انتشار الإسلام هناك[9].

أمّا غرب القارة فقد كان لديه اتصال مع بلاد العرب، وذلك عن طريق القوافل التجارية عبر الصحراء وعلى تلك المسالك تشكلت العديد من المدن والى تلك المدن وصـلت بدايات الإسـلام الأولى، ومنها انطلقت بدايات الإسـلام الى السـودان الغربي كله[10].

فأصبحت تمبكتو ومنذ القرن 6هــ/12م مركزاً إسلامياً مهما في غرب القارة فقد وصـل الإسـلام من جوف السـودان[11]، عن طريق التجار والصـوفية وكذلك من

(1) حامد، عمار، علاقات الدولة المملوكية بالدول الأفريقية، رســـالة ماجســـتير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب- 1956، ص45.

(2) عابدين، بين العرب والحبشة، ص215، ص223، ص224.

(3) مسالك الأبصار، ص52.

(4) ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص96، ج6، ص9.

(5) جاسم، نبراس فوزي، النشاط الاقتصادي في الحبشة من القرن 3-9هـ/9-15م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب- 2002، ص259.

(6) نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا، ص91، ص93.

(7) زكي، طرق التجارة، ص133، ص134.

(8) Abir, Mordechai, Ethiopia and The Red Sea, London –1980, P.25.

(9) رياض، مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، ص51،-ص63.

(10) نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا، ص121، حاشية رقم (3).

(11) جنوب الســودان يشـــمل جميع الأقاليم النهرية والصـــحراوية الواقعة جنوب مصـــر والصحراء الكبرى. العدوي، تاريخ العالم الإسلامي، ص49.

خلال الحملات المتوجهة من مصــر التي أنفذها الســلاطين الأيوبيين والمماليك[1]. والمهم هنا أنّه كان لتجار الكارم نفوذ تجاري قوي في الســـودان الغربي مكنهم من نشر الإسلام من بحيرة تشاد الى مناطق السودان الغربي، وحتى حدود مصر وبلاد النوبة، فقد كانت قوافلهم تســـير من مدينة ســـودانية الى أخرى، فأختلطوا بهم في الأسواق وتبادلوا السلع والأفكار واستقر بعضـهم في مختلف مناطقه ليكونوا حلقة الاتصـــال بين تجار الكارم في مصـر وأسـواق السـودان الغربي، وهيأت لهم عملياً الاســـتقرار والاندماج ثم التزوج بالنســـاء المحليات[2]، وبذلك كان تجار الكارم من الناشطين الأوائل في الدعوة للإسلام في وقت لم يكن لهم أي سلطة سياسية، انما كان لهم فيها الكلمة والنفوذ[3].

أخيراً يمكن القول إنّ هناك عوامل عدة ساعدت على انتشار الإسلام في مثل هذه المناطق من قارتي آسيا وافريقيا من أقصى الشرق في جنوب شرق آسيا الى اقصى الغرب في بلاد السودان الغربي، ومنها أنّ الإسلام لم يجبر أحداً على اعتناقه وأنّه احترم المعتقدات الموجودة ولم يسـتعمل السـلاح إلاّ إذا لزم ذلك، فقد قام على الاقناع الذي اســـتعمله الدعاة الذين لا يملكون إلاّ إيمانهم بعمق دينهم، وكثيراً ما انتشـر الإسـلام بالتسـرب البطيء السـلمي، وقام التاجر الذي مهمته التجارة بنشـر الإسلام حيثما حل عن طريق الاتصال والاحتكاك بالآخرين.

فضـلاً عن بسـاطة الإسـلام وسـمو مبادئه وتشـريعاته، وسـهولة فهم مبادئه كانت من عوامل انتشـــاره فالإســـلام دين وثقافة معاً، فهو يدفع معتنقيه الى الأمام ويرقيهم في سـلم الحضـارة الى أعلى الدرجات، ولموقف الإسـلام من الرق أثر في انتشـــاره فالمؤاخاة بين الســـادة والعبيد دفعت كثيراً الى دخول الإســـلام. ومما يؤكد غلبة الثقافة الإسلامية على تلك الشعوب انتشار مظاهر الحضارة الإسلامية في تلك البلاد، فالجوامع والمساجد التي تقام بها الخطب للوعظ والإرشـاد والتعريف بالدين كذلك الكتـاتيب والمدارس والخـانقـا هات والربط والزوايا التي يجتمع فيهـا الز هاد والفقهاء والعلماء لحفظ القرآن وتعليم مبادئ الدين ســـاهمت في رفع المســـتوى الثقافي لهذه الشعوب عن طريق تلك المؤسسات الدينية والتعليمية.

واللغة العربية رديفة الإسلام، فهي مظهر من مظاهر انتشـاره باعتبارها لغة الإسلام ديناً وحضارة تكلمتها الشعوب اينما حلت بجوار لغاتها الأصلية ومن امتزاج

---

(1) الحويري، أسوان، ص203.

(2) توجد طائفة في الســـودان اليوم، يطلق عليهم الجلابة أو التجار الجوالة وهم التجار المســـتقلون في عملهم والذين يتجولون براس مالهم كله ويدخلون الى بلاد كثيرة ابن عبد الرؤوف؛ أحمد بن عبد الله، رســـالة في أداب الحســـبة والمحتســـب، القاهرة- ص1955، ص17، ص58، وكان لهم دور في نشـر الإسـلام في المناطق النائية، عن طريق تفهمهم الجيد لعادات أهل المنطقة وأســتثمارها بشـكل إيجابي لنشـر الإســلام هناك. عابدين، عبد المجيد، دراسات سودانية، مجلة مصر والسودان، ع1، القاهرة - 1954،ص5.

(3) طرخان، ابراهيم علي، دراســـات في تاريخ أفريقية الإســـلامية، أمبراطورية صـــنغي الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض – 1981، ص12.

لغتين ظهرت لغات جديدة وعديدة هي خليط من اللغة العربية ولغات البلاد التي دخلها الإسلام كالاوردية[1] في شبه القارة الهندية والسواحيلية[2] في شرق أفريقيا وغيرها، التي كتبت بحروف عربية. وهناك أسـباب جوهرية سـاعدت على انتشـار اللغة العربية فهي لغة الدين وبها كتبت أصــوله وتفاســيره وعلى رأســها القرآن الكريم،[3] الذي يرجع اليه المسـلم في شـؤونه الدينية. ولاسـيما أنّ علماء وأئمة الأمة أجمعوا على عدم جواز قراءته وكتابته إلاّ باللغة العربية[4]. وكذلك أثر العلماء والدعاة والتجار في نشرها[5] مع قدرتها ومرونتها على التعديل والابتكار[6].

وبما أنّ التجار العرب المســلمين يتكلمون باللغة العربية، التي تعاملوا فيها بالتجارة التي أدت الى نشـــر الإســـلام فكان لابدّ من أنّ يتيح ذلك نشـــرهم اللغة العربية[7].ومع كثرة اختلاط العرب بالسـكان المحليين وتزاوجهم معهم تطلع هؤلاء الى التعرف على اللغة العربية ومحاولة التحدث بها[8].

وكان للدعاة المســلمين ومن بينهم التجار دور مهم في نشــرها فقد كانت لعلاقاتهم الودية المتينة مع الســكان وتعاملهم اليومي الأثر الطيب في نشــرها[9]. وبمرور الوقت تداخلت المفردات العربية مع مفردات اللغات المحلية التي اسـتعملت الابجدية العربية واقتبســت كثيراً من المفردات العربية وخاصـــة في علوم الدين والفقه والفلســفة[10] والاقتصـــاد والإدارة والقانون[11]. وقد كان للعلماء من تجار الكارم، أثر في انتشـــار اللغة العربية وعلوم الدين، فقد اعتمدت كتبهم في المدارس الدينية وخاصـــة بعد زيادة الاهتمام بدراســـته وترجمة وشـــرح كتب التفاســـير العربية[12].ففي الهند مثلاً توجب على الهنود تعلم اللغة العربية وقواعدها ليتمكنوا

---

(1) اللغة الاوردية: هي اوســع لغات شــبه القارة الهندية، وهي مزيج من اللغات العربية اســاســاً والفارســية والهندية القديمة وقد تميزت بمرونتها وصــلاحيتها في العصــور الوسطى ولا تزال مستخدمة لحد الآن. السـاداتي، تاريخ المسلمين في القارة الهندية، ج2، ص323، ص325.

(2) اللغة الســواحيلية: من لغات البانتو الافريقية، أســتعارت الفاظ كثيرة من لغات أخرى، وهي إحدى اللغات الاثني عشــرة الرئيســية في العالم الآن. ويتكلم فيها معظم ســاحل شـــرق أفريقيا وموانئ البحر الأحمر الجنوبية وكل ســـواحل شـــبه الجزيرة العربية وعمـان. محمـدين، علاقـة الجزيرة العربيـة، ص81؛ ســـعودي، محمـد، مكـانـة اللغـة العربية واثرها في اللغات الافريقية، مجلة الدارة، ع1، السنة الرابعة، 1978،ص91.

(3) القاســـمي، علي محمد، أتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الاخرى، الرياض – 1979، ص30.

(4) تيمور، محمد، مشكلات اللغة العربية، مصر – 1956، ص6، ص7.

(5) القيسي، أثر الإسلام، ص108.

(6) المصرف، ناجي زيدان، موسوعة الخط العربي، بغداد – 1990، ج4، ص72.

(7) نوري، تاريخ الإسلام في أفريقيا، ص100.

(8) قاسـم، جمال زكريا، الاصـول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، القاهرة – 1947، ص50-ص51.

(9) الاندوسـي، عبد الخالق ماسـدين، انتشـار اللغة العربية في أندونيسـيا، بغداد- 1969، ص70.

(10) بوزورث، تراث الإسلام،ج1، ق1، ص222.

(11) بن روسني ، ملامح تاثير الثقافة الإسلامية، ص14، ص21.

(12) الندوي، اللغة العربية في ماليزيا، ص70؛ القيسي، أثر الإسلام، ص123.

من فهم تعاليم الدين الإســلامي وأصــوله. ولعل أبرز مظاهر التجاوب بين الثقافتين الهندية والعربية الإسلامية وآدابها ظهور اللغة الأوردية، وعبرت اللغة العربية عن نفسـها في الهند من خلال خطب الجمعة والمدارس[1]. وقد أسـهم السـلاطين الهنود المســـلمون والعلمــاء المثقفون والتجــار الكــارميــة المترددون على الهنــد في انتشــارها[2].وكان للعلماء من تجار الكارم أثر في نشر اللغة العربية فكان من بينهم علماء في البلاغة والنحو والصـرف، وقد حملوا معهم مصـنفاتهم الضـخمة لتكون مناهج أســاســية في التدريس في المســاجد والمدارس في الهند ومنها الكشــاف للزمخشري وتحفة الغريب للدماميني الكارمي[3].

ثانيا. أثر تجار الكارم في بناء المؤسسات الدينية والتعليمية

لم يكن الكارمية تجاراً فقط ذوي رؤوس أموال ضـــخمة ويتاجرون بالمواد الثمينة ويحظون بالأرباح الوفيرة ويعيشون في رغد ورفاهية.

ولكن عُرِفَ عن الكثير منهم رجاحة العقل والأخلاق العالية والعلم والوافر، ممّا دفعهم لتوجيه جزء من اهتماماتهم وأموالهم الى نواحي أخرى كإقامة المنشآت العلمية للنهوض بالعلوم ولاسيما العلوم الدينية . وسنتعرض فيما يأتي الى أهمها:

1. المساجد[4]

إنّ مكانة المســجد في نفوس المســلمين وفي أي مدينة إســلامية هي مكانة كبيرة لدوره الديني والدنيوي الذي اختطه الرســـول الأكرم (ع) منذ البداية. لذا وجّه الكثير من التجار عناية لبناء المســـاجد، كالذي فعله عبد اللطيف التكريتي في الإسـكندرية[5]. وكذلك ابن عليبة في القاهرة[6]. ونجم الدين الجيلاني الذي بنى داراً عظيمة ومسجداً على حسابه الخاص [7].

واهتموا بترميم وإصلاح بعضها الآخر، فتروي المصادر أنّ التاجر الكارمي عمر بن علي المحلي جدّد جامع عمرو بن العاص[8] عندما ((تداعى الى الســـقوط

(1) الطحطوح، مظاهر الثقافة العربية، ص92؛ الندوي تاريخ الصـــلات، ص32؛ محمد ، ربابنة الخليج العربي، ص49.

(2) ياسر، العلاقات المصرية الهندية، ص90.

(3) الطحطوح، مظاهر الثقافة العربية، ص96؛ ياسر، العلاقات المصرية الهندية، ص86، ص96. ولمزيد من المعلومات، ينظر: الدجيلي، خولة شـــاكر، ملامح الحركة الفكرية في الهند في العصـــور الإســـلامية، مجلة كلية التربية للبنات، ع10، 1999، ص72-ص73.

(4) بنى التجار الكارمية العديد من المســـاجد في شـــتى أنحاء العالم الإســـلامي أنذاك، وسنكتفي هنا بذكر بعضها للدلالة فقط، ولمزيد من المعلومات عنها، ينظر:المقريزي، الخطط،ج2، ص79؛ ابن حجر، الـدرر الكـامنـة، ج4، ص275؛ الصـــيرفي، نزهـة النفوس، ج2، ص163.

(5) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص41.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص41؛ ج11، ص261.

(7) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص28، ص29.

(8) جامع عمرو بن العاص: الجامع العتيق المشـهور بتاج الجوامع، بناه عمرو بن العاص بعد تحرير مصر سنة 21هـــ/ 641م، مساحته عند بدء بنائه 50 ذراعاً طولاً بــــ 30 ذراعاً عرضاً، ثم ازدادت في سنوات 53هـ/ 672م و 94هـ/ 712م، ثم توالت الزيادات

حتى عاد تقريباً وكان عليه)) [1]. وعندما احتاج هذا الجامع الى إصلاح وتجديد مرة أخرى، قام التاجر الكارمي علي بن عبد العزيز الخروبي بذلك وصــــرف عليه مائة ألف درهم، ثم تبرع بمـائـة ألف درهم أخرى لعمـارة الحرم المكي[2]. وتبعهم في عمارته وترميمه التاجر الكارمي محمد بن مســـلم الذي التفت الى إصــــلاح مطهرة الجامع[3]. وعندما نشب حريق في الحرم المكي سنة 802هـ/1399م، عمره التاجر الكارمي برهان الدين المحلي[4]، وقام التاجر الكارمي أحمد بن علي المصـــري بإصلاح المسجد الحرام أيضاً[5].

2. المدارس

أشــارت المصــــادر التي ترجمت لتجار الكارم الى اهتمام بعضــــهم بإنشــاء المدارس، التي من المؤسف أنّ جميعها قد اندرست وتقسم على :

أ. المدارس الدينية

فالتاجر الكارمي تاج الدين الرهايلي بنى مدرســـة بمصـــر لتدريس علوم الحديث أوقف عليها أوقافاً عدة[6].

ويروي ابن حجر، أنّ التاجر محمد بن الكويك، شـيد بمصـر مدرسـة وجعلها دار للحديث، وأوقف عليها أوقافاً[7]. وأســـس التاجر عتيق بن ســـليمان الدماميني مدرســـة تحمل اســم الدمامين بالاســكندرية لدراســة العلوم الدينية، ولاســيما علم الحديث[8]. وقد شـيد التاجر بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي، المدرسـة الخروبية بالفسـطاط لدراسـة العلوم الدينية[9]ايضـا التي قال المقريزي عنها ((إنها بظاهر مصـر بشـارع الجسـر، أنشـأها كبير الخروبية، بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي التاجر في مطابخ السكر وغيرها بعد سنة 750هـــ/ 1349م، وجعل مدرسّي الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن، والشيخ سراج الدين

على مبانيه في العصور اللاحقة والجامع منذ أنشأنه ظل مكاناً لحلقات الدرس والوعظ والارشاد. السخاوي، الذيل على رفع الآصر ، ص270.

(1) ابن دقماق، نزهة الإنام في تاريخ الإسلام ، تحقيق: سمير طيارة، ط1، بيروت- 1999 ، ص41 ؛ المقريزي، الخطط،ج2،ص2؛ المقريزي، الســـلوك،ج3، ص129؛ القلقشـــندي، صـــبح الاعشـــى، ج3، ص342؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج2، ص270؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص132.

(2) ابن تغري بردي، الدليل الشـــافي، ج1، ص460؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص17.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص275.

(4) ابن أياس، بدائع الزهور، ج1، ص326.

(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص43.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص151؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص186.

(7) الدرر الكامنة، ج3، ص429، ج6 ، ص43.

(8) الادفوي، الطالع الســـعيد، ص192؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص156؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص340؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص320.

(9) ابن تغري بردي، الدليل الشـــافي، ج1، ص460؛ الســـخاوي، الضـــوء اللامع، ج5، ص240.

البلقيني[1] وقد جددها حفيده علي بن عز الدين عبد العزيز واضـــاف اليها مطهرة حسنة))[2].

وأنشأ التاجر محمد بن صلاح الدين بن علي الخروبي بيتاً كبيراً على شاطئ النيل وجعل فيه مدرسة سميت بالمدرسة التاجية الخروبية وقد وصفت بأنها الطف من مدرسة ابن عمّه، ووقف عليها أوقافاً وجعل بها مدرساً للحديث[3].

أمّا المدارس الدينية التي بنيت على مذهب معين، فاشـــهرها مدرســـة عبد اللطيف بن رشـــيد التكريتي الكارمي في الإسـكندرية. بناها داخل مسـجده وجعلها لتدريس الحديث والفقه على المذهب الشـــافعي، وأنفق عليها مالاً كثيراً، وسـميت بدار الحديث التكريتية وهذا نص تأسيسها:

بسم الله الرحمن الرحيم

((أنّ المساجد لله فلا تدعو مع الله احداً))، أوقف هذا المسجد المبارك، ودار الحديث العبد الراجي رحمة ربه عبد اللطيف بن رشيد التكريتي لتلاوة الكتاب العزيز وقراءة الاحاديث النبوية، وطلب العلم الشريف على مذهب الأمام ابن عبد الله محمد أدريس الشافعي، رحمة الله عليه في المحرم من سنة 678هـــ/1279م وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه)) **[4].**

هذا فضـلاً عن مدرســة أخرى أنشـأها أحد التجار الكارمية خارج مصـر، فتروي المصـادر أنّ التاجر الكارمي ابن رواحة أنشـأ مدرسـة تحمل اسـمه، عرفت بالمدرسـة الرواحية، في دمشـق داخل باب الفراديس[5] ووقف عليها اوقافاً حسـنة،

---

(1) ســـراج الدين البلقيني: عمر بن عمر علي بن أحمد بن عبد الله الســـراج التكروري الأصل المصري الشافعي، المعروف بابن الملقن، ولد سنة 723هــ/ 1323م، وتوفى سنة 804هـ/ 1401م، السيوطي حسن المحاضرة، ج1 ، ص206؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص100 ؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر ، ص77.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص369. ويذكر علي مبارك بأنها عرفت بجامع القبوة. الخطط التوفيقية، ج2، ص15، ص75. وقد تصــدر الفقه فيها أيضـاً صـلاح الدين المكيني بن بركوت الحبشـــي الفقيه المعروف، الذي تولى تدريس الفقه في عدد من مدارس مصـر كالناصـرية والبهائية والخطابة ونظر الجوامع، ولد سـنة 721هــــ/ 1318م، وتوفى سنة 881هـــ/ 1476م، السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص94-ص104.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص369. تقع مقابل المدرسـة العزية. ابن دقماق، الانتصـار، ج2، ص99.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص119؛ الظاهري، زبدة كشــف الممالك، ص41؛ الشيال، مدينة الاسكندرية، ص107، ص108.

(5) باب الفراديس: أحد أبواب جامع دمشـــق وهو الباب الرابع وعليه منارة، وســمي بالفراديس نسبة الى محلة كانت تسمى بالفراديس في شمالي دمشق خارج هذا الباب وكان لها باب آخر يســمى باب الســلامة لكنه أغلق، والفراديس بلغة الروم تعني البســاتين. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص157، ج6، ص146؛ العيني، السيف المهند، ص133.

درَس بها جماعة من علماء الشـــافعية، وقد بنى بحلب مدرســـة أخرى للشـــافعية أيضاً[1].

وشـيد أحد تجار الكارم المتاجرين مع الكانم مدرسـة بمصـر عرفت بمدرسـة ابن رشيق[2] سنة 640هـــ/ 1242م، لتدريس الفقه على المذهب المالكي، وسماها باسم الفقيه المعروف الشيخ ابن رشيق لانه أشرف على بنائها وهو أول من درَس بها[3]. وهي مرفقة بغرف لســكنى طلبة العلم ولاســيما القادمين من بلاد الكانم[4]. أصــبحت هذه المدرســة مركزاً لطلاب العلم الوافدين من بلاد التكرور، حتى أنّ أهل الخير من تلك البلاد اعتادوا أنّ يبعثوا بالمال والتبرعات اليها[5].

ب. المدارس غير الدينية

أمّا المدارس غير الدينية التي بناها الكارمية فهي الأخرى كثيرة سنشير الى بعضـها. فقد بنى التاجر الكارمي ابراهيم بن عمر المحلي، مدرسـة سـميت بمدرسـة المحلي تقع على شـــاطئ النيل في ظاهر مدينـة القاهرة، الى جوار داره[6]، وقد عمّرها في سبع سنين وأنفق في بنائها ما يقارب خمسين ألف دينار وأوقف عليها الاوقاف الكثيرة . لكن وفاته في سنة 806هـــ/ 1430م، ومصادرة السلطان الناصر فرج بن برقوق لتركته[7]، يدفع الى الاعتقاد بعدم إســتمرار الوقف على المدرســـة وتعطيل الدراســـة بها، فقد كان الغرض من أنشـــأها خدمة الثقافة واســتقبال طلبة العلم [8].وشيد حسن بن سويد الكارمي مدرسة في القاهرة رصد لها مبلغ40.000 دينار لكنه توفى قبل اكمالها، فأكملها ورثته لكنهم حولوها الى مسجد[9]. أمّا التاجر

---

(1) أبو شـــامة، الروضـــتين في أخبار الدولتين، ص149؛ ابن حبيب، بدر الدين محمد بن عمر ،تذكرة النبيه في أيام المنصـــور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين وســـعيد عبد الفتاح عاشـــور، ج1، القاهرة – 1976،ص82؛ ابن دقماق، نزهة الانام، ص161،؛ النعيمي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحســـيني ،ج1 ، دمشق – 1948، ص265.

(2) ابن رشيق: علم الدين أبو القاسم محمد بن عتيق بن رشيق الاسكندري المالكي، ولي قضـــاء الاســـكندرية اثنتي عشـــرة ســـنة وذكر لقضـــاء دمشـــق، وروى عن ابن بنت الجميزي، وله نظم وفضـائل، توفى سـنة 720هـــ/ 1320م، عن 72سـنة. ابن حجر، الـــدرر الكـــامنـــة، ج4، ص174؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص25؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص216.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص365؛ عابدين ، بين العرب والحبشـة، ص199، ص200 ؛ طرخان ، أمبراطورية البرنو، ص73 ؛ عمار، علاقات الدولة المملوكية، ص58، ص59.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص365؛ بصلي، تاريخ وحضارات السودان، ص423.

(5) المقريزي ، الخطط ، ج2 ، ص365؛ عاشور، مصر والشام، ص352.

(6) المقريزي، الخطط، ج2، ص79.

(7) المقريزي، الخطط، ج2، ص368، ص369. ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2، ص29.

(8) أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصـــر(648-923هـــــ/ 1250-1517م) ، القاهرة -1980 ، ص240.

(9) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص101.

الكارمي محمد بن مسلم فقد خصص مبلغ 16.000 ألف دينار من ماله لبناء مدرسة في الفسطاط أوقف عليها الأوقاف لإدامتها[1].

وتروي بعض المصـادر أنّ كارمياً وهو عبد اللطيف بن الكويك بنى مدرسـة في الإسـكندرية من ربح يوم واحد من متجره وقدره 40 ألف دينار حسـبما ذكره الظاهري[2]، وكان يُعدّ من أعظم تجار الإسكندرية وصارت مدرسة مشهورة عرفت بمدرسة الكويك[3].

وأنشـأ التاجر عز الدين محمد بن صـلاح الدين الخروبي المدرسـة العزية الخروبية مقابل دار النحاس في القاهرة، وهي أكبر من مدرسة عمّه بدر الدين لكنه توفى سنة 776هـ/ 1474م، قبل أنّ يُكمل بناءها[4]، وهذا يعني أنّ عائلة الخروبي أنشأت بمصر ثلاث مدارس تحمل اسم الخروبية .

وقد عمر المسـلمي كافور خادم القاضـي ناصـر الدين بن مسـلم الكارمي المدرسـة الكافورية التي تقابل المدرسـة الكويكية[5]. وبنى كلّ من عبد العزيز الكولمي ومحمد بن الكويك[6] وعبد اللطيف الاسـكندراني مدارس بالاسكندرية[7]، ويرجع الفضل الى معين الدين الفارسكوري كبير تجار دمياط ببناء المدرسة المعينية بدمياط[8].

3. الكتاتيب

إذا ما عُدّت المدارس في عصـر المماليك بمثابة التعليم العالي حالياً، فإنّ الكتاتيب[9] نهضـت بالتعليم الأولي. ويبدو أنّ الهدف من إنشـاء معظمها في ذلك

---

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصـافي، ج3، ص763. وسـميت هذه المدرسـة المسـلمية نسبة الى أبناء مسلم تجار الكارم، تقع في شـارع السـيوريين في القاهرة وتعتبر من أحسن المدارس بمصر بناءاً. ابن دقماق، الانتصار،ج4، ص99 ؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص401؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص246.

(2) زبدة كشـف الممالك، ص41؛ عبد العزيز، الاسـكندرية، ص139. ومع أنّ المبالغة واضـحة في ذكر المبلغ أعلاه، لكنه يدل على كثرة اموالهم وسـعة أرباحهم وأزدهار اعمالهم.

(3) يسميها ابن دقماق المدرسة الكويكية وهي تقابل المدرسة الكافورية. الانتصار، ج4، ص99.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص370.

(5) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص99.

(6) المقريزي، السلوك، ج2، ص132، ص133؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص383، ص493، ج4، ص252؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص229.

(7) ابن حبيب، الحسـن بن عمر بن الحسـن، درة الاسـلاك في دولة الأتراك، مخطوط بدار الكتب المصـرية برقم 617 تاريخ، ج1، ورقة 100أ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2، ص410.

(8) الادفوي، الطالع السعيد، ص193.

(9) لم نعثر في المصـادر القديمة التي تحدثت عن هذه المدة على كلمة كتّاب أو كتاتيب وإنما وردت دائماً لفظة مكتب أو مكاتب، وان وردت فهي دائماً ملحقة بكلمة سـبيل، لأنها كانت تقام فوق الاسـبلة. ينظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص369، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص29.

العصـــر كان لتعليم أيتام المســـلمين[1]، لذلك قام الأمراء والأثرياء بحبس الأوقاف عليها رغبة في الثواب[2].

جرت العادة ببناء الكتّاب بجوار المسـجد أو المدرســة فوق الســبيل، ولذلك عرفت باسم مكتب السبيل أو كتّاب السبيل، وإن كان هذا لم يمنع من أنشـأء مكاتب منفصلة عن السبيل ورغم ذلك أطلق عليها أيضا اسم مكتب السبيل[3]. وفي أغلب الأحيان يشغل الكتاب الدور العلوي في السبيل والتعليم فيه مجاني يقتصر على تعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والخط العربي[4]، ومؤسسه هو المُحْسن الذي بنى السبيل نفسه ويحمل اسمه[5]، ويتم التعليم فيه بطريقة التلقين[6].

وقد أنشـــأ تجار الكارم عدداً من هذه الكتاتيب، منها مكتب ســـبيل تاج الدين الخروبي الذي أنشـــأه بجوار مدرســـته[7]. وأنشـــأ التاجر الكارمي ابراهيم بن عمر المحلي، مكتب سبيل بجوار مدرسته التي تقع على شاطئ النيل[8]وكان لعبد العزيز بن منصور الكارمي مكاتب سبيل أوقف عليها عدة أوقاف[9].

4 . الخانقاهات والربط والزوايا والقاعات ودور السبيل والمدافن

أ. الخانقاهات

شـــيد بعض تجار الكارم الخانقاهات التي رفدت الحركة الفكرية، فضـــلاً عن دورها الديني والاجتماعي[10] وكان من أهمها خانقاه المؤيد شـــيخ المعروفة بالخانقاه الخروبية، شيدها بمنطقة الجيزة مقابل مقياس نهر النيل وعُدت من أفضل الخانقاهات ((أنشـــأها زكي الدين أبو بكر بن علي الخروبي كبير التجار ثم توارثها من بعده أولاد الخروبي التجار بمصر، فلم تزل بأيديهم الى أنّ نزلها السلطان المؤيد شيخ في سنة 822هـ/ 1419م، وقام بها فاقتضى رأيه أنّ يجعلها خانقاه فاستدعى ابن الخروبي ليشـتريها منه، فيتبرع بما يخصـه منها، فقدم الى الأمير سـيف الدين أبي بكر بن المسروق الاستادار بعملها خانقاه، وسار منها، فأخذ الأمير أبو بكر في عملها حتى اكتملت في آخر السـنة واسـتقر في مشـيختها شـمس الدين محمد بن المكتبي الدمشقي الحنبلي وخلع عليه يوم السبت من سنة 823هـ/ 1420م، ورتب

(1) عاشور، العصر المماليكي، ص335؛ الحداد، السلطان المنصور قلاوون، ص54.
(2) جومار، وصف القاهرة، ص208.
(3) أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص262، ص263 ؛ رزق ، خانقاوات الصـــوفية في مصر،ج1، ص78،ص79.
(4) ظهرت العناية بتعليم الخط العربي في الكتاتيب في زمن السلطان قلاوون، لاعتقاده أنّه له أهمية في تنمية الذوق السليم وبناء الاحساس المرهف عند الاطفال. امين الاوقاف والحياة الاجتماعية، ص270.
(5) جومار، وصف القاهرة، ص212.
(6) ن. م، ص58، ص212-ص214.
(7) المقريزي، الخطط، ج2، ص369.
(8) ن.م، ج2، ص368، ص369؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص29.
(9) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص204.
(10) عبد المهدي، عبد الجليل حسن، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط1، عمان-1980، ص78.

له كلّ يوم عشــرة دنانير مؤيدية ولكل واحد من الفقراء في الخانقاه مع الخبز دينار مؤيدي في كلّ يوم فجاءت في أحسن شيء)) [1].

وشيد التاجر الكارمي ابن مزلق خانقاه في سنة 841هـــ/ 1437م، ووقفها للفقراء والمعوزين[2].

ب. الربط

أمّا الربط، فقد شــيد التاجر الكارمي عبد الرحمن بن ســويد الرباط التكريتي بالاسكندرية[3]، ولمجد الدين الجزري الكارمي رباطاً كانت سقيفة دار الجوهر وقفاً له[4].

وعمر التاجر الكارمي حســن بن القاســم الطاهر رباط باب الســويقة[5] أحد أبواب المســـجد الحرام، ووقف منافعه على الفقراء، وكانت له دوراً أخرى في مكة استأجرها ووقفها للرباط[6].

ج. الزوايا

أمّا الزوايا، فقد بنى زكي الدين الخروبي، زاوية في الجيزة على شـاطئ نـهر النيل كان يقيم بها وأصبحت مستقراً للفقراء[7]، وكان لعبد اللطيف البالسي الكارمي زاوية في مصــــر ظلت قائمة حتى عصــــور متأخرة [8]. وللتاجر الكارمي الخواجا اسحق زاوية يطعم فيها الوارد والصادر، وينفق فيها على الفقراء والمساكين[9].

د. القاعات

وكانت القاعات والدور تؤدي الغرض نفسه الذي تقوم به الخانقاهات والربط فهي أماكن واسعة معظمها قريب من المساجد يجتمع فيه الفضلاء والزهاد.فقد شيد تاجر السلطان المؤيد شيخ نور الدين الطنبدي القاعة الكبرى المطلة على النيل[10]،

---

(1) المقريزي، الخطط، ج2، ص426، ص427؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص450؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص875، ص876؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص15؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص240؛ رزق ، خانقاوات الصوفية في مصر ،ج1، ص94،ص95.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص41؛ ج11، ص73.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص262؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص193.

(4) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص48.

(5) باب السـويقة: السـويقة هي اصـغر حجماً من السـوق، وقد اختصـت بتلبية الحاجات اليومية لقطاع صغير في المدن، فصغر حجمها وتحددت وظيفتها فسميت بالسويقات، نظراً لصـــغرها نوعاً عن تلك التي تخدم المدينة كلها. عثمان، المدينة الإســـلامية، ص253.

(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص127.

(7) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص538.

(8) جومار، وصف القاهرة، ص138.

(9) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص28، ص29.

(10) الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص267؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص30.

وكان للتاجر محمد الماحوزي قاعة قرب الجامع الأزهر، انفق عليها أموالاً كثيرة[1].

هـ. دور السبيل

وشيد عددٌ كبيرٌ منهم الدور خارج مصر، وأوقفوها لفعل الخير وتكون سبيلاً يأوي اليها الزهاد والمتصوفة، وعابري السبيل من طلاب العلم وغيرهم. فالمصادر تذكر لنا أنّ التاجر عبد الكريم الزبيري شـــيد داراً بمكة، وعمّر دوراً أخرى في حُنين[2]. كذلك فعل التاجر الكارمي ابن أبي الغيث الذي عمر في إحدى سويقات داراً حسـنة ووقفها مع دور أخرى له في عدن وزبيد[3].وشـيد التاجر حسـن بن قاسـم الطاهر دوراً في مكة وعمر أخرى في مدينة حُنين [4]. كذلك فعل التاجر الكارمي حسـن النابلسـي حينما بنى دوراً بمكة وعمرها عمارة ممتازة[5]، وشيد التاجر عبد الله الابيوردي بعض الدور بمكة[6]، وفي اليمن شـــيد أبو بكر بن الجمال الكارمي دوراً عظيمة للغرض نفسه[7].

و. المدافن

وتسمى أيضاً الترب فقد كانت لبعض تجار الكارم اهتمام ببناء المدافن، لكن الغرض من بنائها ليس اسـتعمالها كمقبرة فقط، بل كخانقاه للصـوفية، أو مدرسـة لتدريس العلوم الدينية والمذاهب، أو مسجداً لأداء الصلاة. وأحياناً تلحق بها سبيل يعلوه كتّاب ومـأذنـة، وهي تحتوي على العديد من المرافق، ولاسـيما الغرف للموظفين العاملين بها أو للمدرسين[8]. ومنها تربة التاجر الكارمي نور الدين الطبندي[9] التي تقع بالقرب من الروضـــة[10]. وتربة ابن مزلق في القاهرة[11].

---

(1) السخاوي، التبر المسبوك، ص198.
(2) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص216؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص319.
(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص184.
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص127.
(5) ن.م، ج3، ص34.
(6) ن.م، ج3، ص116.
(7) ن.م، ج11، ص174.
(8) الباشا ، الفنون والوظائف،ج1،ص77.
(9) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص267.
(10) الروضـــة: المراد بها جزيرة الروضـــة الواقعة في مجرى النيل بين مصـــر القديمة ومنطقة القصر العيني، وعرفت أيضاً باسم جزيرة مصر وجزيرة الفسطاط لوقوعها باتجاه مدينة الفســطاط ويقال لها جزيرة المقياس لوجود مقياس النيل فيها، وعرفت ايضاً بالحصن نسبة الى حصن ابن طولون وسميت بالروضة نسبة الى البستان الذي أنشأه الافضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش سنة 490هـ/ 1096م، وهي مدينة الزمالك اليوم. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص172.
(11) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص482.

وكان لأبناء الكويك[1] تربة معروفة يدفن فيها أكابر العلماء والشيوخ[2] تقع خارج باب النصر[3]، وكذلك تربة صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي في القرافة[4] بين تربة الأمام الشافعي[5] وتربة الليث بن سعد[6]، وقد جددها حفيده نور الدين علي بن عز الدين بن الصلاح وأضاف اليها مطهرة حسنة[7].ولنجم الدين عبد الرحيم بن القاسم الرحبي الكارمي تربة مشهورة في المزة إحدى قرى دمشق، جعل فيها مسجداً وأوقف عليها أوقافاً كثيرة[8].

ثالثا. الاثر الفكري لتجار الكارم

لم يكن أثر تجار الكارم في الحياة الفكرية بأقل من دورهم في المجال الاقتصادي فالتاجر الكارمي تاجر مسلم أمن بعقيدته واستمد منها قوته ونهل من علومها وكان متبحراً في العديد منها ونقل معرفته الثقافية هذه الى مختلف الناس أو الاماكن التي ذهبوا اليها واستقروا فيها. من هنا خدم الإسلام بنشاطه التجاري

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص291، ص358.

(2) وأشهر من دفن بها شهاب الدين بن محمد المصري المحدث الفقيه في المدرسة الشريفية المتوفى سنة 793هـ/ 1390م. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص291. وابن جماعة المقدسي خطيب القدس الذي قدم الى مصر وتوفى بها سنة 795هـ/ 1392م، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص358.

(3) باب النصر: هو أحد أبواب مدينة القاهرة القديمة في سورها البحري. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص38. أنشأه امير الجيوش بدر الجمال وزير الخليفة المستنصر الفاطمي سنة 480هـ/ 1087م، وهو من أقدم وأجمل الأبنية الحربية الباقية في مصر، وواجهة الباب منقوش عليها أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس، وعليه اسم منشأه وتاريخ أنشأوه.ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص342 حاشية (2)؛ المقريزي، الخطط،ج1 ، ص381؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص165.

(4) القرافة: أو الجبانة، وهي مقابر أو مدافن الموتى، وسميت هكذا منذ القرن 4هـ/ 10م، حين وجد حي عمراني أستمد اسمه من بني قرافة أحد بطون قبيلة المَعافر والى هذه القبيلة ينسب مجموع جبانات القاهرة التي عرفت جميعها بالقرافة. وفي القرافة أحواش وترب كبيرة مخصصة للعائلات الثرية .المقريزي، الخطط، ج2، ص244. وكان هناك ما يعرف بالقرافة الكبرى التي تقع في سفح جبل المقطم بمصر. البغدادي، الافادة والاعتبار، ص166. والقرافة الصغرى، التي نقل الناس اليها أبنيتهم من القرافة الكبرى بعد دفن الملك الكامل فيها بجوار قبر الأمام الشافعي. المقريزي، الخطط، ج2، ص444.

(5) يوجد في هذه التربة ضريح الأمام الشافعي الذي قام صلاح الدين الأيوبي ببنائه، الذي قال عنه ابن جبير أنّه من المشاهد الباهرة للنظر في البناء والأتساع وبنى بجواره مدرسة سميت بالمدرسة الصلاحية في سنة 572هـ/ 1176م. الرحلة، ص22؛ جومار، وصف القاهرة، ص90. وقام بعمل تابوت من الخشب فوق تربة الشافعي من خشب الساج الهندي، وعندما توفيت والدة الملك الكامل دفنت بالقبة، ثم صار يدفن فيها عظماء الناس، وقد جرت عدة إصلاحات للقبة أهمها إصلاحات السلطان قايتباي في سنة 885هـ/ 1480م، وتلتها إصلاحات السلطان الغوري. محمود، تاريخ العمارة الإسلامية، ص67.

(6) الليث بن سعد: عبد الرحمن الفهمي ولد سنة 95هـ/ 713م، كان شافعيا متفقهاً، ويقال أنّه كان أفقه من الأمام مالك بن أنس، توفى سنة 175هـ/ 791م. ابن تغري بردي، الجنوم الزاهرة، ج2، ص82؛ المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج= =العارفين، النقود والمكاييل والموازين، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، العراق – 1981، ص37؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط4، بيروت – 1979، ج6، ص115.

(7) المقريزي، الخطط، ج2، ص369.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص171.

والمالي، وبذل من ماله في سبيل خدمة الثقافة العربية الإسلامية، لينشرها في شتى الأنحاء التي يصــلها، لذلك كانت جهودهم في هذا الصــدد جديرة بالإشــارة[1]. ومن المهم التنويه هنا، أنّ مثل هذه المعلومات كانت جد قليلة في مصـــادرنا القديمة، إلاّ كتب التراجم التي إســـتُخلص منها معظم المادة الوادرة إذ حوت معلومات متناثرة تروي أنّ بعضهم كانوا علماء حديث وفقهاء وشعراء ومدرسين وسنشير الآن الى أبرز هذه العوائل والعلماء والعلوم الدينية والانسانية والعلمية التي اشتهر بها نسبة عالية من تجار الكارم وسنبدأ بالآتي:

1. العلوم الدينية

أ. علوم القرآن

لاتقدم المصـــادر القديمة معلومات كثيرة عن علماء كارمية برزوا في علوم القرآن باستثناء إشارات بسيطة كعبد العزيز بن الكويك الذي كان حافظاً للقرآن في مدينـة القـاهرة[2]، وحســـن بن ابراهيم المنـاوي المعروف بـابن عليبـة[3]. وكـان لبعضــهم عناية بتفسـير وشـرح بعض سـور القرآن الكريم وإعرابها كالحسـين بن محمد بن عبد الله[4]، وعرف عن برهان الدين المري القاهري أنّه قام بتدريس علم الفرائض في جامع ابن طولون[5]وكذلك ابراهيم بن محمد بن مسعود القاهري[6].

ب. علم الحديث

كـانت هنـاك عوائـل من تجـار الكـارم عرفت بمكـانتهـا الاجتمـاعيـة والمـاديـة العالية، وبرز منها علماء ومدرســـون للحديث الى جانب عملهم في تجارة الكارم، ومنها عائلة الدماميني. وأبرزهم ابراهيم بن مكي الدماميني الملقب ضـــياء الدين، الذي حدث بالقاهرة[7] وعتيق بن محمد بن ســـليمان المخزومي الدماميني الملقب بالتاج الذي ســـمع الحديث وعمل في تدريســـه في قوص[8]. وكان أخوه عمر بن محمد بن ســـليمان الملقب بالنجم عالم حديث حدث في الإســكندرية[9]، ومحمد بن محمد نوح الدماميني أبو عبد الله الذي ذكره الشـــيخ قطب الدين عبد الكريم[10] في تاريخه، وحدث في قوص بأحاديث الترمذي في سنة 647هـ/ 1249م[11].

(1) خفاجي، طبقة التجار في مصر المملوكية، ص67.
(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص228.
(3) ن.م، ج1، ص144.
(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص702؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص270، ص272؛ ابن تغري بردي، الدليل الشـافي، ج2، ص583، ص584؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج1، ص134، ص136، ج7، ص283، ص584، ج11، ص92، ص93.
(5) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص134.
(6) ن. م، ج1، ص134- 136.
(7) الادفوي، الطالع الســـعيد، ص67؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص126؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص183.
(8) الادفوي، الطالع السعيد، ص359، ص360.
(9) ن.م، ص456.
(10) قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي ثم المصري الحافظ المؤرخ المتوفى سنة 735هـ/ 1334م. الادفوي، الطالع السعيد، ص181.
(11) الادفوي، الطالع السعيد، ص629، ص630.

أمّا موسى بن عبد السلام الدماميني الملقب بالنفيس، فقد سمع الحديث من الشيخ تقي الدين القشيري(1) في سنة 659هـ/ 1260م وحدّث به(2). وكذلك موسى بن عبد الكريم الدماميني الذي سـمع الحديث من بهاء الدين ابن بنت الجميزي(3)، سنة 645هـ/ 1246م، وتقي الدين القشيري سنة 659هـ/ 1260م، وقد ورد اسمه مع طبقة السماع بقوص بخط الشيخ تقي الدين القشيري(4).

وعُرف عن ابن موفق الدماميني أبو الغيث أنّه صـاحب المكاشـفات(5) الـموصـوفـة والـمـعـارف الـمـعـروفـة، كـان مـحـدثـاً فـي الـزاويـة الجمالية(6) بظاهر القاهرة توفي سنة 648هـ/ 1250م، وقد أصبح قبره مزاراً(7). وبرع منهم أيضاً أحمد بن سليمان الشهاب الدماميني الملقب بالشهاب الذي سمع الحديث من علماء قوص وحدث فيها(8). وبدر الدين الدماميني الذي اشتغل بالحديث في الإسـكندرية ثم درَس وتقدم واشـتهر بعدة مدارس في القاهرة وسُـمع بها(9) ومنها المدرسة المنصورية(10)، ثم سافر الى بلاد اليمن سنة 820هـ/ 1417م، وأقام بها نحو سنة يُدرس بجامع زبيد(11).

(1) تقي الدين القَشَـيري:محمد بن علي بن وهب عالماً بارعاً وراوية لاحداث الجاهلية وعلوم الإسلام، ولد سنة 625هـ/ 1227م، في ينبع، حفظ القرآن الكريم، ثم رحل في طلب الحديث الى دمشـق والاسـكندرية، وحدث بقوص، ودرس الفقه على مذهب الأمامين مالك بن انس والشـافعي، ورحل الى القاهرة، درسَ في المدارس الفاضـلية والكاملية والصالحية، ودرَس بقوص بدار الحديث، تولى القضاء في آخر عمره، توفى سنة 702هـ/ 1302م. الادفوي، الطالع السعيد، ص567-600.

(2) الادفوي، الطالع السعيد، ص ص664.

(3) بهاء الدين ابن بنت الجميزي: علي بن هبة الله اللخمي ولد في مصر سنة 559هـ/ 1163م، حفظ القرآن في سن مبكرة، ثم سمع بدمشق في شبابه من الحافظ ابن عساكر وقرأ القراءات على أبي الجيش البطائحي، وقرأ المهذب على ابن أبي عصرون وتفرد في زمانه ورحل اليه طلبة العلم،درّس وأفتى وأنتهت اليه مشـيخة العلم بالديار المصرية توفى سنة 649هـ/ 1251م. المقريزي، السلوك، ج1، ص382؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص24؛ السـخاوي، الذيل على رفع الآصـر ،ص183؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص193؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص246.

(4) الادفوي، الطالع السعيد، ص665.

(5) المكاشفات: المقصود بها الغيبيات. الادفوي، الطالع السعيد، ص653.

(6) الزاوية الجمالية: أو زاوية الجمالي هي المدرسـة الجمالية الواقعة بين حارة الفراخة وقصر الشوق، في القاهرة بناها الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي في سنة 730هـ/ 1329م، وجعلها مدرسـة للحنفية، وخانقاه للصـوفية، وتولى تدريسـها ومشـيخة الصوفية فيها الشيخ علاء الدين التركماني الحنفي، وقد تلاشى امر هذه المرسة لسوء ولاة امرها وتخريبهم أوقافها، ثم صـارت منزلاً يسـكنه بعض الفقهاء. المقريزي، الخطط، ج2، ص392.

(7) الادفوي، الطالع السعيد، ص648-ص656.

(8) ن.م، ص78.

(9) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص18؛ السامرائي، علماء العرب ، ص177.

(10) المدرسة المنصورية:أنشأها السلطان المنصور قلاوون، سنة 684هـ/ 1285م، وأنتهى العمل منها في السـنة ذاتها وتقع داخل باب المارسـتان. المنصـوري الكبير بشارع بين القصرين بالقاهرة . ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام ،ص344؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج1،ص272 حاشـية (4)؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص379؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص275؛ العيني، عقد الجمان، ص170.

(11) السامرائي، علماء العرب، ص177، ص178.

ومن العوائل الكارمية العلمية المعروفة بمصـر وخارجها آل الكويك وقد برز منهم الشيخ الحافظ أبو العز شرف الدين أبي الطاهر المحدث[1].تلمذ على يده قضاة وشــيوخ وعلمـاء أصــبحوا علمـاء افـاضـــل آنـذاك ومنهم القـاضــي بـرهـان الـديـن بـن مـحـمـد الـديـري [2] والشــــيـخ الـحـافـظ الـعـلامـة السخاوي[3]، برع في قراءة وفهم صحيح مسلم[4] وضبط الفاظ كتاب ابن أبي يزيد وسنن ابن داود والشفاء للقاضي عياض[5]. وقد قرأ عليه العيني[6] كتاب القاضي عياض وأجاز له مروياته ومسـموعاته[7]. وأجاز لعدد من القضـاة كان أشــهرهم القاضـي ولي الدين أبي البقاء[8].وسـراج الدين عبد اللطيف بن الكويك الذي سـمع

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص111؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص4.
(2) برهان الدين بن محمد الديري: شـيخ الإسـلام المقدسـي الحنفي ولد سـنة 810هـــ/ 1407م، ببيـت المقـدس وقـدم مع أبيـه الى القـاهرة وهو صـــغير فحفظ القرآن الكريم،تدرب على يد شـــيوخ عصـــره في أصـــول الدين والعربية والخط ثم درسَ في المدرس الفخرية وناب عن والده في مشـيخة المدرسـة المؤيدية، ثم درَس الفقه، ناب في القضـــــاء عن أخيــه بتفويض من الســـلطـان، ولي نظر الجوالي ونظر =

=الجيوش بعدها ديوان الأنشـأء، ثم اسـتقر في قضـاء الحنفية في مصـر، عرف بعفته ونزاهته، توفى سـنـة 876هـــ/ 1471م. السـخاوي، الذيل على رفع الآصـر ،ص4-ص12.
(3) الســخاوي:محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان الشــيخ الأمام العلامة الحافظ السخاوي الأصل القاهري المولد، الشافعي المنزل. نزيل الحرمين الشريفين ولد سنة 831هـ/ 1426م، بالقاهرة، حفظ القرآن، وعمدة الاحكام والتنبيه والمنهاج والفية ابن مالك، قرأ على شــيخه ابن حجر العســقلاني وحمل عنه اكبر تصــانيفه وكتب اغلبها بخطه، وأذن له بالاقراء، توفى سـنة 902 هـــ/ 1496م. السـخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص489.
(4) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص113، ص240، ص350، ص432،ص434.
(5) القاضي عياض: موسى بن عياض عالم المغرب وأمام أهل الحديث في وقته،وهو أعلم الناس بكلام العرب وأنسـابهم وأيامهم، ولي قضـاء سبتة مكان ولادته، ثم ولي قضـاء غرناطة، ولد سنة 476هــ/ 1083م، وتوفى في مراكش سنة 544هــ/ 1149م، ومن تصــانيفه الشــفاء بتعريف حقوق المصـطفى ومشــارف الأنوار في الحديث، المناوي، النقود والمكاييل، ص67؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص282.
(6) العيني: بدر الدين أبو محمد محمود الحسيني الشهير بالبدر العيني ولد بمدينة عينتاب قرب حلب سنة 762هـ/1360م، وكان والده قاضياً فنشأ نشأة أبناء العلماء في زمانه، نبغ في الفقه وســاعد والده في مهام منصــبه درس الحديث والفقه واللغة، رحل الى حلب ودمشــق والقاهرة، تولى نظر حســبة دمشــق، ثم عاد الى القاهرة، وعمل في وظائف عديدة منها التدريس والحسـبة ونظر الاحباس وسـفيراً في آسـيا الصـغرى. وقاض للحنفية، له عدة تصـانيف في علوم الحديث والقرآن والفقه والتاريخ واشـهرها عُقد الجمان في تاريخ أهل الزمان وغيرها، وله مؤلفات باللغة التركية، أشـهر تلاميذه ابن تغري بردي والسخاوي وأبن الصيرفي، توفى سنة 855هـ/ 1451م. العيني، عقد الجمان، ص17-26.
(7) العيني، عقد الجمان، ص19.
(8) ولي الدين ابن أبي البقاء: محمد بن محمد بن عبد اللطيف السـنباطي القاهري المالكي ولد سنة 786هـــ/ 1384م، ويعد ضريحه مزاراً للناس في المحلة الكبرى، قرأ القرآن الكريم والموطأ لمالك وحفظ العمدة والفية ابن مالك، عمل في التدريس والإفتاء وناب القضاء في سنباط ثم في القاهرة، ولي قضاء الاسكندرية، توفى سنة861هــ/1456م، السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص344-ص348

الحديث في الإســـكندرية[1] من ابن النجيب[2] وأبي محمد بن فارس[3] ومن عبد الرحمن الكندي الدشـــناوي[4]، وحدث في القاهرة وقوص[5]. واشـــتغل التاجر الكارمي عمر بن غنوم مدرســـاً للحديث في الإســـكندرية، وكان له عدد من الأخوة جلّهم من رجال الحديث ومدرسيه[6].

وكان عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن الكويك المحدث شـــيخ مشـــايخ الحافظ ابن حجر العســـقلاني[7] وشـــيخ المحدثين الربعي التكريتي. أجاز لعدد من علماء الحديث، وتفقه على المذهب الشـــافعي وكان يعطي لكل واحد ممن يســـمع عليه الحديث ديناراً[8]. وظلّ مجلسه العلمي في تدريس الحديث قائماً في منزله الى أنّ مات سنة 821هـ/1418م[9].ودرس أبو الفتح بن الكويك الحديث أيضاً[10] .

لم يقتصـــر ظهور علماء الحديث على الأســـر الكارمية، بل برز علماء معروفون منهم ممنّ عمل في تجارة الكارم . اشـــتهر منهم أبو ســـعيد غرس الدين الافقهيســـي بأنه كان مدرســـاً للحديث وشـــاهداً عدلاً وفقيهاً وشـــاعراً[11]. ومارس مهنة تدريس الحديث أيضـــاً أبو بكر محمد بن عويس بن الهلس[12]، وكان جلال الدين المحلي عالماً ومدرســـاً للحديث في القاهرة[13]، وبدر الدين الطبندي، الذي

---

(1) الادفوي، الطالع السعيد، ص489.
(2) ابن النجيب: الشـــيخ عبد القاهر عبد الله بن محمد الملقب بالســـهرودي، كان من الصوفية، وفقيهاً معروفاً توفى في سنة 563هـ/ 1167م. البغدادي ، الافادة والاعتبار، ص12 حاشية (5) .
(3) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج4، ص119.
(4) عبد الرحمن الكندي، الدشـــناوي: محمد بن أحمد عبد الرحمن بن محمد الكندي تاج الدين القوصي مولداً وسكناً ووفاة. فقيه عالم ومقريء ومحدث وأديب وشاعر، سمع الحديث من العلامة العظيم المنذري والدمياطي عبد المؤمن وابن دقيق العيد حدث بقوص ومصر والقاهرة والاسكندرية وسمع منه جماعة كثيرة، ولد سنة 646هـــ/ 1248م، توفي سنة 722هـ/1322م. الادفوي، الطالع السعيد، ص488 – ص497.
(5) الادفوي، الطالع السعيد، ص269.
(6) ن.م، ص456؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص186؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج1، ص504.
(7) ابن حجر العسقلاني:أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الكناني الشافعي القاهري وأبن حجر هو لقب أبائه. الحافظ الأمام المتفرد بمعرفة الحديث، ولد سنة 783هـــ/1381م، نشأ يتيماً في كنف أحد الأوصياء حفظ القرآن وكثيراً من الكتب وحبب اليه الحديث ابن الكويك والعلماء الذين درس على أيديهم، ارتحل الى بلاد الشام والحجاز واليمن ومكة، وله مصـــنفات عديدة في المعاجم وتخريج الشـــيوخ والشـــروح وعلوم الحديث وفنون رجاله وله مؤلفات في الفقه والأصول، توفى سنة 852هـــ/ 1448م، وتزاحم الأمراء والأكابر على حمل جنازته. الشـــوكاني، محمد= =بن علي، البدر الطالع بمحاســـن من بعد القرن السابع،ط1، ج1،القاهرة ، ص87، ص90.
(8) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص405، ج3،ص209،ج4، ص143..
(9) المقريزي، السلوك، ج4، ص476؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص155.
(10) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص252.
(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص203، ص204.
(12) ن. م، ج11، ص19، ص20.
(13) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص22.

درس صـــحيح البخاري وحدث به[1]. وزكي الدين ابن رواحة الكارمي الذي كان راوية للحديث تسمع منه الكثير[2].

وعرفت القاهرة واحدا من خيرة تجارها مدرساً للحديث هو أبو بكر الخواجا حســن بن أحمد الطاهر[3]، وعمل الحلبي أنس بن هاشـــم بن ابراهيم مدرســاً للحديث[4]. وكان عبد اللطيف بن مسـند مدرس حديث في مصـر[5]، وعمل أبو بكر بن محمد الشافعي مدرس حديث ومحتسباً في مصر[6].

وعمل المحيوي شـهاب الدين النشـاوي القاهري الكارمي مدرساً للحديث[7]، ومارس مهنة تدريس الحديث أيضاً الجناب العالي سراج الدين بن مزلق لحقبة من الزمن[8]. وعرف أيضاً من تجار الكارم ابن العز محمد بن محمد بن وجيه السخاوي القاهري مدرســاً للحديث وفقيهاً[9].ومارس عوض بن موســى المكي البزاز تجارة الكارم الى جانب عمله مدرساً للحديث في مصر، وكان ابن الإصبع المكي بدر الدين مدرس حديث أيضاً[10]. والى جانب ممارسته التجارة في الكارم في القاهرة والطور وغزة ومكة والمدينة ودمشـــق عمل أبو النقاب أبو بكر بن عبد الله الجمال في تدريس الحديث[11] فضلاً عن أنّه كان أحد الشهود العدول[12].

وقد انفردت ابنة رئيس التجار ناصر الدين البالسي ست التجار، بأنّها كانت محدثة معروفة سمع منها الفضلاء، وممّن قرأ عليها السخاوي، الذي أجازه العديد من علمـاء الحـديـث[13]. وعمـل يحيى بن عمر بن أحمـد الحوراني الحموي في تدريس الحديث وهو من عائلة معروفة في الكارم فقد كان والده وعمّه من تجار الكارم المعروفين، فضــلاً عن ممارســة تجارته في مصــر وحماة ودمشــق وحلب ومكة[14]. ولأبي بكر بن النجم أبي الخير الفلوي أثر أيضـــا في تدريس الحديث الى جانب ممارسته لتجارة الكارم[15]. وقد لقب جلال الدين المصري المالكي بن سويد

---

(1) ن.م، ص280.
(2) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج1، ص93 حاشية (4) .
(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص213، ص214.
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص323.
(5) ابن حبيب، تذكره النبيه، ج2، ص60؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3،ص410.
(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص74.
(7) ن.م، ج1، ص351، ص352.
(8) ن.م، ج6، ص120.
(9) ن. م، ج9، ص165.
(10) ن.م، ج6، ص149، ج3، ص153.
(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص41، ص44.
(12) العدول: هم المزكين للشهود والمقصود أنّه مشهور بالعدل. ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج1، ص142.
(13) السخاوي، الضوء اللامع، ج12، ص16.
(14) السخاوي، الضوء اللامع ، ج10، ص238.
(15) ن.م، ج11، ص92، ص93.

بملك المحدثين الى جانب ممارســـته التجارة في صـــعيد مصـــر ومكة والمدينة وكنباي[1].

ومنهم أيضاً عبد الجبار الأموي العثماني الاسكندري الذي سمع الحديث عن شيوخ الإسكندرية كالحافظ السلفي[2] وحدث فيها وفي القاهرة والصعيد واليمن[3]. وبرع الحسين محمد بن عبد الله الطين بشرح الكشاف للزمخشري وسماه المشكاة وشرح مختصر المازني[4].وعرف عن أحمد بن خالد أبي بكر الفارقي الكارمي أنّه حفظ التنبيه[5] وقرأ القراءات واعتنى به الشيخ جمال الدين الظاهري لإحسان أبيه أليه فاســـمعه الكثير وأخرج له أربعين حديثاً عن أربعين شـــيخاً حدث بها مراراً، وأخرج لـــه ابراهيم بن القطـــب الحلبي معجمـــاً في مجلـــدين قرأت بخط البـــدر النابلســـي[6]. وحدث التاجر الكارمي تاج الدين محمد بن عثمان بن عمر البلبيســـي في الإسكندرية أيضاً [7].

ج. علم الفقه والإفتاء

برز من عائلة الدماميني من الكارمية مَن عُرف بالفقه ومنهم الشيخ شريف الدين محمد بن ســـليمان بن جعفر الدماميني الذي كان بارعاً في الفقه وأصـــول العربية [8]. وكان العلامة بدر الدين محمد أبي بكر الدماميني عالما في الفقه درس على فضلاء عصره في بلده الإسكندرية وكان له عدد من التصانيف المعروفة التي اعتمدها العلماء بعدها. منها شـرح التسـهيل لابن مالك الطائي وهو شـرح معروف، وله شرح على صحيح البخاري سماه مصابيح الجامع وله مصنف تحفة الغريب في

---

(1) ن.م،ج6، ص90، ص91.

(2) الحافظ السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ السلفي الاصبهاني وسمي بالسلفي نسبة الى جده ابراهيم وسلفّة وتعني غليظ الشفتين. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص87. طلب العلم والتقى المشـــايخ، قدم الى دمشـــق وســـمع الحديث في بلاد عديدة، دخل مصر وسمع بها واستقر في الاسكندرية سنة 511هـــ/ 1117م، فقصده الناس من كلّ مكان توفى سنة 576هـ/ 1180م، ودفن فيها وبلغ من العمر 105 سنة. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1 ، القاهرة -1950، ص150؛ ابن يغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص87.

(3) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صـــلاح الدين المنجد، ط2، ج5، الكويت – 1948، ص5؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 221، ج9، ص289؛ أبو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص115.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص68، ص69.

(5) التنبيه: أحد الكتب الخمســة المشـهورة عند الشـافعية وأكثرها تداولاً وهو من مؤلفات الشـــيخ أبو علي أســحق ابراهيم بن علي الفقيه الشــيرازي الشـــافعي المتوفى ســنة 476هـ/ 1083م. الأدفوي، الطالع السعيد، ص81.

(6) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5، ص56، ج6،ص187.

(7) الدمشـــقي، أبو المحاســـن، محمد بن علي، ذيل تذكرة الحفاظ ، تحقيق: حســـام الدين القدسي ، ج1، بيروت، ص129.

(8) العيني، عقد الجمان، ص401؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص167.

شـرح مغني اللبيب[1]، وقورنت مصـنفاته مع مصـنفات العلماء والشـيوخ الكبار[2]. وقد أجاز لبعض العلماء في شرح العمدة[3] والالفية[4].

وعرف عن عتيق بن محمد الدماميني بأنه أحد فقهاء مدينة قوص[5] وحفظ التنبيه. ومنهم أيضاً يحيى بن حجازي الدماميني الملقب بالعميد، الذي قرأ القراءات على ابن حِفاظ[6] وكان متديناً مقبول الشهادة[7].

أمّا جلال الدين المحلي، فبرع في الفقه كلاماً واصــولاً ونحواً ومنطقاً ألف كتباً عديدة منها شــرح جامع الجوامع في الاصــول وشــرح بردة المديح وشــرح الشـمسـية في المنطق[8] وتفسـير الجلالين الذي اشـترك في تأليفه معه تلميذه جلال الدين السيوطي[9] وهو من الكتب التي أُعتُمِدت في جنوب شرق آسيا لدراسة العلوم الدينية[10]. عُرِفَ بالتقشف والصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والابتعاد عن الحكام بالرغم من محاولاتهم التقرب اليه[11]، وقد قال عنه الشــيخ كمال الدين[12] أنّه من علماء عصــره[13]. وعرف عن زكي الدين الخروبي تفقهه فضــلاً عن العديد من أعمال البر والصـدقات التي قام بها، وأوصــى بان يفرق على طلبة كلّ مذهب ألف دينار[14].

ومن الطبنـديـة، تجـار الكـارم، كـان هنـاك فقهـاء منهم بـدر الـدين الـذي كـان مدرســاً للفقه[15].وكذلك محمد بن عزيز الطبندي الملقب بالجمال، الذي كان فقيهاً

---

(1) النمر، تاريخ الإسلام ، ص153؛ السامرائي، علماء العرب، ص177.
(2) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص340.
(3) شــرح العمدة: أحد مصــنفات أبو الفتح محمد بن الشــيخ علي بن وهب بن مطيع العشيري القوصي (702-625 هــ/ 1227- 1303م)، المعروف بابن دقيق العيد، له مصنفات في الحديث واصول الفقه واصول الدين وله خطب وشعر. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص143؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر ، ص16.
(4) الألفية:في علم الحديث لزين الدين العراقي لخص فيه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح وزاد عليه وسماه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله ، كشــف الظنون عن أســامي الكتاب والفنون، ط3، ج1، طهران،-1967، ص143؛ العيني، عقد الجمان، ص363؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر ، ص259.
(5) الادفوى، الطـالع الســعيـد، ص359، ص360؛ ابن كثير البـدايـة والنهـايـة، ج15، ص156.
(6) ابن حفاظ: عبد الســلام بن عبد الرحمن بن رضــوان بن أبي الجُود حفاظ القوصـــي، تصـدر الاقراء بمدينة قوص، وكان مقبول الشـهادة عند القضـاة محترفاً، توفى بقوص سنة 685هـ/ 1286م، الادفوي، الطالع السعيد، ص320، ص321.
(7) الادفوي، الطالع السعيد، ص707.
(8) السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص210.
(9) الندوي، اللغة العربية في ماليزيا، ص70.
(10) القيسي، أثر الإسلام، ص123.
(11) السخاوي، الذيل على رفع الاصرة، ص234.
(12) الشيخ كمال الدين: محمد بن محمد بن إمام المدرسة الكاملية، وله أخوين آخرين تولوا مهمة تدريس الحديث في نفس المدرسة، اشتهروا بين الشافعية بالديانة والفقه، توفى كمال الدين سنة 874هــ/ 1469م، بطريق الحجاز. الصيرفي، انباء الهصر، ص211، ص425، ص264.
(13) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص292.
(14) العيني، عقد الجمان، ص280.
(15) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص78، 289.

حفظ الوجيز[1]، فاضـــلاً اديباً ورئيســـاً، وله مؤلفات عن الحيوانات يصـــنف فيها الطيور والجوارح والخيل[2].

وممن اشـــتهر بالفقه والإفتاء معاً، محمد بن محمد النخعي القوصـــي، الذي كان فقيهاً للشـــافعية بأدفو والمرج[3] فضـــلاً عن ممارســـته التجارة في قوص[4]. ومارس شمس الدين الكناني المصري تدريس الفقه والإفتاء، فضلاً عن توليه أدارة وكالة أحد الأمراء في سلطنة بيبرس الجاشنكير، (708-709هـ/1309-1310م[5]) وسمع ابن العدل رضي الدين المصري الواسطي السفار صحيح مسلم ودرسه وعلم الفقه والإفتاء في مصـــر ودمشـــق وعدن والاســـكندرية[6]. وعمل الحنفي القاهري الزيني أبو بكر مدرساً للإفتاء في القاهرة[7]، وكذلك كان أبو العز القاهري الشافعي مدرس إفتاء أيضاً[8].

وفي الجامع الأزهر كان التاجر الكارمي شـــمس الدين الماحوزي مدرســـاً للإفتاء[9]. وكان يحيى بن محمد بن ســـعيد العبســـي القاهري مدرس إفتاء بالقاهرة فضلاً عن عمله بتجارة الكارم[10]. وعمل برهان الدين المري المقدسي القاهري في تدريس الإفتاء بجامع ابن طولون[11] مدرســـاً للفقه بجامع الفكاهيين[12]. وقد ناب

(1) الوجيز: هي الفروع للامام الغزالي. الادفوي، الطالع السعيد، ص70.
(2) الادفوي، الطالع السعيد، 643.
(3) المرج : من القرى القديمة وهي اليوم مركز شـبين القناطر بمحافظة القليوبية بمصـر في حدود ضـــواحي القاهرة، كانت تســـمى قديما مخلف مرج، وتســـمى أيضـــاً مرج التركمان، من أعمال ضواحي مصر. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص125؛ الادفوي، الطالع السعيد، ص8.
(4) الادفوي، الطالع السعيد، ص362.
(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333، ص334.
(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص221 ؛ الحنبلي، شـــذرات الذهب، ج5، ص315.
(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص80.
(8) ن. م، ج9، ص165.
(9) الســـخاوي، الضـــوء اللامع، ج10، ص112، ج11، ص224؛ الســـخاوي، التبر المسبوك، ص198.
(10) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص246، ص247.
(11) جامع ابن طولون: بناه الأمير أحمد بن طولون سنة 265 هـــ/878م. وكان على شكل بناء جامع ســـامراء وولاســـيما مئذنته الملوية ذات الســـلم الخارجي، وهو من اكبر المساجد في العالم الإسلامي من إذ المساحة وله صحن تتوسطه قبة ذهبية مقامة على عشـــرة أعمدة رخامية، ويحيط به عدة أروقة، وقد اعتنى به جميع من حكموا مصـــروقاموا باعمال ترميم فيه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص15؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص152.
(12) جامع الفكاهيين : شيد هذا الجامع في سنة 543هـ/ 1148م، في زمن الخليفة الفاطمي الظاهر وأطلق عليه اسم الجامع الظافر أو الظافري أو الافخر ليسيرعلى نمط الأزهر، يقع في القاهرة في وسط السوق أوقف عليه الخليفة اوقافاً كثيرة، وقد أقيمت فيه حلقة للتدريس وأجتمع فيه عدد من الفقهاء والمفســرين وأبرز من درس فيه الشـــيخ محمد الشنواني الذي كان يكنسه ويسرج قناديله. محمد، كمال السيد، اسماء ومسميات من تاريخ مصـــر، القاهرة – 1986، ص76، ص77، 97؛ فييت،المواصـــلات في مصـــر، ص121؛ الشوربجي، رؤية الرحالة، ص448.

في الفقه بالمدرسة المزهرية[1] والمؤيدية[2] الى جانب ممارسته التجارة[3]. وكان أبو بكر محمد بن القاسم مدرساً للإفتاء بمصر الى جانب ممارسته التجارة في القاهرة ومكة وكنباي بالهند والملايو[4]. وقد عرف عن الحسين بن أحمد بدر الدين الهندي أنّه كان مدرساً للفقه في دمشق ومكة[5]. واشتغل ابراهيم بن محمد بن مسعود القاهري مدرساً للإفتاء بجامع ابن طولون ومدرساً للفقه بجامع الفكاهيين، وقد ناب في الفقه بالمدرستين المزهرية والمؤيدية[6].

د. المجالس العلمية

لما كان العديد من تجار الكارم على قدر كبير من العلم والثقافة لذا عنوا بعقد المجالس العلمية أو حضوروها. فقد كان لزكي الدين الخروبي مجلس لقراءة كتب الصحاح، ولاسيما صحيح البخاري الذي يقول العسقلاني أنّه سمع منه آنذاك[7]. وكان لمجالس الفقيه ابن العدل رضي الدين السفار الواسطي المحدث، العلمية الفضل في نشر علمه وفقهه في مصر ودمشق وعدن من خلال طلبته الذين حضروها[8].

ومنهم من واضب على حضور مجالس العلماء ومجالس السلاطين، فقد واضب زكي الدين الخروبي حضور مجالس الشيخ ابن رزين[9] وقرأ عليه صحيح البخاري[10]. وعرف عن موسى بن عبد السلام بن عطية الدماميني أنّه كان يحضر مجالس الشيخ تقي الدين القشيري وقد سمع الحديث أيضاً في مجالس الشيخ بهاء الدين ابن بنت الجميزي. أمّا محمد بن عبد الله بن عبد الجبار الاموي فقد كان يحضر مجالس الحافظ السلفي وغيره من الشيوخ وقد سمع منه شيخ الإسلام

(1) المدرسة المزهرية : أنشأها الأمير محمد بن أبي بكر الانصاري الدمشقي الشافعي، ويعرف بابن مزهر في سنة 881هـ/ 1476م، وتعرف الآن بجامع المزهرية. السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص494.

(2) المدرسة المؤيدية : أنشأها السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة 833هـ/ 1249م، وكان بها مكتبة كبيرة. السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص174، وهي الآن جامع المؤيد بالغورية في القاهرة. السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص495.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص134.

(4) ن.م، ج11، ص87، ص118.

(5) ن. م، ج3، ص201، ص202.

(6) السخاوي ، الضوء اللامع، ج1، ص134، ص136.

(7) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص68، ص69.

(8) الحنبلي، شذرات الذهب ج5، ص335؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص221.

(9) ابن رزين :هو تقي الدين أبو عبد الله محمد بن رزين العامري، كان اماماً بارعاً في الفقه والتفسير، متبحراً في علوم كثيرة، ولد بحماة سنة 603هـ/ 1206م، وقرأ النحو على بن يعيش والفقه على بن الصلاح ولازمه، أنتقل الى مصر فانتفع به الطلبة وولي قضاء الوجه البحري سنة 665هـ/ 1266م، واستمر قاضيا حتى عزل سنة 678هـ/ 1279م، مات سنة 680هـ/ 1281م. السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص201؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص195، ج2، ص3.

(10) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص538.

الحافظ المنذري[1]. وقد درس على يد الشيخ أبا الحسن المفضل المقدسي[2]، الذي كان يثني عليه كثيرا لنباهته[3]، ورافق عبد العزيز بن الكويك السخاوي وأخذ منه الكثير[4]. وعرف عن عبد اللطيف بن الكويك حبه لحضور مجالس العلم، فقد أجاز له المزي[5] وهو من علماء الإسكندرية والبزرالي[6] وزينب بنت الكمال[7] ولازم القاضي عز الدين بن جماعة[8] ويذكر العسقلاني أنّه

(1) الحافظ المنذري:الحافظ الكبير الأمام شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد المعري الشافعي ولد بمصر 581هـ/ 1185م، وتفقه وبرع في علم الحديث وولي مشيخة المدرسة الكاملية وانقطع بها عشرين سنة وهو تلميذ البغدادي، ولا مثيل له في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه، متبحراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله وغريبه، بارعاً في الفقه والعربية والقراءات. ومن مؤلفاته الترغيب والترهيب وشرح التنبيه وغير ذلك. توفي في سنة 656هـ/ 1258م البغدادي، الأفادة والأعتبار، ص27؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص201؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص166.

(2) أبو الحسن المفصل المقدسي: هو الحافظ العلامة على بن الأنجب ابن المكارم اللخمي المقدسي الاسكندراني المالكي، ولد سنة 544 هـ/ 1149م، في الاسكندرية وصحب الحافظ أبو الطاهر السلفي وتعلم منه وكان من أكابر حفاظ الحديث وعلومه، وكان فقيهاً مالكياً فاضلاً، وقد صحبه العلامة الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري، توفى سنة 611هـ/ 1214م، بالقاهرة ودفن بسفح جبل المقطم. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص329؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص212؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص163؛ الحنبلي ، شذرات الذهب، ج5، ص47.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص221؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص376؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص115، ص116.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص228.

(5) المزي: جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، ولد سنة 654هـ/ 1256م، وتوفى سنة 742هـ/ 1341م. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص23؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص102.

(6) البزرالي: الأمام الحافظ المؤرخ أبو عبد الله علم الدين الاشبيلي الأصل الدمشقي الشافعي ولد سنة 577هـ/ 1338م. الادفوي، الطالع السعيد، ص154؛ العيني، عقد الجمان، ص474؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص196؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص254. وينسب الى بزرالة وهي قبيلة من قبائل البربر. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص284، ص314، ج8، ص51. كان معروفا بدراسته لعلوم الدين سمع منه الكثير من المشايخ في دمشق وله تاريخ ومعجم وهما أكثر من عشرين مجلد. ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج1، ص16،ص224.= =سكن في دمشق الى أن توفي سنة 636هـ/ 1227م. البغدادي، الأفادة والاعتبار، ص28؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص182؛ البغدادي، موفق عبد اللطيف، المجرد للغة الحديث، تحقيق: فاطمة حمزة الراضي، بغداد- 1977، ج1، ص38.

(7) زينب بنت الكمال: مسندة الشام أم عبد الله بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية الصالحة روت عن محمد بن عبد الهادي وسبط ابن الجوزي وجماعة آخرون، وأجازت لها عجيبة البقدارية وابن الخير وابن العليق وعدد كثير وتكاثر عليها الطلاب من كلّ مكان وقد تفردت في روايات كتب كبار العلماء، وتوفيت عن عمر ناهز 94 عاما، سنة 740هـ/ 1339م. الحنبلي، شذرات الذهب، ج3، ص126.

(8) عز الدين بن جماعة: الشيخ محمد بن شرف الدين أبي بكر ابن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين، ولد سنة 759هـ/ 1357م، اشتغل في سن مبكرة، مال الى فنون المعقول، فأتقنها أتقانا بالغاً له تصانيف عديدة تقرب من ألف مصنف، توفي سنة 819هـ/ 1416م. السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص263؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص15.

قرأ عليه كتاب الشـفاء للقاضــي عياض من أوله الى آخره وكثر طلبته وأخذوا عنه ولازموه وقد أجاز للعسقلاني بجميع مروياته ومسموعاته[1].

هـ. الائمة والخطباء

شـغل تجار الكارم مهام وأعمال أخرى كانت لها صـلة بالجانب الديني، فكان منهم الأمام كأبي الفتح بن الكويك شـمس الدين التكريتي[2] ونائب للامام في المقام الحنبلي في مصـر كأحمد الجمال المكي الحنبلي[3]. ومنهم من كان خطيباً، فقد تولى أبو بكر بن القاسم الهاشـمي الكارمي الخطابة في المسجد الحرام[4]. وكان عبد الله الدماميني معيداً وخطيباً بالجامع الأزهر[5]. وفي سنة 800هـ/ 1397م، دخل بدر الدين الدماميني مع ابن عمّه دمشـق ، ثم أصـبح خطيباً بجامع دمشـق[6]. وكان عبد الله الأبيوردي خطيباً أيضـاً[7]، وكذلك الشـهاب المحلي خطيب جامع ابن ميالة بالقاهرة[8].

وتولى بعضهم النظر في الجوامع، كحسن بن محمد بدر الدين الصفدي الذي كان ناظراً بالمسـجد الحرام [9]، أمّا جامع الفكاهيين فقد تولى النظر فيه كلا من ابراهيم بن محمد بن مسعود الكارمي وبرهان الدين المري المقدسي[10].

وتولى التاجر الكارمي شـمس الدين الماحوزي نيابة النظر بالجامع الأزهر[11]. أمّا شـهاب الدين المعروف بابن المغيري فقد تولى مشـيخة مقام الدسـوقي[12] في سلطنة الظاهر جقمق، ومباشر أمور الصوفية في خانقاه سعيد

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص476؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14، ص155.
(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص252.
(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص125.
(4) ن.م، ج11، ص87، ص88.
(5) الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص256؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص56.
(6) السامرائي، علماء العرب، ص177.
(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص116.
(8) السخاوي، الذيل على رفع الاصر، ص324.
(9) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص127.
(10) ن.م، ج1، ص134، ص136؛ ج9، ص134.
(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص112؛ ج11، ص224 ؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص198.
(12) الدسوقي: ابراهيم الدسوقي أحد علماء الصوفية في مصر (633-676هـ/ 1235-1277م) دفن في دسوق احدى قرى القاهرة وهو أحد الاقطاب الأربعة للصوفية في مصر مع أحمد الرفاعي وعبد القادر الحنبلي وأحمد البدوي وسموا أتباعه بالبراهمة واتخذوا اللون الأخضر زيا لهم. محمد، اسماء ومسميات، ص115، ص116.

السعداء[1] وباشر أحمد الشهاب القوصي أمور الصوفية في نفس الخانقاه[2] وكذلك عبد الله بن أبي بكر القليوبي شيخ الخانقاه الناصرية[3] بسرياقوس[4] وتولى موسى بن علي سليمان الشرف فضلاً عن نظر المارستان[5] نظر الخانقاه السعيدية[6] وجامع عمرو بن العاص[7].

2. العلوم الانسانية
أ. علوم اللغة العربية

(1) خانقاه سعيد السعداء: وتسمى أيضا الخانقاه الصلاحية،وهي أول خانقاه أقيمت في القاهرة، أقامها صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ/1173م،وتقع في رحبة باب العيد، كانت في البداية داراً لمملوك أعتقه المستنصر بالله الفاطمي وهو الأستاذ قنبر أو سعيد السعداء أحد خدام القصر، ثم صارت خانقاه للفقراء والصوفية الواردين من خارج مصر.ووقف عليها الكثير من الأوقاف، وأشترط أنّ من مات من الصوفية وترك 20 ديناراً فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ورتب لهم كلّ يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماماً، وبلغ عدد الصوفية فيها 300 رجل. واهتم بها سلاطين المماليك وبنوا لها مأذنة ووقفوا عليها أيام الأشرف شعبان بلدة أبو ريش في الجيزة. ينظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص414، ص415؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص103؛ السخاوي، الذيل على رفع الآصر، ص491؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص215.

(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص257، ص258.

(3) الخانقاه الناصرية: هي دار للضيوف أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 723هـ/1323م، ثم تحولت الى خانقاه وصارت تعرف بالخانقاه الناصرية تقع خارج القاهرة في شمالها. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص89، ج12، ص57. وكان بها مائة خلوة لمائة صوفي، الصيرفي، انباء الهصر، ص14؛ رزق، خانقاوات الصوفية في مصر، ج1، ص82، ص85.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص222. وسميت بالخانقاه السرياقوسية أيضاً.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج9،ص89، ج12، ص57؛ رزق ، خانقاوات الصوفية في مصر، ج1 ، ص82.

(5) المارستان: أو البيمارستان كلمة فارسية مشتقة من لفظي بيما وتعني مريض وستان وتعني المكان أو الموطن، فيكون معناها المكان الذي يوجد به المرضى وهو ما نسميه بالمستشفى الآن. البيومي، النظم المالية، ص145. وأول بيمارستان أنشيء في مصر كان في عهد الامويين في زقاق القناديل، وفي عهد الطولونيين أنشيء البيمارستان العتيق، وأنشأ الاخشيديون بيمارستان أيضاً أوقفت عليه حوانيت وقيساريات، وفي عهد الأيوبيين أنشأ صلاح الدين الايوبي البيمارستان العتيق ووقف عليه العديد من الرباع. ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص99؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص407.؛ المقريزي ، السلوك ،ج1 ، ص716؛ عيسى ، أحمد ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط1، دمشق، ص4.

(6) الخانقاه السعيدية: تقع هذه الخانقاه خارج القاهرة انشأها القاضي سعد الدين ابن غراب الإسكندراني أستادار السلطان الظاهر برقوق وكاتب سره سنة(801-808 هـ/ 1399 – 1406م) ، المقريزي، الخطط، ج2، ص418. رزق، عاصم محمد، خانقاه الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية، ط1، ج2، القاهرة – 1997، ص527.

(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص186، ص187.

عرف عن تجار الكارم عنايتهم بعلوم اللغة العربية من شـــعر وأدب ونحو وبلاغة فقد نبغ بعضـهم في قول الشـعر وحفظه، وعرف عن أحمد بن عبد الوهاب بن حريز أنّه لا يتكلم إلاّ مقفى وله ديوان شـعر[1]. وكان الابيوردي الحافظ شـاعراً وناقداً [2]. وعمل ابن سويد الربعي التكريتي مدرس شعر وأدب أيضـاً[3]. وكان كلّ من صلاح الدين الافقهسي وابن البدري معلمين للشعر[4]. وبعضهم نظم الدواوين في المدائح النبوية، فقد روي أنّ عبد اللطيف بن الكويك قال الشـعر وله نظم فائق وكتابة جيدة وألف ديواناً مشـــهوراً في المدائح النبوية[5]. أمّا شـــهاب الدين الدماميني فكان شـاعراً [6]. وعبد اللطيف بن محمد بن مسـند التاجر الكارمي الذي كان شـاعراً متخصـصـاً بالمدائح النبوية[7]. وكان أبو النقاب بن عبد الله الكارمي شاعراً أيضاً [8].

عرف عن بدر الدين الدماميني أنّه درس علوم اللغة العربي فتفوق في النحو ونظم الشعر والنثر واللغة[9]، وتصدّر بالجامع الأزهر لتدريس النحو[10]، وله شعر جيد بليغ[11]، وكان عتيق بن محمد الدماميني أديباً أيضـــاً[12] ولعرام الأســـواني الكارمي شهرة في الأدب[13].

ب. علم التاريخ

أمّا التاريخ فقد كانت لعتيق بن محمد الدماميني اهتمامات فيه[14] ، وعرف عن أبي بكر بن النجم الفلوي أنّه كان مدرساً للتاريخ[15].

3. العلوم الصرفة

برع عدد من الكارمية في العلوم الصـــرفة وخاصـــة الطب، ومنهم محمد بن عبد الله المصـــري المكي الحضـــري المعروف بالطبيب[16]، وعرف عن ابن الزبير

(1) الادفوي، الطالع السعيد، ص46، ص238.
(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص116.
(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص23.
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص203، ص204، ج11، ص41، ص42.
(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص405؛ العيني، عقد الجمان، م61، ورقة462أ.
(6) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص41، ص42.
(7) ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2 ص410 ج4،ص119؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج6، ص221.
(8) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص41، ص44.
(9) ابن تغري بردي، الدليل الشـافي، ج2، ص583، ص584؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج7، ص184، ص187.
(10) السخاوي، الذيل على رفع الآصر ،ص350.
(11) السامرائي، علماء العرب، ص178.
(12) الادفوي، الطالع السعيد، ص359، ص360.
(13) ن.م، ص192، ص193.
(14) ن.م، ص359.
(15) السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص92، ص93.
(16) السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص121.

هبه الله الكويكي أنّه من عدول مصـــر ونبهائها مع الثقة وحســـن القبول في مجال الطب، فقد كان قيماً في علم الطب، وصناعة الدواء أو الكحل(1)، ويقال إنّ العاضد الخليفة الفاطمي أمرله بخُلعه، لبراعته في معالجة بعض أهله، وأنّه ولاه على الأطباء في مصـــر(2)، وعرف عن شـــمس الدين بن الكويك أنّه بارعاً في صـــناعة اليد(3).

ومن طريف ما يرويه ابن تغري بردي أنّ ناصـــر الدين محمد بن مســـلم الكارمي كان يشـــتغل بعلم الكيمياء، وأنّه خلف أموالاً كثيرة من المتجر والعمل في الكيمياء، بحيث أنّه لم يكن أحد من أهل عصره أكثر مالاً منه(4).

4. الرحلة في طلب العلم

كانت إحدى صـــفات العالم في ذلك الزمان الرحلة في طلب العلم، ولدينا معلومات قليلة مســـتقاة من بعض التراجم التي تظهر عدداً من التجار الكارمية العلماء الذين ارتحلوا ليس للتجارة فقط بل لطلب العلم، برز منهم بدر الدين الدماميني العلامة، سمع بالاسكندرية من قريبه بهاء الدين الدماميني وعبد الوهاب القروي والسراج ابن الملقن، وسمع من القاضي ابن الفضل الشوبري في مكة(5)، ومنهم أيضـــا التاجر الكارمي محمد بن محمد الهندي الكارمي الذي ســـافر من الهند الى القاهرة وأجيز بالإفتاء فيها واســـتمر يتاجر ويفتي حتى وفاته ســـنة 780هـــ/ 1378م(6).

وكذلك فعل التاجر محمود بن أحمد الكيلاني الكارمي الذي ســـافر الى القاهرة ولقي الشيخ ابن حجر العسقلاني وأخذ منه وبعد ذلك عاد الى الهند وبقي مدة طويلة يتاجر ويلقي المحاضرات في الفقه والنحو حتى وفاته سنة 843هـــ/ 1439م(7). ومنهم أيضاً صفي الدين الهندي الذي ولد سنة 644هـ/ 1246م، درس الفقه وباقي العلوم الدينية وســـافر الى الحج ثم دخل اليمن ومنها الى الديار المصـــرية ســـنة

---

(1) صناعة اليد أو الكحل: هو الكحال أو طبيب العيون واشتهر بالعصور الوسطى بصناعة اليد أو الكحل. الادفوي، الطالع السعيد، ص630، الحويري، اسوان، ص89. وسمي طبيب العيون بالكحال نسبة الى حجر الكُحل الذي يسمى الاثمد، ومسحوق حجر الكحل وهو حامض الكبريتيك الذي يســـتعمله اطباء العيون في مداواتهم. هونكة، ســـيغرند، شـــمس العرب تسـطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضـــون وكمال الدســـوقي، ط8، بيروت – 1993، ص326، والكحالون هم أســـلاف أطباء العيون، كانوا يجمعون بين تحضـــير الدواء والمداواة به، ومســـحوق الكحل هو أغلب الدواء عندهم، يجمعون مفرداته ويدقونها دقاً ناعماً ويكحلون به العيون المصـــابة بالرمد. الوقاد، الطبقات الشعبية، ص203.

(2) الادفوي، الطالع السعيد، ص690، ص691.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص445.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11 ، ص313؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج6، ص29 ؛ ج8، ص121.

(5) السامرائي، علماء العرب، ص177.

(6) الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص332.

(7) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص144.

671هــ/ 1272م، فاقام بها أربع سنين في مدة حكم السلطان الظاهر بيبرس درس أصول الفقه والتصوف وعلم الكلام بالمدرسة الظاهرية حتى صار شيخ الشيوخ فيها. توفى سنة 715هـ/ 1315م، ودفن في مقابر الصوفية في القاهرة[1]. وارتحل التاجر الكارمي أبي بكر الفارقي بعد أنّ سمع بالقاهرة والأسكندرية الى مكة والمدينة، إذ إنّه كان محباً للسماع ثم سار الى اليمن وطلب بنفسه الحديث فقرأ كثيراً وسمع وكتب وحدث[2]، أمّا التاجر الكارمي عبد اللطيف بن أحمد بن الكويك ، فقد رحل الى دمشق وسمع بها الحديث مع إسحاق الاسدي واسماعيل بن مكتوم وبنت البطائحي وغيرهم [3].

5. أمّا في التدريس فقد ظهر كثيرٌ منهم كمدرسين، لكن المصادر لم تذكر بالتحديد ماذا كانوا يدّرسون. فقد كان موسى بن علي سلمان الشرف القاهري مدرساً بالجامع الأزهر[4]. وابن بخشيش الكارمي[5] وأبو الفتح بن الشمس الذي كان إمام ومدرس[6] المدرسة الصرغتمشية[7]، وسليمان بن عمر الخواجا[8]وأبن سويد المصري[9] المالكي وياسين بن محمد البشلوش الذي كان مدرسا في الأزهر[10] وعطية أبي الخير[11] وحسن بن عطية[12] وكذلك المحديوي القاهري الشافعي[13] وجلال الدين الزفتاوي[14] وكان كلّ من عبد القادر محي الدين الهاشمي[15]وأحمد بن مظفر خاطري مدرسان في مصر[16].وعرف عن بعض تجار الكارم عملهم في النسخ والتذهيب وأجادتهم الخط واستعمالهم الأوراق الناعمة، وامتلاكهم خبرة جيدة بالخطوط العربية، كشمس الدين

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص74؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص158.
(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5، ص56، ج6، ص187.
(3) ن. م، ج3، ص209 .
(4) السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص186، ص187.
(5) ن. م، ج9، ص55.
(6) ن.م، ج9، ص148، ص149.
(7) المدرسة الصرغتمشية: تقع خارج القاهرة مجاور مسجد ابن طولون وهي في الأصل مساكن أستولى عليها الأمير سيف الدين ضرغتمش أحد مماليك السلطان محمد بن قلاوون وهدمها واقام عليها مدرسته، سنة 757هـ/1356م، وجعلها وقفاً على الفقهاء الحنفية. المقريزي، الخطط، ج2، ص402، ص403؛ العيني، السيف المهند، ص271. ولا تزال موجودة في شارع الخضيري في السيدة زينب في القاهرة؛ العيني، عقد الجمان، ص174؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج10، ص308 حاشية (2)؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج2، ص323، ج5، ص28.
(8) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص267.
(9) الصيرفي،أنباء الهصر، ص104؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص287، ص288.
(10) السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص212.
(11) ن.م، ج5، ص148، ص149.
(12) ن.م،،ج3، ص150.
(13) ن.م، ج4، ص297.
(14) ن. م، ج9، ص281.
(15) ن.م، ج4، ص299
(16) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج1، ص52.

بن الكويك[1] وبدر الدين الدماميني[2] وعرف عن مرشـد بن محمد التقي المحسـني ابن المصري أنّه كان ناسخاً مجيداً لصنعته وهي التجليد والتذهيب[3].ومنهم من كان حريصاً على اقتناء الكتب النفيسة أو المتاجرة فيها[4].

كذلك كان بعضهم يعيرون الكتب ويكثرون العطاء للفقهاء والعلماء والشعراء حبّاً منهم في العلم وأهله. فقد روى الأدفوي أنّ عمر بن محمد بن سليمان المعروف بالنجم الدماميني، نزل عند الشـيخ أبو الفتح محمد بن الدشـناوي فأكرمه وأهداه كثيراً من المال والخُلع، فكتب على باب داره عند ارتحاله :

نزلت بدار نجم فاق بدراً   أدام الله رفعته وجاهه
فاعذب دوري وأطاب نزلي   وأهدى الي رياحته وجاهه[5]

وبعد كلّ هذا اشـتهر بعض علماء الكارمية بكرمهم مع علماء آخرين[6]. فقد عُرف عن الخواجا ابن كرسـون أنّه كان محسـناً الى الشـيخ كمال الدين ابن إمام المدرسـة الكاملية [7]، وكان يرسـل اليه كلّ سـنة 150 ديناراً وما مجموعه 1500 رغيف لكي يوزعه على الفقراء ، واشترى له داراً للسكن قيمتها 500 دينار أوقفها عليه وعلى أولاده[8].

وأخيرا يمكن القول إنّ الكارمية عموماً شكّلوا شريحة متفاعلة مع مجتمعهم . وبذلوا ما اسـتطاعوا لخدمة الآخرين، لما كانوا يتمتعون به من ثروات ويتحلون به من أخلاق حميدة[9]. فقد خصـص بعضـهم جزءاً من ثرواتهم لبناء وترميم وإصلاح المساجد والمدارس في مصر وخارجها خاصة في الفسطاط ومكة[10].

واهتموا بدراسـة علوم الدين والعلوم الأخرى وحرصـوا على تثقيف أبنائهم وتنشأتهم تنشأة طيبة[11] ومن هنا تميزوا بكونهم خيرة رجال عصرهم مكانة وعلماً

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص252.
(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص184، ص187.
(3) ن.م، ج10، ص151.
(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص702؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص252؛ ابن تغري بردي، الدليل الشـافي، ج2، ص583، ص584؛ السـخاوي، الضـوء اللامع، ج1،ص328،ص329؛ج3،ص135؛ج5، ص244؛ ج9،ص726 ؛10،ص133؛ ج11، ص129.
(5) الطالع السعيد، ص251.
(6) الادفوي، الطالع السعيد، ص380.
(7) المدرسـة الكاملية: أنشـأها السـلطان الملك الكامل كأول مدرسـة في مصـر لتدريس الحديث سنة 622هـ/ 1224م، تقع في شارع بين القصرين في القاهرة، وسميت بدار الحديث الكاملية.ابن عبد الظاهر، تشـريف الأيام، ص344؛ المقريزي،الخطط، ج2، ص375؛ الصـيرفي، أنباء الهصـر، ص283؛ السـخاوي، الذيل على رفع الآصـر، ص494. وقد وقفها الملك الكامل على المشـتغلين بالحديث، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص223. وأنشأ فيها منازل سكَن بها الطلبة والمدرسـون وجعل لها خزانة كتب. صـبرة، عفاف سـيد محمد، المدارس في العصـر الايوبي، مقال في كتاب المدارس في مصـر الإسـلامية، نشـر: عبد العظيم رمضان، القاهرة – 1992، ص154، ص155.
(8) الصيرفي، انباء الهصر، ص211، ص313.
(9) Attiya, The Crusades , P. 193.
(10) Fischel , The Spice Trade, P. 169.
(11) Wiet , Les Marchands d’epices , P.130.

وخلقاً فأســدوا خدماتهم في المجالين الســياســي والحضــاري اذ عرف عنهم روح الفتوة والعطف وسعة البذل والكرم والإحسان والإقراض والعطاء للفقهاء والشعراء فجاء عطاؤهم ســخياً، وكل هذا ســاهم في إبراز دورهم في نشــر الإســلام ومظاهر حضارته[1].

(1) بصيلي، تاريخ السودان، ص194.

عوامل انهيار تجارة الكارم

بلغ تجار الكارم درجة رفيعة من النفوذ والجاه والثراء والمكانة الاجتماعية لكن مع ذلك قل نجمهم وأنهار كيانهم، لذا فمن الضروري معرفة العوامل المباشـرة وغير المباشـــرة التي أدت الى ذلك. وبداية لابدّ من القول أنّه كانت هناك بعض الظروف الطبيعية التي شكلّت عقبة في وجه تجارة الكارم، ومع أنّ الكارمية حاولوا التغلّب عليها، إلاّ أنها اســـتمرت تهدّد تجارتهم وتحديداً في المحيط الهندي.والبحر الأحمر، لكثرة العواصـف والرياح الشـديدة والشـعاب المرجانية الخطرة[1] والجبال الثابتة فيهما[2]. لكن هذه لم تشكل الأساس في انهيار تجارتهم، فهناك أسباب داخلية وخارجية، وسنبدأ بذكرها:

1. العوامل الداخلية

تعدّ هذه العوامل بمثابة الشـــرارة الأولى لانهيار تجارة الكارم التي كانت التجارة الرئيســــة التي اعتمد عليها المماليك في بناء صــــرح دولتهم ومواجهة مشاكلهم. بدلاً من أنّ تأخذ تجارة الكارم بلباب السلطنة وتخرجها من أزمتها، أخذت بها السلطنة فسقط الاثنان معا، ولعل أهم هذه العوامل:

أ. احتكار تجارة الكارم وسياسة الطرح والمصادرات

كان احتكار تجارة الكارم أحد الوسـائل التي لجأ اليها سـلاطين المماليك لحل أزماتهم المالية. إذ كانت الخزينة المالية في كثير من الأحيان غير قادرة على الإيفاء بمصـروفاتها، وأن من غير المعقول أنّ تبقى السـلطنة معتمدة على تجار الكارم[3]. لذا اعتقدت إدارة الدولة أنّ الحل يكمن في نزولها ميدان التجارة ولاســـيما الكارم واحتكارها بهدف زيادة الموارد والخروج من الأزمة المالية التي شــــهدتها الدولة ومنذ عهد السلطان برسباي[4]، الذي قرر استثمار جزء من أموال الدولة في تجارة الكارم فاصدر المراسيم التي جعلته المحتكر الوحيد لسلع الكارم، ولاسيما التوابل، ممّا كان له نتائج سلبية على تجارة الكارم والأجانب معا[5].

أنّ نزول الدولة بأموالها كمنافس لتجار الكارم، وما تدرّهُ هذه العمليات التجارية من أرباح[6]، اقتضت إنشاء ما يعرف بالمتجر السلطاني، وعهدت بإدارته الى بعض تجار الكارم للاستفادة من خبرتهم، وخاصة ما يتعلق بسلع الكارم، وحدث في سنة 816هـــ/ 1413م، عندما أعطى السلطان المؤيد شيخ مبلغاً من المال الى التاجر الكارمي علي الكيلاني ليشتري له الفلفل بقصد التجارة، فاشترى هذا معظم

---

(1) خسرو، سفر نامه، ص73 ؛ زيادة، الرحالة العرب، ص65 .

(2) السيرافي، رحلة السيرافي، ص136، ص137 .

(3) غانم، حامد زيدان، الأزمات الاقتصادية والاوبئة في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة – 1976، ص44 .

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص607 .

(5) ابن حجر، أنباء الغمر،ج3، ص423؛ طرخان، مصـــر في عصـــر دولـة المماليك الجراكسة، ص277.

(6) المقريزي، الخطط، ج1، ص19، ص465.

الفلفل الوارد من جدة باسعار زهيدة، فكان ربح السلطان كبيراً من بيع الفلفل للتجار الأجانب[1].

هنا يجب التفرقة بين العمليات التجارية لحســـاب الســـلطنة التي يرى ابن خلدون أنّه إذا كانت بين الرعية أنفسـهم فإنّها تنتهي الى ما يبغون، لأنّهم متقاربون أمّا إذا شاركهم السلطان وماله أعظم وأكثر، فلا يصل أي منهم الى غرضه[2]، وبين الاحتكار الرســمي والذي يكون فيه الســلطان المشــتري والبائع الوحيد في الوقت نفسه[3].

إنّ الأسباب التي دفعت السلطان برسباي الى اتباع سياسة الاحتكار عديدة، لعل أهمها على الإطلاق هي فســاد النظام الإقطاعي وعجزه عن الوفاء بالتزامات الدولة، بعد إهمال شــؤون الري في أواخر عصــر دولة المماليك الأولى(648-784هـــ/1250-1382م)[4]، وكذلك الحاجة الى الأموال لتغطية نفقات الحروب، ولاسيما ضد التتار[5]. لكن من الملاحظ أنّ الإجراءات الأولى التي أصدرها لتنظيم تجارة الكارم بجدة لم تســتهدف الاحتكار، وانّما هدفت الحصــول على أكبر قدر من المال، فقد عمل السلطان برسباي على تركيز تجارة الكارم بجدة لتحصيل الضرائب من التجار، والتي وصلت الى 70 ألف دينار في سنة 829هـ/ 1425م، ورغبة في الزيادة، أمر بمنع التجار من الســفر مباشــرة من الحجاز الى بلاد الشــام من دون الحضــور الى القاهرة، حتى يعاد تحصــيل ضــرائب جديدة على ما معهم من ســلع الكارم وهددّهم بمنعهم من التجارة فيها إذا خالفوا هذه الأوامر[6].

أنّ الهدف من هذه الإجراءات كان واضحاً، وهو الحصول على أكبر قدر من المال بدليل أنّه أعفى تجار الكارم من القدوم من جدة الى مصــر في ســنة 831هـــ/1428م، بعد استيائهم من دفع مبلغ ثلاثة دنانير لكل حمل غير الضرائب المدفوعة بحسب العادة[7]. إلاّ أنّه سرعان ما ألغاه في سنة 832هـ/ 1428م، وأحكم ســيطرته على تجارة الكارم ثم احتكرها. وفي ذلك الوقت كان المتجر الســلطاني ينافس تجار الكارم[8]. ففضــلاً عن شــرائه التوابل من جدة[9]، كان يأتيه المتحصــل من الضرائب المفروضة على التوابل، ثم يقوم المتجر السلطاني ببيع هذه البضائع

(1) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص62 .
(2) مقدمة ابن خلدون ، ط6، القاهرة – 1966، ص222، ص223. ويقال أنّه ((إذا شارك السلطان الرعية في تجارتهم هلكوا)) . الدمشقي، الإشارة الى محاسن التجارة، ص61 .
(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص460 .
(4) لبيب، التجارة الكارمية، ص42.
(5) زكي، طرق التجارة، ص294.
(6) المقريزي، الســلوك، ج3، ص371، ص382؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج3، ص473؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص 185 ؛ الخالدي، الدرر الفرايد، ص292، ص293 .
(7) المقريزي، السلوك، ج3، ص385؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص628.
(8) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص385.
(9) المقريزي، السلوك، ج3، ص197، الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص271 .

على التجار الأجانب في الاسكندرية باسعار السوق المحلية[1]، والاسوء من ذلك إنّه زاد في سنة 832هـــ/ 1426م، أسعار الفلفل المباع على التجار الأجانب[2] بل أنّه ألزم تجار الكارم بالحضـور ببضـائعهم الى القاهرة ((وحجر على الفلفل أنّ يشـترى لغيره ولا يباع إلاّ في الاسكندرية بعد أنّ يكتفي السلطان))[3].

إنّ هذه الإجراءات أعطت المتجر أولوية شراء احتياجاته من الفلفل وأولوية بيعه للتجار الأجانب والتحكم بأسعار بيعه في الاسكندرية. فقد ألزم السلطان برسباي التجار الأجانب بشــراء الفلفل السـلطاني بالسـعر الذي يحدده هو الأمر الذي جعل أســعار الفلفل ترتفع بمقدار النصـــف. فحمل الفلفل الذي يبيعه تجار الكارم في الاسكندرية بـــ80 ديناراً، وفي القاهرة 50 ديناراً، رفع السلطان سعره الى 120 وأحياناً 130 دينار، فما كان يشـتريه السـلطان في بداية السـنة،يبيعه في نهايتها بالضعف، وألزم تجار الكارم ألاّ يبيعوا شيئاً كالفلفل ونحوه لأحد من التجار الأجانب[4].

وهكذا تمثلت الخطوة الأولى باحتكار السلطان الذي أصبح هو البائع الوحيد لتجارة الكارم، والقضـــاء على منافســـه تجار الكارم وألزم التجار الأجانب بقبول الشراء بالسعر الذي يحدده [5]. فقد صدرت الأوامر في سنة 835 هـــ/ 1432م الى بلاد الشام والحجاز والاسكندرية (ألاّ يبيع أحد البهار ويشتريه إلاّ السلطان)[6] وقد تجددت في سنة 838هـــ/ 1334م، فكانت هذه السنوات هي بداية الاحتكار الرسمي لتجارة الكارم[7]، على الرغم من ذلك شـــارك تجار الكارم في التجارة، ولكن تحت إشراف السلطنة[8].

وبمجيء السلطان قايتباي شهد عصره احتكارا كلياً لسلع أخرى كثر الطلب عليها غير التوابل مثل الأخشـاب والسكر والمشـغولات المعدنية وتجارة المواشـي والقطن والخام والمغزول والحرير، هذا الاحتكار ســـاهم في القضـــاء على تجارة الكارم في مصر [9].

---

(1) النبراوي، فتحية عبد الفتاح، مصر وحماية البحر الأحمر، مقال في كتاب الصراع بين العرب و الاستعمار، 1994، ص154.
(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص377 .
(3) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص468.
(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص390 ؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص468 ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص260 .
(5) السخاوي، التبر المسبوك، ص175،ص176.
(6) ابن الحجر، أنبـاء الغمر، ج2، ص515؛ الصـــيرفي، نزهـة النفوس، ج2، ص285،ص306.
(7) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، 614 .
(8) حبشي، حسن الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية ، مجلة حوليات كلية الاداب عين شمس ،م9، 1964، ص148 .
(9) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص515؛ الصـيرفي، نزهة النفوس، ج2، 285، ص317 .

وأتبع المماليك سياسة أخرى للاستحوذاذ على الأموال، وهي سياسة الطرح [1]أو فرض البضائع على التجار، حيث كانت الدولة تشتري السلع بأبخس الأسعار تعرضــها ثانية بأسـعار مرتفعة وتجبرهم على الشـراء، ممّا أدى الى ذهاب رؤوس أموالهم وكسـاد أسـواقهم. وقد دأب المماليك على عمليات فرض البضـائع وألزموا التجار بتسـديد ثمنها في الحال، ممّا اضـطر أغلبهم الى بيع هذه البضـائع بنصـف ثمنها حتى يســددوا المبلغ المطلوب منهم [2]، الأمر الذي دفع بعضـــهم الى غلق متاجرهم وترك بلدهم وخراب الأسـواق، فالقائم بعملية فرض البضــائع هو المتجر السلطاني نفسه والذي كانت عائداته تذهب اليه، إذ كان متشدداً في جمع الأموال من التجار [3].

والمصادر المملوكية تمدنا بالعديد من الأمثلة التي تشير الى فرض البضائع على تجار الكارم وفي سنة 694هـ/ 1294م، عندما فرضت البضائع بأسعار مرتفعة على التجار[4]، وفي سـنة 733 هـــ/ 1332م، فرضـت فيها البضـائع عليهم بثلاثة أمثال سـعرها[5].وتم الإسـتيلاء على ذهب تجار الكارم وتعويضــهم بدلاً منه بضـائع وذلك سنة 736هـــ/ 1335م،[6] ممّا جعل المقريزي يقول ((إنّ الناصر محمد شره الى المال فرمى البضائع على التجار))[7].

وفي سـنة 778هـــ/ 1386م، فرض السـلطان برقوق، بضـائع على تجار الكارم، مقابل مبلغ من المال يدفعونه كنفقة للجند [8]، كذلك فعل السـلطان الناصـر محمد بفرض البضـــائع على تجار الكارم وبأســعار مرتفعة[9]، وتحت تهديد أمراء المماليك للسلطان الغوري (922-906هـــ/ 1501-1516م) بدفع رواتبهم، اضطر

---

(1) الطرح : أو الرمايات (البيع الأجباري) ذلك النظام الذي يقوم على أســاس أنّ تفرض الدولة ممثلة في السلطان أو أحد الأمراء سلعاً أو بضـائع بالسعر الذي تراه، وبالكمية التي تريدها بغض النظر عن حاجة الأســواق، ولم يكن للتاجر حق الرفض، أو حتى المســاومة على الأسـعار. المقريزي، أغاثة الامة، ص38 ؛ فولكوف، أولج، القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة : أحمد صــليحة، القاهرة – 1986، ص118. وكانت مصادر تلك السلع، الهدايا الواردة الى السلاطين وغنائم الحروب والحملات التأديبية، فالدولة تلجأ الى تلك الفكرة كلما أحتاجت للأموال. عبدة، دراســات في تاريخ مصــر، ص63، ص64 .

(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص472 .

(3) الدلجي، شـــهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله، الفلاكة والمفلكون، تحقيق : خليل صادق، ج2، مصر – 1322هــ، ص53 ؛ عمر، علي محمد، ديوان الخاص السلطاني في مصر زمن الناصر محمد بن قلاوون، مجلة التاريخ والمستقبل، م2، آداب المنيا – 1988، ص130 .

(4) ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص37 –ص40؛ المقريزي، إغاثة الأمة، ص38.

(5) المقريزي، السلوك، ج2، ص360، ص391، ص393.

(6) ن. م، ج2، ص409، ص412، ص414، ص420، ص435.

(7) الخطط، ج2، ص306، المقريزي، السلوك، ج3، ص91 .

(8) ابن أياس، بدائع الزهور، ج1، ص680 .

(9) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج13، ص151 .

السلطان الى فرض البضائع على التجار وطالبهم بسرعة السداد، ممّا أضرّ بهم [1].

لجأ سلاطين المماليك الى سياسة أخرى، وهي سياسة مصادرة[2] أموال تجار الكارم، وهذه المصادرات إمّا جماعية أو فردية. فقائمة المصادرات الجماعية طويلة يمكننا الإشارة الى بعضها، ففي سنة 657هـ/ 1259م، صادر السلطان قطز ثلث ثروة تجار الكارم بسبب حربه مع المغول [3]. وبسبب الفتنة التي حدثت بين أهل الاسكندرية والفرنج، تمت مصادرة 200 ألف دينار من تجار الكارم وذلك في سنة 727هـ/ 1326م[4]. تلتها مصادرة أخرى من قبل السلطان الناصر محمد في سنة 737هـ/ 1336م، للصرف على الجند[5]، على الرغم من اعتراض القضاة صادر السلطان فرج بن برقوق نصف أموال تجار الكارم في سنة 803هـ/ 1400 م، لمحاربة التتار[6].

وفرض السلطان قايتباي مبلغ أربعين ألف دينار على تجار الكارم يدفعونه فوراً متعاونين [7]، لكنهم ضجّوا، فوافق على تخفيض المبلغ الى عشرين ألف دينار[8]. وفي سنة 903هـ/ 1497م، صادر السلطان الناصر بن قايتباي (901-904هـ/ 1495-1498م) أموال تجار الكارم[9] لينفق منها على المماليك الجلبان [10].

أمّا المصادرات الفردية، فهي الأخرى كثيرة، وسببها في معظم الأحيان وشايات وعداءات شخصية، وكان يحدث في بغداد والمشرق، ومنها مصادرة السلطان فرج أموال التاجر الكارمي جابر بن عبد الله الحراشي ثم قتله في سنة 813هـ/ 1410م، بسبب وشاية أمير جدة[11]. كذلك صادر السلطان برسباي أموال

(1) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص242 ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص346.
(2) المصادرات في العصر المملوكي عديدة منها : المصادرة كعقوبة، وكتدبير احترازي، لمنع وقوع الجرائم، أو كتعويض عما لحق الدولة أو الأشخاص من أضرار . محمد عطا، عثمان علي، الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، القاهرة – 2002، ص144 . فكانت مصادرة الأموال سبباً من أسباب أتساع الأزمة الاقتصادية. البيومي، أسماعيل، مصادرة الاملاك في الدولة الاسلامية، القاهرة – 1997، ص65 .
(3) المقريزي، الخطط، ج1، ص96 ؛ ضومط، الدولة المملوكية، ص7، ص9 .
(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص133 .
(5) المقريزي، السلوك، ج2، ص412، ص414 .
(6) ن . م، ج3، ص52 ؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص33 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص246، ص248 ؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص259 .
(7) ابن أياس، بدائع الزهور، ج2، ص245 .
(8) المقريزي، الخطط، ج2، ص 343 ؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج2، ص242 .
(9) المماليك الجلبان: ويسمون أيضاً المماليك الاجلاب أو المشتروات ،وهم المماليك الذين يشترون، وعادة مايكونون صغار السن، ويوضعون في أماكن خاصة تعرف بالطباق (الثكنة) والتي هي مدارس يتعلمون فيها الكتابة والقراءة وفنون القتال وكان لكل جنس طبقة الخاص. ماجد، طومان باي، ص19؛ عبد النبي ، مصر والبندقية، ص59.
(10) ابن أياس، بدائع الزهور، ج5، ص90 .
(11) السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص51 .

نور الدين التبريزي على مبلغ 100 ألف دينار بسبب وشاية رجال الدولة في سنة 832هـ/ 1428م [1]، وصادر السلطان جقمق أموال التاجر الكارمي وجيه الدين بن سويد في سنة 844هـ/ 1440م[2]. وصودرت أموال التاجر الكارمي أبو بكر التبريزي من قبل السلطان اينال[3]. وصادر السلطان مؤيد شيخ أموال التاجر الكارمي محمد بن سويد على مبلغ 6 آلاف دينار[4]. ومن المعروف أنّ مختلف أساليب العنف والقسوة كانت تستعمل مع المصادرين ومن شدّتها مات كثيرٌ منهم، وهاجر بعضهم الآخر خارج مصر[5]. بل إنهم تمنّوا ((أنّ يغرقهم الله حتى يستريحوا ممّا هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم)) [6].

ب. موقف الأجانب من احتكار تجارة الكارم

كان من نتائج سياسة الاحتكار التي اتبعها السلاطين المماليك أنّ كَسدت التجارة، فلم تقم علاقات تجارية طبيعية بينهم وبين التجار الأجانب[7]. فالاحتكار بالنسبة للتاجر الأجنبي مثلَ سياسة نهب مارسها معهم سلاطين المماليك [8]. فضلاً عن فرضهم الضرائب الكبيرة على تجار الكارم في الموانئ المصرية، بهدف الحصول على عائدات الاحتكار [9].

عَبّرت أوربا عن استيائها من سياسة الاحتكار عن طريق ردّها تجار الكارم من الموانئ الاوربية في سنة 714هـ/ 1340م[10]، الى جانب رفضها لمعاملة السلاطين السيئة لقناصلها وتجارها، فقد ارسل ملك اراغون رسالى في سنة 836هـ/ 1432م، استنكر فيها سوء معاملة التجار والعراقيل التي تحجب البضائع عنهم[11].

وارسلت البندقية في سنة 916هـ/ 1510م، رسالة الى السلطان الغوري تطالبه تخفيض سعر التوابل لكي لا يهجر تجارها أسواق الاسكندرية[12]، تبعتها رسائل عدة تعبر فيها البندقية عن تضرّرها من سياسة الاحتكار وخسائرها في تجارة التوابل بسبب إجبارهم على أخذ التوابل المغشوشة [13]. ومع رفض الحكومات الأجنبية وتجارها لهذه السياسة، إلاّ أنّ المماليك ظلوا ينتهجونها من

---

(1) ن. م، ج3، ص51 .
(2) ن.م، ج4، ص73، 74، ص214 .
(3) ن.م، ج11، ص93.
(4) ن.م، ج7، ص287، ص288 .
(5) رزق، علاء طه، عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، مصر، - 1989، ص28 .
(6) المقريزي، السلوك، ج4، ص444 .
(7) موير، وليم، دولة المماليك في مصر، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن، القاهرة- 1924، ص126 .
(8) اشتور، التاريخ الاقتصادي، ص412 .
(9) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص135؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص153 .
(10) المقريزي، السلوك، ج2، ص497 .
(11) ن.م، ج4، ص 885 ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص253.
(12) ديل ،البندقية، ص146 ؛ Ashtor , The Spice Prices , P. 33.
(13) ابن الحاج، المدخل، ج4، ص64 ؛ زكي، طرق التجارة، ص393، ص409.

دون مراعاة لهم ممّا دفعهم الى هجر الموانئ المملوكية الى أسواق لشبونة، إلاّ أنّ بعض التجار البنادقة حاولوا شـــراء التوابل من تجار الكارم خفية من دون علم المتجر السلطاني ولكنهم تعرضوا للمصـادرة[1]، ممّا أغضب التجار الأجانب الذين عادوا الى بلادهم ببضـائعهم من دون بيعها أو شـراء التوابل[2]. خاصـة بعد أنّ فاق سـعر السـلع في مصـر أربعة أمثالها في موطنها الأصـلي في حين كان سـعرها في لشبونة أقل من نصف سعرها في مصر [3].

ج. احتكار أصدار النقد ونهاية تجارة الكارم

كان لسياسة المصادرات اثر على تغير العملة التي شابها الفساد ممّا جعلها لاتحوز ثقة التجار، وقد أدى تلاعب الســـلاطين بالعملة وزناً وحجماً وســـعراً منذ أواخر عصـــر دولة المماليك الاولى الى مصـــادرة تجار الكارم عن طريق دفع ما فرض عليهم من بضائع[4]، فترتب على ذلك نقص الأموال واختلاف الأسعار. وعمد بعض الســـلاطين المماليك الى تخفيض قيمة العملة الأســـلامية والأجنبية بما يؤدي عملياً الى تخفيض أسعار بضائعهم. وهذا ما حدث في سنة 820هـــ/ 1417م، فقد خفض السلطان المؤيد شيخ قيمة سعر صرف الافرنتي الى 23درهم في حين كان يعادل 26 درهم والدينار الهرجة 25درهم، وكان قبل ذلك 26درهم فتضـــرر التجار جميعاً[5]. وتكرر ذلك في ســـنة 821هـــــ/ 1471م، عندما أمر بتخفيض العملة، وتخفيض أسعار البضائع، الأمر الذي أدى الى قلة البضائع الواردة والمعروضة[6]، وغلق الأسواق وعدم ثبات الأسعار ومن ثمّ تدهور تجارة الكارم، وبذلك قضي عملياً على البنية الأساسية لأحد المقومات الاقتصادية للدولة[7].

وخوفاً من المصـــادرات، قام تجار الكارم بإخفاء ثرواتهم النقدية فأثّر ذلك على العملة ونضوب الذهب والفضة ممّا أوجد أزمة نقدية[8]، ففي سنة 736هـــ/ 1365م، أمر السلطان الصاغة ودور الضرب بعدم شراء أية كمية من الذهب، وبعد تجميع الذهب من التجار صـادره وأعطاهم بدله بضـائع[9]. كان الهدف من التلاعب بأوزان العملة هو الاسـتيلاء بطريق غير مباشـر على أموال تجار الكارم، وذلك من خلال طرح عملة جديدة للتداول وبســـعر جديد وإلغاء الســـابقة فيعود الفرق بين العملتين اليهم [10]، فقد رفع السلطان سنة 740هـــ/ 1339م، سعر صرف الدينار

(1) عبد النبي، مصر والبندقية، ص52-ص53.
(2) Fischel , The Spice Trade , P. 173.
(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص117، ص118 ؛ ديل، البندقية، ص146 .
(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص396؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص441 .
(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص396، النبراوي، السكة الاسلامية، ص70 .
(6) ن. م، ج4، ص438؛ ن.م، ص72 .
(7) عـاشـــور، العصـــر الممـاليكي، ص316، ص319؛ طرخـان، أبراهيم علي، النظم الاقطاعية في الشـرق الاوسـط في العصـور الوسـطى، القاهرة – 1968، ص522، ص523 .
(8) أسماعيل، المصادرات، ص439.
(9) المقريزي، السلوك، ج2، ص393 .
(10) فهمي، النقود العربية، ص547، ص548.

الى 25 درهم، لكي يفي بدين عليه لتجار الكارم، ولكي لا يدفع قيمة المبلغ الذي استدانه نفسه(1).

وفي أحيان أُخر كان السـلاطين ولحاجتهم للأموال، يضـربون عملة جديدة، ولكنها عملياً تؤدي الى خسـارة فعلية في أموال التجار تصـل الى حد الثلث، كالذي فعله السلطان الغوري في سنة 907هـ/ 1501م، مستفيدا من الفرق (2).

ترتب على سياسة الاحتكار التي اتبعها سلاطين المماليك الى أختلال النظام النقدي (3)،وخصوصاً في عهد السلطان برسباي الذي رغب بشدة في التخلص من تجار الكارم، ومنعهم من التجارة نهائياً إذا لم يبيعوا له توابلهم، وكان يشتري منهم بسعر أقل، ثم يعيد عليهم بيعه في السنة القادمة بسعر أعلى(4). ووصل الأمر الى حدّ أنّ السـلطان قايتباي أعلن احتكاره الكامل لتجارة الكارم، وحذر من بقي منهم من التعامل مع التجار الأجانب، فاقتصـر عملهم على جلب السـلع فقط، بل تحوّلوا الى مجرد مندوبين لدى السلطان بالعمولة، لكنه رفع من مكانة التجار القائمين ببيع التوابل السـلطانية الى مكانة الكارمية من قبل، وعلى الرغم من قلة خبرتهم، فقد تضاءلت مكانة الكارمي حتى أصبح تاجراً عادياً(5). ورغم تحذيرات السلطات إلاّ أنّه ظلت هناك علاقات تجارية سرية وتهريب للسلع بينهم وبين التجار الأجانب، ولما اشـتدت المراقبة هجروا مصـر الى الحجاز ومراكز أخرى في البحر الأحمر والهند ومارسوا تجارة متواضعة في موسم الحج، وعمل بعضهم الآخر في تجارة النحاس وتصـديره الى الهند واليمن ثم ما لبث أنّ احتكر السـلطان المعادن، فقضـى نهائياً عليهم (6).

2. العوامل الخارجية

وهي كثيرة يأتي في مقدمتها:

أ. دور البابوية في المقاطعة الأوربية لتجارة الكارم

بعد سقوط عكا في سنة 691هـ/ 1291م، تعرضت تجارة الكارم لحركة مقاطعة من دول أوربا، هدفها ضرب اقتصاد مصر ليسهل ضربها عسكرياً، وكان ذلك نتيجة لموقف البابوية التي عمدت الى وضـع القيود في وجه تجارة الكارم،

---

(1) المقريزي، السلوك، ج2، ص488؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص131.
(2) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص20، ص251.
(3) أسكندر، نظام المقايضة، ص45 ؛ زكي، طرق التجارة، ص362.
(4) الصـيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص 285، ج3، ص346؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص515 .
(5) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص320، ص339، ص480؛ لبيب، التجارة الكارمية، ص43 . ومنذ سـنة 889هـ/ 1484م ، أصـبحوا لا يظهرون بكثرة في الأسـواق، بأسـتثناء من عملوا كنمدوبين لدى السـلطان أو كعملاء كأبن عليبة والقليوبي، وحتى هؤلاء اقتصر عملهم في النهاية على الأسواق المحلية. ابن أياس، بدائع الزهور، ج3، ص115، ص202.
(6) ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص252 ؛ زكي، طرق التجارة، ص130 ؛ ضـومط، الدولة المملوكية، ص221 . أطلق على المدة منذ بداية تجارة الكارم في العصـر الفاطمي حتى هذا التاريخ تعبير العصر الكارمي. Fischel, The Spice Trade , P. 163.

ومصــادرة كل من يزوّد المســلمين بالمواد الحربية ولو اضـطر الأمر الى الاسـتغناء عن شـراء سـلع الكارم خاصــة الفلفل[1]. فاسـتجابت المدن الايطالية في بادئ الأمر لقرار مقاطعة الاتجار مع مصر خوفاً من قرارات الحرمان الكنيسي التي هددتهم بها البابوية[2]، وعلى الرغم من مصــالحها الجيدة مع مصــر وتجار الكارم[3]، والأمثلة التي تشـير الى دور البابوية في المقاطعة الأوربية بدءاً من سـنة 691- 723هــــ/ 1291- 1323م، في المراجع العربية والأجنبية عديدة [4].

ممّا لا شـك فيه أنّ قرارات البابوية بحظر التعامل مع مصـر، وامتناع سـفن المدن الإيطالية عن التردد على الاســكندرية، أدى الى تكدس ســلع الكارم فيها في المدة من سـنـة 723-744هــــ/ 1323-1344م[5]، التي أثرت سـلباً على الجاليات الأجنبية في الاســـكندرية [6]، فقد التزمت المدن الإيطالية بهذه القرارات، بل إنـها كانت تقوم بالمصـــادرات وتفرض الغرامات على التجار المخالفين لها بإرســـالهم البضـائع الى الاسـكندرية[7]، وكانت البندقية من ضـمن المدن الملتزمة بالقرارات، ولكن عندما أصدر البابا قرارات الحرمان الكنسي على من يثبت أنّه تعامل مع تجار الكارم، ممّا دفعها الى كتابة شكوى الى البابا توضح فيها أنّ لها الحق في أنّ تحمل الى مصـر البضـائع التي لا تدعم المماليك، غير أنّ البابا أعلن أنّ كافة السـلع يحظر تصديرها[8]. مع ذلك كانت تقوم بطريقة غير مباشرة بإرسال البضائع الى مصر عن طريق قبرص وكريت واســيا الصــغرى، وبذلت قصــارى جهدها حتى تســمح لها البابوية بمعاودة التعامل مع مصــر حتى لايؤدي ذلك الى خراب اقتصــادها. وبالفعل حققت ذلك النجاح في سنة 745هـــ/ 1344م، عندما سُمح لها بإرسال سفنها الى الاســكندرية، على شــرط أنّ تقوم بنقل البضــائع المســموح بها فقط، وفي ســبيل الحصـــول على هذا الترخيص، دفعت البندقية مبالغ طائلة للبابوية[9]. ولكن هذا لا يعني أنّ حظر التعامل مع مصــــر قد تم رفعه، إذ كانت البابوية تشـــدد في موقفها بهدف أضـــعاف مصـــر وحرمانها من مصـــدر قوتها وثرائها والقضـــاء على تجار الكارم[10].وكان الهدف من موقف البابوية أيضاً هو الحصول على مبالغ طائلة لقاء

---

(1) الخادم، الشرق الاسلامي، ص420 .

(2) عبد الدايم، عبد العزيز محمد، الصراع بين القوى المسيحية ودولة المماليك الجراكسة في مياه البحر المتوسط، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، ص153.

(3) الغيث، محمد علي، الشــرق والغرب من الحروب الصــليبية الى حرب الســويس، القاهرة، ص56، ص57 .

(4) ينظر: رنسـيمان، سـتيفن، تاريخ الحروب الصـليبية، ترجمة : السـيد الباز العريني، ط1، ج1، بيروت – 1968، ص333 ؛ الخادم، الشرق الاسلامي، ص425، ص426؛ لامب، هارولد، شـعلة الاسـلام (قصـة الحروب الصـليبية)، ترجمة: عبد الله يعقوب، مراجعة: جمال الشيال، بغداد – 1967، ص2؛ Mayuer , The Crusades, P.226; Heyd ,Op.Cit., T.2, P.259

(5) الشيال، تاريخ الاسكندرية، ص296.

(6) Heyd, Op. Cit, T.2, P.37.

(7) الخادم، الشرق الاسلامي، ص432؛ Depping, Op. Cit., T.2, P. 117, 118 ؛ Heyd, Op. Cit, T.2, P.34, 35,37

(8) Heyd, Op., cit, T.2 , P.43.

(9) Ibid., T.2, P.45

(10) الخادم، الشرق الاسلامي، ص29.

أصـدار تراخيص التعامل مع سـلطنة المماليك [1]. وهذا يعني أنّ البابوية نجحت في منع تصـدير الحديد وخشـب بناء السـفن والاسـلحة وغيرها، وفي وقف التعامل التجاري لمدة محددة ولكنها لم توقف التعامل بشـكل عام ذلك أنّ الرغبة في الربح والأوضـاع المضـطربة في الطريق البري عبر آسـيا، كل ذلك جعل المدن الإيطالية تعاود التعامل مع مصر باعتبار أنّ الاسكندرية وموانئ الشام ظلت تنعم بالأمان. ممّا جعل البابوية في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م، تتساهل أزاء التعامل مع مصر وذلك بأصـدار بعض التراخيص[2]. وأذا كانت البابوية لم تسـتطع قطع الشـريان التجاري بين الشـرق والغرب لأنها حركة طبيعية، لم تقو أي سـلطة على إيقافها، لكنها نجحت مع ذلك في تعطيل تجارة الكارم، الأمر الذي مكن البرتغاليين من أنتزاع تجارة الشرق من تجار الكارم والمماليك وسقوط دولتهم على يد العثمانيين[3].

ب. نجاح قراصنة الغرب في ضرب تجارة الكارم

على الرغم من جهود المماليك في حماية تجارة الكارم من غارات القراصنة، لكن هذا الخطر بقي قائماً، فقد حاول القراصنة توجيه ضربات عديدة لتجارة الكارم بدءاً من غزوة الاسكندرية التي قادها ملك قبرص في سنة 767هـ/1365، فقد ذكر النويري((أنّ هدف هذه الغزوة الحقيقي اقتصـادي))[4]، وذلك لحرمان المماليك من مورد مهم والقضـاء على تجارة الكارم إذ تم الاسـتيلاء على الاسـكندرية[5]، فنزل القراصـنة الى البر وقاموا بقتل أهالي المدينة[6] وأسـروا بعضـهم الآخر، وأحرقوا الفنادق، وأخذوا ما حمله سبعين مركباً، والقوا ما زاد عنه في البحر[7]، فكان نتيجة عملهم هذا أنّ توقف التعامل مع الفرنج وتكدست البضائع في الاسكندرية ممّا أدى الى كسـاد تجارة الكارم[8]. على أثر ذلك قام الجنويون بالهجوم على سـفن محملة ببضائع الكارم في صيدا والاسكندرية ودمياط في سنة 770هـ/ 1368م[9].

واعتمد القراصـنة الأورغونيين الحيلة للهجوم على الاسـكندرية في سـنة 819هــ/ 1416م، فادعوا رغبتهم للتفاوض مع المماليك، ولما سمحت السلطات لسـفنهم ومن عليها من التجار بإنزال سـلعهم وبيعها وشـراء التوابل، انتهزوا الفرصة وأشعلوا النار في سفن الكارم، وقتلوا الكثير وأستولوا على سفينتين[10].

---

(1) Heyd, Op. Cit., T.2, P.46.

(2) ماجد، عبد المنعم ، العلاقات بين الشـرق والغرب في العصـور الوسـطى، بيروت – 1966 ، ص207، ص208.

(3) الخادم، العلاقات بين الشرق والغرب، ص48، ص49 .

(4) الإلمام بالأعلام بالأمور المقضية، ج1، ورقة 382،382أ.

(5) أبراهيم، سـهير محمد، حملة بطرس الأولى على الاسـكندرية، الاسـكندرية – 1988، ص97 .

(6) المقريزي، السلوك، ج3، ص135.

(7) عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص68.

(8) النويري، الإلمام بالأعلام بالأمور المقضية ، ورقة 335أ.

(9) Wiet, L'Egypte a Arab , P. 53.

(10) المقريزي، السـلوك، ج3، ص302؛ العيني، عقد الجمان، ج25، ورقة 430أ؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص155.

أمّا جزيرة رودس التي شـكلّت خطراً هدد تجارة الكارم دائما. فقد تحالفت مع اراغون والحبشة، لكي تقوم رودس واراغون بمهاجمة سفن الكارم في شرق البحر المتوسـط، في الوقت نفسـه الذي تقوم به الحبشـة بمهاجمة تلك المتجهة الى البحر الأحمر في الجنوب(1).إلاّ أنّ اراغون خرجت من هذا التحـالف بعد وفـاة ملكهـا في سنة 863هـ/ 1458م، وتوحدت مع قشتالة تحت اسم اسبانيا التي كانت أهتماماتها بالاســتكشــافات الجغرافية قد بدأت ولاســيما للوصــول للهند. فخرجت من ميدان الصراع (2)، أمّا الحبشة فقد فضلت مبدأ المسالمة مع مصر(3).

مع ذلك فقد ترك هذا التحالف أثاراً ســلبية على الكارمية لأن الســلطات المملوكية اضـطرت الى تحريم أرتياد الفرنج البحر الأحمر لتامينه فأضـر ذلك تجار الكارم حيث قل التعامل بسبب تشدد السلطنة خشية المؤامرات(4).

ولم يتبق إلاّ رودس التي عقدت تحالفاً مع البرتغاليين، على أنّ تقوم رودس بمهاجمة سفن الكارم في شرق البحر المتوسط في الوقت نفسه الذي تقوم البرتغال بمهاجمة ســفن الكارم المتجهة الى البحر الأحمر في الجنوب، بقصــد شــل تجارة الكـارم وعرقلـة جهود الممـاليك لبنـاء قوة بحريـة لمواجهـة البرتغـاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي(5).

وهذا ما حدث في سنة 911هـ/ 1505م، عندها هاجمت رودس إحدى السفن التـابعـة للســلطـان الغوري، وهي محملـة بـالتوابـل وأخذتهـا الى رودس(6)، أمّـا البرتغاليين فقد أســتطاعوا تثبيت نفوذهم في المحيط الهندي تماماً، فقضــي على طريق البحر الأحمر،فأقفرت أسواق الشرق من بضائع الكارم(7)، وبالفعل تمكنتا من القضاء على القوة الأسلامية المتمثلة في دولة المماليك وتجارة الكارم(8).

ج. تحويل تجارة الكارم من عدن الى جدة

كان لتحول التجارة من عدن الى جدة الخاضــعة لحكم المماليك الذين أحكموا قبضــتهم على تجار الكارم فيها، أســباب منها أنّ عدن كانت مركزاً لتجارة الكارم، فكانت للدولة الرسولية التي حكمت اليمن (858-360هــ/ 1228-1454م)، ثم

(1) حدث نزاع بين ملك الحبشة والسلطان برسباي سنة 825هــ/ 1422م، مما دفعه الى الانتقام من تجار الكارم فعقد تحالف مع الفونس الخامس لغزو مصــر. المقريزي، السلوك، ج3، ص382؛ العيني، عقد الجمان، ج45، ورقة 571أ.

(2) السيوطي، غزوات قبرص ورودس، ص430.

(3) عادت الحبشة وتحالفت مرة ثانية مع البرتغاليين ضد مصر سنة 869هــ/ 1490م، وأخذت البعثات تفد على الحبشـة للقضـاء على تجارة الكارم. الجمل، شـوقي عطا الله، الكشوف الجغرافية البرتغالية، مصر- 1987 ، ص106، ص107.

(4) لم تكن هذه المرة الأولى التي يتم فيها اغلاق البحر الأحمر فقد أغلق من قبل أمام الفرنج عندما قام أرناط صـاحب الكرك بحملة على الحجاز سـنة 577هــ/ 1182م. دراج، المماليك والفرنج، ص51.

(5) دراج، المماليك الفرنج، ص128، ص129، ص139.

(6) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص91.

(7) ن.م، ج4، ص200، ص324، ص333، ص336.

(8) الجمل، الكشوف الجغرافية، ص106، ص108.

الدولة الظاهرية (858-923هـــ/ 1454-1517م) علاقات طيبة مع حكام الهند ومصر[1]، لكن العلاقات ساءت بين مصر واليمن بسبب سوء معاملة حكام اليمن لتجار الكارم ومصـــادرة اموالهم ممّا جعلتهم يتركون عدن ويتوجهون الى جدة تاركين أموالهم، وجعل سـفنهم تتفادى عدن، وتبحر مباشــرة الى موانئ أخرى في البحر الأحمر لتفريغ شحناتها[2].

أمّا جدة التي كانت تابعة للمماليك يحكمها نائب عنه فقد كان أمرائها في تطاحن مستمر، مما ترك أثراً سيئاً على تجارة الكارم، فقد كان أمراء جدة المتنافسين على السلطة يلحقون بهم الأذى بمصادرة أموالهم ونهبها إذا ما تضاربت مصالحهم مع السلطة المملوكية[3].

ففي سنة 803هـــ/1400م، حصل حاكم جدة على 60 ألف دينار من التاجر الكارمي أحمد بن برهان المحلي وجماعته من تجار الكارم، لأن المركب الذي كانوا فيه تم أصــلاحه قرب جدة[4]،ولم يكتف حاكم جدة بذلك بل أنّه أســتولى على الذهب الــذي كـان بمركـب تـاجر الكـارم المحلي، وهو في طريقـه الى اليمن ســـنـة 1402/805م[5].

وأنفرد حاكم جدة بتحصـيل الضـرائب من تجار الكارم في سـنة 806هـــــ/ 1403م[6]، ممّا دفع المماليك الى فرض مبلغ معين من المال يتوجب عليه دفعه لهم الأمر الذي جعله يعيد تحصيل الضرائب من تجار الكارم الواردين الى جدة[7].

وقد بلغ الأمر أنّ قبض حاكم جدة على بعض تجار الكارم ومن بينهم موسـى بن جميع وبدر الدين بن مزلق في سنة 819هـ/ 1415م، ولم يفرج عنهم إلاّ بعد أنّ أخذ منهم مبلغ 40 ألف دينار، ممّا كان له تأثيراً ســـلبياً على تجارة الكارم، ونتيجة ذلك أصبحت سفن الكارم تفرغ حمولتها في ينبع بدلاً من جدة[8].

ويمكن القول أنّ التزامات حاكم جدة المالية تجاه السـلطات المملوكية، دفعته الى أسـتخدام الوسـائل غير المشـروعة مع تجار الكارم لسـدادها خوفاً من العزل، فتكون أمّا عن طريق نهب سفن الكارم المارة بجدة، أو فرض الضرائب أو مصادرة

---

(1) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص245، ص247.

(2) عليان، محمد عبد الفتاح، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن، القاهرة –1973، ص129.

(3) وقد حفلت الكتب مثل: الفاســـي، العقد الثمين، ج1، ص43، ص78، ج3، ص439، ص440، ص475، ج4، ص69، ص70؛ ابن حجر، أنبـاء الغمر، ج1، ص249؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج9، ص7، ص303. بمعلومات كثيرة حول هذا الموضـوع يمكن الرجوع اليها لزيادة المعلومات.

(4) الفاســي، العقد الثمين، ج2، ص466، ص475، ص478؛ ج3،ص444،ص445؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص109.

(5) الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص197.

(6) ن .م، ج2، ص477، السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص51.

(7) الفاسي، العقد الثمين، ج2، ص480، ص481.

(8) ن. م، ج2، ص502 .

الأموال[1]. وظل الحال كذلك حتى عهد السلطان الغوري الذي شهد صراعاً بين حكام جدة من سـنـة 906-910هــــ/ 1500-1504م،الذي أنعكس أثره سـلباً على تجارة الكارم[2].

أنّ سياسة السلطان برسباي بأخضاع الحجاز فعلياً لا أسمياً لم تؤد الغرض المنشـود بسبب ثورات الحكام التي شكلّت مصـدر قلق لتجارة الكارم. وكانت نتيجة تحول تجارة الكارم من عدن الى جدة، أنّ تعددت الضرائب على السلع حتى أنّ ثمن السلع في مصر أصبح يساوي خمسة أضعاف ثمنها في الهند[3]، فضلاً عن سياسة الاحتكار التي طبقها برسباي على تجار الكارم عند حضورهم الى جدة الميناء الذي تركزت فيه تجارتهم[4].

د. تحويل طريق التجارة الى رأس الرجاء الصالح

لايهمنا هنا البحث عن مراحل أكتشـاف طريق رأس الرجاء الصـالح بقدر ما يهمنا إبراز أنعكاسـات هذا الحدث على ضـعف وانهيار تجارة الكارم مصــدر ثراء وقوة المماليك، فمنذ مطلع القرن9هــــ/ 15م، سـعى البرتغاليون الى الوصـول الى الهند عن طريق جديد من دون وسـاطة مصر، فعمدوا على مطاردة المسـلمين على سـاحل أفريقيا الغربي وانتزاع التجارة منهم، ثم أستطاعوا الحصـول على معلومات جيدة عن مكامن قوة وضـعف العرب المسـلمين[5]. فأسـتولى ملك البرتغال أولاً على سبتة في سنة 818هــ/ 1415م[6]، ثم تمكن بارثليمو دياز سنة 821هــ/ 1418م، من الوصــــول الى جنوب أفريقيا فأطلق عليه راس الرجاء الصـــالح[7]، وتوالت الرحلات بعدها الى أنّ تمكن فاسكودي جاما من الدوران حول راس الرجاء الصالح والمرور بســاحل شــرق أفريقيا[8]، ومنه ابحر الى الهند التي وصــلها في ســـنة 904هـ/ 1498م[9].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص365.
(2) ابن الديبع، بغية المسـتفيد من تاريخ زبيد، ص39- ص40؛ ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص62.
(3) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص31.
(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص371، ص373.
(5) أمين، عبد الأمير محمد، السيادة الإسلامية في الخليج العربي والمياه الشرقية والغزو البرتغالي، مقال في محاضــرات الموســم الثقافي، ع5، الإمارات – 1989، ص81، ص82.
(6) أباظـة، أثر تحول التجـارة العالميـة، ص38؛ الجمل، الكشــوف الجغرافيـة، ص96- ص98.
(7) الحويري، محمد محمود، ســاحل شــرق أفريقيا، القاهرة – 1985، ص73؛ رياض، زاهر، تاريخ أثيوبيا، القاهرة – 1966، ص5 .
(8) زكي، أحمد، صــفحة من تاريخ التجارة المصــرية، مجلة المقتطف، م51، 1917، ص277 .
(9) عبد العليم، انور، ابن ماجد الملاح، القاهرة – 1967، ص46، ص63؛ عبد العال، محمد، أضــواء جديدة على حياة ملاح (فاســكو دي جاما)، مجلة معهد الدراســات والبحوث الافريقية، جامعة القاهرة، ع5، 1976، ص155، ص178.

في سنة 905هـــ/ 1499م، عاد فاسكودي جاما الى لشبونـة، لعدم تمكنه من شـراء التوابل بسـبب ممانعة حاكم قاليقوط، ذلك لأن فاسـكو دي جاما اسـتولى على بضـائع أحدى سـفن الكارم ثم اغرقها بما فيها من تجار[1]. ولاثبات تفوق الاسـطول البرتغالي، ارسـلت حملة ثانية في سـنة 906هــــ/ 1500م، الى الـهند هدفها أرهاب ســـفن الكـارم المصـــريـة في قـاليقوط وســـــاهمت في دفع الـهنود لبيع التوابـل للبرتغاليين[2].

في سنة 908هـــ/ 1502م، ارسلت حملة أخرى مهمتها المرابطة عند مدخل البحر الأحمر لمهاجمة سـفن الكارم ومنعها من الخروج من مصــر الى الـهند ومنع دخول السـفن الهندية الى البحر الأحمر لقطع أي اتصــال بينهما، ولضــمان احتكار البرتغال لتجارة الشــرق، منعت الســفن الأخرى من المتاجرة إلاّ بتصــريح من قبل البرتغال[3]. كان الهدف من قطع الطريق على تجار الكارم، إجبار البنادقة على ترك مصـر وشـراء التوابل من لشـبونـة[4]. وسـاعد أسـتيلاء البرتغاليين على ذهب غانـة على شــراء كميات كبيرة من التوابل وبناء المزيد من السـفن، وبالفعل بدأت كميات التوابل تقل بمصـر منذ العام 908هــــ/1502م، فكانت سـفن البنـادقة تعود بكميات ضئيلة من الفلفل من الاسكندرية، فضلاً عن أرتفاع أسعاره منها، ممّا اضطر التجار البنادقة الى التوجه الى لشبونـة[5].

في ســنـة 912هــــ/ 1506م، تكدسـت التوابل في لشـبونـة[6] بسـبب تفوق البرتغاليين، رغم ذلك ظل تجار الكارم يتدبرون امورهم بالحصـــول على التوابل من أسواق ملقا فلاحقهم البرتغاليين هناك وقاموا بمهاجمة سفنهم ونهبها واغراقها[7]. ثم سيطروا على جزيرة سومطرة في سنة 932هـ/ 1506م، وبذلك تحكم البرتغاليين بالطريق البحري بين مصــر والـهند، ممّا ســهل لهم اعتراض أي مركب كارمي[8]، اعقبها عبثهم بموانئ اليمن ووصـــولهم حتى جدة[9]. وجعلوا تجارة الكارم تحت المراقبة الشديدة ووضعوا أصحاب الموانيء تحت طائلة أبعادهم عنها أو الموت إذا قاموا بتصدير التوابل من دون موافقتهم[10].

---

(1) عبد ربة، البرتغاليون في البحر الأحمر، ص208. ويقال أنّ فاســكو دي جاما قبل حتى بشـراء التوابل الرديئة النوعية بأسـعار عالية من حاكم قاليقوط، لاثبات حسـن النية . نصــار، علي أســماعيل، الايلاف القريشــي والمحاولات الأوربية للسـيطرة على البحر الأحمر، www.aljazeera.net 10/3/ 2004، ص3.
(2) امين، السيادة الاسلامية، ص88، ص89.
(3) طرخان، دولة المماليك الجراكسة، ص29.
(4) طرخان، دولة المماليك الجراكسة ، ص29 .
(5) الحويري، ساحل شرق أفريقيا، ص86، ص90.
(6) ن.م، ص95؛ باراتولد، فلاديمرويج، تاريخ الحضـــارات الاســلامية، ترجمة: حمزة طاهر، القاهرة – 1983، ص147.
(7) وفي، جيمي، الاســتعمار البرتغالي في أفريقيا، ترجمة، حســين المراكبي، القاهرة – 1962، ص82.
(8) الجمل، الكشوف الجغرافية، ص104.
(9) ابن أياس، بدائع الزهور، ج3، ص359.
(10) أمين، السيادة الإسلامية، ص96.

وأنهم كانوا يقطعون الطريق على مراكب الهند القادمة الى مصـــر في البحر الأحمر، ويأخذون ما معهم من بضـــائع حتى عز وجودها في مصـــر وغيرها من البلاد[1]. وغني عن القول أنّ الســـبب في ذلك يعود الى تفوقهم الحربي، مقارنة مع قدرات مصـر الحربية [2]. فلم تسـتطع سـفن الكارم مقاومتهم، واضـطروا الى ترك تجارة الهند والصين[3].

وبذلك يكون البرتغاليون قد نجحوا خلال المدة من ســـنة 905-915هـــــ/ 1499-1509م، من احتكار التوابل وحرمان تجار الكارم ومصر من دورهم التجاري لنقل السلع بين الشرق والغرب[4].

هـ. موقف البندقية من احتكار البرتغال لتجارة التوابل

كان لاحتكار البرتغال لتجارة التوابل انعكاســـاتها فيما يتعلق بهذه التجارة. فلقد كان الظهور البرتغالي مصدر قلق لمصر والبندقية[5]، فالاخيرة ادركت خطورة الأمر، ولاســيما بعد مطالبة ملك البرتغال الغرب التزود بالتوابل من بلاده، فاقترحت البندقية على مصر غلق أسواق الهند بوجه البرتغاليين وأجبارهم على العودة، وأن يرسل سلطان مصر الى ملوك الهند يطلب منهم إلاّ يتعاملوا مع البرتغاليين[6]، وأنّ على السلطان بيعهم التوابل باسعار أقل، وذلك لمنافسة البرتغاليين الذين يجلبونها مباشـرة من دون أي ضـرائب[7].لكن السـلطان لم يسـتجب للبنادقة، الى أنّ وردت أنباء عن اغراق مراكب عليها توابل للســـلطان في طريقها للبحر الاحمر، فقررت البندقية الوقوف على الحياد[8] حفاظاً على مصالحها[9].

ادركت البندقية التي كانت تعتمد، ليس على توابل الكارم فقط بل على كافة الســلع، التي تســوقها الى أوربا، ومن ثمّ لا يمكنها التخلي عن مكانتها علاوة على أنها تعلم جيداً أنّ البرتغال لن تدعها تشـــاركها في مشـــروعاتها، بل دعت الوكالات والتجار البنادقة للتعاون معها، فضلاً عن أنّ البندقية غير قادرة على القيام بحملات للهند خوفاً من ابعاد سفنها عن البحر المتوسط بسبب أحتمال الحرب مع العثمانيين، لذلك حافظت على علاقتها مع مصـر. وأزاء حياد البندقية وتردد السـلطان الغوري، تابعت البرتغال رحلاتها الى الهند[10].

---

(1) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص109.
(2) أمين، السيادة الإسلامية، ص91؛ المعلوف، أسكندر، التجارة عند العرب ومجاوريهم، مجلة المقتطف، ع77، 1930، ص533.
(3) أبو مخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، مخطوط بدار الكتب المصـــرية برقم 167 تاريخ، ج1، ورقة100ب.
(4) أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص414.
(5) الحويري، ساحل شرق أفريقيا، ص93.
(6) أبو مخرمة، قلادة النحر ، ج1، ورقة 78أ؛ طرخان، دولة المماليك، ص294.
(7) Heyd, Op.Cit., T. 2 . P. 521.
(8) الخادم، الشرق الاسلامي، ص443.
(9) Ashtor, Studies on the Levant Trade, P. 448.
(10) أمين، السيادة الإسلامية، ص96-ص98.

حاول السلطان الغوري طلب المساعدة من البندقية سنة 912هــ/ 1506م، للحصول على الاسلحة[1]، ولكن البندقية أمتنعت، منفذة قرارات البابوية التي تحظر ذلك[2]. ولأظهار حســن نواياها ورغبتها في بقاء علاقاتها التجارية مع مصــر، ارسلت سفارتها في سنة 918هــ/ 1512م، وبصحبتها بعض المراكب التجارية، لكي تضــمن بقاء الأســواق المصــرية والشــامية مفتوحة أمامها[3]. لكنها اكتفت بتشــجيع الســلطان الغوري لبناء اسـطول للتصـدي للبرتغاليين. ومن الواضــح أنّ البندقية ظلت حريصة على علاقاتها مع مصر، فمثلاً كانت ترسل سفنها للاسكندرية محملة بالفضــة كثمن للتوابل المشــتراة من مخازن الســلطان بحســب الاتفاقيات المعقودة بينهما[4].لكن مراكبها كانت تعود شــبه فارغة وذلك لخلو الاسـكندرية من سلع الكارم. وبخراب الاسكندرية بسبب عدم وصول مراكب الكارم اليها[5]، وخراب جدة بسـبب الحصــار البرتغالي، أمتنع التجار البنادقة عن القدوم الى مصــر[6]. وأن دخول البندقية في حرب ضد الحلف الذي تشكل في فرنسا في سنة 915هـ/ 1509م، من الدول الأوربية بهدف الســيطرة على أيطاليا، حال من دون ارســال مراكبها الى الاسكندرية[7].

وأخيراً يمكن القول، أنّ موقف البندقية وعدم رغبتها في مســاعدة الســلطة واحجامها عن تزويدها بالاســلحة المتطورة، ودفعها للســلطان الغوري الى ارتكاب خطأ حشــده كافة الاســلحة النارية على جبهة الهند مع البرتغاليين من دون غيرها، كان أحد الاسباب التي أدت الى انهيار تجارة الكارم[8].

و. فشل المماليك في التصدي للبرتغاليين والعثمانيين

لم يكتف البرتغاليون باحتكار تجارة الكارم، بل هددوا جدة[9]، ممّا دفع السلطان الغوري الى تجهيز حملة الى الهند في سنة 911هــ/ 1505م[10]، تراسها أمير جدة الذي عهد اليه مهمة طرد البرتغاليين من البحر الأحمر والمحيط الهندي. فأبتدأ في تحصــين جدة وســواكن[11]، ولكن البرتغاليون هاجموها[12]، ممّا دفع الســلطان الغوري الى الطلب من ملوك الهند عدم التعامل مع البرتغايين ووعدهم بارســال اســطول لحمايتهم[13]، وتم الاتفاق بينهما في ســنة 916هـــ/1510م،

---

(1) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص192.
(2) ن.م، ج4، ص259.
(3) أباظة، أثر تحول التجارة، ص71، ص73.
(4) Heyd, Op.Cit. , T.2, P. 564.
(5) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص358.
(6) ن . م، ج5، ص90 .
(7) Deeping ,Op. Cit., T.2 , P. 279
(8) Heyd, Op. Cit, T.2 , P. 564, 569
(9) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص76.
(10) ن .م ،ج4، ص84.
(11) النهر والي، البرق اليماني، ص19؛ أبو مخرمة، قلادة النحر، ج2، ورقة 102 أ.
(12) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص91.
(13) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص182، ص192-ص195.

بالتصــــدي للبرتغاليين[1]، وفي محاولة أخرى طلب الســـلطان الغوري في ســـنة 916هـــ/ 1510م، مساعدة السلطان العثماني الذي ارسل عدة مراكب الى بولاق محملة بالاســـلحة[2] وارســـل مرة أخرى مدافع ومكاحل واخشـــاب، في ســـنة 918هـ/1512م، ليعين السلطان الغوري على التصدي للبرتغاليين[3].

في الوقت نفســه تمكن أمير جدة من مفاجأة البرتغاليين في سنة 918هــــ/ 1508م، واغرق اســطولهم في ســـاحل الملبار وقتل قائدهم، الأمر الذي دفع بقائد الاسطول البرتغالي في الهند من الهجوم على الاسطول المملوكي وتدميره في خليج ديوفي ذات السنة[4].

بعدها قرر الســـلطان بناء اســطول جديد وحدّثه بالاســلحة النارية وزاد عدد المكاحل والمدافع ثم إنشأ وحدات عسكرية مسلحة بالبنادق، لاستخدامها في جبهة البحر الأحمر والمحيط الهندي[5]. اعتمد المماليك على أنفســهم في مجال صــنع هذه الاسلحة وأستخداماتها، وواجهوا صعوبات عدة، وفي الوقت نفسه فان البندقية لم تســاعدهم بســبب قرارات البابوية التي تحظر ذلك[6]. فضــلاً عن صــناعة الاســلحة، أهتم الغوري بالبارود، وخاصــة بعد الكشــف عن نترات البوتاســيوم التي تدخل في صناعة البارود بالقرب من الكرك[7]، ولقلة خبرتهم به احترقت احدى الزردخانات[8] في سنة 919هـ/ 1513م[9].

ودفعت الحرب مع البرتغاليين الســـلطان الى أنشـــاء فرق مســـلحة بالبنادق سميت بالطبقة الخامسة[10] ارسلها الى السويس في سنة 919هـــ/ 1513م، حيث اعتمد القتال في البحر الأحمر والمحيط الهندي على الاســـلحة النارية. وارســـلوا عساكر الطبقة الخامسة في سنة 920هـــ/ 1514م، الى الهند [11]. وكان لها الفضل في تمكين المماليك من السيطرة على زبيد وعدن في سنة 922هـ/ 1516م[12].

---

(1) ن.م ، ج4، ص185.
(2) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص196، ص200 .
(3) ن.م، ج4، ص285.
(4) ن.م، ج4 ، ص142،ص287.
(5) ن.م، ج4، ص123، ص191. يرجع أنشاء الوحدات العسكرية المسلحة بالبنادق الى ســنة 895هـــ/ 1490م، الى عهد الســلطان قايتباي، لكنها لم تكن فاعلة آنذاك. ابن أياس، بدائع الزهور، ج3، ص263.
(6) بأســـتثناء المســـاعدة التي قدمها لهم العثمانيون . ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص218.
(7) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص204.
(8) الزردخاناه: الزرد يعني السلاح . خانة تعني البيت، فيكون معناها بيت السلاح وتطلق أحياناً على السلاح نفسه. ابن زنبل، آخرة المماليك، ص307.
(9) ابن أياس، بدائع الزهور، ج4، ص341.
(10) الطبقة الخامسة:وهي إحدى الطبقات في الهرم العسكري المملوكي حيث كان المماليك يأخذون رواتبهم بحســب طبقاتهم وكانت الرواتب توزع من خلال أربعة أيام، وقد حدد يوم خامس لرواتب حملة البنادق، وقد أشـــار ابن أياس الى أنّ هذه الطبقة شـــملت الجراكســـة، والأعاجم وأبنائهم، الأمراء الذين ولدوا في مصـــر، ولم يشـــتروا رقيقاً. المقريزي، الخطط، ج2،ص318؛ ابن أيـاس، بـدائع الزهور، ج1، ص235. وغيرهم آخرون. بدائع الزهور، ج4، ص324، ص331، ص336 .
(11) ابن أيـــاس، بـــدائع الزهور، ج4، ص265، ص382 ؛ أبو مخرمـــة، قلادة النحر، ج1،ورقة 132أ.
(12) ابن أياس،بدائع الزهور، ج4، ص458، ص466، ص467، ج5، ص414، ص415.

فباءت كل الجهود التي بذلها المماليك بالفشـل، بسـبب الخلاف الذي دب بين أمراء المماليك أنفســـهم، لدرجة أنّ احدهم اغرق المراكب بما فيها من مدافع وعُدد في سنة 922هـ/ 1516م[1]، فضلاً عن عدم تعاون حكام اليمن مع السلاطين[2].

ولايرجع فشـــل المماليك الى تقصـــيرهم أو تفوق البرتغاليين فقط[3]، لكنهم فشلوا في كسر الحصار الذي فرضه البرتغاليون على منافذ الخليج العربي والبحر الاحمر والمحيط الهندي وتامين تجارة الكارم[4]، فتحولت شـــحنات التوابل الى لشـــبونة، ثم جاءت نهاية دولتهم على ايدي العثمانيين الذين اســـتخدموا بكثافة الاسلحة النارية، التي كانت قليلة الاستخدام في الجيش المملوكي، فضلاً عن حشدها في الجبهة الشـمالية لمحاربة البرتغاليين[5]. فكانت المعركة لصـالح العثمانيين في مرج دابق بحلب في سنة 922هـ/ 1516م، والريدانية بالقاهرة في سنة 923هـ/ 1517م[6].

(1) ن . م، ج5، ص83، ص115 .
(2) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص42، ص46 .
(3) جريس، غيثان علي، جدة في مواجهة الخطر البرتغالي، مقال من كتاب الصــراع بين العرب والاستعمار، ص254، ص255 .
(4) سالم ، تاريخ البحرية المصرية، ص571.
(5) ابن طولون، أعلام الورى بمن ولي نـائباً من الأتراك بـدمشـــق، 1961، ص213، ص214.
(6) فريد،عدلي أحمد، السلطان الغوري، الاسكندرية – 1970، ص199 ؛ نصار، الايلاف القريشي، ص4 .

الخاتمة

بعد الانتهاء، بعون الله تعالى، من دراسة موضوع دور نقابة الكارم في نشر الإسلام ومظاهر حضارته، يمكن تحديد النقاط الآتية :

1. أن الكارمية فئة تجار قديمة عُرفت في عصور سبقت الإسلام ، وقد رجحنا بعد دراسة الآراء حول اصل تسميتها انها عراقية، وانها أطلقت تحديداً على التجار الذي تاجروا بالبهارات والفلفل.
2. أنّ المعلومات حول هذه الشريحة، كانت في الاعم الاغلب، نادرة في مصادرنا العربية القديمة، بل وجدنا أنّ هذه المصادر كانت تسكت عن ذكرهم في بعض العصور وحتى الاسلامية منها بالرغم من كونهم واحدة من أهم شرائح المجتمع العربي الاسلامي وفي العديد من حقبه لثرائها ورؤوس أموالها الواسعة التي ضختها في مختلف مفاصل المجتمع العربي الاسلامي، بما أفاد ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الى حد كبير.
3. كما نلاحظ من هذه الدراسة، ان الكارمية دعموا الاسر الحاكمة لاسيما في مصر التي اتخذوها قاعدة اساسية لعملهم ومركزاً ومستقراً دائماً لهم ، وبالتحديد أسرة المماليك، حيث شكلوا الظهير المالي القوي لهم. وكذا كان لهم المماليك حيث تمازجت، في البداية على الأقل ، مصالح الطرفين واستفاد كلاهما من هذا التمازج والتحالف بشكل كبير .
4. من ناحية أخرى، نلاحظ أنّ العمل الكارمي كان اسرياً ووراثياً ومنظماً داخل الأسرة الواحدة ومع الأسر الكارمية الأخرى. كما نلاحظ وجود تنظيم نقابي بينهم، وأن لم يكن واضحا تماما كما هو الحال في التنظيمات النقابية المختلفة زراعية ام صناعية أم تجارية. وهنا لابد من الإشارة الى أن هذا العمل الأسري المتوارث انتقل الى الغرب الذي ظهرت فيه وللان اسر ثرية جداً تمتلك رؤوس أموال هائلة ضختها في مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وكانت لها تأثيرات خطرة في المجالين السياسي والعسكري، في حين لم يتحقق للكارمية في مصر زمن السلاطين المماليك هذا التأثير الأخير .
5. مع أنّ هذه الشريحة كانت تعمل في المجال الاقتصادي وبالتجارة تحديداً، الا انه كانت لها مواقف جيدة في التعريف بالإسلام في مختلف مناطق تعاملاتهم التجارية الواسعة فكانوا عملياً دعاة للإسلام نشروه طوعياً وودياً خارج مناطق العالم الإسلامي آنذاك.
6. والمهم أنّ هذه الدراسة أوضحت بشكل جلي أن العديد من الكارمية كانوا علماء وطلاب علم برزوا في العديد من العلوم، درسوها ودرّسوها في مجالس علمية سواء في المساجد أو المدارس أو غيرها. كما كانت لهم أياد بيضاء في بناء العديد من المؤسسات الثقافية بما خدم مسيرة الحركة الفكرية العربية والإسلامية .

7. ومن المؤسف أن فاعلية هذه الشريحة خمدت. كما أظهرتها هذه الدراسة بسبب الوضع السياسي المتردي في العالم الإسلامي آنذاك، لا سيما بعد تنامي الحركة الاستكشافية الأوربية التي هدفت الى محاصرة العروبة والإسلام والاستيلاء على مناطق المواد الأولية الثمينة في المشرق والسيطرة على الطرق، لا سيما البحرية، وكان الاستعمار الأوربي هو الوليد الحتمي لهذه الحركة ، لذا ساهمت العوامل الداخلية والخارجية في أنهيار الكارمية وأنشطتهم المختلفة.

ملحق رقم (1)

جدول بأسماء التجار الكارمية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
1.	أحمد بن مظفر خاطري	681هـ/1282م	696هـ/1297م	مصر ودمشق ومكة والهند	أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص52.
2.	رضي الدين إبراهيم بن البرهان عمر الوسطي التاجر السفار أبن العدل	593هـ/1196م	665هـ/1266م وقد تجاوز 71 من العمر	مصر ودمشق و عدن والإسكندرية	أبن تغري بردي، والنجوم، ج7،ص221؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص335.
3	عبد الله خضر الجزري أبن فاركي	636هـ/ 1238م	692هـ/1293م	القاهرة و دمشق وبغداد	أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص152.
4.	قاسم بن علي الفرجوطي	غير معروف	673هـ/1274م	القاهرة وقوص	الادفوي، الطالع السعيد، ص258.
5.	محمد بن عبد الله عبد الجبار الديباجي الأصفهاني الأموي العثماني التاجر البزاز الكارمي الاسكندراني الشاطبي	544هـ/1149م	614هـ/1217م في مكة	الإسكندرية والصعيد واليمن	أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص115 – 116.
6.	محمد بن علي جزري سيكال	658هـ/ 1260م	قتل بالحبشة سنة 688هـ/1289م	القاهرة ودمشق واليمن وكيش والحبشة وبغداد	أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص151.

ملحق رقم (2)
جدول بأسماء التجار الكارمية في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي(1)

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
1.	إبراهيم بن محمد الطيبي الصدر جمال الدين الشهير بابن السواملي	630هـ/1232م	706هـ/1306م بشيراز	بغداد ومصر والصين	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج1 ، ص59 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج7،ص72.
2.	أبن أسيل شرف الدين	غير معروف	720هـ/1320م	قوص	الادفوي، الطالع السعيد،ص247.
3.	أبن القاسم بن أحمد بن عبد اللطيف جمال الدين التكريتي الدمشقي	غير معروف	723هـ/1323م	الإسكندرية و دمشق	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص327.
4.	أبو بكر بن علي القاضي بن محمد بن علي زكي الدين نور الدين الخروبي المصري	غير معروف	787هـ/1385م	القاهرة وعيذاب واليمن	المقريزي،السلوك، ج3، ص536؛ أبن تغري بردي، المنهل الصافي، ص276؛ أبن تغري بردي، النجوم، ج11،ص305؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص443.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
5.	أبو بكر بن محمد بن سليمان الصدر الكبير تاج الدين الدماميني المعروف بالرهايلي	غير معروف	731هـ/1330م	القاهرة	أبن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص156؛ أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، 183.
6.	أبو بكر عتيق بن محمد بن سليمان تاج الدين المخزومي الدماميني	غير معروف	871هـ/1379م	القاهرة والإسكندرية ودمشق واليمن	المقريزي، السلوك، ج2، ص430؛ أبن تغري بردي، النجوم، ج9، ص298.

(1) سأقتصر في هذا الجدول على ذكر أهمهم من الذين وردت معلومات عنهم في ثنايا الأطروحة. وسأحيل الآخرين إلى المصادر القديمة، ينظر : الادفوي، الطالع السعيد، ص214، 335؛ أبن أبي الفضائل، النهج السديد، ص620؛ أبن الفرات، تاريخ أبن الفرات، ج9، ص419، الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج1، ص316،ص317، ج4، ص475؛ المقريزي، السلوك، ج2، ص82 ؛ج4،ص272؛ أبن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص144؛ ج4، ص310، ص419؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص169، ج5، ص185.

7.	أحمد بن عبد العزيز بن صلاح الدين الخروبي	غير معروف	783هـ/1381م	مصر	السخاوي ، الضوء اللامع،ج6،ص92.
8.	تجار بنت ناصر الدين أم عبد الله المعروفة بست التجار	748هـ/1364م	776هـ/1487م	الإسكندرية	المقريزي، السلوك، ص246،؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص401؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج12، ص106، ص247، ص256.
9.	الحسين بن محمد بن عبد الله الطين الأمام	غير معروف	743هـ/1343م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص68، ص69.
10.	سنبل بن عبد الله الهندي المعروف بعتيق داود السلامي	غير معروف	739هـ/ 1338م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص169.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
11.	عبد الرحمن بن الجمال محمد بن أحمد العجمي الكيلاني المكي الحنبلي	غير معروف	797هـ/ 1394م	مصر ومكة والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص122.
12.	عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد زين الدين أبو الفرج المصري الشافعي	غير معروف	719هـ/1319م	مصر وغزة	أبن الفرات، تاريخ أبن الفرات، ج3، ص57، ج8، ص473؛ ج9، ص472-473؛ أبن حجر، الدرر الكامنة،ج2، ص432، ص433.
13.	عبد العزيز منصور عز الدين الخواجا الكولمي الحلبي المصري الإسكندري الحموي	غير معروف	بالإسكندرية سنة 713هـ/1313م	بلاد الخطأ و حلب والإسكندرية وبغداد والبصرة وكيش وهرمز والصين والهند وملقا	المقريزي، السلوك، ج2، ص132-133؛ أبن تغري بردي، النجوم، ج9، ص229؛ أبن حجر، الدرر الكامنة ، ج2، ص383-493؛ بولو، رحلة ماركوبولو، ص252.
14.	عبد اللطيف بن رشيد سويد سراج الدين الربعي التكريتي الاسكندراني	638هـ/ 1240م	714هـ/1314م	الإسكندرية	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص23.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
15.	عبد اللطيف بن محمد أحمد أبن محمود أبي الفتح بن القاسم بن الكويك سراج الدين التكريتي الاسكندراني الربعي	دمشق سنة 659هـ/ 1260م	734هـ/ 1333م ببلاد التكرور	الإسكندرية ودمشق وتمبكتو	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص405.
16.	عبد اللطيف بن محمد بن مسند سراج الدين الاسكندراني	غير معروف	714هـ/1314م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص410؛ أبن حبيب، تذكرة التنبيه، ج3، ص123؛ أبن حبيب، درة الأسلاك، ج1، ورقة 200أ.
17.	عتيق بن محمد بن سليمان المخزومي الدماميني وينعت بالتاج	غير معروف	731هـ/ 1322م	قوص والإسكندرية	الادفوي، الطالع السعيد، ص192-193.
18.	علي بن أبي بكر سعادة فاركي نور الدين	725هـ/1325م	741هـ/1340م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص150.
19.	علي بن أحمد محمود بن أبو الفتح أبو القاسم بن الكويك نور الدين	غير معروف	749هـ/1348م	مصر	الحنبلي، شذرات الذهب،ج7، ص70، ص 73 .
20.	علي بن عمر عفان نور الدين المحلي القاضي	غير معروف	789هـ/1387م	مصر	أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج4، ص193، ج5، ص17.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
21.	علي بن محمد بن أبي بكر مفرج شمس الدين الأنصاري الاسكندراني الشامي	غير معروف	باليمن سنة 740هـ/ 1339 م وقد تجاوز 80 من العمر	مصر وعيذاب واليمن	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص100.
22.	عمر بن حسن بن قاسم بن الخواجا البدر سراج الدين المعروف بالطاهر	غير معروف	بجدة في سنة 767هـ/1463م	مصر جدة والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص80.
23.	عمر بن محمد بن سليمان نجم الدين القاضي الدماميني الاسكندري أبن غنوم	غير معروف	707هـ/ 1307م بالإسكندرية	الإسكندرية	الادفوي، الطالع السعيد، ص456؛ أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص186.
24.	محمد بن أحمد بن عبد اللطيف جمال الدين التكريتي الدمشقي	غير معروف	723هـ/1348م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة؛ ج3، ص333-334.
25.	محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن داود شمس الدين الكتاني المصري الشافعي	غير معروف	749هـ/ 1348م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص333-334.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
.26	محمد بن أحمد علي القسطلاني بن زين الدين بن أمين الدين بن العلامة قطب الدين تمام الدين أبي المعالي	691هـ/1291م	بمكة سنة 754هـ/ 1353م	مكة ومصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص228.
.27	محمد بن سراج الدين بن أبو الفتح بن الكويك عز الدين	غير معروف	795هـ/1392م	مصر	أبن حبيب، درة الأسلاك، ج2، ورقة613أ.
.28	محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد تاج الدين الخروبي	غير معروف	785هـ/1383م	القاهرة ومكة	المقريزي، الخطط، ج2، ص170 ،ص368؛ أبن دقماق، الانتصار، ج4، ص99؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج4، ص75؛ ج6،ص7.
.29	محمد بن صلاح الدين أحمد عز الدين الخروبي	716هـ/1316م	1374/767م	القاهرة	أبن دقماق، الانتصار، ج5، ص99؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص368، 370،؛ مبارك، الخطط التوفيقية، ج6، ص7.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
.30	محمد بن عبد الرحيم الغني بن النشو شرف الدين القريشي	641هـ/1243م	720هـ/1320م	مصر	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج4 ، ص10؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج6،ص53.
.31	محمد بن عبد اللطيف بن محمود بن الكويك فخر الدين التكريتي	غير معروف	769هـ/1376م	الإسكندرية	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص143.
.32	محمد بن عبد الله بن أبي بكر القليوبي	غير معروف	797هـ/1394م	مصر ومكة والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص121.
.33	محمد بن علي بن محمد بن مسلم بن أحمد ناصر الدين الخواجا البالسي المصري الشافعي	غير معروف	776هـ/1374م	مصر واليمن والحبشة وبلاد التكرور والهند	المقريزي،الخطط، ج2، ص401؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص436؛ أبن تغري بردي، النجوم، ج11، ص132، ؛ أبن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص257.
.34	محمد بن محمد بن عبد الرحمن النخعي القوصي المعروف بالزيني	غير معروف	715هـ/1315م	قوص	الادفوي، الطالع السعيد، ص362.
.35	محمد بن محمد حسين محمود بن أبي الفتح بن الكويك الربعي التكريتي المصري	غير معروف	بمكة سنة764هـ/ 1362م	القاهرة ومكة	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص429.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
.36	محمد بن محمود أبي الفتح أبي القاسم بن الكويك شمس الدين التكريتي	غير معروف	714هـ/ 1314م	الإسكندرية ودمشق واليمن والهند	أبن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص252.
.37	محمود بن الكويك بن كويمي	غير معروف	707هـ/1307م	قوص	الادفوي، الطالع السعيد، ص614.
.38	معالي جذري مجد الدين	غير معروف	707هـ/1307م	القاهرة	أبن دقماق، الانتصار، ج4، ص44 ، ص48 ،ص101، ص 105 ؛ الادفوي، الطالع السعيد، ص353، ص620.
.39	ناصر الدين تقي الدين بن أمين البالسي المصري التاجر الكارمي	غير معروف	776هـ/ 1374م	الإسكندرية	المقريزي، السلوك، ج3، ص246؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص401.

ملحق رقم (3)

جدول بأسماء التجار الكارمية في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي(1)

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
1	إبراهيم بن حسين إبراهيم برهان الدين بدر الدين المناوي القاهري أبن عليبة	غير معروف	مات بمكة ودفن في المعلاة سنة 875هـ/ 1470م	القاهرة ومكة	السخاوي، الضوء اللامع ، ج1، ص41، ج11، ص261.
2	إبراهيم بن محمد بن علي برهان الدين الخواجا الطلحي	745هـ/1344م	806هـ/1403م	القاهرة وبلاد الشام ومكة واليمن وسومطرة	المقريزي، السلوك، ج3،ص747؛ المقريزي الخطط، ج2، ص368؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية،ج2، ص175، ص253؛ أبن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص198،ص283.
3	إبراهيم بن محمد بن مسعود برهان الدين المري المقدسي القاهري الشافعي	في بيت المقدس سنة 736هـ/ 1423م	856هـ/1442م	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج4،ص134،ص136.
4	أبو الفتح بن الشمس مجد الدين القاهري الحنفي	780هـ/1378م	864هـ/1459م	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص148.
5	أبو الفتح محمد بن عبد الله الخواجا بن حمام الدمشقي المكي	غير معروف	بمكة سنة 875هـ/ 1470م	مصر ومكة و والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص115.

(1) ينظر أيضا: الادفوي، الطالع السعيد، ص192، ص193، ص214 ، ص269؛ أبن أبي الفضائل، النهج السديد، ص562؛ أبن الفرات، تاريخ أبن الفرات، ج9، ص379؛ أبن دقماق، الانتصار، ج4،ص45،ص50 ؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2،ص17؛ ج4،ص193؛ المقريزي،الخطط ،ج2، ص369؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص108؛ ج5، ص546،ج6، ص277، ص286، الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص443؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص42، ص43، 197، ص303، ص304،ص323، 328، ص329،؛ ج2، ص77، ص78،ص257، 258،؛ ج3، ص15، 150؛ ج4، ص98، ص297، ص299، ص316؛ ج5، ص213، ص214؛ ج7، ص125، ص143، ص184؛ ج8، ص121، ص148؛ ج10، ص9، ص10، ص150، ص151؛ ج11، ص44، ص45، ج11، ص80، ص81، ص129، ص150، ص178، ص224؛ أبن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص302؛ ج4،ص38.

6	أبو بكر الخواجا الخير حســن بن أحمد بدر الدين الصـــفدي المكي المعروف بالطاهر	غير المعروف	860هـ/1455م	القاهرة ومكة	السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص28.
7	أبو بكر بن محمد القاســم بن الكمـال أبي البركـات فخر الـدين القرشــي الهاشــمي القبلي المكي الشافعي	846هـ/ 1442م	غير معروف	القاهرة ومكـة وعدن وكنبـاي في الهند ومندوة في الملايو	الســخاوي، الضـــوء اللامع،ج11، ص87، ص88.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
8	أبو بكر بن محمد بن فهد الفقي بن النجم أبي الخير الهاشمي الفلوي المكي الشافعي	709هـ/1407م	809هـ/1491م ودفن بالمعلاة	مصر وحمص وحماة وحلب وغزة والرملة والقدس والخليل وكنباي وقاليقوط في الهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص92،ص93.
9	أبو بكر عبد الله بن الجمال تقي الدين الدمشقي القاهري الشافعي الشاعر الوقائي أبن البدري أبا النقاب	بدمشق سنة 847هـ/1443م	بمكة سنة 894هـ/1489م	القاهرة والطور وغزة ومكة والمدينة ودمشق	السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص41،ص42.
10	أبو بكر محمد بن علي بن يوسف بن الجمال الذروي المكي الشافعي المصري المعروف بأبن الجمال المصري	غير معروف	816هـ/1413م	مصر ومكة واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص74.
11	أبو بكر محمد يوسف فخر الدين التبريزي أبن بعلنبد	غير معروف	859هـ/1454م	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص93.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
12	**أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي المكي بن القيم الجوزية**	**غير معروف**	**مات بالطاعون سنة 883هـ/ 1478م**	**مصر و بلاد الشام**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص326.**
13	**أحمد بن عبد القادر شهاب الدين المحيوي النشاوي القاهري الحنفي**	**794هـ/1391م**	**بباب النصر في القاهرة سنة 884هـ/ 1480م**		**السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص351، ص352.**
14	**أحمد بن علي بن محمد شهاب الدين الخواجا المصري المكي الكواز**	**850هـ/ 1446م**	**غير معروف**	**مصر ومكة والهند**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج2،ص43.**
15	**أحمد بن محمد الشمس المصري بن فهد شهاب الدين المعروف بابن المغيري**	**770هـ/1368م**	**846هـ/1442م**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج2،ص215.**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
16	أحمد بن محمد بن علي الذروي المكي	في صعيد مصر سنة 812هـ/1409م	بمكة عند باب الكعبة في سنة 853هـ/ 1449م	مكة واليمن والقاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص77،ص78.
17	أحمد بن محمد يوسف بن البدر شهاب الدين المخزومي الكندي المالكي بن الدماميني	879هـ/1474م بالإسكندرية	939هـ/ 1532م بالإسكندرية	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص105،ص106.
18	جابر بن عبد الله الحراشي	756هـ/1355م	813هـ/1410م ودفن في المعلاة	مصر ومكة واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج3،ص51.
19	حسن بن أحمد بن علي بدر الدين المصري الدمياطي الشافعي أبن قرش	بفندق الكارم بفسطاط سنة 752هـ/ 1351م	840هـ/ 1436م	دمياط والقاهرة و صيدا وحلب	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص93.
20	حسن بن سويد بدر الدين المصري المالكي	غير معروف	829هـ/1426م	القاهرة واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص101؛ أبن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص104.
21	الحسن بن عبد المولى الاسعري الصالحي	غير معروف	801هـ/ 1398م	مصر ودمشق	السخاوي، الضوء اللامع، ج3،ص103.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
22	حسن بن محمد البدر بن الخواجا شمس الدين الحلبي الدمشقي أبن مزلق	بدمشق غير معروف السنة	بدمشق في سنة 878هـ/1473م، ودفن بتربة أبن مزلق	القاهرة والطور ودمشق وحلب ومكة	أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص482؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص126.
23	حسن بن محمد بن القاسم بدر الدين الصفدي اليمني الطاهر	بصعدة في اليمن سنة 790هـ/ 1388م	بمكة سنة 871هـ/ 1466م ودفن في المعلاة	القاهرة ومكة وعدن وسواكن والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج3،ص127.
24	حسين النابلسي المعروف بعصفورة	غير معروف	869هـ/1455م	القاهرة ومكة	السخاوي، الضوء اللامع، ج11،ص150.

24	حسين بن إبراهيم بدر الدين برهان المناوي القاهري أبن عليبة	غير معروف	889هـ/1484م ببولاق وقد قارب الخمسين	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص90،ص91.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
25	حسين بن أبي المكارم بن علي العبدري بدر الدين الحجي المالكي الشافعي المعروف بحسن بن أحمد بن علي المواز	806هـ/ 1402م	بالقاهرة سنة 827هـ/1423م	مصر واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص135.
26	حسين بن أحمد الخواجا بدر الدين شهاب الكيلاني المكي الشافعي بن قاوان	842هـ/ 1438م بكيلان	889هـ/1484م ودفن بالمعلاة	القاهرة ومكة والمدينة ودمشق وحلب	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص90.
27	حسين بن أحمد بن محمد ناصر أبو علي بدر الدين الهندي المكي الحنفي	742هـ/1341م بمكة	824هـ/1421م بعدن	القاهرة ودمشق وعدن	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص201،ص202.
28	حسين بن علي يوسف بدر الدين المكي أبن أبي الأصبع	777هـ/ 1375م	849هـ/1449م	القاهرة واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص153.
29	حسين بن محمد بن عبد المنعم بدر الدين العراقي السهروردي	بالعراق سنة 830هـ/ 1427م	غير معروف	مصر ومكة والمدينة وهرمز وكلبرجة وقيلان وكنباي في الهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص125، ص126 .

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
30	خضــر بن إبراهيم بن يحيى بن برهان الدين خير الدين الروكي الرومي	763هـ/1362م	قتل في سنة 820هـ/ 1417م	مصر ومكة والمدينة ودمشق وعدن	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص345؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص95.
31	خليل بن محمد بن عبد الرحيم أبو الصفا أبو سعيد غرس الدين صلاح الدين الاقفهسي المصري الشافعي المعروف بالأشقر	763هـ/ 1361م	820هـ/1417م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص203، ص204 .
32	سليمان بن عمر بن عبد العزيز الخواجا فخر الدين السراج المصري الخروبي	غير معروف	865هـ/ 1461م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص267.
33	عبد الرحمن بن الخواجا حسن بن محمد بدر الدين اليمني المكي بن الطاهر	غير معروف	بجدة في سنة 862هـ/ 1475م	مكة والقاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج4،ص74.
34	عبد الرحمن بن حسن بن سويد بن البدر وجيه الدين المصري المالكي	غير معروف	سنة 844هـ/ 1440م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص73، ص74.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
35	عبد الرحمن بن عبد الله بن زوران بصري	غير معروف	879هـ/1474م	القاهرة ومكة وكلبرجة في الهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص87.
36	عبد العزيز بن محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الكويك عز الدين الشمس بن الكويك	830هـ/1426م	غير معروف	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص228.
37	عبد القادر بن حسين بن البرهان المناوي القاهري الشافعي	غير معروف	890هـ/1485م بالإسكندرية وقد جاوز الخمسين	الإسكندرية	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص259.
38	عبد القادر بن يحيى عبد الرحمن بن فهد محيي الدين الهاشمي	829هـ/ 1425م	888هـ/ 1483م بمكة ودفن بالمعلاة	مصر وسواكن واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص299.
39	عبد الكريم بن إبراهيم بن محمد كريم الدين المصري الحنبلي الكتبي	غير معروف	819هـ/ 1416م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص305، ص306.
40	عبد الكريم بن محمد إبراهيم وجيه الدين الخواجا الدمشقي أبن قيم الجوزية	غير معروف	856هـ/ 1452م	مكة وبلاد الشام والقاهرة وقاليقوط	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص55.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
41	عبد الكريم بن محمد بن يوسف جلال الدين الخواجا الزبيري البصري المكي	غير معروف	بمكة سنة 855هـ/ 1451م	مكة وهرمز واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج1،ص289؛ ج4،ص319.
42	عبد الله بن معبد جمال الدين الدماميني القاهري الشافعي المعروف بابن معبد	بدمامين سنة 815هـ/1412م	891هـ/1486م	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص56؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص256.
43	عبيد الله بن عبد الله بن الأبيوردي المعروف بحافظ	غير معروف	895هـ/ 1490م بجدة ودفن بمكة	القاهرة ومكة وكنباي بالهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص116.
44	علي بن أحمد بن محمد بن سويدان بن خلف نور الدين المنزلي الشافعي	780هـ/ 1378م	غير معروف	القاهرة والقدس ودمشق	السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص185.
45	علي بن عبد العزيز بن أحمد بن علي بن العز نور الدين الخواجا المصري الخروبي	744هـ/ 1343م	803هـ/1400م	مصر	المقريزي، الخطط، ج2،ص563؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، 563؛ أبن إياس، بدائع الزهور، ج1، 302، 340.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
46	**علي بن عبد العزيز بن عز الدين الدقوقي نور الدين**	**بسواكن غير معروف السنة**	**بسواكن سنة 872هـ/ 1467م**	**القاهرة وسواكن ومكة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص240.**
47	**علي بن عبد الكريم بن جلال الدين زين الدين القريشي الزبيدي البصري**	**بهرمز في سنة 826هـ/ 1422م**	**870هـ/ 1465م**	**القاهرة ومكة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص244.**
48	**علي بن محمد بن جلال نور الدين الطبندي المصري**	**766هـ/ 164م**	**836هـ/ 1434م**	**القاهرة**	**المقريزي، السلوك، ج4، ص899؛ أبن تغري بردي، الدليل الشامي، ج1، ص480، ص481؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص178.**
49	**علي بن محمد بن جمال الدين علاء الدين القفجاجقي الجوهري الطيب بن قفجاق**	**غير معروف**	**890هـ/ 1485م وقد قارب الثمانين**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص29.**
50	**علي بن محمد بن عبد الكريم علاء الدين الخواجا الكيلاني المعروف بالشيخ علي**	**بكيلان سنة 715هـ/ 1315م**	**848هـ/ 144م دفن بالبقيع وتجاوز 133 سنة**	**مصر وبلاد الشام ومكة واليمن وعدن**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص313.**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
51	علي بن محمد بن يوسف التوريزي أو التبريزي	غير معروف	ضربت عنقه بين القصرين في سنة 832هـ/ 1428م	القاهرة والإسكندرية والحبشة	المقريزي، السلوك،ج3،ص7،ج5، ص795؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6،ص637، ص640،ص664، ص665؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص28، ص29.
52	علي بن محمد قليوبي	غير معروف	817هـ/1492م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص222.
53	علي بن محمود بن قاوان بن خواجا جهان الكيلاني نور الدين	غير معروف	مات مسموم بكنباي سنة 895هـ/1489م وقد تجاوز الستين	القاهرة ومكة وعدن وكنباي بالهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص38.
54	عمر بن محمد بن علي سراج الدين الجناب المعالي الخوانكي الخواجا بن الخواجا الدمشقي الشافعي أبن مزلق	بدمشق سنة 786هـ/ 1384م	بدمشق سنة 841هـ/ 1437م بسبب الطاعون	دمشق والقاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص120.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
.55	**عوض بن موسى المكي البراز**	**805هـ/ 1442م**	**846هـ/ 1442م**	**مصر ومكة واليمن وسواكن**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص149.**
.56	**فوزي شهاب الدين**	**غير معروف**	**809هـ/ 1406 م**	**مصر**	**أبن دقماق، الانتصار، ج4، ص45، 50 .**
.57	**قاسم بن أبي الغيث بن أحمد بن عثمان العبسي اليمني الزبيدي**	**بزبيد**	**بمكة سنة 814هـ/ 1411م ودفن في المعلاة**	**مصر ومكة و عدن وزبيد والهند**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص213، 214.**
58	**قاسم بن محمد بن علي بن الهليس**	**غير معروف**	**838هـ/ 1434م**	**مصر ومكة والقدس ودمشق وعدن**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج11، ص19، ص20 .**
.59	**قاسم عبد الرحمن علي بن الشرف بن النور القاهري البرجوازي الشافعي القباني بن الكويك**	**786هـ/ 1385م بالقاهرة**	**872هـ/ 1467م**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص182.**
60	**محمد بن بخشيش بن أحمد الحزري ناصر الدين**	**غير معروف**	**بمكة سنة 837هـ/ 1434م**	**مصر ومكة والهند**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص205؛ السخاوي ،أبناء الغمر، ج3، ص309.**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
61	**محمد بن بركوت حبش بن الخواجات شهاب الدين المكيني**	**غير معروف**	**بمكة سنة 845هـ/1441م**	**مصر وعدن ومكة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج7،ص145.**
62	**محمد بن حسن بن سويد بن البدر شمس الدين المصري المالكي**	**غير معروف**	**834هـ/ 1430هـ**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص145.**
63	**محمد بن سراج الدين عمر بن عز الدين بن صلاح الدين شرف الدين الخروبي**	**771هـ/ 1369م**	**850هـ/1446م بالإسكندرية**	**الإسكندرية ومكة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص247.**
64	**محمد بن سراج الدين عمر بن عز الدين عبد العزيز عز الدين الخروبي**	**غير معروف**	**842هـ/ 1438م**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8،ص247.**
65	**محمد بن سويد صدر الدين المصري المالكي**	**غير معروف**	**890هـ/ 1485م في المدرسة الباقينية ولم يدفن بها تجاوز السبعين**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج9،ص72.**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
66	**محمد بن عبد الرحمن بن الشرف شمس الدين القاهري الشافعي القباني بن الكويك**	**غير معروف**	**856هـ/1452م**	**القاهرة والإسكندرية**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص247.**
67	**محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن سويد بن البدر فتح الدين المصري المالكي**	**بالظهران سنة 823هـ/ 1420م**	**873هـ/ 1468م**	**مصر ومكة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص287، ص288؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص104.**
68	**محمد بن عبد الرحمن شمس الدين البارنباي الدمياطي القاهري الشافعي السكري أبن سولة**	**بدمياط سنة 821هـ/ 1486م**	**892هـ/ 1418م**	**مصر وبلاد الشام**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص283.**
69	**محمد بن عبد العزيز بن أحمد الصلاح سراج الدين المصري الخروبي**	**741هـ/ 1340م**	**826هـ/ 1422م**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص92.**
70	**محمد بن عبد الله المصري المكي الخضري**	**غير معروف**	**مات مسموماً في سنة 808هـ/ 1405م**	**مصر ومكة واليمن**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص121..**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
71	**محمد بن عبد الله بن أحمد بن الجمال بن الحافظ شمس الدين القاهري الفزاري**	**غير معروف**	**879هـ/ 1474م**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص80.**
72	**محمد بن عثمان بن علي الصالحي العلاف أبن الضرير**	**794هـ/ 1391م**	**844هـ/ 1340م**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص149.**
73	**محمد بن عز الدين المحب أبو عبد الله القاهري الشافعي**	**770هـ/ 1468م**	**845هـ/ 1441م**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص49.**
74	**محمد بن عز الدين بن سراج الدين عبد اللطيف بن أحمد بن محمود أبو الفتح أبو القاسم شرف الدين الشهير بابن الكويك**	**غير معروف**	**821هـ/ 1418م**	**الإسكندرية**	**الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص225، ص265؛ الصيرفي نزهة النفوس، ج2، ص430 ؛ الحنبلي، شذرات الذهب ، ج7، ص152.**
75	**محمد بن علي بن الركن بدر الدين شمس الدين الخانكي الفارسكوري أبو الغيث**	**850هـ/ 1449م بفار سكور**	**غير معروف**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج11،ص121.**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
76	**محمد بن علي بن الشريف شمس الدين القاهري الشافعي بن شرف**	**بكجرات بالهند**	**856هـ/ 1452م**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص167.**
77	**محمد بن علي بن محمد بن شمس الدين الخواجا الكبير الحلبي الدمشقي أبن مزلق**	**غير معروف**	**848هـ/1444م بدمشق وقد تجاوز الثمانين**	**القاهرة ودمشق**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص173.**
78	**محمد بن عمر بن عبد العزيز بن الشيخ علي بن الخواجا السراج بن العز بن الصلاح بدر الدين الخروبي المصري**	**غير المعروف**	**833هـ/ 1429م**	**القاهرة**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص246.**
79	**محمد بن قاسم الفقيه الجذامي الأندلسي**	**غير معروف**	**892هـ/1486م**	**مصر**	**السخاوي، الضوء اللامع، ج4،ص289.**

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
80	محمد بن محمد الخواجان الجمال الكيلاني المعروف بقا وان	813هـ/ 1410م	قتل سنة 889هـ/ 1481م	القاهرة وبلاد الشام	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص44،ص45.
81	محمد بن محمد بن الشهاب المصري بن اللبان شمس الدين	770هـ/ 1368م	849هـ/ 1445م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص50.
82	محمد بن محمد بن بخنشيش بن أحمد الجمال ناصر الدين	غير معروف	859هـ/ 1454م	القاهرة والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص55.
83	محمد بن محمد بن سراج الدين عبد اللطيف بن أحمد بن محمود أبو الفتح أبو القاسم بن كويك سراج الدين الربعي	737هـ/ 1336م	821هـ/ 1418م	مصر	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص31؛ أبن حجر الدرر الكامنة، ص269؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص72.
84	محمد بن محمد بن شمس الدين الخواجا الابوقيري السكندري	غير معروف	بمكة سنة 864هـ/ 1460م	مصر ومكة وقاليقوط	السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص101.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
85	محمد بن محمد بن شمس الدين محمد بن عبد الغني أبو الفتح بن محمد بن كرسون	غير معروف	875هـ/ 1459م	القاهرة وجدة ومكة وبربره والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج9،ص18؛ الصيرفي، أنباء الهصر، ص313.
86	محمد بن محمد بن علي بن الخواجا الدمشقي أبن البراق	792هـ/ 1439م	مسموماً سنة 822هـ/ 1439م	القاهرة واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص167.
87	محمد بن محمد بن عمر بن أبي بكر الصر خدي شمس الدين الدمشقي الشافعي المقرئ	840هـ/ 1436م	غير معروف	مصر ومكة وجدة	السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص171.
88	محمد بن محمد بن وجيه بن العز شمس الدين السخاوي القاهري الشافعي القادري الوقائي المعروف بابن العز	غير معروف	842هـ/ 1438م	مصر والقدس والخليل	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص165.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
89	محمد بن محمد بن وجيه جلال الـدين المصــري المـالكي بن سويد	856هـ/ 1452م	بـكـجـرات ســـنـــة 919هـ/ 1513م	صـعيد مصـر ومكة والمدينة وكنباية في الهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج9،ص90.
90	محمـد بن محمـد عبـد الرحمن الصدر جمال الدين الحضرمي	غير معروف	863هـ/ 1459هـ	مصر ومكة وعدن وكمران	الســـخاوي، الضـــوء اللامع، ج5، ص47؛ ج7،ص273 ، ج8، ص310.
91	محمـد بن محمـد عيســـى أبو السعادات بن الشرف بن الفخر شمس الدين الحبشي المصري القاهري الشافعي بن الاقباعي	غير معروف السنة بمصر	ســنـة 856هـــــ/ 1452م	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص276.
92	محمد بن يوســـف بن عبد الله شــمس الدين المصــري البزار الكتبي الامشاطي	750هـ/ 1349م	833هـ/ 1478	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص94.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
93	محمد جلال بن أخوة	بصحراء عيذاب سنة 853هـ/ 1449م	غير معروف	مصر واليمن وهرمز وقاليقوط في الهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج8،ص64.
94	محمد شمس الدين الخواجا الماحوزي	غير معروف	في ربيع الأول سنة 851هـ/ 1447م بمكة	القاهرة ومكة	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص112، ج11، ص224؛ السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص198.
95	موسى بن أحمد بن عبد الله المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي	850هـ/ 1446م بجماعيل بدمشق	غير معروف	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص176.
96	موسى بن علي بن سليمان الشرف شمس الدين القاهري الشافعي الأمين الأنصاري	بتيا بالمنوفية في صعيد مصر	مات مسموماً بمكة في سنة 881هـ/1476م ودفن بالمعلاة	القاهرة ومكة والحجاز	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص186، 187.
97	موسى بن علي بن محمد المناوي القاهري الحجازي المالكي	859هـ/ 1454م بمنية القائد بالقاهرة	820هـ/ 1417م	مصر ومكة واليمن	السخاوي، الضوء اللامع، ج1، 781؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن،ج2، ص18، 95.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
99	موسى بن علي بن يحيى بن جميع الشرف الصنعاني العدني	بعدن سنة 790هـ/ 1388م	سنة 842هـ/ 1483م باليمن	القاهرة ومكة وعدن	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص187.
100	ياسين بن محمد بن إبراهيم البشلوش زين الدين الأزهري الشافعي	بالغربية أوائل القرن 8هـ/ 14م	بجامع الأزهر سنة 873هـ/ 1468م	القاهرة والشرقية	السخاوي، الضوء اللامع، ج10،ص212.
101	يحيى بن جمال الدين أبو زكريا الهاشمي المالكي الشافعي	789هـ/1387م	843هـ/1439م	مصر وحلب ودمشق واليمن ومكة وبلاد الروم وكنباي وكلبرجة بالهند وسواكن	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص233.
102	يحيى بن عبد العزيز بن التقي محمد بن فهد	غير معروف	895هـ/ 1490م	القاهرة	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص234، 235.
103	يحيى بن عجلان الاسيوطي المكي بن الشريف الطائي	غير معروف	بالطاعون في سنة 873هـ/ 1468م	القاهرة وبلاد الشام والحبشة والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج10،ص235.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
104	يحيى بن علي بن حسن شرف الدين نور الدين الرجب المكي المغربي المعروف بالمشهدي	865هـ/ 1461م	غير معروف	القاهرة ودمشق ومكة وهرمز والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص235 وص236.
103	يحيى بن عمر بن أحمد أبو زكريا بن السراج بن الحوراني الحموي الشافعي بن مزلق	870هـ/ 1465م	غير معروف	مصر وحماه ودمشق وحلب ومكة والهند	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، 238.
104	يحيى بن محمد بن سعيد بن عمر العبسي القاهري الشافعي القباني	827هـ/ 1423م	غير معروف	القاهرة ومكة	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص246-ص247.
105	يعقوب بن محمد بن أويس الخواجا الكردي القاهري المعروف بكردكاز	غير معروف	833هـ/ 1478م	مصر	السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص285.

ت	اسم التاجر	تاريخ الميلاد	تاريخ الوفاة	مكان ممارسته لتجارة الكارم	اسم المصدر الذي ورد فيه
106	يعقوب بن محمد بن صـــديق البرلسي	غير معروف	بالإســكندرية ســنة 883هـ/ 1487م وقد تجاوز الثمانين	مصر	الســـخــاوي، الضـــوء الـلامـع، ج10، ص286،285.

1. المخطوطات

أبن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت727هـ/1326م)
1. قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 241 تاريخ .
أبن أياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ/1524م)
2. نشق الازهار في عجيب الاقطار، وهو كتاب فريدة العجائب وفريدة الطالب، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 439 جغرافيا و 3320ادب.
أبن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن (ت 779هـ/ 1377م)
3. درة الاسلاك في دولة الاتراك، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 617تاريخ.
أبن قاضي شهبة، أحمد بن محمد الاسدي (ت 851هـ/ 1447م)
4. الأعلام بتاريخ دول الأسلام، مخطوط بدار الكتب المصرية في سبع مجلدات برقم 1584 تاريخ .
أبو مخرمة، أبو محمد بن عبد الله العدني الطيب(ت 947هـ/1540م)
5. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 167 تاريخ.
البلوي، خليل بن عيسى المغربي (ت 765هـ/1363م)
6. تاج المعارف في تحلية علماء المشارق المسماة رحلة البلوي، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 400 جغرافيا
الجزري، أبن الاثير أبو المحاسن علي بن أبي الكرم (ت 872هـ/1468م)
7. تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 1344.
الخالدي، عبد الله بن لطف الله بهاء الدين (ت927هـ/ 1530م)
8. المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الأنشا، مخطوط مصور بجامعة القاهرة، برقم 24045.
العمري، أبو فضل الله أحمد بن يحيى (ت749هـ/ 1348م)
9. مسالك الابصار في ممالك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم 2568.
العيني، بدر الدين أبو محمد محمود (ت 855هـ/ 1425م)
10. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية في 23 جزء، برقم 1584 تاريخ.
النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب القريشي اليمني (ت 733هـ/ 1333م)
11. نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط بدار الكتب المصرية في 32 جزء، برقم 549 معارف عامة .
النويري، محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندري (ت775هـ/ 1372م)
12. الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 449 تاريخ .

2. المصادر

القرآن الكريم
1. مؤلف مجهول تاريخ سلاطين المماليك من سنة 690-741هــ، جمع ونشر: ك. في، زيتر شتين، لندن – 1919.
أبن أبي الفضائل، المفضل بن أبي الفضائل القطبي المصري (ت672هـ/ 1273م)
2. النهج السـديد والدرّر الفريد فيما بعد تاريخ أبن العميد (ذيل تاريخ أبن العميد)، تحقيق: بلوشـيه، باريس- 1919 .
أبن الأثير، عز الدين علي أبو الحسن على بن محمد (ت 630هـ/ 1232م)
3. الكامل في التاريخ، القاهرة – 1303هـ .
أبن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القريشي (ت 729هـ/ 1328م)
4. معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: روبين ليفي، كمبردج- 1938.
أبن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 646هـ/ 1048م)
5. الجامع لمفردات الادوية والاغذية، القاهرة – 1291.
أبن الحاج، محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت 737هـ/ 1236م)

6. مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، المسمى المدخل الى نتيجة الأعمال بحسن النيات، ط1، القاهرة – 1929 .
أبن الديبع، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت943هـ/ 1537م)
7. بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق: عبد الله الحبشي، اليمن- 1979.
أبن العميد، المكين جرجيس بن العميد بن أياس (ت 672هـ/ 1272م)
8. أخبار الايوبيين المعروف بتاريخ أبن العميد، تحقيق: كلود كوهين، نشر: المجمع العلمي الفرنسي، دمشق-1955.
أبن الفرات، محمد عبد الرحيم الحنفي (ت 807هـ/ 1405م)
9. تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ أبن الفرات، ج7، ج9، تحقيق: قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت-1939.
أبن القاضي ، أحمد بن محمد بن محمد (ت1025هـ/1616م)
10. جذوة الأقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط- 1973.
أبن المجاور، محمد بن مسعود بن علي النيسابوري (ت630هـ/1232م)
11. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة (تاريخ المستبصر)، نشر: اوسكار لوفغرين، ليدن-1951.
أبن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر بن حفص(ت 749هـ/ 1349م)
12. تاريخ أبن الوردي وتتمة المختصر ، القاهرة – 1258.
13. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة – 1823
أبن اياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت 930هـ/ 1524م)
14. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة- 1963.
أبن ايبك، أبو بكر عبد الله الدواداري (ت 736هـ/ 1335م)
15. كنز الدرّر وجامع الغرر، ج6 المسمى (الدرة المضية في الدولة الفاطمية)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة – 1961 .
16. ج7، المسمى (الدّر المطلوب في مناقب بني أيوب)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة – 1972 .
17. ج9، المسمى (الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق: هانز روبرت رومير، القاهرة – 1960.
أبن بسام، محمد بن أحمد التنسي (ت في اواخر القرن 6هـ/ 12م)
18. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسام الدين السامرائي، بغداد – 1968 .
أبن بطوطة، شرف الدين أبي عبد الله بن محمد أبراهيم الطنجي (ت 779هـ/1371م).
19. رحلة أبن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، القاهرة – 1928.
أبن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت874هـ/ 1469م)
20. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة –1918
21. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: وليم بوير، كاليفورنيا-1931.
22. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج2، تحقيق: محمد أمين، القاهرة – 1985.
23. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،ج1و ج3، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة-1986.
24. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهمي شلتوت، السعودية، جامعة ام القرى-1375هـ.
أبن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الاندلسي (ت 614هـ/ 1217م)
25. رحلة أبن جبير، بيروت – 1981.
أبن حبيب، بدر الدين بن محمد بن عمر (ت 779هـ/ 1371م)
26. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين و سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة – 1976.
أبن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م)
27. الدرّر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدر اباد- 1972.
28. أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة: 1969.
أبن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت. ق 4هـ/ 10م)

29. صورة الأرض، تحقيق: دي غويه، ط1، ليدن – 1967.
30. المسالك والممالك، ليدن –1872.
أبن حرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م)
31. المسالك والممالك، نشر: دي غويه، ليدن –1889
أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت808هـ/ 1405م)
32. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، بيروت –1959.
33. مقدمة أبن خلدون، ط6، القاهرة- 1966.
أبن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/ 1282م)
34. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة – 1950 .
أبن دحلان، أحمد زيني (ت 1304هـ/ 1886م)
35. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة – 1304هـ
أبن دقماق، صارم الدين أبراهيم بن محمد أيدمر العلائي (ت809هـ/ 1406م)
36. الأنتصار لواسطة عقد الأمصار، تقديم: فولز، ط1، مصر-1893.
37. نزهة الأنام في تاريخ الأسلام، تحقيق: سمير طيارة، ط1، بيروت-1999.
38. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين، بيروت –1985.
أبن رستة، أبو علي احمد بن محمد بن أسحق (ت 295هـ/ 899م)
39. الاعلاق النفيسة، ليدن- 1896هـ.
أبن زنبل الشيخ أحمد الرمال المحلي(ت 960هـ/ 1554م)
40. آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق: عبد المنعم عامر، تقديم: عبد الرحمن الشيخ، القاهرة – 1998 .
أبن سعيد المغربي، علي بن موسى بن عبد الله الاندلسي الغرناطي (ت685هـ/1286م)
41. المغرب في حلى المغرب، نشر: زكي حسن وشوقي ضيف، الجزء الخاص بمصر، القاهرة –1953.
42. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، القاهرة – 1970.
أبن شداد، عز الدين محمد بن علي بن أبراهيم (ت 684هـ/ 1285م)
43. تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت – 1983.
أبن طولون، شمس الدين محمد الصالحي (ت 953هـ/ 1546م)
44. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة – 1964.
45. أعلام الورى بما ولي نائباً من الاتراك بدمشق- 1961
أبن ظهيرة، أبو أسحاق برهان الدين أبراهيم (ت891هـ/ 1471م)
46. الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، مراجعة: محمد كامل المهندس، القاهرة -1969.
أبن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القريشي (ت 257هـ/ 870م)
47. فتوح مصر وأخبارها، نشر: تشارلز تووري، ليدن-1920.
48. فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة –1961.
49. فتح أفريقيا والاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت-1964.
أبن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت في النصف الاول من القرن 6هـ/12م)
50. رسالة في أداب الحسبة والمحتسب، نشر: بروفنسال ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، القاهرة – 1955.
أبن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت692هـ/ 1292م)
51. تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل ومحمد علي النجار، القاهرة – 1961.
52. الألطاف الخفية في السيرة الشريفة السلطانية الملكية الاشرافية، نشر: سويدية، ليسبك – 1902.
53. الروض المعطار في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق: عبد العزيز خويطر، رسالة خطية في جامعة لندن- 1968.
أبن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر أحمد (ت 851هـ/ 1448م)

54. تاريخ أبي قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق- 1977.
أبن كثير، عماد الدين أسماعيل بن عمر الحافظ الدمشقي(ت 774هـ/ 1373م)
55. البداية والنهاية في التاريخ، ط1، بيروت – 1966.
أبن ماجد، شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد (ت 900هـ/ 1495م)
56. ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق: ثيوردور شومو فسكي، ترجمة:محمد منير مرسي، القاهرة – 1969.
57. كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، تحقيق: ابراهيم خوري، دمشق.
أبن ماسويه، أبو زكريا يحيى يوحنا الخوري (ت 243هـ/ 857م)
58. الجواهر وصفاتها، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، القاهرة – 1976.
أبن مماتي، الأسعد بن المهذب بن مينا أبو المكارم (ت 606هـ/1209م)
59. قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، القاهرة –1991.
أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الانصاري(ت711هـ/1311م)
60. لسان العرب، تحقيق:يوسف خياط، القاهرة-1979.

أبن منكلي، القز محمد (ت 778هـ/ 1376م)
61. الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر لأبن منلكي، تحقيق: عبد العزيز عبد الدايم، القاهرة – 1974
أبن ميسر، محمد بن علي بن يوسف (ت 677هـ/ 1287م)
62. تاريخ مصر، تحقيق: هنري ماسيه، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة –1919.
أبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المازني (ت697هـ/1298م)
63. مفرج الكروب في مناقب بني أيوب، ج1-3، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة – 1957.
64. مفرج الكروب في مناقب بني أيوب، ج4-5، تحقيق: حسنين ربيع، القاهرة –1972.
أبو الفدا، أسماعيل بن علي الأيوني صاحب حماة (ت 732هـ/332م)
65. تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين، باريس- 1840
66. المختصر في أخبار البشر، القاهرة –1907.
أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن أسماعيل الاصفهاني (ت 697هـ/1266م)
67. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: عزت العطار، القاهرة – 1287.
68. الذيل على الروضتين، طبع بعنوان تراجم القرنين السادس والسابع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة-1947.
أبو مخزمة، أبو محمد عبد الله الطيب العدني (ت947هـ/ 1540م)
69. تاريخ ثغر عدن وتراجم علماؤها، نشر: علي حسن وعلي عبد الحميد، بيروت-1936.
الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 560هـ/ 1164م)
70. صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق من أختراق الافاق، تحقيق: رينهارت دوزي ودي غويه، ليدن- 1968 .
71. وصف أفريقيا الشمالية الصحراوية، تصحيح ونشر: هنري بيريس، الجزائر- 1957.
الادفوي، كمال الدين أبي الفضل معتز بن ثعلب (ت748هـ/ 1346م)
72. الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة باعلى الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: طه الجابري، القاهرة – 2001.
الأسدي، محمد بن محمد بن خليل (ت 854هـ/ 1450م)
73. التسير والأعتبار و التحرير والاختبار، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة –1967.
الاصطخري، أبو أسحاق أبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت 341هـ/ 952م)
74. المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العالي، مراجعة: محمد شفيق غربال، القاهرة 1961.
الأصفهاني، محمد بن محمد (ت 597هـ/ 1200م)
75. الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود، القاهرة – 1965.

البصري ، علي بن يوسف بن أحمد (ت905هـ/ 1499م)
76. تاريخ البصري، تحقيق: أكرم حسن العلي ، دمشق -1408هـ.
البغدادي، أبن عبد الحق صفي الدين المؤمن (ت 739هـ/1338م)
77. مراصد الاضطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة –1954 .
البغدادي، عبد اللطيف علي محسن عيسى مال الله (ت629هـ/1231م)
78. الافادة والأعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، بغداد- 1987.
البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز(ت 487هـ/ 1094م)
79. المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، الجزائر- 1857.
البوزجاني، أبو الوفاء (ت 388هـ/ 998م)
80. تاريخ علم الحساب العربي، المنازل السبع،ج1، تحقيق: أحمد سليم سعيدان .
البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ/ 1048م)
81. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذوله، الهند- 1958.
التيفاشي، أحمد بن يوسف القيسي (ت 651هـ/ 1253م)
82. أزهار الافكار في جواهر الأحجار، تحقيق: محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي، القاهرة – 1977 .
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/ 868م)
83. التبصر بالتجارة، تعليق: حسن حسني وعبد الوهاب التونسي، مصر –1935.
84. رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد الامير مهنا، بيروت – 1988
الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن(ت 1237 هـ/ 1821م)
85. عجائب الآثار في تراجم الأخبار أو تاريخ الجبرتي، بولاق- 1297.
الجزيري، عبد القادر بن محمد الانصاري (ت 976هـ/ 1568م)
86. تاريخ الفقه على المذاهب الأربعة، القاهرة – 1935.
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ/ 1657م)
87. كشف الظنون عن أسامي الكتاب والفنون، ط3، طهران –1967.
الحسن، بن عبد الله بن محمد (ت 708هـ/ 1308م)
88. آثار الأول في تدابير الدول، القاهرة – 1295.
الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت(ت 624هـ، 1227م)
89. معجم البلدان، مصر – 1324.
الحنبلي، أبن العماد أبو الفلاح عبد الحي(ت 1089هـ/ 1678م)
90. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة – 1947 .
الحيمي، أبو الحسن بن محمد (ت 1071هـ/ 1660م)
91. سيرة الحبشة، ترجمة: مراد كامل، القاهرة – 1972.
الخالدي، عبد الله بن لطف الله محمد بهاء الدين(ت 937هـ/ 1530م)
92. الدرر الفرايد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، نشر: حمد الجاسر، الرياض- 1983
الخزرجي، الشيخ علي بن الحسين (ت 812هـ/ 1409م)
93. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بسيوني، القاهرة – 1911.
خسرو، ناصر علوي أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت 481هـ/ 1088م).
94. سفر نامه، رحلة ناصر خسرو الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة –1993.
الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 387هـ، 997م)
95. مفاتيح العلوم، تصحيح ونشر: دار الطباعة المنيرية، مصر-1342.
الدلجي، شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله (ت 838هـ/ 1434م)
96. الفلاكة والمفلكون، تحقيق: خليل صادق، مصر –1322 .

الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت 6هـ/ 12م)
97. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبورغ –1865.
98. الإشارة الى محاسن التجارة، مصر –1318 .
الدمشقي، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن الحسيني (ت765هـ/ 1355م)
99. ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق: حسام الدين القدسي، بيروت .
الدوادار، بيبرس ركن الدين المنصوري الخطائي المصري(ت 725هـ/ 1325م)
100. زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيد عطا، السعودية- 1972.
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م)
101. العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط2، الكويت -1948.
الرامهرمزي، بزرك بن شهريار (ت. قبل 4 هـ/ 10م)
102. عجائب الهند بره وبحره وجزايره، مصر-1908 .
الزبيدي، محمد مرتضى الحسين الواسطي (ت1205هـ/ 1790م)
103. تاج العروس في جواهر القاموس، مصر 1306
الزمخشري، محمد بن عمر(ت 538هـ/ 2243م)
104. الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرون، ط2، ج2، بيروت.
الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 550هـ/ 1155م)
105. الجغرافيا، تحقيق: محمد حجاج صادق، القاهرة .

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ/ 1370م)
106. معيد النعم ومبيد النقم، ط1، بيروت- 1986.
السخاوي، محمد عبد الرحمن بن شمس الدين (ت 902هـ/ 1497م)
107. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة – 1355هـ.
108. التبر المسبوك في ذيل السلوك، نشر: المكتبة الازهرية بالقاهرة -1984.
109. الذيل على رفع الآصر، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود، مراجعة: علي البجاوي، القاهرة – 2000.
110. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط1، ج2، بيروت -1993.
السلاوي ، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت131هـ/ 1897م)
111. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر محمد الناصري، الدار البيضاء – 1954.
السيرافي، أبو زيد حسين سليمان الفارسي (ت 277هـ/ 851م)
112. رحلة أبو زيد السيرافي الى الصين والهند، باريس – 1891.
السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (911هـ/ 1505م)
113. حسن المحاضرة وتاريخ مصر والقاهرة، القاهرة –1967 .
114. غزوات قبرص ورودس، جزء من كتاب السيوطي، المسمى بكتاب تاريخ الأشراف قايتباي المحمودي الظاهري، فينا-1884.
الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250هـ/ 1834م) .
115. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط1، القاهرة .
شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت 727هـ/ 1327م)
116. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تصحيح: فرين ومهرن، بطرسبوغ-1865.
الصابي، أبو الحسن هلال بن الحسن (ت 448هـ/ 1156م)
117. الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة –1958.
118. رسوم دار الخلافة، تحقيق: مخيائيل عواد، بغداد- 1964.
الصيرفي، علي بن داود الخطيب (ت 900هـ/ 1494م).
119. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة – 1971.
120. أنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق: حسن حبشي، ط2، القاهرة – 2002.
الظاهري، أبن شاهين غرس الدين الخليل (ت 872هـ/ 1467م)

121. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولص ريفز، باريس- 1894.
العمري، أبو فضل الله أحمد بن يحيى (ت 749هـ/ 1348م)
122. التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة – 1312هـ.
123. مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة – 1985.
العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، (ت855هـ/ 1451م)
124. السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ومراجعة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة –1967.
125. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: ايمان عمر شكري، ط1، مصر 2002.
الغرناطي، عبد الرحيم بن سليمان أبي حامد الأندلسي (ت565هـ/1170م)
126. تحفة الألباب ونخبة الأحباب، نشر: جبريل فران، باريس – 1925.
الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت 832هـ/ 1429م)
127. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج1، تحقيق: محمد حامد الفقي، مصر – 1986 .
128. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،ج2، تحقق: فؤاد السيد، مصر –1324 .
129. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، نشر: فستنفلد، لينربرج –1859.
الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م)
130. القاموس المحيط، ط1، بيروت، 1968.
الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (770هـ/ 1350م)
131. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج1، بيروت .
القاسم، يحيى بن الحسين (ت1100هـ 1689م)
132. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة – 1968.
قدامة، بن جعفر أبو الفرج (ت 337هـ/ 932م)
133. الخراج وصنعة الكتابة ، ليدن -1889.
القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)
134. ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر،تحقيق: محمود سلامة، القاهرة –1906.
135. صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تصحيح: محمود سلامة، مصر – 1906.
الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1356م)
136. فوات الوافي بالوفيات والذيل عليها، تحقيق: أحسان عباس، بيروت - 1973
مؤلف مجهول (عاش سنة 587هـ 1191م)

137. الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر : سعد زغلول عبد الحميد، مصر -1958.
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت 450هـ/ 1058م)
138. الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط1، القاهرة –1960
المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957م)
139. التنبيه والأشراف، تصحيح: عبد الله الصاوي، القاهرة – 1948.
140. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين، القاهرة- 1958.
المظفر، يوسف بن عمر بن علي رسول الملك (ت 695هـ/ 1295م)
141. المعتمد في الادوية المفردة، ط3، تصحيح: مصطفى السقا، بيروت –1975.
المعبري، الشيخ زين الدين أحمد (ت 991هـ/ 1583م)
142. تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، لشبونة – 1889 .
143. المغيري، سعيد علي
144. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: عبد المنعم محمد .
المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت380هـ/ 990م)
145. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت – 1906.
المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1642م)

146. نفح الطيب في غصــن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لســـان الدين بن الخطيب، نشــر: محي الدين عبد الحميد، القاهرة – 1949.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م)
147. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مصر- 1970.
148. المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار أو الخطط المقريزية، بولاق - 1270هـ.
149. أتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج (3-1)، تحقيق: محمد حلمي، القاهرة –1971 .
150. البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة – 1960.
151. شذرات العقود في ذكر النقود، نشر: الأب انستاس الكرملي، القاهرة – 1987.
152. الإلمام بأخبار من أرض الحبشة من ملوك الأسلام، مصر- 1895 .
المناوي، محمد عبد الرؤوف تاج العارفين القاهري الشافعي(ت 1031هـ/ 1621م)
153. النقود والمكاييل والموازين، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، العراق –1981 .
النعيمي، عبد القادر بن محمد بن عمر (ت 927هـ/ 1520م) .
154. الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق ونشر: جعفر الحسني، دمشق- 1948.
النهروالي، قطب الدين المكي الحنفي(ت 990هـ/ 1585م)
155. البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق: حمد الجاسر، القاهرة- 1967
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1333م)
156. نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1-19، دار الكتاب المصرية-1931.
الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى(ت914هـ/ 1508م)
157. المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء، أشراف: محمد حجي ، بيروت- 1981
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت284هـ/ 897م)
158. . تاريخ اليعقوبي، مراجعة: محمد صادق بحر العلوم،ط4، العراق – 1974.
159. كتاب البلدان، ليدن – 1892
اليماني، عمارة نجم الدين أبو محمد عمارة (ت 569هـ/ 1174م)
160. تاريخ اليمن المسماة المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، القاهرة – 1967 .
اليويني، موسى بن محمد بن أحمد (ت 726هـ/ 1326م)
161. ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد- 1961.
بولو ، ماركو (ت725هـ/ 1324م)
162. رحلات ماركزو بولو ، ترجمة : عبد العزيز جاويد، القاهرة – 1977 .
التجيبي ، القاسم بن يوسف (730هـ/1330م)
163. مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور.
طافور، بدرو (عاش في القرن 9هـ/15م)
164. رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة -1968.
القرماني ، ابو العباس أحمد بن يوسف (1019هـ/1610م)
165. اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ ، بيروت .

المراجع العربية والمترجمة
أباظة، فاروق عمان
1. أثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح، 1988 .
أبراهيم، أحمد عبد الفتاح
2. قبرص لؤلؤة شرق البحر المتوسط، القاهرة – 1961.
أبراهيم، سهير محمد
3. حملة بطرس الأول على الاسكندرية، الاسكندرية – 1988.
أبراهيم، عبد المنعم عبد الحميد
4. البحرية الأسلامية في العصر الفاطمي، الاسكندرية – 1975.
5. المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، القاهرة -1985.
6. على طريق الهند، دمشق -1991.
أبراهيم، محمد كريم
7. عدن دراسة أحوالها السياسية والأقتصادية، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة – 1985 .
أبو العلا، محمود
8. جغرافية العالم الأسلامي واقتصادياته، الكويت – 1991.
أبو زهرة محمد
9. الديانات القديمة، القاهرة – 1965.
أحمد، احمد رمضان
10. شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، القاهرة، -1977.
11. المجتمع الأسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، القاهرة- 1977.
أحمد، عبد الرزاق أحمد
12. الحضارة الأسلامية في العصور الأسلامية، القاهرة – 1990.
13. البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة – 1979.
أحمد، محمد عبد العال
14. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الاسكندرية – 1980.
أرنولد، توماس
15. الدعوة الى الأسلام، ترجمة: حسن أبراهيم حسن، القاهرة- 1970.
الاسكندراني، عمر
16. تاريخ مصر الى الفتح العثماني، القاهرة – 1915.
الاشقر، محمد عبد الغني
17. الملحمة المصرية في عهد المماليك الجراكسة، ط1، القاهرة – 2001.
آشتور، أ.س
18. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عباس، دمشق- 1985 .
الالوسي، عادل محي الدين
19. تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن 7هـ/ أوخر القرن 13 م ، بغداد- 1984.
أمين، محمد محمد
20. معاهدات تجارية بين مصر والبندقية في عصر السلطان المؤيد شيخ، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة -1985.
أمين، محمد محمد
21. الأوقات والحياة الأجتماعية في مصر (923-648هـ/ 1250-1517م)، القاهرة –1980 .
الاندوسي، عبد الخالق ماسدين
22. أنتشار اللغة العربية في أندونيسيا، بغداد – 1969.
باراتولد، فلاديمروويج
23. تاريخ الحضارة الأسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، القاهرة – 1983.

الباشا، حسن
24. الفنون والوظائف في الأثار العربية، القاهرة – 1965.
25. الالقاب الأسلامية في التاريخ والوثائق والأثار، القاهرة – 1989 .
بانيكار، ك . م
26. آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة – 1962.
البخيت، محمد عدنان
27. مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط1، 1976.
البراوي، أبراهيم راشد
28. حالة مصر الأقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة – 1948 .
بروي، أدوارد
29. تاريخ الحضارات، ترجمة: يوسف اسعد واعز، بيروت .
بصيلي، الشاطر عبد الجليل
30. تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن 7-19م، مصر – 1972.
البكري، صلاح
31. تاريخ حضرموت السياسي، ط2، مصر – 1956.
بلوك ، مارك
32. مشـــكلة الذهب في العصـــر الوســـيط، ترجمة : توفيق أســـكندر، مقال في كتاب بحوث في التاريخ الأقتصادي ، القاهرة – 1961.
بوزورث، شاخت
33. تراث الأسلام، ترجمة: محمد زهير السمهودي، الكويت –1978.
بيلي، أحمد
34. حياة صلاح الدين الايوبي، القاهرة – 1920.
البيومي، أسماعيل
35. النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، مصر – 1998
36. المصادرات في عصر السلاطين، القاهرة – 1965.
37. مصادرات الاملاك في الدولة الاسلامية، القاهرة – 1997.
ترتون، أ.س
38. أهل الذمة في الأسلام، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة.
التكريتي، محمود ياسين أحمد
39. الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، بغداد –1981.
توفيق، عمر كمال
40. الدبلوماسية الأسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين في الاسكندرية ، 1926 .
التونجي، محمد
41. المعجم الذهبي، فارسي - عربي، ط1، بيروت، 1969.
تيمور، محمد
42. مشكلات اللغة العربية، مصر – 1956.
الجاسر، حمد
43. بلاد ينبع، الرياض -1965
الجراري، عبد الله بن العباس
44. تقدم العرب في العلوم والصناعات وأساتذيتهم لأوربا، القاهرة – 1961 .
جروهمان، أدولف
45. أوراق البردي العربية، ترجمة: حسن أبراهيم حسن وآخرون، القاهرة – 1934.
جريس، غيثان علي
46. جدة في مواجهة الخطر البرتغالي، مقال في كتاب الصراع بين العرب والأستعمار، 1994.
الجعيدي، شبلي أبراهيم

47. طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، القاهرة – 2003.
جويتن، شلمون
48. دراسات في التاريخ الأسلامي والنظم الأسلامية، ترجمة: عطية القوصي، ط1، الكويت –1980.
جومار
49. وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، مراجعة: أيمن فؤاد السيد، ط1، القاهرة – 1988.
جيان، الميسو
50. وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقية الشـــرقية، ترجمة: الامير يوســـف كمال، القاهرة – 1927.
حته، محمد كامل
51. أسوان في الماضي والحاضر والمستقبل، القاهرة
الحجاجي، محمد عبدة
52. قوص في التاريخ الأسلامي، القاهرة – 1982.
الحجي، حياة ناصر
53. أحوال العامة في حكم المماليك، الكويت – 1984.
الحداد، محمد حمزة
54. السلطان المنصور قلاوون، مصر – 1993 .
حسن، حسن أبراهيم
55. تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة – 1959 .
56. النظم الأسلامية، القاهرة – 1939.
57. أنتشار الأسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، القاهرة – 1957.
58. اليمن، القاهرة – 1958 .
59. تاريخ الأسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، بيروت -1974.
حسن، زكي محمد
60. الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، بيروت – 1981.
حسن، علي أبراهيم
61. مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، القاهرة- 1954.
62. تاريخ المماليك البحرية ، ط4، القاهرة -1967.
63. دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة – 1967.
64. النظم المالية ،ط1، مصر-1939.
حسن، محمد عبد الغني
65. المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب، القاهرة – 1966 .
حسين، جعفر
66. أحوال العراق الأقتصادية في عصر الأيلخانيين، القاهرة – 1991.
الحسيني ، فخر الدين عبد الحي
67. الثقافة الأسلامية في الهند، دمشق – 1958.
الحسيني، علي بن طاهر
68. المدخل الى تاريخ الأسلام في الشرق الاقصى، القاهرة – 1971.
حطيط، أحمد
69. قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري، ط1، بيروت – 2003.
الحفناوي، مصطفى
70. قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، القاهرة – 1952.
الحلواني، سيد بدير
71. الاتصالات الحبشية، مقال في كتاب الصراع بين العرب والأستعمار، 1994.
حمزة ، عبد اللطيف
72. الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط2، القاهرة – 1999.

الحموي، محمد ياسين
73. تاريخ الاسطول العربي، دمشق – 1945.
الحنفي، جلال
74. معجم الألفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة، بغداد- 1964.
حوراني، جورج فضلو
75. العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: يعقوب بكر، القاهرة – 1950.
الحويري، محمود محمد
76. أسوان في العصور الوسطى،ط2، مصر – 2002.
77. الاوضاع الحضارية في بلاد الشام، القاهرة – 1979.
78. ساحل شرق أفريقيا ، القاهرة – 1985.
الخادم، سمير علي
79. الشرق الاسلامي والغرب المسيحي، بيروت- 1988.
الخربوطلي، علي حسن
80. مصر العربية في العصر العربي الأسلامي، القاهرة – 1963.
81. دائرة المعارف الأسلامية، مراجعة: أحمد الشنتناوي وأبراهيم زكي، طهران – 1933 .
دافيدسون، بازل
82. أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة: جمال أحمد، بيروت.
دراج، أحمد
83. المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري، القاهرة – 1961.
ديشان، هوبير
84. الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، 1956.
ديل، شارل
85. البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة: أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق أسكندر، القاهرة – 1948.
ديورانت، ول
86. قصة الحضارة ترجمة: زكي نجيب محمود ومحمد بدران، مصر – 2001 .
ربيع حسنين
87. النظم المالية في العصر الايوبي، القاهرة - 1964 .
رزق، عاصم محمد
88. خانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية، ط1، ج2، القاهرة – 1997.
89. خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط1،ج1، القاهرة – 1997.
رزق، علاء طه
90. عامة القاهرة في عصر سلاطين المماليك، مصر – 1989.
الرمادي، جلال الدين
91. الأسلام في المشارق والمغارب، القاهرة – 1960.
رمزي، محمد
92. القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القاهرة – 1953 .
رنسيمان، ستيفن
93. تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط1، بيروت – 1968.
روستوفتزف، م.
94. تاريخ الامبراطورية الرومانية الأجتماعي والأقتصادي، ترجمة: زكي علي، القاهرة – 1957.
رياض، زاهر
95. تاريخ اثيوبيا، القاهرة – 1966 .
96. مصر أفريقيا، القاهرة – 1976.
97. مظاهر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الحبشة في العصور الوسطى، القاهرة – 1950.
زامبارو، أدواردفون

98. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الأسلامي، ترجمة: زكي حسن وحسن محمود، القاهرة - 1952.
الزركلي، خير الدين
99. الأعلام، ط4، بيروت – 1979 .
زقلمة، أنور
100. المماليك في مصر، القاهرة – 1930.
زكي، عبد الرحمن
101. تاريخ الدولة الأسلامية في أفريقيا، القاهرة – 1961.
102. المسلمون في العالم اليوم، القاهرة – 1959.
103. الفسطاط وضواحيها العسكر والقطائع، القاهرة – 1966 .
زكي، نعيم فهمي
104. طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، القاهرة – 1973.
الزيات، حسن
105. خانات دمشق، بيروت – 1946.
زيادة، نقولا
106. رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، ط1 ، 1943.
107. الرحالة العرب ، القاهرة – 1956.
زيتون ، عادل سليمان
108. النشاط التجاري للمدن الأيطالية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط في القرنين 13-14م ، القاهرة – 1978.
زيتون، محمد
109. الصين والعرب، القاهرة – 1964.
الساداتي، أحمد محمد
110. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، القاهرة – 1957.
ساكز، هاري
111. عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان- 1979 .
سالم، السيد عبد العزيز
112. تاريخ البحرية الأسلامية في مصر والشام، بيروت- 1972.
113. تاريخ الاسكندرية وحضارتها مصر- 1963.
114. . تاريخ البحرية الأسلامية في مصر ، الاسكندرية –1993.
115. تاريخ البحرية المصرية، الاسكندرية – 1973.
116. طرابلس الشام في التاريخ الأسلامي، الاسكندرية –1966 .
سالم، حلمي محمد
117. أقتصاد مصر الداخلي وتنظيماتها في العهد المملوكي، الاسكندرية – 1977 .
السامر، فيصل
118. الأصول التاريخية للحضارة العربية الأسلامية في الشرق الاقصى، ط1، بغداد – 1977.
السامرائي، يونس
119. علماء العرب في شبه القارة الهندية، ط1، القاهرة -1959 .
ستودارد، لوثرب
120. حاضر العالم الأسلامي، ترجمة: شكيب أرسلان، بيروت – 1973.
سرهنك، أسماعيل
121. حقائق الأخبار في دول البحار، القاهرة – 1923.
سرور، محمد جمال الدين
122. دولة بني قلاوون في مصر، القاهرة – 1947.
123. دولة الظاهر بيبرس في مصر، القاهرة – 1960.

124. الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة – 1960.
125. سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة – 1967 .
سعداوي، نظير حسان
126. نظام البريد في الدولة الأسلامية، القاهرة – 1958.
127. الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة – 1961.
128. صور ومظالم زمن عصر المماليك، القاهرة – 1966.
129. جيش مصر، أيام صلاح الدين ، القاهرة – 1956.
سعيد، أبراهيم حسن
130. البحرية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة– 1983.
سلطان، سامي سعد
131. أسس العلاقات الأقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الأيطالية، القاهرة – 1958.
سليمان، أحمد السعيد
132. تاريخ الدول الأسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ط2، القاهرة – 1969.
سليمان، أحمد عبد الكريم
133. المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط في ما بين القرنين 3-6هـــ/ 9-12م، ط1، مصر – 1982 .
السليماني، علي بن حسين
134. العلاقات الحجازية المصرية، القاهرة – 1973.
135. النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية اواخر العصور الوسطى، القاهرة – 1976 .
السنباطي، محمد أحمد
136. حضاراتنا في اندونيسيا، ط1، الكويت – 1982.
سيد الأهل، عبد العزيز
137. أيام صلاح الدين، القاهرة – 1961.
سيد، أحمد فؤاد
138. تاريخ مصر الأسلامية زمن سلاطين بني أيوب، القاهرة – 2002 .
الشافعي، حسن محمود
139. العملة وتاريخها، القاهرة - 1980 .
شاكر محمود
140. تركستان الصينية الشرقية، بيروت – 1976.
141. المسلمون في الفلبين ودولة مورو، ط2، بيروت - 1985 .
142. التاريخ الاسلامي، ط2، بيروت -1977.
الشامي، صلاح الدين
143. الموانئ السودانية، القاهرة – 1961.
الشامي، عبد العال
144. مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، الكويت – 1981.
شقير، نعوم
145. سيناء القديم والحديث، القاهرة – 1916 .
شلبي، أحمد
146. موسوعة التاريخ الأسلامي والحضارة الأسلامية، ط2، القاهرة – 1990 .
شهاب، حسن صالح
147. أضواء على تاريخ اليمن البحري، بيروت – 1981.
148. فن الملاحة عند العرب، بيروت – 1982 .
149. علوم العرب البحرية من أبن ماجد الى القطامي، الكويت – 1984.
الشوربجي، أمينة أحمد أمام
150. رؤية الرحالة المسلمين للاحوال المالية والأقتصادية لمصرفي العصر الفاطمي، القاهرة – 1994.

شوشتري، أمام
151. فرهنك وازاه هاي فارسي در زبان عربي، طهران – 1347هـ.
الشيال، جمال الدين
152. تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الأسلامي، القاهرة – 1976.
الشيخلي، صباح أبراهيم
153. الاصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بغداد – 1976.
صبرة، عفاف سيد محمد
154. المدارس في العصـــر الأيوبي، مقال في كتاب المدارس في مصـــر الأســـلامية ، نشـــر : عبد العظيم رمضان، القاهرة – 1992.
الصيني، بدر الدين
155. العلاقات بين الصين والعرب، القاهرة – 1950.
ضرار، محمد صالح،
156. تاريخ سواكن والبحر الاحمر، الخرطوم-1981.
ضومط، أنطوان خليل
157. الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي، ط1، بيروت – 1980.
ضيف، شوقي
158. العلاقات التجارية بين مصر والدول الافريقية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة – 1975.
159. الرحلات، القاهرة -1956.
طرخان، أبراهيم علي
160. امبراطورية البرنو الأسلامية، القاهرة – 1975 .
الطنطاوي، علي
161. صور من الشرق في أندونيسيا، السعودية – 1992.
طوسون، عمر
162. تاريخ الاسكندرية القديم وترعة المحمودية، الاسكندرية – 1942.
الطويل، عبد الرحمن عثمان
163. الصومال تاريخ وحضارة، أبو ظبي – 1988.
ظاظا، حسن والسيد محمد عاشور
164. اليهود ليسوا تجارا بالمنشأ'، القاهرة – 1975.
عابدين ، عبد المجيد
165. بين الحبشة والعرب ، مصر -1967.
عاشور، سعيد عبد الفتاح
166. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة – 1960.
167. أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، القاهرة – 1968.
168. مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة – 1959.
169. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة – 1962.
170. العصر المماليكي في مصر والشام، ط3، القاهرة –1994.
171. قبرص والحروب الصليبية، القاهرة – 1957.
172. الظاهر بيبرس، القاهرة – 1963.
173. مصر معبراً للثقافة الأسلامية في حوض البحر المتوسط في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة -1985 .
174. الايوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة -1990.

عاشور، فايد حماد محمد
175. العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الأسلامي في العصر الأيوبي، القاهرة – 1980.
عامر، عبد المنعم

176. عمان في أمجادها البحرية، عمان- 1980.
العاني، عبد الرحمن عبد الكريم
177. عمان في العصور الأسلامية الأولى، بغداد – 1977 .
عبد التواب، عبد الرحمن محمود
178. قايتباي المحمودي، القاهرة – 1978.
عبد الحكيم، محمد صبحي
179. مدينة الاسكندرية، القاهرة – 1958.
عبد الحليم، رجب محمد
180. ظهور الأسلام وانتشاره، مقال بالموسوعة الجغرافية للعالم الأسلامي ، م1، السعودية – 1992.
عبد الحميد، سعد زغلول
181. تاريخ الاسكندرية وحضارتها، القاهرة – 1963.
عبد الدايم عبد العزيز محمود
182. الصــراع بين القوى المســيحية ودولة المماليك الجراكســة في مياه البحر المتوســط ، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة- 1985.
عبد السيد، حكيم أمين
183. قيام الدولة المملوكية الثانية، القاهرة – 1967.
عبد العليم، أنور
184. الملاحة في علوم البحار، الكويت - 1986 .
185. أبن ماجد الملاح، القاهرة-1976
عبد اللطيف، محمد الصغير
186. العلاقات التجارية بين مصر وأوربا في عصر الأيوبيين ودولة المماليك البحرية، القاهرة – 1945.
عبد المهدي، عبد الجليل حسن
187. الحركة في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط1، عمان – 1980.
عبد النبي، ناجلا محمد
188. مصر والبندقية العلاقات السياسية والأقتصادية في عصر المماليك،ط1، القاهرة – 2001.
عبدة، قاسم، أهل الذمة في العصور الوسطى، القاهرة – 1977 .
189. بعض مظاهر الحياة اليومية في عهد ســلاطين المماليك موســوعة الحضــارة العربية الأســلامية، م3، القاهرة-1987.
190. اليهود في مصر، القاهرة –1987 .
191. دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، القاهرة -1979.
عثمان، شوقي عبد القوي
192. تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الأسلامية، الكويت – 1990 .
عثمان، محمد عبد الستار
193. المدينة الأسلامية، سلسلة عالم المعرفة 128، 1988 .
عدوان، أحمد محمود
194. الوضع الاقتصادي في مصر في الدولة المملوكية، بيروت – 1972 .
العدوي، أبراهيم أحمد
195. تاريخ العالم الأسلامي في القاهرة، القاهرة – 1982.
العراقي، سر الختم سيد
196. ملامح الحضارة الأسلامية في بلاد السودان، الأوسط الغربي، القاهرة.
العريني، السيد الباز
197. مصر في عصر الايوبيين، القاهرة – 1960.
198. المغول، بيروت – 1967 .
العسكري، سليمان أبراهيم
199. التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، القاهرة – 1972.

عطية، عزيز سوريال
العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة: فيليب صابر، القاهرة – 1972.
العقاد، صلاح وجمال زكريا
200. زنجبار، مصر –1959.
علي، علي السيد
201. القدس في العصر المملوكي، القاهرة – 1986.
علي، محمد كرد
202. خطط الشام، دمشق – 1925.
عليان، محمد عبد الفتاح
203. الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن، القاهرة – 1973.
عنان، محمد عبد الله
204. مصر الأسلامية، تاريخ الخطط المصرية، القاهرة – 1969 .
عوض، محمد
205. السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة – 1955.
عيسى، أحمد
206. تاريخ البيمارستات في الأسلام، ط1، دمشق.
غانم، حامد زيدان
207. الأزمات الأقتصادية والأوبئة في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة – 1936 .
غربال، شفيق
208. الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة – 1965.
غوانمة، يوسف درويش
209. تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، عمان – 1982.
الغيث، محمد علي
210. الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس، القاهرة .
الفاسي، حسن بن الحسن الوزان
211. وصف افريقيا ، ترجمة: محمد صبحي و محمد الاخضر، الرباط - 1980.
الفتيان، أحمد مالك وعامر سليمان
212. محاضرات في التاريخ القديم، جامعة الموصل، كلية الاداب .
فريد، عدلي أحمد
213. السلطان الغوري، الاسكندرية – 1970 .
الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف
214. اليمن في ظل الأسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، القاهرة – 1982.
فهمي، عبد الرحمن
215. النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة – 1964.
فهمي، علي محمود
216. التنظيم البحري الأسلامي في شرق البحر المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: قاسم عبدة قاسم، بيروت – 1981.
فولكون، أولج
217. القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة: أحمد صليحة، القاهرة – 1996.
فيثر، هربرت
218. تاريخ أوربا في العصور الوسطى، القاهرة – 1945.
فيشل، ولتر، ج
219. يهود في الحياة الأقتصادية والسياسية الأسلامية في العصور الوسطى، ترجمة: سهيل زكار، بيروت – 1988 .
فييت، جاستون

220. المواصلات في مصر، مقال في كتاب مصر الأسلامية، ترجمة: محمد وهبي، القاهرة -1940.
القاسمي، على محمد
221. اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الاخرى، الرياض – 1979.
القوصي، عطية
222. تاريخ دولة الكنوز الأسلامية، القاهرة –1981.
223. تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الأسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة- 1976.
القيسي، زهير
224. الزراعة والنبات في التراث العربي، بغداد - 1986.
الكبيسي، حمدان عبد المجيد وعواد ومجيد الاعظمي
225. دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الأسلامي، بغداد- 1988.
الكسباني، مصطفى حسن محمد
226. العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى، الأسلامي، القاهرة - .
كولتون، ج،
227. عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة: جوزيف نسيم، الاسكندرية – 1967 .
كوهن، مارك
228. المجتمع اليهودي في مصر الأسلامية، القاهرة .
لابدوس، ايرامارفين
229. مدن أسلامية في عصر المماليك، ترجمة: على ماضي، مصر – 2001.
لامب، هارولد
230. شعلة الأسلام (قصة الحروب الصليبية)، ترجمة: عبد الله يعقوب، مراجعة: جمال الشيال، بغداد- 1967.
لبيب ، صبحي
231. الفندق ظاهرة سياسية وأقتصادية وقانونية، مقال في كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، القاهرة – 1985.
لوبون، غوستاف
232. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دمشق – 1969.
طرخان ، ابراهيم علي
233. حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة – 1948 .
234. امبراطورية غانا الأسلامية، القاهرة – 1970 .
235. دولة مالي الأسلامية، القاهرة – 1973 .
236. النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة – 1968.
237. امبراطورية البرنو الاسلامية، القاهرة – 1975.
238. مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة – 1965 .
لودفيغ، أميل
239. النيل، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة – 1951.
لومبارد، موريس
240. الأسلام في مجده الأول، ترجمة: أسماعيل العيسوي، المغرب – 1990.
241. الجغرافية التاريخية للعالم الأسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، دمشق-1979.
لين بول، ستانلي
242. سيرة القاهرة، ترجمة: علي أبراهيم حسن، القاهرة.
مؤنس، حسين
243. الأسلام الفاتح، 1997.
244. أبن بطوطة ورحلاته ، مصر 1980.
ماجد،عبد المنعم

245. طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، القاهرة – 1978 .
246. ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، 1994.
247. نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة – 1973 .
248. تاريخ الحضارة الأسلامية في العصور الوسطى، القاهرة – 1963.
249. العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت – 1966.
250. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، دراسة شاملة للنظم السياسية، مصر – 1964.

ماهر، سعاد

251. البحرية الأسلامية في مصر الأسلامية وأثارها الباقية، القاهرة- 1967 .
252. محافظات الجمهورية العربية المتحدة وأثارها الباقية في العصر الأسلامي، القاهرة- 1966م.

ماير، ل.أ

253. الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، القاهرة –1972.

مبارك، علي

254. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، القاهرة – 1969.
255. نخبة الفكر في تدبير نيل مصر، القاهرة – 1297هـ.

مبارك، علي

256. نخبة الفكر في تدبير نيل مصر، القاهرة – 1297هـ.
257. الخطط التوفقية الجديدة لمصر (القاهرة) ، ط2، القاهرة – 1969.

متز، أدم

258. الحضـــارة الأســـلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، مصـــر – 2003.

محمد ، خالد سالم

259. ربابنة الخليج العربي ومصنفاتهم الملاحية ، ط1، الكويت -1982.
260. المنجد في اللغة والأعلام ، ط21، بيروت.

محمد عطا، زبيدة

261. الشرق الأسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، القاهرة- 1994 .

محمد عطا، عثمان علي

262. الأزمات الأقتصادية في مصر في العصر المملوكي، القاهرة – 2002.

محمد علي، محمد

263. أنتشار الأسلام، مقال في الموسوعة الجغرافية للعالم الأسلامي، م1، السعودية – 1992.

محمد، صبحي عبد المنعم

264. العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والايوبيين، القاهرة – 1993.

محمد، قطب أبراهيم

265. النظم المالية في الأسلام، القاهرة – 1980.

محمد، كمال السيد

266. أسماء ومسميات من تاريخ مصر، القاهرة – 1986.

محمد، محمود

267. الأسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا، ط1، القاهرة –2003 .

محمود، أحمد

268. تاريخ العمارة الأسـلامية في مصـر، مقال في كتاب مصـر الاسـلامية، ترجمة: محمد وهبي، القاهرة- 1940.

محمود، حسن أحمد

269. البعثات الدبلوماسية لدولة سلاطين المماليك، مقال في كتاب أبن أياس دراسات وبحوث، تقديم: عزت عبد الكريم، القاهرة – 1977.
270. الاسلام والثقافة العربية ، القاهرة -1963

مخول، قيصر أديب

271. الأسلام في الشرق الأوسط، ترجمة: نبيل صبحي، بيروت- 1966 .

مدكور، أبراهيم
272. المعجم الوجيز ، القاهرة 1993.
مرزوق، محمد عبد الناصر
273. الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة – 1964.
مسعد، مصطفى محمد
274. الأسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة .
مشرفة، عطية مصطفى
275. نظام الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة-1940.
المصرف، ناجي زيدان
276. موسوعة الخط العربي، بغداد – 1990 .
مصطفى، أبراهيم وآخرون
277. المعجم الوسيط، مصر – 1961.
موسى، عز الدين
278. النشاط الاقتصادي في المغرب الأسلامي خلال القرن 6هـ/12م، بيروت .
موير، وليم
279. دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، القاهرة- 1924.
ميكيل، أندريه
280. الأسلام وحضارته، ترجمة: زينب عبد العزيز، بيروت- 1980.
النبراوي، فتحية عبد الفتاح
281. مصر وحماية البحر الأحمر، مقال في كتاب الصراع بين العرب والأستعمار، 1994.
النبراوي، رأفت محمد
282. السكة الأسلامية في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة – 1993.
النخيلي، درويش
283. السفن الأسلامية على حروف المعجم، القاهرة – 1979.
الندوي، عبد الرزاق بن وان
284. اللغة العربية في ماليزيا بعد الاستقلال، القاهرة – 1990 .
الندوي، محمد أسماعيل
285. تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، بيروت.
النشمي، عيسى أحمد
286. الملاحة في الخليج العربي ، ط1 ، الكويت – 1969.
النقاش، زكي
287. العلاقات الأجتماعية والثقافية والأقتصادية بين العرب والافرنج، ط2، 1951.
النقيرة، محمد عبد الله
288. انتشار الأسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، الرياض –1982.
النمر، عبد المنعم
289. تاريخ الأسلام في الهند، ط1، القاهرة – 1959.
نوري ، دريد عبد القادر
290. تاريخ الأسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، الموصل – 1985.
هاو، سونيا
291. في طلب التوابل، ترجمة: محمد عزيز رفعت ومحمد النحاس، القاهرة – 1957.
الهاشمي، رضا جواد
292. التجارة، مقال في كتاب حضارة العراق لمجموعة مؤلفين، بغداد – 1985.
هايد، توماس

293. تاريخ التجارة في الشـرق الأدنى في العصـور الوسـطى، ترجمة: أحمد محمد رضـا، ج1، ج3، ج4، مصر-1985.

هنتس، فالتر

294. المكاييل والأوزان الأسلامية، ترجمة: كامل العسلي، عمان –1971.

هولنجيرورث، ل، و

295. الآسيويون في شرق أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن صالح، القاهرة – 1961.

هونكه، سيغرند

296. شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي،، ط8، بيروت – 1993.

297. فضل العرب على أوربا، ترجمة: فؤاد حسين علي، القاهرة – 1964.

وأيدنر، دونالد

298. تاريخ أفريقيا، القاهرة – 1976.

وفي، جيمي

299. الاستعمار البرتغالي في أفريقيا، ترجمة: حسين المراكبي، القاهرة – 1962.

الوقاد، محاسن

300. الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، القاهرة – 1999.

وليم لين، أدوارد

301. المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، ترجمة: عدلي نور، 1975.

يعقوب، جورج

302. أثر الشرق والغرب، ترجمة: فؤاد حسين علي، القاهرة – 1946 .

يعقوب، عادل أبراهيم

303. التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، القاهرة.

اليوزبكي، توفيق

304. تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، الموصل – 1975.

يانغ ، تشانغ زون

الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عير التاريخ ، عمان – 1983.

يوسف جوزيف نسيم

علاقات مصر بالمماليك التجارية الايطالية في ضوء وثائق صبح الاعشى ، الاسكندرية -1971.

4- الاطاريح والرسائل الجامعية

أحمد، محمد نخعي

1. نشاط الملايو التجاري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم – 1977 .

بسرور، رشيدة

2. الأسكندرية في العهد المملوكي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تونس، كلية الاداب- 1986.

البياتي، بان علي محمد

3. النشـاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3-5هـــ/ 9-11م، رسـالة ماجستير غير منشـورة، جامعة بغداد- كلية التربية للبنات-2004.

جاسم، نبراس فوزي

4. النشاط الاقتصادي في الحبشة من القرن 3-9هـ/8-15م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب – 2002.

حامد، عمار

5. علاقات الدولة المملوكية بالدول الأفريقية، رســالة ماجســتير غير منشــورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب – 1956.

الحديدي، خليفة عايد عبد الله

6. الطرق البرية في ظل الخلافة العباسية، (132- 334هـ/ 749-945م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية – 2003 .
خطاب، حنفي محمود
7. الحركات الداخلية في الدولة المملوكية الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاداب – 1949.
خلف الله، أبتسام مرعي
8. العلاقات بين الخلافة الأسلامية والمشرق الأسلامي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاداب –1985.
ريتشارد، مورتيل
9. الأحوال السياسية والأقتصادية بمكة في العصر المملوكي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب – 1983.
سالم، حلمي
10. حرف وصناعات الاطعمة والاشربة في العصر المملوكي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الاسكندرية، كلية الاداب – 1970.
الشاوي، عبير كريم عبد الرضا
11. التجارة العربية الأسلامية مع الساحل الافريقي الشرقية حتى القرن 9 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات – 2001 .
شلبية، محمود أبراهيم
12. علاقات المغول بسلطنة المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب – 1979 .
صالح، محمد أمين
13. التنظيمات الحكومية لتجارة مصرفي عصر المماليك الجراكسة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الاداب – 1969 .
صبره، عفاف سيد محمد
14. علاقة البندقية بمصر وبلاد الشام من بداية القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاداب – 1977 .
الصمادي، رائد أحمد سليمان
15. طريق الحرير وأهميته الإدارية والأقتصادية في القرنين 3و4هـ / 9-10م في المشرق الأسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة في جامعة بغداد، كلية الاداب -2000 .
الطحطوح، حسين علي
16. مظاهر الثقافة العربية الأسلامية في الهند، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب – 1979.
الظالمي، وجدان محمد حسن
17. الحياة الأجتماعية في مجتمعات جنوب شرق اسيا الأسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات – 2000 .
عباس، فوزي حامد
18. الحياة الأقتصادية في مصر العليا خلال العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1986.
عطية، سليمان
19. العلاقات السياسية بين مصر وغرب أسيا من وفاة الايلخان أبو سعيد الى نهاية دولة الأق قوينلو، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة كلية الاداب – 1952.
20. سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر برسباي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاداب – 1959.
العمري، أمال

21. المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة – كلية الاثار – 1974.
عوض الله، الشيخ الأمين محمد
22. أسـواق القاهرة منذ العصـر الفاطمي حتى نهاية عصـر المماليك، أطروحة دكتوراه غير منشـورة، جامعة عين شمس، كلية البنات- 1981.
القيسي، غنية ياسر
23. أثر الأسـلام على النهضـة الفكرية في جنوب شـرق اسـيا في العصـور الأسـلامية المتأخرة، رسـالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات – 2003.
لبيبة، أبراهيم مصطفى محمد
24. الفتن والقلاقل الداخلية في دولة المماليك وأثارها السـياسـية والأجتماعية والأقتصـادية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاداب – 2000 .
حمود، حسين ظاهر
25. التجارة في العصر البابلي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية – 1995.
المشهداني، ياسر عبد الجواد
26. العلاقات المصرية الهندية (468-923هـ/ 1250-1517م) دراسة في الجوانب السياسية والحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية – 2000.
27. الهند من خلال رحلة ابن بطوطة ، اطروحة دكتوراه غير منشـورة، جامعة الموصـل، كلية التربية – 2005.

5. البحوث والدوريات العربية

أحمد، شفيق جاسر
1. دولة المماليك البحرية، مجلة الدارة، ع4، 1411هـ.

اسكندر، توفيق
2. نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العهد الوسيط، المجلة التاريخية المصرية، م6، 1957 .
3. بحوث في التاريخ الأقتصادي، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة- 1991.
أمين، عبد الامير محمد
4. السيادة الأسلامية في الخليج العربي والمياه الشرقية والغزو البرتغالي، مقال من محاضرات الموسم الثقافي، الامارات – 1989 .
أمين، محمد محمد
5. العرب والدعوة الأسلامية في الصومال في العصور الوسطى، مجلة الدارة، ع2- 1984.
الأنصاري، صدر الدين عامر
6. المعاهد الأسلامية في الهند، مجلة ثقافة الهند، ج22، ع1، الهند – 1971 .
بشير، بشير أبراهيم
7. عيذاب حياتها الدينية والأدبية ، نهضة أفريقيا ، تموز – 1959.
8. الفاطميون والبحر الاحمر، مجلة كلية الاداب، جامعة الخرطوم ، ع1، 1972.
بصيلي، الشاطر عبد الجليل
9. الكارمية، المجلة التاريخية المصرية، م4، 1952.
البيلي، محمد بركات
10. بداية الكارم ومعناها في العصر الفاطمي، مجلة المؤرخ المصري، ع13 – 1994 .
حبشي، حسن
11. هجوم القبارصة على الاسكندرية، المجلة التاريخية المصرية، م15، 1969 .
12. الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية ، مجلة حوليات كلية الآداب ، عين شمس، م9، 1964.
حسن، أمال محمد

13. دور الاباضية في نشر الأسرم في بلاد المغرب، مجلة المؤرخ العربي ، ع52، بغداد- 1995.
حسن، يوسف فضل
14. المعالم الرئيسية في الهجرة العربية الى السودان، المجلة التاريخية المصرية، م4، 1954.
خفاجي، أحمد عبد الحميد
15. طبقة التجار في مصر المملوكية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة طنطا، ع1، 1982.
الدجيلي، خولة شاكر
16. ملامح الحركة الفكرية في الهند في العصور الأسلامية، مجلة كلية التربية للبنات، ع10، 1999 .
دراج، أحمد
17. أيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة – 1967 .
18. عيذاب، مجلة نهضة أفريقيا، 1958.
19. الحسبة وأثرها الأقتصادي في مصر المملوكية، المجلة التاريخية المصرية، م14، 1968.
20. الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوربية، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، 1970.
21. عيذاب من الثغور المندثرة ، مجلة المؤرخ العربي، ع7، بغداد- 1993.
دياب، صابر محمد
22. دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م24، 1977.
23. دراسات في العلاقات بين المدن الأيطالية والدول الأسلامية ، مجلة جامعة القاهرة، ع4، 1973.
ربيع، حسنين
24. البحر الأحمر، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، القاهرة – 1980 .
رزيق، قسطنطين
25. التجارة الأسلامية وأثرها في الحضارة، مجلة المقتطف، م87، 1930.
زكي عبد الرحمن
26. الأسبلة الأثرية في مدينة القاهرة، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ع2، 1977 .
زكي، أحمد
27. صفحة من تاريخ التجارة المصرية، مجلة المقتطف، م51، 1917.
زيادة، محمد مصطفى
28. المحاولات الحربية للأستيلاء على رودس، مجلة الجيش، 1946.
زيادة، نقولا
29. الطرق التجارية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، بيروت، ع171، كانون الاول – 1984.
سالم، سحر عبد العزيز
30. عرب الخليج العربي وطريق تجارة التوابل في المحيط الهندي في العصر الأسلامي، من أبحاث الندوة العلمية في جامعة القاهرة، كلية الاثار، 1990 .
سعد، مصطفى محمد
31. الحسن بن محمد الوزان(ليو الافريقي) أضواء على رحلته في بلاد السودان ومصر، مجلة جامعة القاهرة، ع1، 1970 .
سعودي، محمد
32. مكانة اللغة العربية وأثرها في اللغات الافريقية، مجلة الدارة، ع1، السنة الرابعة، 1978 .
السيد، أيمن فؤاد
33. (الدول الفاطمية في مصر) العرب وطريق الهند في أواسط القرن السادس، مجلة المؤرخ المصري، ع8، 1992 .
السيد، محمد يوسف
34. علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور الى القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، م15، ج1، 1935.

صالح، محمد أمين
35. تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، القاهرة، 1980.
الصياد، محمد محمود
36. السودان والحبشة، المجلة التاريخية المصرية، م4، ع1، 1951.
طرخان، أبراهيم علي
37. دراسات في تاريخ افريقية الأسلامية، امبراطورية صنغي الأسلامية، مجلة كلية الاداب، جامعة الرياض- 1981.
38. قيام امبراطورية مالي الأسلامية، مجلة جامعة القاهرة، ع1، 1970.
عابدين، عبد المجيد
39. دراسات سودانية، مجلة مصر والسودان، ع1، القاهرة، 1954.
عاشور، سعيد عبد الفتاح
40. الحرير وتجارته في العصور الوسطى، من أبحاث الندوة العلمية في جامعة القاهرة، كلية الاثار ، 1990 .
41. الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية، المجلة المصرية للعلوم السياسية، تشرين الأول، 1962.
عبد الحافظ، عادل
42. قطيا، جمرك مصر الشرقي في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م37، 1990 .
عبد العال، محمد
43. أضواء جديدة على حياة ملامح (فاسكودي جاما)، مجلة معهد الدراسات والبحوث الافريقية، جامعة القاهرة، ع5، 1976.
عثمان، شوقي عبد القوي
44. الطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الكشوف الجغرافية، من ابحاث الندوة العلمية في جامعة القاهرة، كلية الاثار – 1990 .
عمر، علي محمد
45. ديوان الخاص السلطاني، في مصر زمن الناصر محمد بن قلاوون، مجلة التاريخ والمستقبل، م2، آداب المنيا – 1988 .
العمري، امال
46. أضواء على المنشآت التجارية في مصر المملوكية، مجلة كلية الاثار، جامعة القاهرة – 1978.
فخري، أحمد
47. الواحات المصرية في التاريخ، المجلة التاريخية المصرية، م4، ع1، 1951.
القوصي، عطية
48. أضواء على تجارة الكارم من واقع وثائق الخبيزة، المجلة التاريخية المصرية م22، 1975.
49. وثائق الجنيزة وأهميتها في دراسة تاريخ مصر الاسلامية، مجلة جامعة القاهرة، 1974.
كوجوي، أي
50. طريق التوابل، مجلة رسالة اليونسكو، ع277، 1984.
كومب، أ.
51. بعض منتخبات من كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية للنويري، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، م3 –1946.
كوهن، كلود
52. تجار القاهرة الاجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، 1971.
لبيب، صبحي
53. التجارة الكارمية وتجارة مصرفي العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية،م4، 1952.

54. تاريخ تجارة الأسكندرية في القرن الرابع عشر، مجلة الغرفة التجارية لمدينة الاسكندرية، ع174، آذار-1956.
لويس، برنارد
55. النقابات الأسلامية، ترجمة: عبد العزيز الدوري، مجلة الرسالة ع14، 1947.
مؤنس، حسين
56. أثر ظهور الأسلام في الأوضاع الأقتصادية والأجتماعية في البحر المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، م4، ع11، 1951.
57. المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، م1، 1951.
ماجد، عبد المنعم
58. وثيقة عربية نادرة في أرشيف البندقية، مجلة المؤرخ العربي، م21، ع3، 1995.
مالكي، سليمان عبد الغني
59. طريق حجاج الشام ومصر، المجلة التاريخية المصرية، م30، القاهرة – 1984.
مايونج
60. طريق الحرير من الصين الى أنطاكية، مجلة رسالة اليونسكو، ع227، 1984.
محمدين، محمد محمود
61. علاقة الجزيرة العربية بشرق أفريقيا، الدارة، ع2، السنة الثانية، 1976.
المعلوف، أسكندر
62. التجارة عند العرب ومجاوريهم ، مجلة المقتطف، ع77- 1930.
مكي، الطاهر أحمد
63. معاهدة تجارية بين سلطان مصر وملك اراجون من القرن الخامس عشر الميلادي، مجلة المجلة، ع45، 1960.
مونرو، اليزابيث
64. الجزيرة العربية بين البخور والبترول، ترجمة: محمد محمود، مجلة الدارة، ع1، السنة الثانية، 1976.
ناجي سلطان
65. مظاهر الحضارة اليمنية، مجلة افاق عربية، السنة الرابعة، 1987 .
الهيلة، محمد الحبيب
66. النظم الإدارية بمصر في القرن التاسع من خلال كتاب روضة الأديب ونزهة الأريب لأبن ظهيرة الحنفي، ابحاث الندوة العلمية، القاهرة – 1971.